



کتابخانه و اسناد ملی جمهوری اسلامی ایران

الکافرون

وَالْحَيَاةُ الْآخِرَةُ عِيَّةٌ فِي مَقْصَرٍ

٦٤٨-٩٢٣ هـ / ١٢٥٠-١٥١٧ م

دراسة تاريخية وثائقية

تأليف

لكنور محمد حسين



مَطْبَعَةُ الْإِسْلَامِ وَالْقَوْمِيَّةِ بِبَغْدَادِ

الأوقاف

والأوقاف الخيرية في مصر

١٣٦٨-١٣٦٩ هـ / ١٩٤٧-١٩٥٠ م

الأفوقيات

فالحياة الاجتماعية في مصر

٦٤٨-٩٢٣ هـ / ١٢٥٠-١٥١٧ م

دراسة تاريخية وثائقية

تأليف
الدكتور محمد أمين

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. عبد الناصر حسن

أمين، محمد محمد

الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر: ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ/
١٢٥٠ - ١٥١٧ م: دراسة تاريخية وثائقية/ تأليف محمد
محمد أمين .. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٤.
٤٧٨ ص ؛ ٢٤ سم.

تدمك 8 - 1069 - 18 - 977 - 978

١ - الوقف

٢ - مصر - الأحوال الاجتماعية.

٣ - مصر - الأحوال الاقتصادية.

١ - العنوان.

٢٥٢,٩٠٢

إخراج وطباعة:

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى
طريقة كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابى
من الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٧٦٢/٢٠١٤

I.S.B.N. 978 - 977 - 18 - 1069- 8

المحتويات

(ص)

تقديم الكتاب

١ - ٩

المقدمة

الفصل الاول

١٠ - ٦٨

الاقواق في مصر قبل العصر المملوكى

— نظام الاوقاف في مصر قبل العصر الاسلامى (١١) الوقف عند المصريين القدماء (١١) الوقف في القانون البيزنطى (١٣) •

— الاوقاف الاسلامية الاولى (١٥) أسس الوقف في الفقه الاسلامى (١٥) صدقات الرسول عليه الصلاة والسلام (١٦) اوقاف الصحابة (١٩)

— موقف فقهاء المسلمين من نظام الوقف (٢٢) معارضة المدرسة العراقية لنظام الوقف (٢٤) أدلة الذين أجازوا الوقف (٢٦)

— الاوقاف الاولى في مصر الاسلامية (٣٣) أول وقف في مصر الاسلامية (٣٣) تعلق المصريين بنظام الوقف (٣٤) تحريم وقف الاراضى الزراعية ثم اباحة ذلك (٣٨) •

— تنظيم الاوقاف في مصر قبل العصر المملوكى (٤٨) انشاء ديوان مستقل للاعباس تحت اشراف القاضى (٤٨) عناية القضاة بالاوقاف (٤٩) نظر القضاة في اوقاف أهل الذمة (٥١) فصل الاعباس عن القضاء (٥١) الاعباس تمثل أحد موارد مصر المالية في العصر الفاطمى (٥٢) مكانة متولى ديوان

الاحباس (٥٥) تطرق الفساد الى متولى الاحباس (٥٧) تطرق
الفساد للاحباس في أواخر العصر الايوبي (٥٧) •

— انتشار الاوقاف في عصرى الفاطميين والايوبيين (٥٩) تحريم
وقف الاراضى الزراعية (٥٩) وقف أراضى بيت المال (٦١) —
الاقواف وسيلة لتدعيم الحكم في العصر الايوبي (٦٥) •

الفصل الثانى

ازدهار الاوقاف وتنظيمها في العصر المملوكى ٦٩ - ١٣٠

— الاوقاف في العصر المملوكى (٧٠) الظروف السياسية (٧١)
التودد الى الشعب (٧١) تحصين الاموال ضد المصادرات (٧٢)
الشعور الدينى (٨٨) الظروف الاقتصادية (٩٠) اعفاء الاوقاف
من الخراج والضرائب (٩٢) التهرب من ديوان المواريث
الحشرية (٩٣) المنافسة بين السلاطين والامراء (٩٤) تشجيع
السلاطين للامراء على الوقف (٩٥) الوقف من أملاك بيت
المال (٩٥) الاحساس بدنو أجل الدولة (٩٨) •

— طبيعة الاوقاف في العصر المملوكى (٩٩) رأى الفقهاء في وقف
المنقول (٩٩) التوسعة في الاوقاف (١٠٠) وقف العبيد (١٠١)
أهمية الاوقاف وقت انتشار الاويئة (١٠٥) — ازدياد
الاقواف على الحرمين (١٠٥) •

— تنظيم الاوقاف في مصر في العصر المملوكى (١٠٧) ديوان
الاحباس الذى ينظر في الرزق بأنواعها (١٠٨) الاوقاف
الخيرية أو الاوقاف الحكمية (١١٣) الاوقاف الاهلية (١١٦)
استادارية الاملاك والاقواف السلطانية (١٢٠) محاولات

- قضاء القضاة الحنفية النظر في الاوقاف الحكيمة (١٢١) —
- الغاء وظيفة نظر الاوقاف (١٢٢) •
- اهتمام سلاطين الممالك بالاوقاف (١٢٥) رد الاوقاف الى مستحقيها (١٢٥) مراجعة حسابات الاوقاف (١٢٦) العمل بشرط الواقف (١٢٨) حماية اوقاف اهل الذمة (١٢٩) —
- الوصية في التواقيع بالاوقاف (١٢٩) •

الفصل الثالث

الاوقاف والخدمات الاجتماعية ١٣١ — ١٧٧

- الاوقاف والاحسان العام (١٣٢) ارتباط الاوقاف بالصدقات (١٣٢) وجوه البر التي حرص الواقفون صرف ريع اوقافهم عليها (١٣٣) الصدقات اليومية والاسبوعية (١٣٦) الاوقاف والمواسم الدينية (١٤٠) التوسعة على ارباب انوظائف وطلبة العلم والفقراء والمساكين (١٤٠) يوم عاشوراء (١٤٠) شهر رمضان (١٤١) عيد الفطر (١٤٢) عيد الاضحى (١٤٣) توزيع الحلوى في المناسبات المختلفة (١٤٤) — التوسعة بالفواكه في اوقاتها (١٤٦) توزيع الكسوة السنوية (١٤٦) •
- الاوقاف وتوفير ماء الشرب (١٤٨) انشاء الاسبلة (١٤٩) المزلاتى (١٥١) وقت التسبيل (١٥١) نظافة السبيل (١٥٢) أدوات السبيل (١٥٣) — مزلاتى من الصوفية (١٥٣) •
- الاوقاف والرعاية الصحية (١٥٥) انشاء البيمارستانات (١٥٥) البيمارستان المنصورى ووثيقة وقف للسلطان قلاوون عليه (١٥٧) وصف البيمارستان (١٥٨) الغرض من انشاءه (١٦٠)

الامراض التي يعالجها (١٦٠) فئات الشعب المستفيدة منه (١٦٠) الخدمات التي يوفرها البيمارستان للمرضى (١٦٢) الصيدلى (١٦٦) المرضى (١٦٦) الاطباء (١٦٧) التزام الاطباء بقواعد معينة (١٦٧) معالجة المرضى في بيوتهم (١٦٩) العيادة الخارجية (١٦٩) النهوض بعلم الطب (١٧٠) كسوة من يشفى من المرضى وتجهيز ودفن من يميت منهم (١٧١) أثر الاوقاف في استمرار العمل بالبيمارستان المنصوري (١٧٢) البيمارستان المؤيدى (١٧٣) الرعاية الصحية في المنشآت الدينية لارباب الوظائف وطلبة العلم (١٧٣) •

الفصل الرابع

١٧٨ - ٢٣١

الأوقاف والحياة الدينية

— الأوقاف وانشاء المساجد والجوامع (١٧٩) البحث على انشاء المساجد (١٧٩) اقبال الممالك على انشاء المساجد لتقوية الرابطة الاسلامية بينهم وبين الشعب (١٨٠) أثر الاوقاف في كثرة انشاء المساجد (١٨١) الاوقاف وترتيب الوظائف الخاصة باقامة الشعائر الدينية (١٨٤) الامام (١٨٤) الخطيب (١٨٦) الترقية (١٨٨) المؤذنون (١٨٩) الميقات (١٩١) الوظائف التي أضفت على العصر الروح الدينية : المادح (١٩٢) مجمر البخرة (١٩٣) الوقاد (١٩٤) أمين الزيت (١٩٦) الشموع (١٩٧) القراء (١٩٨) •

— الأوقاف والتصوف في مصر (٢٠٤) التصوف الفردى (٢٠٤) — خانقاه سعيد السعداء (٢٠٤) عوامل انتشار التصوف وأثر

الاقواق في ذلك (٢٠٥) الخانقاوات (٢٠٦) وظيفة التصوف (٢١٠) انقطاع الصوفية للعبادة (٢١٦) الربط والزوايا والفرق بينهما وبين الخانقاوات طبقا لما جاء بوثائق الاوقاف (٢١٩)

— الاوقاف وتسهيل تأدية فريضة الحج (٢٢٣) •

— الاوقاف والجهاد في سبيل الله (٢٢٤) أهمية الوقف على الجهاد (٢٢٥) وقف على برج الامير يشبك الداودار بالاسكندرية (٢٢٦) وقف السلطان قايتباي على قاعة السلاح بدمياط (٢٢٨)

— وقف الشيخ محمد الديروطي (٢٣٠) •

الفصل الخامس

٢٢٢ - ٢٧٥

الاقواق والحياة الثقافية

— الحركة العلمية في مصر وارتباطها بالنشاط الديني (٢٣٣) بداية نشأة المدارس في مصر (٢٣٤) • الهدف من انشاء المدارس (٢٣٤) زيادة عدد المدارس في العصر المملوكي (٢٣٥) •

— الخلط بين المدرسة والمسجد والخانقاه (٢٣٧) الاوقاف هي أساس قيام المدارس والحركة العلمية (٢٤٠) الاوقاف هي المصدر المالي الاساسي للمدارس (٢٤١) وثائق الوقف هي لوائح المدارس وقوانينها (٢٤٢) أثر الاوقاف في : مقرر الدراسة (٢٤٢) الشروط التي يجب توافرها في المدرس (٢٤٣) الكتب التي تدرس (٢٤٤) وظيفة المعيد واختصاصه وطرق التدريس (٢٤٥) انتقال الطلبة من مذهب الى آخر سميا وراء المعلوم الاكبر (٢٤٨) مواعيد الدراسة (٢٤٩) الاجازات السنوية (٢٥٠) مساكن الطلبة (٢٥٣) الاوقاف ومكتبات المدارس

- (٢٥٥) خازن الكتب (٢٥٥) نظم الاستعارة (٢٥٧)
- الوقف على زوايا العلم بالمساجد (٢٥٩) •

- الاوقاف ومكاتب الايتام (٢٦١) اثر الاوقاف في تعليم الايتام
- (٢٦٢) المؤدب (٢٦٤) العريف (٢٦٥) مناهج ائدراسة (٢٦٩)
- طريقة التعليم بالمكاتب (٢٧١) مواعيد الدراسة (٢٧١) مكافأة
- اليتم والمؤدب (٢٧٣) استبدال الايتام (٢٧٣) •

الفصل السادس

٢٢٠ — ٢٧٦ الاوقاف والحياة الاقتصادية

- الاوقاف وأحوال مصر الاقتصادية (٢٧٧) وقف حوالى نصف
- أراضى مصر الزراعية وأثر ذلك على إيرادات بيت المال
- (٢٧٨) حبس الاموال عن التداول (٢٧٩) شروط تأجير الاوقاف
- (٢٨٠) التحايل على شرط الايجار (٢٨٤) تحكير الاوقاف وأثر
- ذلك فى تبديد الثروات (٢٨٥) أثر الاوقاف فى البطالة (٢٨٦)
- تحكم الواقف فى ثروته حيا وميتا وأثر ذلك فى تبديد ثروة
- المجتمع (٢٩٠) المنازعات على الاوقاف وتفتيت الملكيات (٢٩٤)
- الاوقاف مصدر ثروة المعممين (٢٩٤) تأثير الاوقاف بسوء
- الاحوال الاقتصادية (٢٩٦) تغير العملات وأثره على أرباب
- الوظائف (٢٩٧) •

- الاوقاف ونظام الاقطاع (٢٩٩) تحول الاقطاعات الى أوقاف
- عن طريق : بيع أملاك بيت المال (٣٠٠) وقف أراضى بيت
- المال (٣٠٢) أثر ذلك على ضعف الجيش (٣٠٣) •

- الاوقاف والعمالة الادارية والفنية : (٣٠٣) الناظر (٣٠٤)

- المباشرون (٣٠٤) الكاتب أو العامل (٣٠٥) الشاهد (٣٠٦)
 المشارف (٣٠٩) الجابى (٣١٠) الصيرفى (٣١٢) الشاهد (٣١٤)
 المبرددار (٣١٦) المهندس أو المعلم (٣١٧) — شاهد العماره
 (٣١٨) المرخم (٣١٩) •

الفصل السابع

تدهور الاوقاف في مصر في العصر المملوكى ٣٢١ — ٣٧٢

- محاولات حل الاوقاف (٣٢٢) أخذ رأى الفقهاء والقضاة
 (٣٢٢) المحاولات التى احترمت فيها رأى الفقهاء (٣٢٣) —
 المحاولات التى نفذ فيها السلاطين والامراء رأيهم (٣٢٨)
 اقطاع أوقاف السلاطين السابقين والرزق الاحباسية (٣٣٩)
 — اغتصاب الاوقاف عن طريق الاستبدال (٣٤١) رأى الفقهاء
 فى الاستبدال (٣٤٢) تخرج القضاة من الحكم بالاستبدال
 (٣٤٢) اغتصاب الاوقاف تحت ستار الاستبدال (٣٤٣) •
 — اغتصاب الاوقاف عن طريق : الاعتراف بأن الاوقاف من مال
 السلطان (٣٥٤) جعل ريع الوقف لاولاد السلطان (٣٥٥) —
 الاستيلاء على الاوقاف القديمة بحجة تعميرها بالمشاركة (٣٥٥)
 تأجير الاوقاف بأجر زهيد (٣٥٦) الاستيلاء على أموال الاوقاف
 والايتام (٣٥٧) فرض الاموال على الاوقاف والرزق (٣٥٧) بيع
 الاوقاف (٣٥٨) وضع اليد على الاوقاف (٣٥٩) اغتصاب الرخام
 والاعمدة من العقارات الموقوفة (٣٦٠) حل الاوقاف الذمية (٣٦٠)
 — دور القضاة والمباشرين فى تدهور الاوقاف (٣٦١) التقرب
 الى الامراء بالزيادات فى الاوقاف (٣٦١) اغتصاب أموال

الحرمين (٣٦٢) الرشوة بالأوقاف (٣٦٣) عدم تعمير الأوقاف
(٣٦٣) اغتصاب القضاة للأوقاف وأموالها لأنفسهم (٣٦٤)
ترك الأوقاف في أيدي أولاد القضاة (٣٦٥) عدم احترام شروط
الأوقاف (٣٦٥) .

— موقف الشعب والعلماء (٣٦٧) معارضة العلماء لمحاولات حل
الأوقاف (٣٦٧) ثورات العامة ضد فرض الأموال على
الأملاك والأوقاف في عهد كل من قايتباي والغوري (٣٧٠) .

٢٧٣ — ٢٧٥

الخاتمة

ملاحق الكتاب

- ١ — دراسة وتحقيق نموذج «وثيقة في الحبس» للامام الشافعي ٢٧٦ — ٢٨٠
- ٢ — نسخة خطبة في ابتداء كتاب وقف ٢٨١ — ٢٨٢
- ٣ — نسخة توقيع بنظر الاحباس ٢٨٢ — ٢٨٤
- ٤ — نسخة توقيع بنظر الأوقاف ٢٨٥ — ٢٨٦
- ٥ — نسخة توقيع بالتحدث في وقف ٢٨٧
- ٦ — قوائم سلاطين الممالك ٢٨٨ — ٢٩١

٢٩٢ — ٤٢٢

المصادر والمراجع

٤٣٣ — ٤٦٢

كتشاف

(أ) الاعلام (٤٣٣)

(ب) الأماكن (٤٤٨)

(ج) الالفاظ الاصطلاحية والوظائف (٤٥٦)

تقديم

الأستاذ سعيد عبد الفتاح جاور
جامعة الكويت

يختلف كل عصر من عصور التاريخ عن الآخر باختلاف نظرة الناس إلى الحياة وإدراكهم لطبيعة الدولة ومهام الحكومة . وإذا كانت العصور الحديثة تتصف بازدياد الصبغة العلمانية للمجتمع واتساع دائرة سلطة الحكومة لتصبح المسئول الأول والآخر عن النهوض بكافة مرافق الدولة ورعايتها وضمان الانفاق عليها وصيانتها بفضل ما تجبیه من ضرائب متنوعة وما تستحدثه من التزامات تفرضها على المواطنين حسب الحاجة والظروف . فان الامر لم يكن بهذه الصورة في العصور الوسطى .

ذلك أن العصور الوسطى عرفت باسم عصور الايمان ، بمعنى أن الطابع الديني هو الذي غلب على تلك العصور ، وتحكم في أحاسيس الناس ومشاعرهم ، وحدد الاطار العام لسلطة الدولة واختصاصات الحكومة ورسم للناس الخطوط العريضة لما ينبغي أن يكون عليه سلوكهم تجاه الحكام من ناحية وتجاه بعضهم البعض من ناحية أخرى وتجاه المجتمع الذي ينتمون اليه ويعيشون وسطه ويؤثرون فيه ويتأثرون به من ناحية ثالثة .

وهكذا كان أقبح ما يؤخذ على حاكم في العصور الوسطى أن يفرض على رعاياه ضرائب أو مكوسا غير شرعية ، أى غير منصوص عليها صراحة في الشرع الكريم ، وكان خير ما يتقرب به حاكم إلى الله وإلى رعاياه هو أن يرفع عن الناس مكسا أو ضريبة غير شرعية استحدثها من سبقه من الحكام ، ومن هنا انحسر نشاط الحكومات في تلك العصور على ما تسمح به حميلة الضرائب الشرعية من رعاية لامن البلاد والعباد ، والدفاع عن أرضهم وأرواحهم

وأعراضهم وأموالهم ، ثم تقدم ما تيسر بعد ذلك من خدمات لرعاية مرافق البلاد وشئون المباد . وغالبا ما كان دور الحكام والحكومات في رعاية هذا الجانب الاخير محدودا لايفى بكل ما ينشده أفراد المجتمع من رعاية اجتماعية وصحية وثقافية ودينية .

وكان أن عالج المجتمع الاسلامى هذا القصور علجا ناجحا مستمدا من الوازع الدينى عند الافراد . ذلك أن مبدا هاما من مبادئ الاسلام يتمثل فى الآية الكريمة « وأحسن كما أحسن الله اليك » . ومن الواضح أن فكرة الاحسان هنا جاءت مطلقة ، بالقول والفعل والمال ، بحيث تمتد الحسنة من الاقربين الى غير الاقربين ، ومن الافراد الى المجتمع الصغير فالكبير الذى يعيش الفرد فيه . ولا تقتصر الحسنة فى هذه الحالة على الزكاة والصدقات المنصوص عليها فى أحكام الدين والتي يلتزم المسلم بتقديمها ، وانما تتمدى ذلك الى نطاق الصدقات الاختيارية التى يتبرع بها القادرون من الخيرين عن رضى ونظيب خاطر تقربا وزلفى لله عز وجل .

ووجدت هذه الرغبة فى فعل الخير متنفسا لها فى نظام الاوقاف ، فبادر الخيرون الى وقف الاوقاف — من مبان وأراض وغيرها — على مختلف الأغراض الخيرية الى تعود على المجتمع بالخير المميم ، وغالبا ماكان يلجأ القادرون الى اقامة المؤسسات المتنوعة من مكاتب لتعليم الايتام ومدارس لتعليم الكبار ومساجد لاقامة شعائر الدين وخانقاوات لذكر الله وببمارستانات ، لعلاج المرضى وسبل لتوفير ماء الشرب للناس والدواب ، ويقفون على كل مؤسسة منها وقفا ينفق من ريعه عليها لضمان بقائها واستمرارها فى أداء رسالتها وبذلك غدت الاوقاف الدعامة الكبرى للنهوض بالمجتمع ورعاية أفرادهِ وتوفير مختلف الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية والدينية لهم ، بحيث لم تكن هذه الرعاية مسئولية الحكومة والحكام بقدر ما كانت مسئولية كل قادر من أفراد المجتمع .

وفى عصر سلاطين المماليك بلغ نظام الاوقاف فى مصر درجة الاكتمال والنضج ، ذلك أن هذا العصر بالذات يمثل دور القوة والثراء والازدهار

الحضارى فى تاريخ مصر العصور الوسطى . واختار كثير من السلاطين والامراء والتجار وغيرهم أن يشاركوا بجزء من ثرواتهم فى النهوض بالمجتمع فأقاموا المؤسسات الخيرية المتنوعة وحسبوا عليها الاوقاف : ووضعوا الشروط العديدة لضمان حسن التصرف فى ربيع تلك الاوقاف بما يضمن استمرار تلك المؤسسات فى تحقيق رسالتها . وارتبط كل وقف من هذه الاوقاف بحجة شرعية توضح أركان ذلك الوقف والغرض منه وحجم وكيفية الاستفادة من ريعه ، ونوعية المستفيدين من الوقف وعددهم ، والموظفين والخدم القائمين على رعاية شئون المؤسسة والوقف وغير ذلك من الجوانب التى توضح الاطار العام لنظام الوقف فى تلك العصور .

ولاشك فى أن دراسة هذا النظام فى ضوء تلك الحجج ، تلقى أضواء جديدة قوية ، لاعلى طبيعة نظام الوقف فحسب : بل أيضا على طبيعة المجتمع المصرى الاسلامى فى تلك العصور . فبدراسة حجج الاوقاف دراسة واعية يمكن للباحث أن يخرج بقدر من المعلومات الجديدة - التى لانظير لها فى كتب التاريخ ومصادره المألوفة - عن عقلية الناس فى تلك العصور وأسلوب حياتهم ، ونظرتهم الى الحياة ، ومدى تغلغل الوازع الدينى فى قلوبهم هذا فضلا عما تلقىه تلك الحجج الشرعية الخاصة بالاوقاف عن أحوال مصر الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها فى تلك العصور .

ومن الواضح أن هذه الدراسة ليست بالسهلة ، نظرا لما تتطلبه من معرفة عميقة بروح العصر الذى تتناوله ، ودراية واسعة بمصادر تاريخه وكيفية استخدامها ، وخبرة واسعة فى قراءة الحجج الشرعية المعاصرة ، لفك رموزها واستجلاء الجوانب الغامضة منها ، واستكمال الالفاظ والمبارات المفقودة منها نتيجة لتآكل بعض أجزائها على مر القرون والسنوات . هذا كله بالإضافة الى ما ينبغى أن يتحلى به الباحث فى مثل هذا الموضوع من حاسة تاريخية مرهفة تجعله قادرا على التقاط المعانى والافكار من بين السطور والربط بين ما جاء فى الحجج الشرعية المتباينة من خيوط متشابكة ، ونقد ومقارنة ما جاء فيها من معلومات ، ليقدم لنا فى النهاية صورة متكاملة جديدة داخل اطار مجدد ثابت لتاريخ الاوقاف .

وقد أقدم على هذا العمل الشاق الدكتور محمد أمين أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد بجامعة القاهرة ، وكانت ثمرة جهوده هذه الدراسة الثمينة التي نقدمها اليوم للمكتبة العربية . ولا أخفى أنني أشفقت على الباحث يوم اختار هذا الجانب بالذات موضوعا يعد فيه رسالته للحصول على درجة الدكتوراه في تاريخ العصور الوسطى تحت إشرافى بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، وأحسست يومئذ أن مثل هذا الموضوع يحتاج إلى جهود فريق من الباحثين المتمرسين في حقل الدراسات التاريخية ، لأبحاث واحد . ولكن الدكتور محمد أمين أظهر دائما أبدا من الجدية والمثابرة والكفاية ما جعله أهلا للنهوض بهذه الرسالة الضخمة . ولا أريد في هذا المقام أن أطنب في الجهد الذي بذله الباحث حتى أوفى بمعهد كان مسئولاً ، وإنما أترك للقارئ وحده أن يستشف مدى هذا الجهد في كل صفحة بل في كل سطر من سطور هذا العمل الكبير . وحسب الدكتور محمد أمين أنه بعد سنوات طويلة من العمل المضنى استطاع أن يثبت من واقع عشرات الحجج الشرعية التي درسها دراسة عميقة أن الأوقاف لم تكن نظاما فحسب ، وإنما كانت أيضا رسالة سامية على الصعيد الاجتماعى بأوسع جوانبه ، بحيث يرجع إليها الفضل كل الفضل فيما أصابه المجتمع المصرى في العصور الوسطى من رقى اجتماعى وثقافى وفيما توافر للمواطن العادى من رعاية اجتماعية وفكرية وصحية ودينية وخالقية : كان من المتعذر أن تتهيا للناس في تلك العصور لولا الأوقاف ونظام الأوقاف .

المقدمة

الوقف في الشريعة الإسلامية صدقة محرمة ، لا تباع ، ولا تشتري ، ولا توهب ، ولا تورث ، ويصرف ريعها الى جهة من جهات البر . ويرجع تاريخ الوقف الاسلامى فى مصر الى السنة الاولى لدخول المسلمين مصر ، ويلاحظ أنه منذ ذلك الوقت وحتى بداية العصر الايوبى اقتصر تأثير نظام الوقف على الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية من حيث أن متحصلات الاوقاف أصبحت تقوم بدور الصدقة فى مجال التضامن الاجتماعى ، فضلا عن نفقات المساجد والجوامع . وعندما قامت الدولة الايوبية بدأ الوقف يلعب دورا جديدا ، اذ عمل الايوبيون على استغلال نظام الوقف ومتحصلاته لتدعيم حكمهم السياسى ، خاصة محاربة التشيع من ناحية ، والجهاد الدينى ضد الصليبيين من ناحية أخرى ، ولذلك كان حصيلة معظم أوقافهم موجهة للنفقة على المدارس وبيوت الصوفية وفك أسرى المسلمين من أيدي الفرنج .

عرف سلاطين المماليك وأمرائهم نظام الوقف كما عرفه ومارسه سادتهم من سلاطين بنى أيوب لذلك تأثر نظام الوقف عندهم بنظام الوقف الذى كان سائدا فى العصر الايوبى ، يضاف الى ذلك ظروف العصر المملوكى السياسية والاقتصادية ، والتي أدت الى ازدهار الاوقاف ، وبالتالي اهتمام سلاطين المماليك بها ، فوضع السلطان الظاهر بيبرس — على سبيل المثال — تنظيما جديدا للاوقاف اختلف بمقتضاه ولاول مرة مدلول لفظ الاجباس عن مدلول لفظ الاوقاف فى مصطلح الدواوين .

وأدى ازدهار الاوقاف وكثرتها فى العصر المملوكى الى أن أصبحت معظم دور وحوانيت ورباع مصر والقاهرة موقوفة ، فضلا عن ما يقرب من نصف مساحة الاراضى الزراعية ، لذلك لعب نظام الوقف دورا هاما بارزا فى الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية فى العصر المملوكى .

ولا ينكر الباحث صعوبة البحث عن جذور وأصول وأسس نظام الوقف الذى كان معروفا فى مصر فى العصر المملوكى ، ولعل تلك الصعوبة ترجع الى

أن المصادر التاريخية الادبية المتداولة اهتمت أساسا بالحياة السياسية . وأغفلت اغفالا يكاد يكون تاما - فى بعض الاحيان - كل ما يتعلق بنظام الاوقاف . فاقترنت معظم هذه المصادر التاريخية على ذكر الاوقاف عند الحديث عن مناقب أحد السلاطين أو الامراء . ونظرت هذه المصادر التاريخية الى الاوقاف كوجه من وجوه الاحسان ، والقربى الى الله ، ولم تنظر الى الاوقاف ودورها الهام فى حياة المجتمع .

أما المصادر الفقهية فقد أسهبت فى الحديث عن الاوقاف ، ولكنها للأسف تحدثت عن الاوقاف من الناحية النظرية من حيث جوازها أو عدمه ، والشروط التى ينعقد بها الوقف ، وما يتعلق به من مشاكل نتيجة لشروط الواقفين المتعددة ، ولم تتعرض هذه المصادر الفقهية الى نظام الوقف من الناحية العملية ، وما كان حادثا بالفعل الا بقدر ضئيل .

لهذا كان على الباحث أن يجمع بعد جهد شذرات بسيطة عن نظام الوقف من المصادر التاريخية والفقهية ، ويقارن ما جمعه ويدرسه ويفرض الفروض عليها أو يفندوها بالجرح والتعديل ، ثم يتجه الى مصدر خصب من مصادر تاريخ نظام الاوقاف ممثلا فى وثائق الوقف المحفوظة فى وزارة الاوقاف ، ودار الوثائق القومية (مجموعة المحكمة الشرعية) ، وفى بطيريكية الاقباط الارثوذكس ، وفى دار الكتب ، وفى دير سانت كاترين . واعتمد الباحث أساسا على هذه الوثائق التى ترجع الى العصر المملوكى ، والتى تريد فى مجموعها عن ثمانمائة وثيقة .

ويلاحظ أن أكثر من نصف وثائق الوقف - التى اعتمد عليها الباحث فى دراسته - محفوظة بأرشفة وزارة الاوقاف بالقاهرة ، ومعظمها وثائق لم تكتشف الا منذ فترة قصيرة . فلسنوات قليلة ماضية لم يكن معروفا من وثائق الوقف التى ترجع الى العصر المملوكى بأرشفة الوزارة سوى ٣٩ وثيقة وهى التى يسمى فهرسها « قديم » ، تميزا لها عن « الجديد » . وفى سنة ١٩٦٧ تم اكتشاف ٤٥٩ وثيقة ترجع الى العصر المملوكى ، وفى صيف

١٩٧٨ وأثناء قيامى بأعداد فهرست لوثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك اكتشفت ٩٧ وثيقة جديدة ترجع الى العصر المملوكى (١) .

أما باقى وثائق الوقف التى ترجع الى العصر المملوكى ، فأكثر من مائتى وثيقة منها محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة ، فضلا عن عدد قليل بكل من بطيريكية الاقباط الارثوذكس بالقاهرة ، ودار الكتب ، كذلك يوجد بمكتبة دير سانت كاترين بسينا الكثير من مراسيم السلاطين والامراء التى تنص على المحافظة على أوقاف وأحباس الرهبان فضلا عن بعض الوثائق الخاصة .

والواقع أن وثائق الوقف المملوكية مصدر أصيل خصب لا مثيل له لدراسة تاريخ مصر فى العصور الوسطى ، ولا سيما فى النواحي الاقتصادية والاجتماعية فوثائق الوقف مصدر فى غاية الاهمية لدراسة تراجم مشاهير الرجال وغيرهم ، ولمعرفة الانقلاب الفخرية للسلاطين ، فضلا عن القاب شيوخ الصوفية والقضاة والعلماء ... الخ ، كما أن وثائق الوقف تمد الباحثين بمعلومات وافية عن كثير من الوظائف والشروط التى يجب أن تتوافر فيمن يقوم بها ، وطريقة تعيينهم ومرتباتهم وأجازاتهم وأحوالهم المعيشية ، كما توضح لنا هذه الوثيقة الكثير عن حياة الناس اليومية ومعاملاتهم ، والنقود التى يتعاملون بها وقيمتها ، وأسعار الاراضى والمقارات ، وأنواع مختلف الصناعات . يضاف الى ذلك أن وثائق الوقف مصدر لا غنى عنه لدراسة تاريخ العمارة الاسلامية ، ومصطلحاتها الفنية ، بل ويمكن اعتمادا عليها ترميم الآثار الاسلامية واعادتها الى الصورة التى كانت عليها فى الماضى ، كما يمكن عن طريق هذه الوثائق القيام بدراسة طبوغرافية للقاهرة والفسطاط فى العصر المملوكى (٢) .

وترجع أهمية وثائق الوقف الى أنها تقدم للباحث فى تاريخ مصر فى العصور الوسطى من المعلومات مالا يتوافر عادة فى المصادر التاريخية المعروفة ، كما أنها تقدم له أيضا ما يفسر الكثير من الحوادث التاريخية فعلى سبيل المثال

(١) انظر فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك - المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة .
(٢) انظر د . عبد اللطيف ابراهيم : الوثائق فى خدمة الآثار - كتاب المؤتمر الثانى للآثار فى البلاد العربية (١٩٥٧) .

يهد الباحث في وثيقة وقف السلطان قانصوة الغورى رقم ٨٨٣ ق أوقاف ،
والتي قام بدراستها دراسة فريدة في نوعها استاذنا الدكتور عبد اللطيف
ابراهيم ، يجد الباحث بها الكثير من المعلومات التاريخية والحضارية ،
كذلك يجد الباحث في الوثائق المكتشفة حديثا والخاصة بأوقاف السلطان
الغورى أيضا ، معلومات هامة عن الطرق العديدة والمتنوعة التي لجأ اليها بعض
سلاطين المماليك سواء للاستيلاء على العقارات الموقوفة ثم إعادة وقفها
(وقف ثم استبدال ثم انتقال ثم وقف) أو الاستيلاء على أملاك بيت المال
عن طريق البيع الصورى بحجة صرف ثمنها في كلفة الغزاة والمجاهدين ثم
لا تلبث هذه الاراضى أن تنتقل الى السلطان فيوقفها^(١) ، مثال ذلك أنه في
١٣ ربيع الآخر ٩٢٢ هـ بيعت أراضى تابعة لبيت المال باسم السلطان الغورى
باعتباره ولى الامر ، وفي ١٧ ربيع الاخر من نفس السنة - أى بعد أربعة
أيام فقط - انتقلت ملكية هذه الاراضى الى السلطان الغورى ، بصفته
الشخصية ، لكى يوقفها في اليوم التالى مباشرة في الوقت الذى يذكر لنا فيه
المؤرخ المعاصر ابن اياس أن هذه الايام الخمسة كانت من أصعب الايام التي
مرت بمصر ، ففيها خرج السلطان الغورى للاقتاة الجيش العثمانى ، ذلك اللقاء
الذى كانت له آثار بعيدة المدى في تاريخ مصر والشرق العربى كله^(٢) .

وتمدنا الوثائق بمعلومات أصيلة فريدة في نوعها عن بعض مظاهر الحياة
الاجتماعية والاقتصادية في مصر في العصر المملوكى ، مثال ذلك ما تقدمه
لنا وثائق وقف السلطان بيبرس الجاشنكير والسلطان الناصر محمد بن قلاوون
من معلومات هامة توضح لنا الفرق بين الخائفة والرباط^(٣) ، وتصحح لنا
وثيقة وقف السلطان المؤيد شيخ مارواه ابن اياس عن وظيفة « البرددارية »^(٤) ،
وتمدنا وثيقتى وقف الجمالى عبد الله^(٥) ، وعائشة بنت السلطان برقوق^(٦) ،

(١) أنظر وثيقة وقف السلطان الغورى رقم ٢٩٢ ج أوقاف ، وما جاء بهذا
الخصرس في الفصل السادس .

(٢) ابن اياس اياس : بدائع الزهور ج ٥ ص ٣٥ وما بعدها .

(٣) أنظر ما جاء بالفصل الرابع .

(٤) أنظر ما جاء عن هذه الوظيفة بالفصل السادس .

(٥) وثيقة وقف رقم ٥٣١ ج أوقاف .

(٦) وثيقة رقم ١٤٠ ج أوقاف .

الكثير من المعلومات عن أنواع السكة المتداولة وقتذاك ، وتؤيد ما ذكره أحمد بن على المقرئ في كتابه اغانة الامة بكشف الغمة من أن الدرهم النقرة أصبح سعر صرفه ٢٤ درهما من الفلوس ، بعد ان كان ٤٨ درهما (١) .

وهناك وثائق كثيرة نصت صراحة على أن عملة مصر السائدة أصبحت في القرن التاسع للهجرة / الخامس عشر للميلاد من « الفلوس الجدد المضروبة من النحاس الاحمر » (٢) .

ما سلفه من الفلوس الجدد المضروبة من النحاس الاحمر معاملة الان بالدينار المصرية بمثابة درهم نصفها

(من وثيقة وقف الأمير قرقماس رقم ٩٠١ أوقاف ص ٧٠)

وتقدم لنا بعض الوثائق الكثير من المعلومات الهامة عن أصل المالك غنى وثيقة وقف الأمير قرقماس ، على سبيل المثال ، ورد عند ذكر أخيه دبشن ما يدل على أنه لم يكن مسلما ، اذ ورد بهذه الوثيقة « ومنها انه اذا حضر أخوه شقيقه دبشن المذكور أعلاه من بلاد جرجس (جورجيا) وتشرف بدين الاسلام الشريف يكون حكمه حكم الأمير المساس المشار اليه أعلاه في الاستمقاق والنظر » (٣) .

من ذلك ومنها انه اذا حضر اخوه شقيقه دبشن
المذكور أعلاه من بلاد جرجس وتشرف بدين الاسلام

الدين

(١) انظر ما جاء بالفصل السادس .

(٢) وثيقة وقف الأمير قرقماس رقم ٩٠١ أوقاف ص ٧٠ ، وثيقة وقف الجبال عبد الله ٥٣١ ج أوقاف .

(٣) وثيقة وقف الأمير قرقماس ٩٠١ أوقاف ص ٣٣ ، ٣٤ .

٤٤

الذين يكون حكمهم حكم الأمير المسمى المشار إليه لعلاه
في الاستعانة والتفويض منها عنه عين وظيفة مشيخة

(من وثيقة وقف الأمير قرقماس ٩٠١ أوقاف من ٢٣ ، ٢٤)

وعلى الرغم من الأهمية الكبرى لوثائق الوقف فى دراسة التاريخ
الأنها لم تحظ بالعناية والاهتمام التى تتفق ومكانتها كمصدر أساسى لتاريخ
مصر العصور الوسطى . ويمكن تقسيم دراسات العلماء والباحثين المعاصرين ،
لوثائق الوقف المملوكية ، الى ثلاث مجموعات رئيسية :

المجموعة الاولى وتشمل دراسات العلماء والباحثين الذين نشروا أجزاء
من وثائق الوقف المملوكية ، أو ملخصاً لها دون الاهتمام بشرح ودراسة
ما جاء بها من مصطلحات فنية ، ومثال ذلك ما ورد فى كتاب الخط الجديدة
للتوفيقية لعلى مبارك - الذى عمل فترة من الزمن كرئيس لديوان الاوقاف -
اذ ورد فيه تلخيص لبعض وثائق الوقف المحفوظة بأرشيف وزارة الاوقاف ،
وأثبت على مبارك ذلك عرضاً عند حديثه عن الجوامع والمدارس التى تناولتها
هذه الوثائق ، ومثال آخر ما نشره الاستاذ ماير Mayer من وثيقة وقف
السلطان قايتباى فى كتابه المسمى The buildings of Qaytbay as described
in the endowment deed, (London 1938)

اذ نشر جزءاً من وثيقة وقف السلطان قايتباى رقم ٨٨٦ أوقاف وذلك دون
تحقيق أو تعليق ، كذلك قام الاستاذ الدكتور أحمد دراج بنشر ملخص وثيقة
وقف السلطان برسباى المحفوظ بدار الكتب والوثائق القومية (١) .

والقسم الثانى من الدراسات التى اهتمت بوثائق الوقف المملوكية تلك
الدراسات التاريخية والتربوية التى اعتمدت على كثير من المعلومات التى
جاءت بوثائق الوقف ، وأولى هذه الدراسات ما قام به الاستاذ الدكتور

(١) رقم ٣٣٩٠ تاريخ - أنظر حجة وقف الأثرى برسباى - من مطبوعات
المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية (القاهرة ١٩٦٣) .

ابراهيم سلامة عند دراسته عن التربية الاسلامية في مصر (١) اذ اعتمد في دراسته على بضع وثائق وقف هي بالتحديد وثائق وقف كل من السلطان حسن (٢) . والامير مرغتمش (٣) ، والسلطان برسباي (٤) ، والمحفوظة بأرشيف وزارة الاوقاف ، وقد اعتمد على هذه الوثائق عند الحديث عرضا عن التربية في مصر في العصور الوسطى .

ولعل أهم الدراسات التاريخية التي اعتمدت على ما جاء بوثائق الوقف هي ما قام به الاستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور في دراسته عن المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك (٥) ، وما قام به الدكتور حسنين محمد ربيع في دراسته عن النظم المالية في مصر في العصر المملوكي ، وهي دراسة مقارنة بين النظم المالية في مصر والدول المطلة على البحر المتوسط في العصور الوسطى (٦) ، وكذلك في الوثيقة التي قام بدراستها ونشرها بعنوان وثيقة تملك ووقف (٧) .

والقسم الثالث من الدراسات الوثائقية هو تلك الدراسات التي اهتمت بوثائق الوقف المملوكية ، واهتمت بدراسة ما جاء بها وتحقيقه تحقيقا علميا وأهمها تلك الدراسة الرائدة التي قام بها الاستاذ الدكتور عبد اللطيف ابراهيم على عن وثائق من عصر السلطان الغوري (٨) ، وما قام به سيادته من دراسات تالية تناولت بالنشر والدراسة والتحقيق مجموعة كبيرة من وثائق الوقف ، تلك الدراسة التي فتحت السبيل أمام اجيال من الباحثين للاستفادة من المعلومات القيمة التي حوتها وثائق الوقف .

Ibrahim Salama : L'Enseignement Islamique en Egypte, (١)
(Le Caire, 1939.).

(٢) وثيقة وقف رقم ٨٨١ أوقاف .

(٣) وثيقة وقف رقم ٣١٩٥ أوقاف .

(٤) وثيقة وقف رقم ٨٨٠ أوقاف .

(٥) د. سعيد عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك (القاهرة ١٩٦٢) .

Rabie : The Financial System of Egypt A. H. 584 — 741 / (٦)

A. D. 1169 — 1341 (London 1972)

(٧) وثيقة تملك ووقف القاضي سعيد الدين - أنظر المجلة التاريخية المصرية -

المجلد ١٢ سنة ١٩٦٤ (ص ١٩١ - ٢٠٢) .

(٨) دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر السلطان الغوري - رسالة دكتوراه

بجامعة القاهرة (١٩٥٦) .

وعلى هذا الأساس الصليب من الوثائق المملوكية والدراسات الوثائقية قامت دراستي لدرجة الدكتوراه التي قدمتها لجامعة القاهرة بعنوان « تاريخ الأوقاف في مصر في عصر سلاطين المماليك ١٢٥٠ - ١٥١٧ » بإشراف الاستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، والتي حصلت بها على درجة الدكتوراه في الآداب بمرتبة الشرف الاولى مع التوصية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة وذلك في سبتمبر ١٩٧٣ .

وأعقب هذه الدراسة مجموعة من الدراسات قام بها مجموعة من الدارسين بقسمي التاريخ والوثائق بكلية الآداب ، أو بالقسم الاسلامي بكلية الآثار بجامعة القاهرة واعتمدت هذه الدراسات واستفادت من الوثائق المملوكية ، بل قام بعض الباحثين بنشر أجزاء من هذه الوثائق كملحق لرسائلهم^(١)

ورغم ذلك فاني أرى أننا ما زلنا في بداية الطريق من أجل الافادة من الوثائق كمصدر خصب للدراسة والقاء الضوء على جوانب متعددة من الحضارة الاسلامية في مصر في العصور الوسطى ، فالجمال متسع أمام العديد

(١) أنظر على سبيل المثال الرسائل الآتية ، وهي رسائل غير منشورة بجامعة القاهرة :

- حسن سيد جودة القصاص : المدرسة الصر قنصية - رسالة ماجستير ١٩٧٣
- جرجس فام ميخائيل : السلطان جقمق وحالة مصر في عصر مرسالة ماجستير ١٩٧٤
- حسني محمد حسين نويسر : منشآت السلطان قايتباي الدينية بمدينة القاهرة - رسالة دكتوراه ١٩٧٥
- سامي أحمد عبد الحليم : آثار الامير قاني قرا الرماح - رسالة دكتوراه ١٩٧٥
- محمد ابراهيم السيد : البروتوكول الخفاسي للوثائق العربية - رسالة ماجستير ١٩٧٥
- عبد الفتى محمود عبد العاطي : التعليم في مصر زمن الايوبيين المماليك - رسالة ماجستير ١٩٧٥
- قاسم عبده قاسم : أهل الذمة في مصر في عصر سلاطين المماليك - رسالة دكتوراه ١٩٧٥ (طبعت بدار المعارف - القاهرة ١٩٧٨)
- محمد مصطفى محمد نجيب : مدرسة الامير كبير قرقماس وملحقاتها - رسالة دكتوراه ١٩٧٥
- سامي أحمد حسن : السلطان اينال واثاره المعمارية في القاهرة - رسالة دكتوراه ١٩٧٦
- زينب محمد محفوظ : وثائق البيع في مصر خلال العصر المملوكي - رسالة دكتوراه ١٩٧٧
- علي حسن زغلول : مدرسة السلطان حسن - رسالة ماجستير ١٩٧٧

من الباحثين والدارسين في مختلف المجالات. ليقوموا بدراسات متنوعة تعتمد أساسا على الوثائق للكشف عن الكثير من القضايا الغامضة في تاريخ مصر الوسيط .

وفي ختام هذه المقدمة لا يسعني الا أن أتقدم بالشكر الى الاساتذة الدكاترة : سعيد عبد الفتاح عاشور ، سيدة اسماعيل كاشف ، عبد اللطيف ابراهيم على ، لما أبدوه من ملاحظات أثناء مناقشة الرسالة ، فقد حرصت على الافادة من آرائهم القيمة عندما شرعت في تقديم هذا الكتاب الى المطبعة ، كما أتقدم بالشكر الى وزارة الاوقاف بالقاهرة وبخاصة قسمي الدفتر خانة والتصوير ، والى دار الوثائق القومية ، والى لجنة القانون بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، فقد قدموا لى الكثير من التسهيلات التى مكنتنى من الاطلاع على جميع وثائق العصر المملوكى .

والله الموفق ..

محمد محمد أمين

القاهرة في ١٢ ربيع الاول ١٤٠٠ هـ
٣٠ يناير ١٩٨٠ م

الفصل الأول

الأوقاف فى مصر قبل العصر المملوكى

- نظام الاوقاف فى مصر قبل العصر الاسلامى — الوقف عند المصريين القدماء — الوقف فى القانون البيزنطى •
- الاوقاف الاسلامية الاولى — أسس الوقف فى الفقه الاسلامى — صدقات الرسول عليه الصلاة والسلام — أوقاف الصحابة •
- موقف فقهاء المسلمين من نظام الوقف — معارضة المدرسة العراقية لنظام الوقف — أدلة الذين أجازوا الوقف •
- الاوقاف الاولى فى مصر الاسلامية — أول وقف فى مصر الاسلامية — تعلق المصريين بنظام الوقف — تحريم وقف الاراضى الزراعية ثم اباحة ذلك •
- تنظيم الاوقاف فى مصر قبل العصر المملوكى — انشاء ديوان مستقل للاعباس تحت اشراف القاضى — عناية القضاة بالاوقاف — نظر القضاة فى أوقاف أهل الذمة — فصل الاعباس عن القضاء — الاعباس تمثل أحد موارد مصر المالية فى العصر الفاطمى — مكانه متولى ديوان الاعباس — تطرق الفساد الى متولى الاعباس ، وللإعباس ذاتها فى أواخر العصر الايوبى •
- انتشار الاوقاف فى عصرى الفاطميين والايوبيين — تحريم وقف الاراضى الزراعية — وقف أراضى بيت المال — الاوقاف وسيلة لتدعيم الحكم فى العصر الايوبى •

نظام الاوقاف في مصر قبل العصر الاسلامي :

الوقف هو منع التصرف في رقبة العين : مع بقاء عينها ، وجعل المنفعة لجهة من جهات الخير ابتداء . وهو الوقف الخيري ، أو انتهاء : وهو الوقف الاهلي^(١) والوقف بهذا المعنى عرفة الانسان منذ القدم ، وان لم يسم بهذا الاسم ، ذلك ان الانسان عرف المعابد منذ أن تطلع الى عبادة القوى الالهية ، ورصد على تلك المعابد المقارنات والاراضي للانفاق من غلاتها عليها وعلى القائمين بأمرها . ولا يمكن أن نتصور هذا الا على أنه في معنى الوقف ، أو هو على التحقيق وقف ، فالمعابد لم تكن مملوكة لاحد من العباد ، فضلا عن أن منافعها عمت جميع الذين يتعبدون فيها ، ومن هنا نستطيع أن نقرر أن فكرة الوقف — على الأقل — كانت موجودة قبل الاسلام .

ثم أن المصريين القدماء عرفوا من الانظمة ما يشبه الى حد كبير الوقف بقسميه : الخيري والاهلي ، فهناك الاموال المخصصة لخدمة المعابد ، والتي تنسب ملكيتها الى الاله ، فقد جاء في مرسوم نفر كارع عن وصف الحقل بأنه « حقل الاله الذي يقوم على خدمته الكهنة » وأن هذه الاملاك تعتبر وقفا محبوبا عن التداول ، وحق الكهنة مقصور على ادارتها ، والحصول على أجر مقابل قيامهم بالشعائر الدينية^(٢) ، كما جاء في وثيقة ترجع الى عهد الاسرة الرابعة : « قد وهبت حقولا لاهي الكاهن نفرحتب والى اولاده ... الذين سيقومون بمزاسيم تقديم القرابين في مقبرتي » ثم نص على عدم جواز التصرف في تلك الاموال^(٣) ، وجاء في مقبرة أمير سيوط — حمبي زفأى — من عهد الاسرة الحادية عشرة نقوش مطولة تروى أن هذا الامير قد وقف أمواله على الكهنة مقابل قيامهم بالشعائر الدينية التي جاء وصفها مفصلا في تلك النقوش^(٤) .

(١) أنظر ما يلي من تعريف الوقف .

(٢) د . شفيق شحاته : تاريخ القانون الخاص في مصر ج ١ القانون المصري القديم (الطبعة الخامسة) ص ٢٧ ، ١٠٣ .
Pipenne (J.) ;
Histoire des Institutions et du Droit Privé de L'Ancienne Egypte,
Bruxelles, 1932. Vol. II. p. 253. vol. III. p. 189.

(٣) د . شفيق شحاته : تاريخ القانون ص ٢١

(٤) سليم حسن : مصر القديمة ج ٢ ص ٤٧٥ وما بعدها .

ومنذ أيام الدولة الحديثة (في العصر الفرعوني) زادت أملاك المعابد زيادة كبيرة تبعاً لازدياد نفوذ الكهنة ، فقد كان الملوك والأمراء لا يضمنون عليها بأموالهم ، من ذلك تخصيص كميات الذهب المستخرجة من مناجم *bagruum* في النوبة لصالح معبد أبيدوس (سیتی الاول ورمسيس الثاني) (١) .

أما ما يشبه الوقف الاهلي ، فوجدت صورة عقد هبة ترجع الى الاسرة الخامسة — صدر من شخص لابنه الاكبر ، وأمره بصرف الاستحقاقات لاختوته من ريع الاموال الموهوبة ، ونص صراحة على أن هذه الاموال غير قابلة للتصرف ، لا عن طريق الهبة ، ولا عن طريق الوصية ، وأنه يجب أن تؤول من بعدهم لأولادهم هم ، وعلى أن يتولى ادارتها الابن الاكبر في كل طبقة من طبقات المستحقين (٢) ، وأكد هذا المعنى ما جاء في مرسوم دهنور من أن الاراضى التى منع التصرف فيها تكون غلتها لمن له استحقاقها (٣) ، وهذا النظام أشبه ما يكون بنظام الوقف الاهلي الذى يجعل ريعه للمستحقين من أقرباء الواقف ، على أن تكون النظارة للارشد فالارشد من هؤلاء المستحقين .

وعلى الرغم من أن هذا المثل يعتبر عقد هبة ، الا أنه في معناه ، ومن ناحية القيود التى قيد بها التصرف في الرقبة ، يبدو في صورة وقف ، ولا عبرة بما يقال من أن العين الموقوفة تكون على حكم ملك الله ، في حين أن العين الموهوبة تكون مملوكة للموهوب له — وأن قيد التصرف في المنافع — فان الرد على ذلك هو أن كون العين مملوكة للمتولى شئون الوقف فان ذلك لا يمنع ثبوت حقيقته ، لان الفقهاء لم يتفقوا على ملكية العين الموقوفة وما جاء في القانون المصرى القديم أقرب الى وجهة نظر المذهب الحنبلى الذى جعل الملكية للمتولى شئون الوقف (٤) .

(١) Sender — Hanen — Inschriften der d. 19. Dyn. p. 13. ff, p. 37

ff.

وهذا المثال يشبه الى حد كبير وقف صلاح الدين الأيوبي صادر الفرنج على الفقهاء بالاسكندرية — انظر ما يلى .

(٢) د. شفيق شعاع : تاريخ القانون ص: ١٠٤ ، ١٠٥

(٣) د. شفيق شعاع : تاريخ القانون ص: ١٨ ، ٢٢ ، ٣٥ ، ٤٧

(٤) انظر ما يلى ابن قدامة (أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة

المقدمي) : المغنى (الطبعة الثالثة) ج ٥ ص ٥٤٨

كذلك عرف الجرمان نظام الـ *Familien Fideicommiss* وهو المال الذى يرصده مالكة على أسرة معينة لمدة محدودة ، أو حتى انقراضها وقد يكون الاستحقاق فيه لجميع أفراد الأسرة ، أو قد يكون لبعضها ، والاصل فيه أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث : وليس للمستحق فيه سوى المنفعة ، وهو بذلك يشبه الوقف الاهلى^(١) .

وعندما حرر العرب مصر من السيطرة البيزنطية وجدوا فيها نظامين يشبهان الوقف ، وهما نظام المؤسسات الدينية والخيرية *Piae Causae* ، والذى يشبه الى حد ما نظام الوقف الخيرى^(٢) ، ونظام الاستئمان *Fidei Commissum* والذى يشبه الى حد ما نظام الوقف الاهلى^(٣) .

فنظام المؤسسات الدينية المسيحية والخيرية الذى وجد فى القانون البيزنطى يتضمن معنى رصد مجموعة من الاموال لتحقيق وجه من وجوه البر والخير . ونفس المعنى يوجد فى نظام الوقف الخيرى الاسلامى ، مما يجعل النظامين متشابهين من حيث الغرض ، ولكنهما مختلفان من حيث الوسائل الفنية التى استعملها كل من القانونيين لتحقيق ذلك الغرض الموحد ، فالقانون البيزنطى اعترف لتلك المؤسسات بالشخصية المعنوية فى حين لم يعرف الفقه الاسلامى مبدأ الشخصية المعنوية ، وبالتالي فانه جعل الاموال الموقوفة على حكم ملك الله ، هذا الى أن النظامين مختلفان من حيث شروط صحة الوقف وآثاره وادارته^(٤) .

أما نظام الاستئمان فهو بعيد عن نظام الوقف، الاهلى ، اذ يقوم نظام الاستئمان البيزنطى على أساس أن يوصى شخص بماله أو بجزء منه الى

(١) أحمد فرج السهنورى : مجموعة القوانين المصرية ج ٣ القسم الاول ص ٨٠٧

(٢) Cahen (C.) : Reflexions sur le Waqf Ancien, Studia vol. XIV, 1961, p. 52.

(٣) لجأ الرومان الى هذه التصرفات منذ أواخر العصر الجمهورى ، ولم يمتثل بها الا فى عهد اوجست ، ثم هذب التشريع الجوستنيانى بعض حواشيها - انظر السهنورى مجموعة القوانين المصرية ج ٣ القسم الاول ص ٧ حاشية ١

(٤) د- صوفى حسن أبو طالب : بين الشريعة الاسلامية والقانون الرومانى ص ١٥٠ Cahen : op. cit. p. 52.

شخص آخر ، ويكلفه في نفس الوصية برد ذلك — كله أو بعضه — الى أشخاص يعينهم له في الوصية ، ومثال ذلك ما جاء في مجموعة الامبراطور جستنيان : « وقبل كل شيء ، لتعلم أنه من الضروري أن يكون هناك وارث جعلى (١) متخذ بمقتضى وصية محررة وفق الاصول ، وأن يكون الوصي قد وكل الى ذمة هذا الوارث الجعلى أن يقبض التركة ويسلمها الى شخص آخر ، اذ الوصية تكون باطلة اذا خلت عن اتخاذ هذا المستأمن وارثا ، وتحقيقا لهذا : فان الموصى اذا نص بقوله : ليكن لوسيوس تيتوس وارثا لى ، فينبغى أن يتبعه بمثل النص الآتى :

« وانى أرجوك يا لوسيوس تيتوس أنك بمجرد قبولك وراثتى تسلمها الى جايوس سيبوس » على أنه يصح أيضا رجاء الوارث الجعلى في تسليم جزء من الميراث فقط (٢) .

ويبدو من هذا أن نظام الاستئمان يتفق مع نظام الوقف الاهلى من حيث امكان افادة شخص معين من تركة شخص آخر عن غير طريق الارث . ولكنهما يختلفان : فطبقا لنظام الاستئمان يؤول المال بصفة نهائية الى من يحدددهم الموصى ، ولكنه طبقا لنظام الوقف الاهلى يؤول الربيع فقط الى من يحدددهم الواقف ، وبشرط أن يؤول من بعدهم الى جهة بر .

وعلى هذا الاساس لا يمكن الاخذ بالرأى القائل بأن الاوقاف في مصر الاسلامية انما هي امتداد للاوقاف في مصر في العصر البيزنطى (٣) ذلك أن العرب عرفوا نظام الوقف — بمعناه العام — قبل الاسلام : كما وضع نظام الوقف بمعناه الدقيق المحدد في العصر الاسلامى ، منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام (٤) . هذا فضلا عن أن الاوقاف التى وجدت في مصر الاسلامية

(١) المقصود بالوارث الجعلى شخص خارجى ليس له حق الوراثة أصلا يتخذ الموصى كوارث له طبقا لنظام الوراثة الاستئمانية .
Arreutes ridei — commissaires.

(٢) مدونة جستنيان فى الفقه الرومانى (ترجمة عبد العزيز فهمى) - الكتاب الثانى باب ٢٣ ص ١٥١

(٣) Cahen : op. cit. p. 51, 52.

(٤) أنظر ما يلى عن وقف عمر بن الخطاب .

انما كانت على نمط الاوقاف الاسلامية الاولى التى عرفها العرب المسلمون قبل تحريرهم لصر ، كما سيتضح من دراستنا هذه فيما بعد .

الاقواف الاسلامية الاولى :

عرف العرب - قبل الاسلام - نظام الوقف - بمعناه العام على الاقل - شأنهم فى ذلك شأن بقية الامم الاخرى ، فالبيت الحرام والمسجد الاقصى ، كانا قائمين قبل الاسلام ، كما كانت هناك أيضا الكنائس والبيع والاديرة التى سمع بها العرب ، ورأوا بعض نماذج منها على حدود شسبه الجزيرة على الاقل ، وكما سبق أن أشرنا الى أن هذه المؤسسات الدينية لم تكن مملوكة لاحد بالذات ، وانما كان من حق أتباع الديانة الانتفاع بها جميعا ، وثمة حديث دار بين عبد المطلب بن هاشم وأبرهة عندما قدم الاخير الى مكة ليهدم الكعبة يوضح هذه الفكرة ، خلاصته أن أبرهة كان قد استولى على مائتى بعير لعبد المطلب ، وعندما تقابل عبد المطلب مع أبرهة فى معسكره قال أبرهة لترجمانه : « قل له ما حاجتك ؟ فقال عبد المطلب : حاجتى أن يرد على مائتى بعير أصابها لى ، فقال أبرهة : أتكلمنى فى ابلك ، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه ؟ قال عبد المطلب : أنا رب الابل وللبيت رب يمنعه »^(١) .

ومع ذلك فانه لا يمكن ارجاع نظام الوقف فى الاسلام الى أصل واحد : نتيجة لامتزاج عوامل متعددة ، وعناصر مختلفة خلال فترة تكوين الوقف الاسلامى^(٢) . ويمكن أن نحدد الاصول التى يعتمد عليها وجود الوقف فى الفقه الاسلامى على أربعة أصول رئيسية :

اولها فكرة الصدقة الجارية ، وهى الفكرة التى تتضح فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ (ط . بيروت ١٩٦٥) ج ١ ص ٤٤٤
 Haffening (W.), Encyclopedie or Islam, vol. ١٧, (Leiden 1934). (٢)
 Art. Wakf, Schacht (J.), Early Doctrines on waqf, melanges Fiaou
 Kopriilil, Istanbul, 1935, p 443.

جارية . أو علم ينتفع به . أو ولد صالح يدعو له (١) . « . وهنا يبدو أن الصدقة الجارية المذكورة في الحديث تتحقق في الوقف على أصل معناه المقرر من الفقهاء ، وهو كونه نوعا من الصدقات .

ثانيهما : ما أثر عن النبي عليه الصلاة والسلام من صدقات قبض عنها ، وهي ثمانية (٢) . مما آل اليه عليه السلام بأحد حقيقه في خمس الخمس من الفى والغنائم : أو أربعة أخماس الفى الذى أفاءه الله على رسوله مما لم يوجب عليه المسلمون بخيل ولا ركاب ، فما صار اليه عليه الصلاة والسلام بواحد من هذين الحقيقين ، تنازل عن جزء منه لبعض أصحابه ، وترك الباقي لنفسه وصلاته ومصالح المسلمين . حتى مات عنه صلى الله عليه وسلم : فاختلف الناس في حكمه : فجعله قوم موروثا عنه ومقسوما على المواريث ملكا ، وجعله آخرون للامام القائم مقامه : والذى عليه جمهور الفقهاء أنها صدقات محرمة الرقاب مخصوصة المنافع ، مصروفة في وجوه المصالح العامة (٣) .

وأول هذه الصدقات — وهى أول وقف في الاسلام (٤) — كانت في السنة الثالثة الهجرية ، وكانت عبارة عن سبعة حوائط (٥) ، وكانت ملك مخبريق اليهودى من علماء بنى النضير آمن بالرسول يوم أحد ، وأوصى أنه اذا قتل يوم أحد فأمواله لرسول الله يضعها حيث أراه الله ، فقتل يوم أحد ، فقبض رسول الله

(١) رواه الجماعة الا البخارى وابن ماجه — الشوكانى (محمد بن على بن محمد) . نيل الاوطار (شرح منتهى الاخبار من احاديث سيد الاخبار) ج ٦ ص ١٨ ، ابن دقيق العيد (تقى الدين أبو الفتح محمد بن على بن وهب المصرى القشبرى) : الامام بأحاديث الاحكام ١ ط . دمشق) ص ٣٧٥ ، ابن قدامة : المفتى ج ٥ ص ٥٤٤ ، ابن حجر (العالظ بن حجر العسقلانى) : بلوغ المرام من أدلة الأحكام ص ٢١٠

(٢) الماورى (أبو الحسن على) الاحكام السلطانية (الطبعة الثانية) ص ١٦٩
(٣) الماورى : الاحكام السلطانية ص ١٦٨ ، المزنى (أبو ابراهيم اساميل ابن يحيى) مختصر المزنى ، ط . بولاق) ج ٣ ص ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، أبو يعلى (محمد بن الحسين الغرام العنبل) : الاحكام السلطانية (ط . القاهرة) ص ١٢١
(٤) الغصاف (أبو بكر أحمد بن عمرو الشيبانى) : كتاب أحكام الاوقاف (ط .

القاهرة) ص ٤ ، د . عبد العال ع . سلمان : نظام الوقف في الاسلام — مجلة المعامه الشرعية (السنة الخامسة ١٩٣٣/١٩٣٤) ص ٢١٧

(٥) الحائط هو البستان من التخييل اذا كان عليه حائط وهو الجدار — انظر ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى) : لسان العرب (ط . بولاق) ج ٩ ص ١٤٩

أمواله^(١) . وجعلها صدقة في سبيل الله عقب رجوعه من أحد : وما زالت كذلك حتى حمل من ثمرها الى عمر بن عبد العزيز أيام خلافته^(٢) .

وثاني هذه الصدقات تشمل أرض الرسول صلى الله عليه وسلم من أموال بني النضير بالمدينة ، وهي أول أرض أفاءها الله على رسوله ، فأجلاهم عنها ، فخلعت أرضهم كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم : الا ما كان ليامين بن عمير وأبى سعد بن وهب فانهما أسلما قبل الظفر^(٣) ، ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سوى الأرض على المهاجرين الاولين دون الانصار الا سهل بن حنيف وأبا دجانة سمالك بن خرشة ، فانهما ذكرا فقرا فأعطاهما^(٤) ، وحبس الباقي على نفسه ، فكانت من صدقاته يضعها حيث يشاء وينفق منها على أزواجه^(٥) . وليس أدل على أنها كانت صدقة موقوفة من أن عمر بن الخطاب سلمها فيما بعد الى العباس وعلى ، رضوان الله عليهما ، ليقوما بمصرفها^(٦) .

أما الصدقات الثالثة والرابعة والخامسة فكانت ثلاثة حصون من خير ، وهي الكتيبة والوطيح والسلام ، وكانت الكتيبة قد أخذت بخمس الغنيمة ، بعد أن فتحت ستة حصون لخير عنوة^(٧) ، في حين كانت الوطيح والسلام مما

(١) ابن هشام (أبو محمد عبد الملك) : سيرة النبي صلى الله عليه وسلم (ط . القاهرة ج ٣ ص ٣٨ ، ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ١٦٢ ، الخصاص : أحكام الاوقاف ص ٣ ، ٤)

(٢) علي الخفيف : الوقف الاهل (مجلة القانون والاقتصاد بـ العددان الثالث والرابع - السنة العاشرة - مارس وأبريل ١٩٤٠) ص ٣٥

(٣) ابن هشام : السيرة ج ٣ ص ١٩٤

(٤) ابن هشام : المرجع السابق ج ٣ ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، المقريزي (تقى الدين أحمد بن علي) : أمتاع الاسماع بما للرسول من الانبياء والامور والعقود والمتاع - تحقيق محمود محمد شاكر (ط . القاهرة) ج ١ ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، ابن واضح (أحمد بن أبي يعقوب) : تاريخ يعقوبى (ط . بيروت) ج ٢ ص ٢٩

(٥) الخصاص : أحكام الاوقاف ص .

(٦) المساوردي : الاحكام السلطانية ص ١٦٩ ، ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ١٧٣ و ١٧٤ ، أبو يعلى : الاحكام السلطانية ص ١٨٣ ، ١٨٤

(٧) ابن هشام : السيرة ج ٣ ص ٤٠٤

أفاء الله على الرسول عليه الصلاة والسلام ، لانه فتحهما صلحا^(١) ، وبذلك صارت هذه الحصون الثلاثة بالفيء والخمس خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتصدق بهما^(٢) .

والصدقة السادسة النصف من فذك ، اذ صالح أهلها الرسول عليه السلام بعد فتح خيبر ، على أن يكون له نصف أراضيهم ونخلهم ، فصار النصف من صدقاته يصرف ما يأتيه منها على أبناء السبيل^(٣) .

ومما يدل على انها كانت صدقة موقوفة أن أبا بكر أرسل مندوبيه لتسلم فذك من السيدة فاطمة ، فذهبت اليه السيدة فاطمة مع العباس عم النبي عليه الصلاة والسلام ، وطلبا اليه ميراثهما من رسول الله في أرض فذك وسهم خيبر ، فقال لهما أبو بكر « أما أنى سمعت رسول الله يقول : نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة^(٤) » ، انما يأكل أهل محمد في هذا المال وانى والله لا أدع أمرا رأيت رسول الله يصنعه الا صنعته »^(٥) . وبعد ذلك حرص أبو بكر وعمر وعثمان وعلى على الالتزام بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته^(٦) .

(١) ابن هشام : المرجع السابق ج ٣ ص ٢٨٩ ، الغشمى (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن) : الروض الاتف فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٤٧

(٢) الماوردى : المرجع السابق ص ١٧٠ ، ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ٢١٨ ، ٢٢٤

(٣) ابن الاثير : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ابن هشام : المرجع السابق ج ٣ ص ٤٠٨ ، المقرئى : امتاع الاسماع ج ١ ص ٣٣١

(٤) البخارى (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل) : الصحيح (ط . مصر) ج ٤ ص ١٠١ ، ١٠٢ ، المرحضى (أبو بكر محمد بن أبي سهل) : المبسوط ج ١٢ ص ٣٠ (٥) هيكل (محمد حسين) : الصديق أبو بكر ص ٧٢ ، الطبرسى (أبو منصور أحمد بن على بن أبي طالب) : الاحتجاج (ط . النجف الاشرف) ج ١ ص ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٣٣ وما بعدها .

(٦) ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ٢٢٥ ، أبو يعلى : الاحكام السلطانية ص ١٨٥ ، د. منير العجلانى : عبقرية الاسلام فى أصول الحكم (ط . بيروت) ص ٤٦٧ ، ويذكر أبو الفدا (صاه الدين اسماعيل) أن مروان بن الحكم أقطع فذك بالرغم من أنها صدقة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وظلت كذلك حتى انتزعتها عمر بن عبد العزيز من أهله وردما صدقة ، المختصر فى أخبار البشر ج ١ ص ١٦٩ .

أما الصدقة السابعة فكانت ثلث أرض وادى القرى ، فى حين كانت الصدقة الثامنة موضع سوق بالمدينة يقال له مهروذ^(١) .

وعن دور أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، يقال أنه أعطى عليه السلام كل واحدة منهن الدار التى تسكنها ، وأوصى بذلك لهن ، فان كان ذلك منه عطية تملك فى خارجة عن صدقاته ، وان كان عطية سكنى وارفاق — كما ترجح فعلا — فى من جملة صدقاته ، مما جعلها تدخل فيما بعد ضمن المسجد النبوى^(٢)

أما الأساس الثالث الذى قامت عليه فكرة الوقف فى الفقه الإسلامى فهو الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن نافع عن عبد الله بن عمر ، بشأن وقف عمر بن الخطاب فى السنة السابعة للهجرة : وهو أول وقف من الصحابة^(٣) قال : أصاب عمر أرضا بخير ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم يستأمره فيها فقال : يا رسول الله انى أصبت أرضا بخير لم أصب مالا قط أنفس عندي منها ، (وقد أردت أن أتقرب به الى الله عز وجل)^(٤) فما تأمرنى به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان شئت حبست أصلها وتصدقت بثمرتها » فجعلها عمر صدقة لا تباع ، ولا توهب ، ولا تورث ، وتصدق بها على الفقراء ، والمساكين ، وابن السبيل ، وفى الرقاب ، والغزاة فى سبيل الله ، والضيف ، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ، وأن يطعم صديقا .

(١) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٧٠ . أبو يعلى : الاحكام السلطانية

ص ١٨٥

(٢) الماوردى : المرجع السابق ص ١٧١ ، أبو يعلى : المرجع السابق ص ١٨٦ ، العمري (ابن فضل الله) : مسالك الابصار فى ممالك الامصار (تحقيق أحمد زكى باشا) باشا) ج ١ ص ١٢٧ ، Clavel (E.) : Introduction à l'Etude du Wakf p. 6.

(٣) هلال البصرى (هلال بن يحيى بن مسلم الراى البصرى) : أحكام الوقف (ط - حيدر آباد) ص ٦ ، د عبد المال على سليمان : المرجع السابق ص ٢١٧

(٤) ما بين الاقواس زيادة من كتاب الام للشافعى (الامام أبو عبد الله محمد ابن ادریس) (ط - بولاق) ج ٣ ص ٢٧٥

غير متمول منه^(١) ، وأوصى به الى جفصة أم المؤمنين ، ثم الى الاكابر من آل عمر^(٢) .

وكتب عمر بن الخطاب صدقته في خلافته ، ودعا نفرا من المهاجرين والانصار ، فأحضرهم ذلك ، وأشهدهم عليه ، فانتشر خبرها ، فتبعة كل من كان ذا مال من المهاجرين أو الانصار ، فوقف من ماله حبسا لا يشتري ، ولا يورث ، ولا يوهب ، حتى يرث الله الارض ومن عليها^(٣) .

ورابع أسس الوقف في الفقه الاسلامي ، ما ثبت من أن الصحابة جميعا قد وقفوا^(٤) ، فروى أن أبا بكر رضى الله عنه حبس رباعا له كانت بمكة ، وتركها ، فلا يعلم أنها ورثت عنه ، ولكن يسكنها من حضر من ولده وواد ولده ونسله بمكة ، ولم يتوارثها ، فاما أن تكون عندهم صدقة موقوفة ، فقد أجروها ذلك المجري ، واما أن يكونوا تركوها على ما تركها أبو بكر ، وكرهوا مخالفة فعله فيها ، وهذا شبيه بالوقف^(٥) .

(١) تمول الرجل أى صار ذا مال - البخارى : الصحيح ج ٢ ص ٨٣ ، ابن حنبل (الامام أحمد بن محمد) : المسند (شرح أحمد محمد شاكر) ج ٨ ص ٢١٤ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ج ٩ ص ٢٢٣ ، ابن حجر : بلوغ المرام ص ٢١٠ ، السرخسي : المبسوط ج ١٢ ص ٣١

(٢) النخاص : احكام الاوقاف ص ٥ ، ٦ ، ٨ ، الطرابلسي (برهان الدين ابراهيم بن موسى) : الاسماء في احكام الاوقاف (ط ٠ القاهرة) ص ٦ ، مشوب (عبد الجليل عبد الرحمن) : كتاب الوقف (الطبعة الثانية) ص ٣ ، ٤ ، الشرنبلالي : حسام الحكام (مخطوطة بدار الكتب) ورقة ١٣٠١ .

وعن الزهرى أنه قال أنراى سالم بن عبد الله صدقة عمر بن الخطاب بشمغ أنه أن توفى فانه الى حفصة ما هاشت تنفق كيف أراها الله ، فان توفيت فانه الى ذوى الراى من أهلها ، ولا يشتري أصلها أبدا ولا يوهب ، ومن وليه فلا حرج عليه فى ثمر أن يأكل أو يؤكل صديقا ، غير متمول منه مالا ، فما عفا عنه من ثمرة فهو للسائل والمحروم والضيف ولذى القربى وابن السبيل ، وفى سبيل الله ، ينفق حيث أراه الله من ذلك . أنظر : النخاص : احكام الاوقاف ص ٧ ، الطرابلسي : الاسماء ص ٧

(٣) النخاص : احكام الاوقاف ص ٦ ، ١٥ ، ١٦ ، الطرابلسي : الاسماء ص ٧ (٤) أبو زهرة : محاضرات فى الوقف ص ٩ ، ١٠ ، على الغفيف : الوقت الاهلى ص ٣٥ ،

(٥) الشرنبلالي : حسام الحكام ورقة ١٣٠١ ، النخاص : المرجع السابق ص ٥ ، الاسماء : المرجع السابق ص ٦

كذلك تصدق عثمان بن عفان رضى الله عنه بماله فى خير على ابا بن عثمان ، وصورة كتابه : « بسم الله الرحمن الرحيم — هذا ما تصدق به عثمان ابن عفان فى حياته ، وتصدق بماله الذى بخير يدعى مال ابن أبى الحقيق ، على ابنه ابا بن عثمان صدقة بثة بتلة لا يشتري أصله أبدا ، ولا يوهب ولا يورث . شهيد على بن أبى طالب ، وأسامة بن زيد » (١) . كذلك روى عن عثمان رضى الله عنه أنه قال : « ان النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ، وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة ، فقال من يشتري بئر رومة ، فيجعل دلوها فيها مع دلاء المسلمين ، بخير له منها فى الجنة ، فاشتريتها من صلب مالى ، وجعلتها للمسلمين » . وهذا ليس غير حبس رقبة العين عن التصرف ، والتصدق بمنفعتها (٢) .

كذلك كانت لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه صدقة بينبع ، وجاء فى كتاب صدقته « وكان محمد النبى صلى الله عليه وسلم ينفق فى كل نفقة فى سبيل الله : ووجهه ، وذوى الرحم ، والفقراء ، والمساكين ، وابن السبيل » (٣) .

وقد ترتب على ثراء كثير من الصحابة فى عهد عمر وعثمان رضى الله عنهما — مما أفاء الله به عليهم من الفتوح الاسلامية — أن أكثروا من الصدقات الموقوفة التى حبسوها على أبواب الخير ووجوه البر ، فوقفوا الدور والاراضى ، وظلت أحباس الصحابة قائمة حتى عهد الامام مالك الذى كان يحتج بها على من خالفه من فقهاء العراق أو بعضهم ممن أبطلوا الوقف (٤) .

(١) الاثر لبال حسام الحكام ورقة ١٣٠١ ، ب ، الخصاص : احكام الاوقاف ص ٩ والطرابلسى : الاسناف ص ٧

(٢) هلال البصرى : احكام الوقف ص ٦ ، ابن حجر : فتح البارى بشرح صحيح البخارى (ط ٠ مصر) ج ٥ ص ٢٦٥ ، أبو الطيب البخارى (صديق بن حسن بن على الحسينى) : الروضة الندية شرح الدرر البهية ج ٢ ص ١٩٥ ، الشوكانى : نيل الاوطار ٦ ص ١٨ ، ١٩ ، ابو زهرة : مشكلة الاوقاف ص ٥٨٧

(٣) الخصاص : احكام الاوقاف ص ١٠ ، أنظر نص كتاب الوقف فى مسند الامام زيد (الامام الشهيد زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب — ط ٠ بيروت) ص ٣٧٨ وما بعدها .

(٤) أنظر ما يلى عن موقف فقهاء المسلمين من نظام الوقف .

موقف فقهاء المسلمين من نظام الوقف :

كان الوقف في نظر الفقهاء الذين أجازوه هو « حبس عين : والتصدق بمنفعتها » ، أو كما قال ابن حجر « والتصدق بالمنفعة على وجه مخصوص (١) » ، وقوام الوقف في مختلف التعاريف هو « حبس العين » فلا يتصرف فيها بالبيع أو الرهن أو الهبة ، ولا تنتقل بالميراث ، أما المنفعة أو الربيع : فتصرف لجهات البر حسب شروط الواقف (٢) .

وفي القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) . عندما كان الفقه الاسلامي يسير نحو النضج ، والفقهاء والائمة يدونون آرائهم الفقهية . وجد من الفقهاء من أنكر الوقف بهذا المعنى ، واعتبره باطلا . ومن هؤلاء شريح وأبو حنيفة ، واسماعيل بن اليسع الكندي ، وغيرهم من فقهاء العراق (٣) . وانصب انكار هؤلاء العلماء للوقف على منع التصرف بالبيع ، والهبة ، والرهن . والانتقال بالارث ، وغير ذلك ، أما صرف الربيع أو المنفعة الى الجهة التي حددها الواقف ، فهذا أمر واجب عليه ، يوضحه ما جاء في بدائع الصنائع « لا خلاف بين العلماء في جواز الوقف ، وفي حق وجوب التصديق بالفرع ما دام الواقف حيا ، وحتى أن من وقف داره أو أرضه يلزمه التصديق بغلة الدار والأرض ، ويكون بمنزلة النذر بالتصدق بالغلة (٤) » ، كذلك جاء في الاسعاف « الصحيح أنه جائز عند الكل ، وإنما الخلاف بينهم في اللزوم وعدمه ، فعند أبي حنيفة رحمه الله يجوز جواز الاعارة ، فتصرف منفعته الى جهة الوقف مع بقاء العين على حكم ملك الواقف ، ولو رجع عنه حال حياته جاز مع الكراهة » (٥) .

وقد أثبت الواقع التاريخي صحة مخاوف بعض الذين عارضوا نظام الوقف ، اذ حدث عندما قرأ عمر بن الخطاب كتاب وقفه على جميع من المسلمين

(١) فتح الباري ج ٥ ص ٢٤٦

(٢) د - النمرائي (محمد كامل) : أبحاث في الوقف (مجلة القانون والاقتصاد ، السنة الثانية - العدد الاول يناير ١٩٣٠) ص ٢٣

(٣) أنظر ما يلي من موقف هؤلاء العلماء من نظام الوقف ص ١٩ ،

Schacht : op. cit. p. 445 . . . 447

(٤) الكاساني (علاء الدين أبو بكر بن مسعود الحنفى) : بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (ط - مصر) ج ٦ ص ٢١٨

(٥) الطرابلسي : الاسعاف ص ٣

يضم الكثير من الصحابة أن هم المسور بن مخرمة (١) ليقول « انك تحتسب الخير وتنويه ، وانى أخشى أن يأتى رجال لا يحتسبون مثل حسبتك ، ولا ينوون مثل نيتك ، فتنقطع المواريث » ، ولكنه جمجم بهذا القول ، وحبس في نفسه ، واستحى أن ينطق به ، حتى لا يفتات على المهاجرين الاولين ، وهم أعلم بشرعة الحق والسنة الباقية (٢) .

وهذا المعنى الذى خشيهِ المسور صار حقيقة واقعة بعد فترة قصيرة ، اذ لم تلبث أن انحرفت الاحباس عن غايتها الشرعية ، ومرماها الدينى ، واتجه الواقفون الى استخدام شريعة الوقف ليحرموا من يشاءون من ورثتهم مما عساه أن يكون ميراثا لهم طبقا لفرائض الله ، فشاع في أواخر عهد الصحابة اتخاذ الوقف ذريعة لحرمان بعض البنات من نصيبهن (٣) ، حتى أن السيدة عائشة رضى الله عنها - استنكرت ذلك ، فكانت اذا ذكرت صدقات الناس ، واخراج الرجال بناتهم منها تقول : « وجدت للناس مثالا اليوم في صدقاتهم الا كما قال الله عز وجل (وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) (٤) ، وقالت والله أنه ليتصدق الرجل بالصدقة العظيمة على ابنته فتترى غصارة صدقته عليها ، وترى ابنته الاخرى ، وأنه ليعرف عليها الخصاصة لما أبوها أخرجيا من صدقته » (٥) .

وكان من أثر اتخاذ الاوقاف ذريعة للحرمان أن عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ / ٧١٩م) - رضى الله عنه - هم أن يبطل الصدقات التى كان يحرم فيها النساء ، أى الاوقاف التى كانت تتخذ ذريعة لحرمان النساء من

(١) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أمية بن زهر بن كلاب ، كان يلزم عمر بن الخطاب وتوفي سنة ٦٤ أو ٦٥ هـ - ابن حجر : الامانة فى تمييز الصحابة ج ٦ ص ٩٨ ، ٩٩
(٢) أحمد ابراهيم : كلمة اخرى فى الوقف (مجلة كلية الحقوق - المبدان الخامس السادس - السنة الثانية ١٩٢٨) ص ٦ ، على الخفيف : الوقف الاهلى ص ٤١
(٣) على الخفيف : المرجع السابق ص ٣٦ ، ٣٧ ، Cahen : Réflexion, op. cit. p. 54, 55.

(٤) سورة الانعام آية ١٢٩

(٥) الامام مالك (أنس الاصمعي) : المدونة الكبرى (رواية الامام سحنون - ط ٠ مصر) ج ٤ ص ٣٤٥ ، الخصاص : أحكام الاوقاف ص ١٧

فريضتهن الشرعية ، عودا الى ما كان عليه أهل الجاهلية . ولكن المنية عاجلته^(١) .

وهكذا ظهرت في نظام الوقف : منذ أواخر عهد الصحابة ، شوائب لا تتفق والحكمة منه ، وهى التقرب الى الله — سبحانه وتعالى — بالصدقة الجارية بعد الموت . وكان من نتيجة ذلك أن بعض القضاة والفقهاء نظروا الى الاحباس كما لو أن فيها محاربة للفرائض . وقطع المواريث : وكان على رأس هؤلاء الشعبي^(٢) : ثم شريح قاضى الكوفة^(٣) . ومن بعدهما الامام أبو حنيفة (ت ١٥٠ / ٧٦٧ م) شيخ فقهاء العراق الذى لم يستسغ الاوقاف ولم ير وقفا لازما الا ما كان مسجدا ، أو متصلا بقضاء القاضى : أو كان وصية بوقف تخرج من الثلث^(٤) فتكونت مدرسة من بعض العراقيين تذهب الى أن الوقف غير مشروع ، واستدل الذين أنكروا شرعية الوقف : ومنهم الامام أبو حنيفة بالآتى :

١ — ما رواه الطحاوى عن ابن عباس أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بعد ما أنزلت سورة النساء : « لا حبس عن فرائض الله سبحانه وتعالى وان منع التصرف فى العين » . وعدم انتقالها الى الورثة

(١) الامام مالك : المرجع السابق ج ٤ ص ٣٤٥ . أبو زهرة : الاستحقاق الواجب فى قانون الوقف (مجلة القانون والاقتصاد — السنة العشرين — العددان الاول والثانى — مارس ويونيه ١٩٥٠) . انتقام الوقف الاهل والادوار التى مربها (مجلة القانون والاقتصاد — السنة ٢٣ — العددان الاول والثانى — مارس ويونيه ١٩٥٣) ص ٥٤ .
(٢) عاصر بن شرا حبيب الشعبي من اعلام التابعين . ولد سنة ١٧ هـ / ٦٣٨ م ، فى خلافة عمر بن الخطاب ، وتوفى سنة ١٠٤ هـ / ٧٢٢ م ، وهو اكبر شيخ لاهى حنيفة ، ول قضاء الكوفة ، وكان يستفتى والصحابه متوفرون — ابن خلكان (أبو العباس تسمى الدين احمد) : وفيات الاعيان وآبناء آبناء الزمان (نشر محمد معصى الدين عبد الحميد — ط ٠ القاهرة) ج ٢ ص ٢٢٧ — ٢٢٩ ترجمة ٢٩٤ . د . الفسراوى : أبحاث فى الوقف ص ٢٧ حاشية ٣

(٣) شريح بن الحارث الكندى من كبار التابعين ، استقضاء عمر على الكوفة ، ثم على من بعده ، وظل قاضيا ٧٥ سنة حتى استمضى الحجاج بن يوسف قاعفاء . توفى سنة ٨٧ هـ / ٧٠٧ م — ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٦٧ ١٦٩ ترجمة ٢٧٣ ، د . الفسراوى : المرجع السابق ص ٢٧ حاشية ٤ ، محمد زكى يوسف : تاريخ القضاء ص ٨٤

(٤) ابن الهمام العنقى : كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيوى ثم السكندرى (فتح القدير ج ٥ ص ٣٩ ، السرخسى : المبسوط ج ١٢ ص ٢٧ . أحمد ابراهيم : الوقف ص ٣١

فيه حبس عن فرائض الله ، ومنع لتقسيم الميراث بين الورثة^(١) فنظام الوقف يعطى الواقف الحق في تحديد الجهة التي تؤول اليها الربح أو المنفعة سواء تضمنت الورثة أم لا ، بل من العلماء من يشترط ضرورة تحديد الجهة التي يصرف اليها الربح^(٢) .

٢ - ما روى من أن عمر بن الخطاب قال في شأن وقفه الذي أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أني ذكرت صدقتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لرددتها » فدل هذا على أن الوقف لا يمنع الرجوع عنه ، ولكن يمنع التصرف في الموقوف ، وأن عمر رضي الله عنه لم يمتنع عن الرجوع إلا لان رسول الله فارقه على أمر ، فلم يشأ الرجوع فيه ، وفاء للرسول وطاعة له^(٣) .

٣ - أن في حبس الميراث عن التصرف مناقضة لقاعدتين من المبادئ الفقهية ، احدهما أن الملكية تقتضى حرية التصرف بالبيع ، والهبة ، والرهن ، وتنويع الاستغلال ، وكل تصرف يمنع تلك الحرية باطل ، وثانيتهما أن الشيء اذا وقع في ملك أحد لا يخرج من ملكه الى غير مالك . وفي الحبس مناقضة لاحدى القاعدتين ، لاننا اذا قلنا أنه باق بملك الواقف ، كما قال الامام مالك^(٤) (ت ١٧٩ / ٧٩٦ م) ، أو أنه خرج الى ملك الموقوف عليهم ، كما يقول الشافعي (ت ٢٠٤ / ٨١٩) وابن حنبل^(٥) (ت ٢٤١ / ٨٥٥ م) ، كان في ذلك مناقضة للقاعدة الاولى لانها ملكية لا أثر لها ، واذا أخذنا بالرأى القائل أنه خرج الى غير مالك^(٦) ، كان في ذلك مناقضة للقاعدة الثانية ،

(١) ابن الهمام : فتح القدير ج ٥ ص ٥٤٢ ، السرخسي : المبسوط ج ١٢ ص ٢٩

(٢) الشافعي : الام ج ٣ ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، الطرابلسي : الاسماء ١١ ، ١٤

(٣) ابن حجر : فتح الباري ج ٥ ص ٢٦١ ، أحمد ابراهيم : الوقف ص ٣٢ ،

أبو زهرة : معاضرات في الوقف ص ٤٩

(٤) المدونة الكبرى ج ٤ ص ٣٤٣

(٥) الفروع أباي الشيرازي (أبو اسحق ابراهيم بن علي بن يوسف) : المهذب

في فقه الامام الشافعي (ط - مصر) ج ١ ص ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، قاضي زاده (شمس الدين أحمد) : نتائج الافكار في كشف الرموز والاسرار (ط - بولاق ج ٥ ص ٤٥ .

ابن قدامة : المغني ج ٥ ص ٥٢٨

(٦) الخصاص : أحكام الاوقاف ص ٢٠

ولا عبرة لما يقال أنه خرج الى ملك الله^(١) — سبحانه وتعالى — لان الله يملك كل شيء ، والملكية التي نعرفها هي ما تقتضى حرية التصرف بالبيع ، والهبة ، والرهن ، والميراث ، وهي أمور لا تنسب الى الله — سبحانه — ، ويقول بعض الحنفية أن الملكية في الاوقاف لله كلام مجازي^(٢) ، وليس فيه حقيقة فقهية ، الا اذا قيل أن الملكية لله معناها الملكية لبيت المال ، ولم يصرح بذلك أحد ، كما أنه لو قيل ذلك لكان هذا القول باطلا ، لان الاوقاف لا تتقيد بمصارف بيت المال ، كما أن متولى بيت المال ليس له حق البيع ولا الرهن ولا الهبة ، فلا معنى لهذه الملكية^(٣) .

٤ — ما روى عن الشعبي عندما سئل عن الحبس أنه قال « جاء محمد عليه السلام ببيع الحبس » ، وما روى عن شريح أنه قال : « جاء محمد عليه السلام ببيع الحبس » . ومعنى ذلك أن الاموال المحبوسة أى الموقوفة ، والتي كان بيعها ممنوعا في الجاهلية ، أجاز النبي عليه الصلاة والسلام بيعها^(٤)

أما أدلة الذين أجازوا الوقف ، ومنهم صاحبان محمد وأبو يوسف فهي كثيرة ، ومنها :

١ — حديث عمر بن الخطاب الى الرسول ، وردده عليه الصلاة والسلام على عمر حديث صريح في اجازة الوقف^(٥) ، على معنى حبس الرقبة عن البيع

(١) ابن نجيم (زين الدين بن ابراهيم بن نجيم الحنفى المصرى) : البحر الرائق شرح كنز الدقائق (الطبعة الاولى) ج ٥ ص ٢٠٢

(٢) يقول أبو حنيفة : لا ينتقل الملك في الوقف اللازم ، بل يكون حقا لله تعالى لانه ازالة ملك عن العين ، والتصدق بالمنفعة على وجه القرية بتمليك المنفعة ، فانقل الملك الى الله تعالى كالمعتق . ابن قدامة : المغنى ج ٥ ص ٥٤٨ - ابن الهمام : فتح القدير ج ٥ ص ٤٠ ، ويمكن مناقشة هذا الرأي على أساس أن المعتق تصحيح لوضع ، فالرق أمر عارض والاصل أن الانسان حر والعكس صحيح بالنسبة للوقف فحبس العين عن التصرف أمر عارض ، والاصل هي حرية التصرف في العين .

(٣) أبو زهرة : مشكلة الاوقاف ص ٥٨٦ ، معاضرات في الوقف ص ٤٩ ، ٥٠

(٤) هلال البصرى : أحكام الوقف ص ٥ ، أحمد ابراهيم : الوقف ص ١٠٥ ، بحث في الوقف (مجلة كلية الحقوق — السنة الاولى — العدد الثانى — فبراير ١٩٢٧) ص ٥

(٥) البخارى : الصحيح ج ٢ ص ٨٣

والهبة وغيرها من التصرفات ، وهو دليل شرعى ، وحجة على كل قاعدة
فقهاء ، اذ لا محل للاجتهاد فى موضع النص^(١) .

٢ - ومثل حديث عمر حديث عثمان بشأن بئر رومة^(٢) .

٣ - ما تضافر عن أحباس الصحابة ، واقرار بعضهم لبعض فيها ،
حتى بلغ ذلك حد الاجماع عليه ، وقال الامام الشافعى « لقد حفظنا
الصدقات عن عدد كثير من المهاجرين والانصار ، ولقد حكى لنا عدد كثير
من اولادهم وأهلهم انهم لم يزلوا يلون صدقاتهم حتى ماتوا^(٣) » ، ولقد
روى الخفاف أكثر من عشرين خبرا فى أوقاف الصحابة والتابعين^(٤) ، وان
صحت هذه الآثار^(٥) ففى حجة قوية على كل من أنكر أى معنى من معانى
الوقف ، ويدل على ذلك أن أبا يوسف^(٦) كان يوافق أبا حنيفة أولا على
رأيه ، ولكنه لما حج مع الرشيد ورأى أوقاف الصحابة بالمدينة ونواحيها
رجع فأفتى بلزوم الوقف^(٧) .

٤ - ان حاجة الاوقف ماسة الى الوقف ، لانه محتاج الى دوام وصول
الثواب اليه ، خاصة بعد موته ، والطريق الوحيد لاستمرار وصول الثواب
اليه ، عدم تقسيم الموقوف بين ورثته ، واستمرار صرف غلة الوقف الى

(١) الشافعى : الام ج ٣ ص ٢٧٥ ، هلال البصرى : احكام الوقف ص ٦

(٢) هلال البصرى : المرجع السابق ص ٦ - أنظر ما سبق ص ١٤ ، ١٥

(٣) الام ج ٣ ص ٢٧٦ ، وأنظر أيضا ما جاء بهذا الخصوص فى نيل الاوطار
للشوكانى ج ٦ ص ٢٠

(٤) الخفاف : احكام الاوقاف من ص ٦ الى ص ١٨ ، الطرابلسى : الاسعاف من
ص ٥ الى ص ١٠

(٥) يشك بعض الفقهاء فى صحة أكثر ما رواه الخفاف ، لانه رواه عن الواقدي ،
وهو من الرواه الذين اختلف فى شأنهم رجال الحديث فقال فيه البخارى وأبو هاشم أنه
متروك ، وقال ابن حنبل فيه هو كذاب ، وقال ابن معين ضعيف ، أنظر على الغنief : الوقف
الاهل ص ٤٠ ، ٤١

(٦) هو يعقوب بن ابراهيم أبو يوسف القاضى ، تولى القضاء لثلاثة من الخلفاء
المباسبين المهدي والهادي والرشيد ، وأول من خوطب بقاضى القضاء ، وأول من وضع
الكتب فى أصول الفقه على مذهب الامام أبى حنيفة ، وقيل لولا أبو يوسف ما ذكر
أبو حنيفة ، ت سنة ١ أو ١٨٢ هـ - ابن قطلوبغا (أبو العدل زين الدين قاسم) :
تاج التراجم فى طبقات الحنفية (بغداد ١٩٦٢) ص ٨١ - ترجمة ٢٤٩

(٧) السرخسى : المبسوط ج ١٢ ص ٢٨ ، الحسينى سلطان : الوقف من الدين
مجلة المحاماه الشرعية - السنة الثالثة ١٩٣١/١٩٣٢) ص ٧٨٠

جهة البر ، طبقا لما جاء بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام^(١) ، ويقول زيد بن ثابت - رضى الله عنه - « لم نر خيرا للميت ولا للحى من هذه الحبس الموقوفة ، أما الميت فيجرى أجرهما عليه ، وأما الحى فتحبس عليه ولا توهب ولا تورث ، ولا يقدر على استهلاكهما^(٢) » .

٥ - رد الصحابان (محمد وأبو يوسف)^(٣) على ما استدلل به الامام أبو حنيفة بأن قوله عليه الصلاة والسلام « لا حبس عن فرائض الله » يدل على بقاء العين على ملك الواقف ، وعدم لزوم الوقف ، بأن معناه نفى ما كان في الجاهلية من التوريث بالموالاة ، والمؤاخاة ، وحرمان الاناث مطلقا . والذكور الصغار من الارث ، وذلك بعد أن نزلت آيات الموارث ، وجعلت للنساء وللذكور مطلقا نصيبا في الميراث^(٤) . وأن الوقف لا يعتبر حبسا عن فرائض الله تعالى متى صدر من أهله في حالة الصحة : لان حق الوارث لا يتعلق بالتركة الا بعد وفاة المورث . أو حال مرضه ، وفي غير هاتين الحالتين لا حق للوارث ، اذ لا يعلم من الوارث ومن المورث : فان الآجال بيد الله واذا اعتبر الوقف حبسا عن فرائض الله لصح اعتبار الصدقة والهبة حبسا عن فرائض الله تعالى ، ولم يقل أحد بذلك : والوقف مثلهما^(٥) .

٦ - أما عن قول الشعبي وشريح « جاء محمد ببيع الحبس أو الحبيس ، فلا دلالة فيه أيضا : لان الحبس التي جاء محمد ببيعها هي ما كان معروفا

(١) أنظر ما سبق . قاضى زادة نتائج الافكار ج ٥ ص ٢٧

(٢) الطرابلسي : الاسعاف ص ٩

(٣) هما صاحب ابى حنيفة . أنظر ترجمة ابى يوسف ص ٢٧ حاشية ٦ أما محمد فهو محمد بن الحسن الشيباني صاحب ابا حنيفة وعنه أخذ الفقه . ثم عن ابى يوسف ت ١٨٩ هـ - ابن قطلوبغا : تاج التراجم ص ٥٤ ترجمة ١٥٩

(٤) أنظر سورة النساء آية ١١ وما بعدها .

(٥) القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصارى) : الجامع لاحكام القرآن (ط ٠ القاهرة ١٩٦٧) ج ٦ ص ٣٣٩ . عشوب : الوقف ص ٥ . أبو زهرة : مشكلة الاوقاف ص ٥٨٨ . ٨٩

في الجاهلية من البحيرة ، والسائبة ، والوصيلة والحام^(١) ، وهي التي أبطلت بقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ، ولا سائبة ، ولا وصيلة ، ولا حام) (٢) ، لان الوقف بمعناه في الاسلام لم يكن معروفا في الجاهلية (٣) .

٧ - أما بالنسبة لحق العبد بالموقوف ، وبقاء حق الولاية على الوقف ، وتنصيب القوام وعزلهم ، الى الواقف ، فان هذا الحق ليس أثرا من آثار الملكية ، فخرج الملك الى الله سبحانه وتعالى على سبيل القرية لا يمنع التصرف ممن كان مالكا ، فالقربان يصير الى الله تعالى ، ويتصرف صاحبه فيه بالاكل ، والاطعام ، والتصدق بتولية الشرع ، لكونه هو المتقرب به الى الله ، فجاز أن يكون أمر الوقف كهذا ، ولا حجة أيضا باستبعاد زوال الملك لا الى مالك ، فلذلك نظير في الشرع ، وهو المسجد ، فانه يزول ملك الواقف عنه الى الله سبحانه وتعالى ، ولا ملك لاحد فيه من العباد باتفاق الفقهاء ، فيكون الوقف في غير المسجد مثل المسجد^(٤) .

ويبدو من هذا أن حجج الذين أجازوا الوقف ، كانت أقوى بدليل استمرار نظام الوقف ، وأصبح معترفا به من الكافة ، ولا يخطر ببال أحد أن يقاومه أو يتشكك فيه .

ومهما يكن من أمر ، فالاصل في نظام الوقف الاسلامي هو حبس العين . عن أن تملك لاحد من العباد ، والتصدق بمنفعتها ، ابتداء على جهة بر لا تنقطع

(١) السائبة هي الناقة التي تسبب أي تهمل ولا تركب لنذر أو نحوه ، أو هي الناقة تلد عشرة أبطن كلهن أنثى فتسبب حتى تموت ، فإذا ماتت أكلها الرجال والنساء ، وبهرت أذن ابنتها الأخيرة وتسمى البعرة وتسبب كامها وقيل البحيرة هي الناقة تلد خمسة أبطن فان كان الخامس ذكرا نحرره فأكله الرجال والنساء ، وان كان أنثى بهروا أذنها فكان حراما عليهم لحمها ولبنها وركوبها ، فإذا ماتت حلت للنساء ، والوصيلة الشاة تلد سبعة - أبطن عشاقين عشاقين (العناق : الانثى من أولاد الماعز) فان ولدت في السابعة عناقا وجديا قد وصلت أخاها ، فلا يشرب لبن الام الا الرجال وتجري مجرى السائبة ، والحام الفعل من الابل يولد من ظهره عشرة أبطن فيقال حمى ظهره ، فيترك ولا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى . أنظر القرطبي : الجامع لاحكام القرآن ج ٦ ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، الخثعمي : الروض الاف ج ١ ص ٦٨ ، ٦٩

(٢) سورة المائدة آية ١٠٣

(٣) الشافعي : الام ج ٣ ص ٢٧٥ ، الشوكاني : نيل الاوطار ج ٦ ص ٢٠

(٤) الشافعي : الام ج ٣ ص ٢٨١ ، القرطبي : الجامع لاحكام القرآن ج ٦

ص ٣٣٩ ، ٣٤٠

كالفقراء والمساجد ، وهو « الوقف الخيري » أو التصديق بمنفعتها على من يحتمل الانقطاع واحدا أو أكثر ، مما لا يعتبر الصرف اليه صدقة ، ثم يجعلها من بعدهم لجهة بر لا تنقطع ، كما اذا وقف الواقف على نفسه وذريته ، ومن بعدهم للمساكين ، ويسمى هذا الوقف « الوقف الاهلي » ، فاذا آل الى جهة بر صار خيريا^(١) .

وعرف عن بعض الصحابة والتابعين أوقاف لها هذه الصفات ، ولذلك اختلف الفقهاء في كون القرية جزءا من حقيقة الوقف ومعناه ، أو هي أمر خارج عن حقيقته ، وقد يتحقق بدونها ، وقد يكون مصاحبا لها ، فالامام مالك لا يشترط في جهة الوقف أن يكون الصرف عليها قرية ، ولكن يشترط ألا يكون معصية ، وأباح الوقف على كل ما لا معصية فيه ، والاعتبار في كونه معصية أم لا ، يرجع الى اعتقاد الواقف ، ولذلك تصح في بعض الأقوال عند المالكية وقف المسيحي على الكنيسة سواء أكان على عبادها أم على مرمتها وأصلحها ، وفي قول ثان لا يصح الوقف على عبادها ، وفي قول ثالث لا يجوز الوقف على الكنيسة أو البيعة مطلقا^(٢) .

أما الامام الشافعي ، فلا يشترط القرية في الوقف ، بل يشترط ألا يكون على معصية ، ويرجع اعتبار كونه معصية أم لا ، الى اعتبار الاسلام ، سواء أكان معصية في اعتقاد الواقف أم لا ، لذلك فإن أنشأه مسيحي أو يهودي على المسجد ، لانه قرية في نظر الاسلام ، ولو لم يكن كذلك في نظر الواقف^(٣) .

(١) تسمية الوقف أهليا أو خيريا تسمية حديثة ، فالوقف كله خيري بحسب أصله الشرعي لان الواقف إنما يتصدق بالمنفعة والفلة - د. الفمراوى : ابحاث في الوقف ص ٢٢ ، أحمد محمود فزاد : شرح الوقف الاهلي ص ١٥ ،
Querry (A.) : Droit Musulman, Livre XIV, p. 579.

(٢) ابن عابدين (الشيخ محمد أمين) : رد المحتار على الدار المختار (ط - بولاق ج ٢ ص ٢٧٠ - مثال ذلك ما ذكره المقرئ في كتابه المواظ والاعتبار من قيام رهبان دير البعل بالصوف على المسجد المجاور للدير - المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٠٩
(٣) الفيروز آبادي : المذهب ج ١ ص ٤٤٨

ويتفق الامام أحمد بن حنبل مع رأى الامام مالك فى أن يكون الوقف على بر ، أو على أمر معروف غير مستنكر من الشرع ، كالوقف على الاولاد ، ولو كانوا أغنياء^(١) ، أما الاعتبار فى كونه قربة فيرجع الى نظر الاسلام ، وهو فى ذلك يتفق مع رأى الامام الشافعى^(٢) .

أما الحنفية فقد شددوا فى اشتراط الصدقة أكثر من غيرهم ، وضرورة أن يكون الوقف مالا الى جهة بر ، فأجازوا الوقف على من لا قربة فى الوقف عليه ، ولا معصية ، والقربة فى نظرهم أن يكون قربة فى نظر الشرع الاسلامى ، لان الوقف شريعة اسلامية ، فيه ناحية عبادة دينية ، كما يكون قربة فى نظر الواقف ، وعلى ذلك يصح وقف المسلم والذمى على الفقراء ، والخانات ، والسقايات ، وكل ما هو بر لا تختلف فيه الديانات ، ولكن لا يصح وقف الذمى على المسجد لانه وان كان قربة فى نظر الاسلام ، الا انه ليس قربة فى نظر الواقف الذمى^(٣) .

ويبدو من هذا أن الاصل فى الاوقاف أن تكون للصدقات ، وأن تصرف غلاتها فى الجهات التى يكون الصرف عليها بر ، أما حكم الفقهاء بصحة الاوقاف مع اشتغالها - أحيانا كثيرة - على الوقف فيما ليس فيه قربة ظاهرة وبشرط أن يؤول الوقف فى النهاية الى جهة خيرية ، ففيه توسعة على الناس ، واتباع لبعض آثار صحت لديهم^(٤) ، ويبدو هذا واضحا من دراسة الاوقاف الاسلامية الاولى ، والتى امتاز فيها الوقف الاهلى بالوقف الخيرى^(٥) ،

(١) يعتبر الوقف على الفنى تصدق بالمنفعة لان الصدقة كما تكون على الفقراء تكون على الاغنياء فى ظروف معينة - ابن نجيم : البحر الرائق ج ٥ ص ٢٠٢

(٢) الشيبانى (عبد القادر بن عمر) : نيل المكارب بشرح دليل الطالب ج ٢ ص ٤ ، ٥

(٣) ابن عابدين : رد المحتار ج ٣ ص ٣٣٧ ، الخصاف : احكام الاوقاف من ص ٢٢٥ الى ص ٢٣٩ ، الطرابلسي : الاسماء ١٤١/١٤٢

(٤) أنظر ما سبق عن اوقاف الصحابة ، أبو الطيب البخارى : الروضة الندية ج ٢ ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، المرخسي : المبسوط ج ١٢ ص ٢٨

(٥) هلال البصرى : احكام الوقف ص ٩

وذلك أن معظم الأوقاف الإسلامية الأولى : كان جزء من ريعها يصرف على أسرة الواقف ، والباقي يوزع كصدقات ، وهذا ما دعى الاستاذ كلود كاهن الى القول « أن مشاكل الأسرة هي المشكلة الأصلية الاولى ، وأن الوقف الاهلي هو تقريبا الوحيد الذي ظهر »^(١) مؤيدا في ذلك وجهة نظر الاستاذ جوزيف شاخت الذي قرر أن الوقف الذي ظهر في المدينة في العصر الاسلامي الاول كان وقفا اهليا لصالح الأسرة^(٢) .

ولعل السبب في ذلك أن الدين الاسلامي يدعو الى أن الاقربين أولى بالمعروف ، كما يحض على صلة الرحم ، فجاء في كتاب الله العزيز (يسئلونك ماذا ينفقون ، قل ما أنفقتم من خير فلوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل)^(٣) ، وبوالدين احسانا ، وبذي القربى واليتامى والمساكين^(٤) ، و (وءات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل)^(٥) و (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض)^(٦) كما ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه رد من تصدق بكل ما له ، وقال له : ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فان فضل شيء فلاهلك ، فان فضل عن أهلك شيء فالذي قرابتك ، فان فضل عن قرابتك شيء فهكذا وهكذا ، كما قال عليه الصلاة والسلام « اذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة »^(٧) ، « فهذه الآيات والاحاديث تؤكد أن معنى القرية لا ينعدم بالوقف على النفس والاولاد .

واذا أخذنا في الاعتبار أن أقصى ما أجازته عمر بن الخطاب في صيغة وقفه لآل عمر أن يأكلوا منها من غير تائل ، أى من غير اقتناء^(٨) ، أى يأخذوا

Cahen : Reflexion. op. Cit. p. 47.

Schacht : op. cit. p. 446.

(١)

(٢)

(٣) سورة البقرة آية ٢١٥

(٤) سورة النساء آية ٣٦

(٥) سورة الاسراء آية ٢٦

(٦) سورة الاحزاب آية ٦

(٧) الزبيدي (أبو العباس زين الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرحي) :

التجريد المربع لاحاديث الجامع الصحيح ج ٢ ص ١٢٦ ، عبد الحميد فتوح حلاوة :

قانون بأحكام الوقف ص ٩٣

(٨) ابن حجر : فتح الباري ج ٥ ص ٢٦٠

على قدر الحاجة ، كما أن الفقه الاسلامي أجاز أن يرفض الشخص الموقوف عليه الوقف ، فيؤول الربيع الى جهة البر التي حددها الواقف (١) ، كذلك أجاز التشريع الاسلامي أنه اذا أوقف الرجل أملاكه على جهات البر ابتداء وانتهاء ، ثم احتاج أحد من ذريته أو من قرابته ، فانهم يعطون من ربيع هذا الوقف ، لأن الصدقة من أبواب البر ، وذلك حسبما جاء في الحديث الشريف « لا تقبل صدقة ذي رحم محتاجة » فولد الواقف وقرابته أحق أن يعطوا من غيرهم (٢) .

وعلى ذلك فاني أعتقد أن وقف الصحابة لم يكن وقفاً أهلياً بغرض افادة أفراد الأسرة ، بقدر ما كان وقفاً خيرياً لتحقيقاً للقربة في الوقف ، أما كون أنه وجد من استغل هذه النصوص ، وهذه المآثر من الصحابة للوقف على أولاده وذريتهم الى أن ينقرضوا ، فيؤول ربيع الوقف الى الفقراء والمساكين أو من استغل نظام الوقف في تحقيق مآربه الشخصية في حرمان بعض ورثته فهذه أمور تتعلق بالنوايا والخروج عن روح الاسلام .

الاقواق الاولى في مصر الاسلامية :

كان من الطبيعي أن تنتقل الى مصر بعد تحريرها من السيطرة البيزنطية على يد العرب المسلمين الافكار الاسلامية عن نظام الوقف ، وما يرتبط به من كونه قربة الى الله تعالى ، وأنه يمثل الصدقة الجارية الواردة في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، فتعلق المصريون بنظام الوقف ، لا سيما وأن الافكار المعارضة لنظام الوقف لم تكن ظهرت بعد (٣) .

ومنذ المرحلة الاولى التي أعقبت دخول المسلمين مصر مباشرة دخل نظام الوقف الاسلامي الى مصر ، واعتقد أن أول وقف في مصر الاسلامية كان جامع عمرو بن العاص — أول مسجد للمسلمين في مصر — تصدق به قيسبه بن كلثوم

(١) النخاس : أحكام الاوقاف ص ١٣٨ ، ١٥٣

(٢) النخاس أحكام الاوقاف ص ٢٣٧ ، عبد الحميد فتوح حلاوه : قانون بأحكام

الوقف ص ٨٥

(٣) انظر ما سبق .

التحبيبي^(١) ، فيذكر ابن دقماق عن الليث بن سعد رضى الله عنه ان موضع مسجد أهل الراية (جامع عمرو) حازه « قيسبة بن كلثوم ، ويكنى عبد الرحمن أحد بنى سوم ، ونزله في حصارهم الحصن ، فلما رجعوا من الاسكندرية سأل عمرو قيسبة في منزله هذا يجعله مسجدا ، فقال قيسبة « لقد علمتم يا معاشر المسلمين أنى حزت هذا المنزل وملكته ، وأنى أتصدق به^(٢) على المسلمين » وذلك سنة ٨٢١ / ٦٤١ م^(٣) .

ومنذ بداية العصر الاسلامى في مصر تتابعت الاوقاف التى أوقفها المسلمون . ومن ذلك الفضاء الذى تصدقت به أم عبد الله بنت مسلمة بن مخد الانصارى على المسلمين ، وأصبح موقفا تباع فيه الدواب ، وغيره من الدور التى تصدقت بها أيضا^(٤) .

ويبلغ من تعلق المصريين بنظام الوقف أنهم كرهوا قضاء اسماعيل ابن اليسع الكندى الكوفى الذى ولى قضاء مصر (١٦٤ - ١٦٧ هـ) من قبل الخليفة العباسى المهدى ، رغم اجماعهم على عفته ونزاهته^(٥) . وذلك أنه كان يرى رأى أبى حنيفة فى عدم لزوم الاوقاف ، وابطالها بعد وفاة

(١) أحد بنى سوم سار من الشام الى مصر مع عمرو بن العاص فدخلها فى مائة راحلة وخمسين عبدا وثلاثين فرسا ، رأى جنانا تقرب من الحصن ، فمرج اليها وأقام فيها ، وجعلها دارا له ولاسرت . على سارك : الفسط الجديدة (ط . - بولاق) ج ٤ ص ٢ ، محمود أحمد : جامع عمرو بن العاص ص ٤ ، فؤاد فرج : القاهرة ج ٢ ص ٣٣٧ (٢) الفاظ الوقف صريح وكناية أما الصريحة فثلاثة الفاظ : وقفت وحبست وسبلت ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أن شئت حبست أصلها وسبلت ثمرتها ، وكنايته ثلاثة الفاظ أيضا : تصدقت ، وحرمت ، وأهدت ، أنظر الشيبانى : نيل المارِب ج ٢ ص ٢

(٣) ابن دقماق (صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيمن الملاى) : الانتصار لواسطة عقد الامصار (ط . - بولاق) القسم الاول ص ٢٠٦ ، المقرئى : المواعظ والاعتبار (ط . - بولاق) ج ٢ ص ٢٤٦ ، السيوطى (الشيخ جلال الدين) : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة (ط . - الوطن) ج ٢ ص ١٧٧ ، ورغم ذلك يرى بعض الكتاب الحديث : أن نظام الوقف ظهر فى مصر فى النصف الاول من القرن الثالث الهجرى : أنظر : Acte de Warrf de Barsbay. n. 12.

(٤) ابن دقماق : المرجع السابق ق ١ ص ٢٤ ، ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) فتوح مصر وأخبارها (ط . - ليدن) ص ١٢٠
(٥) د . د مذكور (محمد سلام) : الوقف من الناحيتين الفقهية والتطبيقية ص ٢١

الواقف ، وعمل على تنفيذ هذا الرأي ، فتملئ به المصريون وأبغضوه ، وذهب اليه الليث بن سعد - فقيه مصر في ذلك الوقت - وقال له : « جئت مخاصما لك ! » فقال « فيماذا ؟ » قال « في ابطالك أحباس المسلمين ، قد حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى والزبير ، فمن بقى بعد هؤلاء » ، ثم كتب الليث كتابا الى المهدي جاء فيه : « انك وليتنا رجلا يؤكد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، مع أنا ما علمناه في الدينار والدرهم الاخيرا » فعزله المهدي (١) .

ويتضح من هذا أن الآراء القائلة ببطلان نظام الوقف ، والتي اعتنقتها نفر من العراقيين حقبة من الزمن ، لم يقدر لها أن تنتشر في مصر ، ذلك أن المدرسة الفقهية الحجازية كانت لها الغلبة في مصر منذ الفتح الاسلامي . وإذا كان بعض العراقيين قد أقاموا بمصر أو ولوا قضاءها فانهم لم يكونوا من أنصار هذا الرأي ، ولو كانوا من أنصاره لما استطاعوا نشره بها (٢) .

وقد يكون تغلغل فكرة الوقف على الذرية - أعنى الوقف الاهلي - في نفوس المصريين امتدادا لتاريخهم القديم ، ولكنه مهما يكن في صيغة هذا الاتجاه وأوضاعه فانه يمت الى الفقه الاسلامي ، ولذلك نجد في كتاب الام للامام الشافعي صورة حجة وقف صدرت في حياته ، ورواها الربيع بن سليمان ويتضح منها حصر الاستحقاق في أولاد الاصلاب ، أو عمود النسب ، وحرمان أولاد البنات ، أو أولاد البطون ، وكذلك حرمان البنات المتزوجات ما دامت الزوجية قائمة ، فالاستحقاق يقتصر على من ينتمي الى الواقف ، وينتهي اليه نسبة ، ويحمل اسمه ، وإذا انقرضوا « على ذوي رحمى المحتاجين من من قبل أبي وأمي ، ثم على عتقائهم وذريتهم » ، ثم من يمر بالدار من غزاة

(١) الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف) : كتاب الولاة وكتاب القضاء (نشر رفن جست) ص ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٤٤ ، السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١١٧ ، ابن حجر : رفع الاصر عن قضاء مصر ج ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، د. خليل (سيد أحمد) : الليث بن سعد ص ٩٥ ، ٩٦ ، Hassan (Z. M.) : Les Tulunides, p. 260.

(٢) السنهوري : مجموعة القوانين المصرية ج ٣ ص ٤ . ٥

المسلمين ، وأبناء السبيل ، وعلى الفقراء والمساكين من جيران هذه الدار .
وغيرهم من أهل القسطنطينية ، وأبناء السبيل . والمبارة من كانوا (١) . »

ومن أقدم الأوقاف في مصر والتي طال النزاع حولها لأكثر من ١٣٠ سنة بشأن إخراج أولاد البنات من الاستحقاق . فهي « دار الفيل » (٢) وهي دار أبي عثمان مولى مسلمة بن مخلد الانصاري (٣) . حبسها أبو عثمان على مواليه الذين بفسطاط مصر وسماهم في كتاب تحبيسة وهم « كعب بن سليمان . وناصح . ويسار . ورافع ، وأولادهم وأولاد أولادهم » ويرجع تاريخه الى سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م ، ونظر فيها عدة قضاة قباينت آراؤهم كل حسب المدرسة التي ينتمى اليها (هجازية أو عراقية) (٤) : وبالتالي اختلفت أحكامهم (٥) .

أما أقدم نص لوثيقة وقف في مصر - في غير الاراضى الزراعية - فهو ما أورده ابن عبد الحكم عندما تكلم عن دار السلسلة : وهي التي حبسها الحرث بن العلاء بن يزيد الفهرى (٦) ، والتي يرجع أصلها الى أنها كانت خُطة اختطها جده عبد الرحمن الفهرى عام فتح مصر . فيذكر ابن عبد الحكم أن الحرث بن العلاء « حبس الدار على الأقدم فالأقدم بالحرث بن العلاء من الرجال

(١) الشافعى : الام ج ٣ ص ٢٨١ . ٢٨٢ . ٢٨٣ .

(٢) يذكر ابن دقماق أن هذه الدار اشتراها فيما بعد كافور الاخشيدى - الانتصار

ق ١ ص ١١ ، أنظر أيضا محمد رمزي : القاموس الجغرافى ق ١ ج ١ ص ١٥٣

(٣) والى مصر من قبل معاوية بن أبى سفيان فى الفترة من ٤٧ - ٦٢ هـ .

الكندى : الولاء والقضاء ص ٣٨ - ٤٠

(٤) أنظر ما سبق من اختلاف وجهات نظر المدرسة الهجازية عن المدرسة العراقية

بشأن الوقف .

(٥) من هؤلاء القضاة فى الفترة من ١١٥ - ٢٤٥ هـ . والذين تولوا نظر هذه

القضية وحكموا فيها : توبة بن نسر ، الفضل بن فضالة . عبد الرحمن العمري وإبراهيم بن الجراح ، هارون الزهرى ، محمد بن أبى الليث ، العارث بن مسكين . ثم نقل الامر الى الخليفة المتوكل المباسى . وكانت هذه القضية سببا فى عزل العارث بن مسكين . أنظر الكندى : الولاء والقضاء ص ٤٧٤ . ٤٧٥ . ٥٠٣ . ٥٠٤

(٦) يذكر ابن عبد الحكم والسيوطى أن العلاء وأباه يزيد من الصعابة الذين

دخلوا مصر - فتوح مصر ص ٣١٨ ، حسن المعاصرة ج ١ ص ١٢٧ . ١٣٦

دون النساء أبدا ما تناسلوا . وتقديم كل طبقة عابى من هو أسفل منها ، فاذا انقرض الرجال ففى على النساء . كل من رجعت بنسبها اليه من الصليب ، فاذا انقرض النساء ففى وحمامها وكومها المعروف بأبى قشاش يقسم ذلك أثلاثا ، فثلث فى سبيل الله : وثلث فى الفقراء والمساكين : وثالث على مواليه ، وموالى ولده : وأولادهم أبدا ما تناسلوا ، بعد مرمتها ، ورزق قيم ان كان لها ، فاذا انقرض الموالى ، فلم يبق منهم أحد فعلى الفقراء والمساكين بفسطاط مصر ، ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . على ما يرى من وليها من عمارتها (١) .

ويبدو من هذا النص ، ومن النزاع الذى دار حول — دار السلسلة — والذى يرجع كل منهما الى القرن الاول الهجرى ، أنهما لا يختلفان كثيرا عن النص الذى أورده الامام الشافعى : والذى يرجع الى بداية القرن الثالث الهجرى من حيث حصر الاستحقاق بين الرجال أولا دون النساء .

أما أقدم نص لوقفية وردت فى كل من المصادر والآثار (٢) ، فهو النص الذى أورده المقرئى عن بئر الوطاويط ، والذى يرجع تاريخه الى سنة ٨٣٥هـ / ٩٦٥م . كما وجد جزء من نفس النص على بقايا لوحة كبيرة من الحجر (٣) : فجاء فى كتاب المواعظ والاعتبار . « بسم الله الرحمن الرحيم : فله الامر من قبل ومن بعد ، وله الشكر وله الحمد ، ومنه المن على عبده جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات ، وما وفقه له من البناء لهذه البئر وجريانها الى السبع سقايات التى أنشأها ، وحبسها لجميع المسلمين : وحبسه وسبيله وقفا مؤبدا لا يحل تغييره ولا العدول بشىء من مائة ، ولا ينقل ولا ييطل ، ولا يساق الا الى حيث مجراه الى السقايات المسبلة ، فمن بدله بعد ما سمعه فأنما اثمه على

(١) ابن عبد الحكم : المرجع السابق ص ١٢٥ ، ١٣٦

(٢) د . سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ص ٢٩٣ ، ود . حسن محمود

ود . سيدة كاشف . مصر فى عصر الطولونيين والاشعديين ص ٢٣٨ ، ٢٣٩

(٣) Wiet Corpus Inscriptionum, Arabicarum, Egypte, II, pp. 91

— 94, Cahen : Reflexion, op. cit. p. 40.

الذين يبذلونه ان الله سميع عليم ، وذلك في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ،
وصلّى الله على نبيه محمد وآله وسلم » (١) .

ويذهب المؤرخون القدامى والمحدثون الى أنه مع كثرة الاوقاف في مصر ،
في عصر الولاة فانها لم تتجاوز الدور ، والقصور ، والرباع ، والحماسات
العامة التي يمكن وقفها ، وأنه لم يعرف قبل الاخشيديّة أن أحدا عمد الى وقف
الاراضى الزراعية (٢) ، ويحتجون في ذلك بقول المقرئى : « ان الاحباس لم تكن
تعرف الا في الرباع ، وما يجرى مجراها ، وأما الاراضى فلم يكن سلف الامة
يتعرضون لها ، حتى أن أحمد ابن طولون لما بنى الجامع والبيمارستان
والسقاية ، وحبس على ذلك الاحباس الكثيرة ، لم يكن فيها سوى الرباع
ونحوها بمصر ، ولم يتعرض لشيء من أراضى مصر البتة (٣) » .

ويقال أن أول وقف عرف في الاراضى الزراعية والبساتين في مصر كان بعد
سقوط دولة الطولونيين ، وذلك في أوائل القرن الرابع الهجرى ، فيحكى أن
أبا بكر محمد بن على الماذرائى عندما عين كعامل للخراج (٥٣١٨ / ٩٣٠م) كان
أول من وقف الاراضى والبساتين (٤) ، فقد حبس بركة الحبش التى كانت
تعرف قديما ببركة المغافر ، وبركة حمير « بجميع ما تشتمل عليه من المزارع
والجنانين (٥) » ، خلا الجنان التى في شرقها ، كما حبس بعض أراضى أسيوط

(١) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٢٥ ، ٥ . سيدة كاشف : مصر في
عصر الاخشيديين ص ٢٩٣

(٢) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، د . راشد البراوى :
حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص ٣١٦ ، Feudalism (A. N.) :
in Egypt, Syria, Palestine, and the Levant, (London 1939), p. 33.

(٣) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٥ ، السيوطى : حسن المعاصرة
ج ٢ ص ١٨٢ ، د . سيدة كاشف : أحمد بن طولون ص ٢٥٣

(٤) Rabie (H. M.) : Some Financial Aspects of the Waqf System
in Medieval Egypt. p. 9.

(٥) هذه البركة لم تكن بركة عميقة فيها ماء راكد كما يفهم من لفظ بركة ،
وانما كانت تطلق على حوض من الاراضى الزراعية التى يضرها ماء النيل وقت
الفيضان سنويا فكانت الارض وقت أن يضرها الماء تشبه البرك ، ولهذا سميت بركة
محمد رمزي : القاموس الجغرافى ق ١ ج ١ ص ١٥٠ ، أنظر أيضا مايلى ص ٤٨ ، ٦٠ ،
٦١

على الحرمين الشريفين وجهات بر كثيرة» (١) ، ويقول ابن دقماق « قال ابن يونس في تاريخه ، ورأيت في كتاب شريط هذه البركة أنها محبسة على البئرين اللتين استنبطهما أبو بكر المادرائي في بني وائل بحضرة الخليج ، والقنطرة المعروفة احدهما بالغدق والاخرى بالعقيق ، وعلى السرب الذي يدخل منه الماء الى البئر الحجارة المعروفة بالرواء ، التي في بني وائل ذات القناطر التي يجري منها الماء الى المصنعة التي بحضرة القصبه التي يصار منها الى يحصب . وهي المصنعة المعروفة بدليكة : وعلى القنوات المتصلة بها التي تصب الى المصنعة ذات العمد الرخام القائمة فيها المعروفة بسمينة ، وهي التي في وسط يحصب . ويقال أن هناك كانت سوق ليحصب ، وذكر في هذا الشريط دارا له في موضع السقايا المعروفة بسقايا زوف ، وشريط أن ننشأ هذه الدار مصنعة على مثل المصنعة المقدم ذكرها المعروفة بسمينة ، وهي سقايا زوف ، على القناة التي يجري فيها الماء الى المصنعة ، ذكر أنه كان أنشأها عند البئر المعروفة بمسجد القبة ، وكانت هذه المصنعة تسمى ريا ، وجعل هذا الحبس أيضا على البئر التي له بالجنانة بحضرة الخندق ، وذكر أنها تعرف بالعتابية ٠٠٠ وتاريخ هذا الشريط شهر رمضان من سنة سبع وثلثمائة وجعل ما يفضل عن جميع ذلك مصروفا في ابتياع بقر وكباش تذبح ليطبخ لحمها ويبتاع أيضا معها خبز بر ودراهم وأكسية وأعبية ، ويتصدق بذلك على الفقراء والمساكين بالمعافر وغيرها» (٢) .

ويبدو لنا أن أهمية هذا النص ترجع الى كونه أقدم نص لوثيقة وقف للأراضي الزراعية في مصر الاسلامية ، اذ يرجع تاريخه الى سنة ٣٠٧ هـ / ٢١٩ م (٣) .

أما أقدم وقف للأراضي الزراعية بمصر ، فنرى أنه يرجع الى القرن الاول الهجري ، الى عهد عبد العزيز بن مروان بمصر (٦٥ - ٨٦ هـ) وأن هذا الوقف هو ما عرف بجنان عمير بن مدرك بالجيزة ، فقد ذكر ابن عبد الحكم

(١) المتريزي : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٩٥
(٢) ابن دقماق : الانتصار - القسم الاول ص ٥٥ ، ٥٦
(٣) أنظر ما سبق ص ٢٧ وما بعدها .

ثم نقل عنه ابن دقماق أن عبد العزيز بن مروان هو الذي غرس لعمير بن مدرك نخله الذي بالجيزة ، الذي يعرف بجنان عمير « وكان سبب ذلك كما حدثنا أبو عبد الله بن عبد الحكم أن عمير بن مدرك كان غرسه أصنافا من الفاكهة : فلما أدرك سال عبد العزيز أن يخرج إليه فخرج معه عبد العزيز إليه فلما رآه قال له عبد العزيز هبه لي : فوهبه له . فأرسل عبد العزيز إلى والي الجيزة : فقال له لئن أتت عليه الجمعة . وفيه شجرة قائمه لاقطعن يدك ، وكان بالجيزة خمس مائة فاعل عدة لحريق : ان كان في البلاد أو هدم . فأتى بهم والي الجيزة : فكانوا يقطعون الشجرة بحملها . وعمير يرى ذلك حسرات ، فلما فرغ من ذلك أمر فنقل إليه الودي من حلوان وغرسه نخلا ، فلما أدرك خرج إليه عبد العزيز . وخرج بعمير معه . فقال له : أين هذا من الذي كان ، فقال عمير : وأين أبلغ أنا ما بلغ الأمير : فقال : فهو لك ، حبسه على ولدك ، ففعل : فهو لهم إلى اليوم (١) » .

ولعله مما يستلفت النظر : ويدعو للتساؤل حقا : أن يكون أول وقف في الإسلام سبعة بساتين (حوايط) (٢) . في الوقت الذي لم تعرف محبر خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة وقفها في الأراضي الزراعية الا نادرا (٣) . مع وفرة الأوقاف في الدور والرباع والخوانيت وغيرها . وإذا تتبعنا موضوع ملكية الأرض الزراعية في مصر — بعد دخول المسلمين — في محاولة لتلمس أسباب عدم وقفها . لوجدنا أن العلماء والمؤرخين اختلفوا في ملكية أراضي مصر في ذلك الدور . ولم يستقروا على رأى واضح (٤) . والتعليل الوحيد

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٠٣ . ابن دقماق — الانتصار ق ١ ص ١٢٧ . ١٢٨

(٢) انظر ما سبق .

(٣) من أمثلة ذلك ما سبق من جنان عمير بن مدرك بالجيزة . والأرض التي اشتراها الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) من بيت المال وحبسها على وجوه البر انظر ما يلي ص ٤٦ حاشية ٢ . وجنان الزهرى التي وقفها عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى (ت بمصر ٢١٠ هـ) المقرئ : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٤٤

(٤) ابن نجيم : التحفة المرضية في الأرض المصرية (مخطوط بدار الكتب ٤٧٩ . ٢٣ مجاميع) ورقة ٣٨ ب ، ١٣٩ ، ابن هابدين : رد المحتار ج ٣ ص ٣٦٢ ، ٢٦٣ د . سيدة الكاشف : مصر في فجر الإسلام ص ٤١ — ٤٨

في نظرنا هو أن أراضى مصر في ذلك الوقت كانت تعتبر ملكا للدولة ، ويسد الزراع عليها ليست يد ملك ، بل يد استئجار ، وما يصل إلى الحاكم من خراج انما هو أجرة (١) . وأخذ بهذا الرأي عدد من كبار العلماء ، فعندما تكلم الماوردي في الاحكام السلطانية عن ارض الخراج وأرض العشر ذكر « أن ما ملك من المشركين عنوة وقهرا : فيكون على مذهب الشافعي رحمه الله غنيمة تقسم بين الفاتحين : وجعلها مالك وقفا على المسلمين بخراج يوضع عليها : وقال أبو حنيفة يكون الامام مخيرا بين الامرين (٢) ، فاذا أخذنا بالرأى القائل أن مصر فتحت عنوة : أو أن جزءا من مصر فتحت عنوة ، انطبقت عليه هذه القاعدة : أما اذا أخذنا بالرأى القائل أن مصر فتحت صلحا : أو أن معظمها قد فتح صلحا (٣) : فان الماوردي في هذا الشأن يذكر أن « ما صولح عليه المشركون من أرضهم فهي الارض المختصة بوضع الخراج عليها وهي على ضربين : أحدهما ما جلا عنه أهله حصلت للمسلمين بغير قتال ، فتصير وقفا على مصالح المسلمين ، ويضرب عليها الخراج ، ولا يتغير باسلام ولا ذمة : ولا يجوز بيع رقابها ، والثاني ما أقام به أهله ووصلحوا على اقراره في ايديهم بخراج يضرب عليهم ، فهذا على ضربين : أحدهما أن ينزلوا عن ملكها لنا عند صلحنا ، فتصير هذه الارض وقفا على المسلمين ، كالذي انجلى عنه أهله ، والثاني أن يستبقوها على أملكهم ، ولا ينزلوا عن رقابها ويصالحوا عنها بخراج يوضع عليها ، فهذا الخراج جزية تؤخذ منهم ما أقاموا على شركهم ، وتسقط عنهم باسلامهم ، ويجوز أن لا تؤخذ منهم جزية

(١) ابن نجيم : المرجع السابق ورقة ٢٨ ب ، ابن عبد الفنى (عبد الله الحنفى) النور الباردى فى أحكام الاراضى ورقة ١٢ .

(٢) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ١٤٧ ، الخنمى : الروض الانف ج ٢ ص ٢٤٧ ، ابن عابدين : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٦٣ ، أبو يعلى : الاحكام السلطانية ص ١٣٠ ، ابن جماعة : تحرير الاحكام فى تدبير أهل الاسلام فى الاحكام السلطانية (مخطوطة مصورة بدار الكتب رقم ٣٩٨٢٢ ب ورقة ١٢٤ ، ١٢٥)

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٧٤ - ٨٢ ، المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ابن تفرى بردى : النجوم ج ١ ص ١٩ ، ٢٠ ، السيوطى : حسن الحاضرة ج ١ ص ٥٥ ، ٥٦ .

رقابهم ، ويجوز لهم بيع هذه الاراضى على من شاءوا منهم ، أو من المسلمين أو من أهل الذمة (١) » .

والجزء الاخير بأكمله من النص السابق للمواردى : لا ينطبق على أراضى مصر ، اذ لم ينص الصلح الذى عقده عمرو على تنازل أهل مصر عن أرضهم كما أننا لم نسمع عن اسقاط خراج من أسلم من المصريين ، وعلى هذا تكون أراضى مصر أصبحت وقفاً على المسلمين .

ومما يرجح صحة هذا رأى السياسة العامة التى اتخذها الخليفة عمر بن الخطاب إزاء الاراضى التى فتحتها المسلمون فى خلافته . فقد كان يرى أن للمسلمين وذريتهم حق فى هذه الاراضى وأن الدولة فى حاجة الى ريع هذه الاراضى الغنية لسد مطالب الجهاد والدفاع عن البلاد . ولتعوض منه ما قد يفتحه المسلمون من أراضى فقيرة .

وتجلت هذه السياسة فى أقوال عمر وآرائه ، فقد سأل بلال وأصحابه عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قسمة ما أفاء الله عليهم من العراق والشام وقالوا : أقسم الاراضى بين الذين اففتحوها ، كما تقسم غنيمة المساكين فأبى عمر ذلك عليهم وقال : « قد أشرك الله الذين يأتون من بعدكم فى هذا الفى : فلو قسمته لم يبق لمن بعدكم شئ » (٢) ، ثم مكثوا فى ذلك يومين أو ثلاثة : ثم قال عمر : انى قد وجدت حجة : قال ان الله تعالى فى كتابه (وما أفاء الله على رسوله منهم ، فما أوجفتهم عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير) (٣) حتى فرغ الرسول من شأن بنى النضير ، فهذه عامة فى القرى كلها ، ثم قال (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه

(١) المواردى : الاحكام السلطانية ص ١٤٧

(٢) أبو يوسف (يعقوب بن ابراهيم) : كتاب الخراج (ط . بولاق) ص ٢٦ -

٤٣ ، أبو يعلى : الاحكام السلطانية ص ١٨٩

(٣) سورة العنكبوت (٥٩) آية ٦

فانتهوا ، واتقوا الله ان الله شديد العقاب (١) ، ثم قال : (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصبون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) (٢) والمقصود المهاجرون ، ثم قال (والذين تبؤوا الدار والايمان من قبلهم يجبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة بما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (٣) ، فهذا فيما بلغنا والله أعلم بالانصار خاصة : ثم قال تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان : ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم) (٤) : فكانت هذه عامة لمن جاء من بعدهم من أهل الاسلام ، ومن هو داخل فيه بعد الهجرة الاولى حتى تنقضي الدنيا ، فقد صار هذا الفىء بين هؤلاء جميعا : فكيف نفسه لهؤلاء ، وندع من تخلف بعدهم بغير قسم ، فأجمع على تركه ، وجمع خراجة (٥) .

كذلك يروى عن عمر أنه قال « لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية الا قسمتها بين أهلها ، كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم خيبر (١) » كذلك كتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبى وقاص حين فتح العراق « أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه أن الناس سألوك أن تقسم بينهم مغانهم ، وما أفاء

(١) سورة العنبر (٥٩) آية ٧

(٢) سورة العنبر (٥٩) آية ٨

(٣) سورة العنبر (٥٩) آية ٩

(٤) سورة العنبر (٥٩) آية ١٠

(٥) ابن سلام (أبو عبيد القاسم) : كتاب الاموال ص ٥٨ ، ٦٠ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، وأنظر أيضا كتاب عمر بن عبد العزيز بخصوص القسمة حين تقسم فى كتاب سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (أبو محمد عبد الله) تحقيق أحمد مبيد (الطبعة الخامسة - بيروت ١٩٦٧) ص ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤

يقول ابن سلام : أراءه أراد أن تكون فينا موقوفا للمسلمين ما تناسلوا يرثه قرن من قرن فتكون قوة لهم على عدوهم (ص ٥٨) وليس فعل النبي يراد لفعل عمر ولكنه صلى الله عليه وسلم اتبع آية الفئمة (واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسة والرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) ولكن الناس استوعبت آية الفىء وبها إشار على بن أبى طالب ومعاذ بن جبل على عمر بن الخطاب فأخذ بها (ص ٦٠ ، ٦١ ، ٢١٣ ، ٢١٤) أنظر أيضا : عمر طلوسون : مالية مصر من عهد الفراعنة حتى الان ص ١٩٥ ، ١٩٦

(٦) ابن حجر : فتح البار ج ٥ ص ١٣ ، ابن سلام : الاموال ص ٥٦ ، ٥٧

الله عليهم ، فإذا أتاك كتابي هذا ، فانظر ما أجلب الناس عليك به الى العسكر من كراع ومال ، فاقسمه بين من حضر من المسلمين ، واترك الارضين والانهار بعمالها ليكون ذلك من أعطيات المسلمين ، فانك ان قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء»^(١) : وقال عمر في مناسبة أخرى : « كيف بمن يأتي من المسلمين فيجدون الارض بلوجها عند اقتنست وورثت عن الآباء وحيزت ما هذا برأى » فقال له عبد الرحمن بن عوف « فما الرأي ؟ ما الارض والعلوج الا مما أفاء الله عليهم » فقال عمر « ما هو الا كما تقول ولست أرى ذلك ، والله يفتح بعدى بلد فلا يكون فيه كبير نيل : بل عسى أن يكون كلا على المسلمين فإذا قسمت أرض العراق بعلوجها . وأرض الشام بعلوجها ، فما يسد الثغور ، وما يكون للذرية والارامل بهذا البلد وبغيره من أهل الشام والعراق ؟ ، فأكثرخوا على عمر وقالوا : « أتقف ما أفاء الله علينا بأسياقنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ، ولابناء القوم ، ولابناء أبنائهم ولم يحضروا ؟ »^(٢) . فاستشار عمر كبار الصحابة في عهده فقالوا جميعا « ان لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال ، وتجرى عليهم ما يتقون به . رجع أهل الكفر الى مدنهم »^(٣) .

وفي رواية أحمد بن حنبل « السواد وقفه عمر على المسلمين ، فمثله رجل أوقف دارا على رجل وعلى ولده لاتباع : وهى للذى أوقف عليه ، فإذا مات الموقوف عليه كان ولده بالوقف الذى أوقف الاب لا يباع ، وكذلك السواد لا يباع ، ويكون الذى بعده يملك مثل الذى ملك قبله على ذلك وقفا أبدا للمسلمين »^(٤) .

(١) أبو يوسف : الخراج ص ١٢ - ١٤ ، ابن آدم القرشي (يعينى) : كتاب الخراج ص ١٣ ، عمر طلوسون : مالية مصر ص ١٩١ ، د. سيدة الكاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٤٧

(٢) التشمسي : الروض الاتف ج ٢ ص ٢٤٧

(٣) خلاف (عبد الوهاب) : السياسة الشرعية أو نظام الدولة الاسلامية ص ١٠٦ ،

١٠٧ عمر طلوسون : مالية مصر ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤

(٤) أبو يعلى : الاحكام السلطانية ص ١٩١

وكذلك يروى أن الزبير بن العوام طلب من عمرو بن العاص تقسيم أراضي مصر بين الفاتحين ، فقال عمرو ، والله لا أقسمها حتى أكتب الى أمير المؤمنين . فكتب اليه عمر : « أقرها حتى يغزو جبل الصلبة (١) » .

وهكذا حول عمر بن الخطاب الأراضي التي فتحت خارج جزيرة العرب ، ومنها أراضي مصر ، الى أراضي وقف متبعا في ذلك ، ما اتبعه الرسول عليه الصلاة والسلام بشأن بعض أراضي جزيرة العرب (٢) ، وكان عمر أراد بذلك أن يضمن للجماعة الاسلامية في عهده ، وفي المستقبل أملاكاً عامة ، يديرها الخلفاء لصالح الجماعة الاسلامية (٣) .

ومما يدعم هذا القول ما رواه ابن عبد الحكم عن طريقة جباية الخراج غداة الفتح فيقول « ثم ينظرون ما بقى من الخراج فيقسمونه بينهم على عدد الارض ، ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع منهم على قدر طاقتهم ، فان عجز أحد وشكا ضعفا عن زرع أرضه وزعوا ما عجز عنه على الاحتمال ، وان كان منهم من يريد الزيادة أعطى ما عجز عنه أهل الضعف ، فان تشاحنوا ، قسموا ذلك على عدتهم (٤) » . فهذا نص صريح يشير الى أنه من يوم الفتح لم يكن الزارع مالكا للأرض ، انما كان الانتفاع بها لمن يرغب وحسب طاقته ، ومما يرجح هذا الرأي أنه لم توجد ضمن أوراق البردي العربية المنشورة ما يدل على ملكية المصريين أو تصرفهم في الأراضي الزراعية غداة الفتح العربي . فأقدم هذه التصرفات ترجع الى القرن الثاني أو الثالث للهجرة (٥) .

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٨٨ ، ابن سلام : الاموال ص ٥٨

(٢) أنظر ما سبق ، الخشمي : الروض الانف ج ٢ ص ٢٤٧ ، د. سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٤٨ ، Van Berchem : La Propriete Territoriale, p. 23.

(٣) د. سيدة كاشف : المرجع السابق ص ٤٨ Van Berchem ; op. cit. p. 23

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٥٣

(٥) أنظر جروهمان : أوراق البردي العربية ج ١ ص ١٢٩ وما بعدها ، Cahen : Reflexion, op. cit. p. 40.

ويبدو من ذلك أن مصر — سواء فتحت عنوة كلها أو معظمها ، أو فتحت صلحا كلها أو جزء منها — فإن غالبية أراضيها صارت بعد الفتح العربي ملكا للدولة (١) ، وبالتالي لا يجوز لمن في أيديهم هذه الأراضي لزاعتها أن يتصرفوا فيها بأي نوع من أنواع التصرف ، ومنها الوقف .

ولذلك أصبح وقف الأراضي الزراعية في مصر رهنا بانتقال ملكية الأرض من الدولة أو بيت المال إلى الأفراد ، ولا نعرف على وجه التحديد متى انتقلت ملكية الأراضي إلى الأفراد ، ولكن بعد ما يقرب من نصف قرن من الفتح العربي بدأ ظهور الوقف في الأراضي الزراعية تدريجيا ، وهذا يعني أيضا أن انتقال الأرض إلى ملكية الأفراد جاء تدريجيا ، وبطيئا في أول الأمر .

ويتفق هذا الرأي مع ما ذهب إليه العلماء من أن للإمام ولاية عامة ، وله أن يتصرف في مصالح المسلمين ، ولهذا لو باع شيئا من بيت المال صح بيعة ، ويعنى هذا أن بيع أراضي مصر لصالح بيت المال صحيح (٢)

كذلك وجد طريق آخر للملكية الأراضي الزراعية في مصر ، غير الشراء من بيت المال ، وهو طريق احياء الأراضي الموات (٣) : من ذلك بركة الحبش

(١) يرى بعض الفقهاء أن أرض مصر ظلت مملوكة لاهل الذمة ، ولهم حق التصرف فيها ، وأن انتقالها إلى بيت المال إنما كان نتيجة لموت ملاكها دون وارث أو لانقراض ذريتهم ، ولا يرى هذا الرأي ، فمن الثابت أن بيت المال كان متصرفا في معظم أراضي مصر ، ولا يمكن أن تنتقل الملكية إليه في وقت قصير بسبب موت ملاكها بدون وارث . انظر : ابن عابدين : رد المحتار ج ٣ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ابن نجيم : التلعة المرضية ورقة ١٣٩ .

(٢) مثال ذلك ما ورد في صبح الاعشى من أن الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) اشترى أراضي من بيت المال في نواح من البلدان وحبسها على وجوه البر — القلقشندي ج ٤ ص ٣٨ ، وما أورده المقرئ من أن القاضي الفاضل اشترى قطعة كبيرة من أراضي اللوق من بيت المال ووقفها على العين الزرقاء بالمدينة النبوية — المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١١٧ .

انظر أيضا : ابن نجيم التلعة المرضية ورقة ٣٨ ب ، ابن عبد الفتى : النور البادى ورقة ١٢ .

(٣) د- مرسى (محمد كامل) : الملكية المقاربية في مصر ص ٤٣ ، أبو يعلى : الاحكام السلطانية ص ١٩٣ ، علي قرامة : دروس المعاملات الشرعية ص ٥٥ ، ٥٦ ،

التي سبقت الاشارة اليها كانت مواتا وأحيائها قرة بن شريك ، أمير مصر من قبل الامويين (٩١ - ٩٦ هـ) وغرسها قصباً ، فعرفت باصطبل قرة ، وعرفت أيضاً باصطبل قامش ، وتنتقلت حتى صارت تعرف ببركة الحبش ، ثم دخلت في ملك أبي بكر الماذرائي فجعلها وقفاً^(١) .

ويبدو أن انتقال ملكية الاراضى الزراعية الى الافراد من العرب المسلمين ، أو الى أفراد القبائل العربية التي هاجرت الى مصر ، أو الى غيرهم من عناصر السكان ، يبدو أن هذا الانتقال كان نتيجة طبيعية للتغيرات التي حدثت في المجتمع المصرى منذ بداية القرن الثانى الهجرى ، والتي تمثلت في زيادة اختلاط العرب بأهالى البلاد . فإذا أضفنا الى ذلك قيام بعض الثورات والاضطرابات التي أثارها الاقباط^(٢) ، لوجدنا أنه من الطبيعى أن تحدث بعض التغيرات في القائمين بزراعة الارض ، ذلك أنه نتج عن هذه الثورات أن ترك بعض الاقباط زراعة الارض ، ورفضوا دفع خراجها ، وعندئذ لم يبق أمام الوالى الا بيعها . كذلك قام الولاة ببيع الاراضى التي عجز مزارعوها عن القيام بزراعتها ، أو لوفاة المزارع دون أن يترك من يقوم بزراعتها ، أو قد يبيعها الوالى لمصلحة يراها^(٣) .

والتملك عن طريق الشراء من بيت المال سواء كان ناسلاً أم ذمى يجيز الوقف^(٤) .

(١) أنظر ما سبق ص ٢٨ ، المقريزى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٥٢

(٢) د . سيدة كاشف : مصر فى عصر الولاة ص ١٢٢ وما بعدها .

(٣) ابن عبد الغنى : النور البادى ورقة ١٢ ، ابن عابدين : رد المحتار ج ٣ ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، يعقوب آرتين : الاحكام المرعية فى شأن الاراضى المصرية (ط ٠ بولاق) ص ٢٩

(٤) ابن نجيم : التحفة المرضية ورقة ٣١ ، ابن عابدين : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٦٦

تنظيم الاوقاف في مصر قبل العصر المملوكي :

ظلت الاوقاف في مصر - مع كثرتها منذ دخول المسلمين مصر - في أيدي المستحقين ، أو نظار الوقف ، حسب شروط الوقف ، دون أي تدخل أي إشراف من الدولة^(١) ، حتى ولي قضاء مصر القاضي الاموي «توبة بن نمر»^(٢) في زمن هشام بن عبد الملك ، فقال : « ما أرى مرجع هذه الصدقات الا الى الفقراء والمساكين ، فأرى أن أصع يدي عليها حفظا لها من التواء والتوارث»^(٣) ولم يمت توبة حتى صار للاحباس ديوان مستقل عن بقية الدواوين تحت إشراف القاضي ، ذلك أنه أمر لأول مرة بتسجيل الاحباس في سجل خاص ، لكي يحمي مصالح المستحقين فيها^(٤) ، مما يشير الى أن هذه المبادرة من القاضي توبة تعكس ما آل اليه أمر الاوقاف في عهده من فوضى واضطراب ، ويعتبر هذا الديوان أول تنظيم للاوقاف ليس في مصر فحسب ، بل في كافة الدول الاسلامية ، وفي نفس عهد توبة ، أنشئ على نمط ديوانه في مصر ديوان للاوقاف في البصرة^(٥) .

ومنذ ذلك الوقت أصبحت الاوقاف تابعة للقضاة : وصار من المتعارف عليه أن يتولى القضاة النظر في الاوقاف ، بحفظ أصولها ، واستثمارها ، وقبض

hGibb (H.A.R) and Harold Bowen. Islamic Society. vol. (١)

I.P. II. ch. XII (Religious Endowments (Awkaf), p. 165.

(٢) هو توبة بن نمر الحضرمي يكنى أبا محجة وأبا عبد الله ، تول قضاء مصر من قبل الوليد بن رفاع (١١٥ - ١٢٠ هـ / ٧٣٣ - ٧٣٨) الكندي : الولاة والقضاء ص ٣٤٦ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٤٠ ، السيوطي : حسن المعاصرة ج ٢ ص ١١٦

(٣) الكندي : المرجع السابق ص ٣٤٦ ، ابن حجر : رفع الامر ج ١ ص ١٦١ ، د- منير العجلاني : عبقرية الاسلام ص ٤٤٢

(٤) يرى Poliak أن أول من دون الاحباس في مصر الامام الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) أو في عهد صلاح الدين الايوبي ، ونقل عنه هذا الرأي ك.ا. من : راشد البراوي في كتابه حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ص ٣١٦ ، د- عطية مصطفى مشرفة في كتابه نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين (الطبعة الثانية) ص ١٨٣ ، ولكن د- مشرفة عاد في ص ٢٦٢ حاشية ٣ وذكر أن توبة بن نمر أول من دون الاحباس ولم يرجع أي من الرايين - أنظر :

Poliak : op. cit. p. 33.

Cahen : Réflexion. op. cit. p. 49

(٥)

رعيهما ، وصرفه في أوجه صرفه ، فان كان عليها مستحق للنظر فيها حسب شروط الواقف ، راعاه القاضي ، وان لم يكن هناك من ينظر فيها ، تولى القاضي النظر فيها^(١) . ويؤكد ذلك ما ذكره الكندي من أن أموال الاوقاف كانت ترد الى بيت المال منذ زمن المنصور الى أيام الرشيد^(٢) .

وكان لبعض القضاة عناية خاصة برعاية الاوقاف ، من ذلك أن القاضي أبا الطاهر عبد الملك بن محمد الحزمي الانصارى^(٣) : كان يتفقد الاحباس بنفسه ثلاثة أيام في كل شهر ، فيأمر بمرمتها ، واصلاحها ، وكنتس ترابها ، ومعه طائفة من عماله عليها : فان رأى خلا في شيء منها ، ضرب المتولى لها عشر جلدات^(٤) .

وازاء ذلك ثارت بعض الآراء التي تنادى بأن الرمة لا تشترط في الاحباس ولكن القاضي عبد الرحمن بن عبد الله العمري قال : « لولا الرمة ما بقيت الاحباس لأهلها » : ولذلك كان العمري يقف على مرمتها بنفسه « ويجلس مع البنائين أكثر نهاره »^(٥) .

وقد نظم القاضي لهيعة بن عيسى الحضرى^(٦) الاحباس ، فحكم في احباس مصر كلها ، أما ببينة تثبت عنده ، وأما باقرار أهل الحبس ، وجدد الشهادة بها ، سواء ما كان منها في أيدي القضاة ، أو كان في أيدي أهلها ، وكان يقول في ذلك « سألت الله أن ييلفنى الحكم فيها ، فلم أترك شيئاً منها

(١) النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) : نهاية الارب في فتون الارب (ط - القاهرة) ج ٦ ص ٢٥٥ ، الكندي : الولاة والقضاة ص ٤٤٤ ، ٥١٦ ، د - سيدة كاشف : مصر في مصر الولاة ص ٦٠

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ص ٣٩٠

(٣) ول قضاء مصر من قبل الخليفة المباسى الهادى في الفترة من ١٧٠ - ١٧٤ هـ الكندي : المرجع السابق ص ٣٨٣ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٤٥

(٤) الكندي : المرجع السابق ص ٣٨٣

(٥) ولي العمري قضاء مصر من قبل هارون الرشيد من سنة ١٨٥ - ١٩٤ هـ ، الكندي : المرجع السابق ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤١١ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٤٥

(٦) ولي قضاء مصر من قبل هباد بن محمد من سنة ١٩٦ - ١٩٨ هـ ، ثم ولي القضاء ثانية من قبل المطلب من سنة ١٩٩ - ٢٠٤ هـ ، الكندي الولاة والقضاة ص ٤١٧ - ٤٢٦ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٤٦

حتى حكمت فيه ، وجددت الشهادة به «^(١) كذلك كان لهيعة أول من فرض فروض القضاة في أموال الاحباس المخصصة لـ « في سبيل الله » ، فخصص نصيبا منها لأهل مصر ، كما أدخل فيها المطوعة الذين كانوا يعمرن المواحيز^(٢) ، وأجرى عليهم العطاء من الاحباس . ذلك أن ريع الاحباس الموقوفة على « سبيل الله » كان يجمعه القضاة في كل سنة ، لتوزيعها في مواحيز مصر من العريش شرقا الى ليبيا غربا ، فتفرق على المطوعة ومن كان فقيرا من أهل الديوان ، فلما حدثت الفتنة التي اعتقت خلغ محمد بن هارون الرشيد تعطلت المواحيز ، وانقطع عنها المطوعة ، كذلك شغل الوالي عن عطاء أهل الديوان ، وهذا ما دعا لهيعة الى اجراء العطاء من الاحباس على المطوعة ، وصارت سنة بعد لهيعة ، وكان الناس يسمونها فروض لهيعة ، حتى كان محمد بن أبى الليث فسمها فروض القاضي^(٣) .

وعرف عن هارون بن عبد الله^(٤) أنه لم يبق شيئا من أمور القضاء حتى شاهده بنفسه ، وحضره مع أهل مصر ، ومن ذلك « أنه لم يتخلف عن حبس بمصر يتولاه القضاة حتى وقف على غلته ووجوهه »^(٥) .

ويرجع الى محمد بن أبى الليث إعادة تدوين الاحباس بخطه ، وبلغ من حرصه على ضرورة تدوين الاحباس بديوان القضاة ، أنه كان يقول « لقد

(١) الكندي : المرجع السابق ص ٤٢٤ - وبالنسبة للحكم في الاوقاف، وتجديد الشهادة بها أنظر : د. عبد اللطيف ابراهيم : التوثيقات الشرعية والشهادات في ظهر وثيقة الفوري (مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة مجلد ١٩ ج ١ مايو ١٩٥٧) ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ حيث توجد دراسة وافية عن هذا الموضوع .

(٢) المواحيز جمع ماحوز ، وهو المكان الذي يكون بين القوم وعدوم ، وهو من استعمال أهل الشام ، ويذكر Dozy أن الماحوز في سوريا مناه الحدود
Supplément aux Dictionnaires Arabes

(٣) ولي محمد بن أبى الليث قضاء مصر من قبل أبى اسحق المعتصم في ١٣ ربيع الآخر ٢٢٦ هـ ، وظل على قضاء مصر حتى عزل عنه في ١٨ شعبان سنة ٢٣٥ هـ - الكندي : الولاة والقضاة ص ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٦٣ ، ٤٩٩ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٤٧

(٤) ولي هارون بن عبد الله قضاء مصر من قبل الماسمون في ١٤ رمضان سنة ٢١٧ هـ الكندي : الولاة والقضاة ص ٤٤٣ وما بعدها
(٥) الكندي : المرجع السابق ص ٤٤٤

هممت أن أضع يدي على كل حبس بمصر يتولاه أهله ، مما ليس له ثبت في ديوان القضاة احتياطا له « (١) » .

ولم يقتصر القضاة على النظر في أوقاف المسلمين ، بل كانوا أيضا ينظرون في أوقاف أهل الذمة ، ويجددون الشهادة بها ، وليس أدل على ذلك من الشكوى التي تقدم بها أحد النصارى الى أحمد بن طولون يشكو فيها القاضي بكار بن قتيبة (٢) ، قائلا : « ان هذا الذي يزعم أنه كان قاضيا جعل ربيع أبي حبسا ، فقال بكار : ثبت عندى أن أباه حبس هذا الربيع ، وهو يملكه ، فأفضيت الحبس ، فجاء هذا متظلما ، فضربت ، فخرج الى بغداد ، فجاءنى بكتاب هذا الذي يزعم أنه الموفق : لا تمض أحباس النصارى ، فعرفت أنه جاهل ، فلم التفت اليه » (٣) .

ومنذ النصف الاول من القرن الرابع الهجرى كان يعين في بعض الاحيان متولى للاحباس ونفقة الايتام ، بالاضافة الى القاضي ، ولعل أول من تولى النظر في الاحباس بعد فصلها عن القضاء بكران بن الصباغ الذي ولى الاحباس ونفقة الايتام في مصر من قبل الحسين بن هروان قاضى قضاء بغداد في عهد

(١) الكندى : الولاية والقضاة ص ٤٥٠

(٢) هو بكار بن قتيبة بن عبيد الله بن أبي بردة ، ولى قضاء مصر من قبل المتوكل سنة ٢٤٦ هـ ، وظل على القضاء ٢٤ سنة حتى توفي في ذى الحجة سنة ٢٧٠ هـ . ملحق كتاب الولاية والقضاة ص ٥٠٥ - ٥١٤ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٤٧ .
(٣) ملحق كتاب الولاية والقضاة ص ٥١٣ ، ومن المعروف أن تسجيل الوقف واجب امام القاضي المسلم ، ولو كان الواقف من أهل الذمة ، فالقاضي في هذه الحالة لا يتصرف بصفتة قاضيا للاحوال الشخصية بدليل أن الدعى لا يخضع اليه في هذه الامور الا اذا لجأ اليه ، ولكن القاضي اختص بتسجيل الاوقاف ولو كانت لفرد المسلمين ، لان من شروط صحة الوقف أن ينتهى الى جهة يمد الوقف عليها قرابة في نظر الشريعة الاسلامية . والقاضي المسلم وحده هو المختص بتقدير هذا المعنى . انظر ما سبق ص ٢٠ ، ٢١ ومايلي من وثائق الوقف الذمية في العصر المملوكى ، د. الفرواوى . أبحاث في الوقف (مجلة القانون والاقتصاد السنة الثانية) ص ٤٢

وانظر أيضا : Muh. Muhammad Amin : Un Acte de Fondation de Waqf par une chrenienne, in jurnal of the Economic and social history of the orient. (J.E.S.H.O), vol. XVIII, part. 1. (1975), pp. 43 — 52.

الخليفة المباسى الراضى . فوصل الى مصر في ربيع الآخر سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٢ م ووصل معه أيضا أحمد بن عبد الله الكتي الذي تولى النظر في الاحكام (١) . ولعل تعيين متولى يختص بشئون الاحباس كان بداية انشاء ديوان مستقل للاعباس ، فبالرغم من أن قاضى القضاة تولى أمر الاحباس في بداية الدولة الفاطمية في مصر (٢) ، فإنه لم تلبث أن أصبح للاعباس ديوان مفرد . كما أن الفاطميين أدخلوا كثيرا من التنظيمات الخاصة بالوقف . فقد أمر الخليفة الفاطمى المعز لدين الله في سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م أن تحول الى بيت المال جميع المتحصلات المالية المجبة من الممتلكات الموقوفة ، ويطلب المتقنين بأن يظهروا الوثائق التى تذلل على أحقيتهم في ريع هذه الاوقاف (٣) . وبعد ذلك بحوالى شهرين أصبح هناك ضامن لجباية أموال الاحباس مقابل دفع مبلغ سنوى للدولة ، وكان أول من ضمن جباية أموال الاحباس هو « محمد بن القاضى أبى الطاهر محمد بن أحمد » في نظير أن يدفع سنويا حوالى مليون ونصف مليون درهم . واعتاد الفاطميون أن يدفعوا الى المستحقين حقوقهم . ويحمل ما بقى الى بيت المال (٤) : واعتبر الخليفة المعز لدين الله نفسه أحد المستحقين في أموال الاحباس عندما أطلعه القاضى النعمان بن محمد على ما جاء بكتاب الكندى بشأن حبس عمرو بن العاص « وأن محمد بن أبى بكر كان قبضه وضرب عليه صافية لامير المؤمنين على بن أبى طالب - أهل الحق - فقال المعز : هذا مالنا : فليحمل اليئنا مفردا من مال الاحباس » (٥) . وهكذا أصبح لبيت المال منذ أيام الفاطميين نصيب من متحصلات الاوقاف : التى صارت تمثل أحد موارد مصر المالية : وعمل الفاطميون على

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ٤٩٠ ، ٤٩١

(٢) المقرئى : اتماط الحنفا (نشر د . الشيال ١٩٦٧) ص ١٢١ ،

العلشندى : صبح الامنى ج ١٠ ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ابن حجر : رفع الامر ج ٢ ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٥٩

(٣) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٥ . Rabie : op. cit. p. 9.

(٤) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٥ ، اتماط الحنفا ص ١٤٤ .

١٤٨ ، د . البراوى : حالة مصر ص ٣١٨ ، ٣٥١ ، د . عطية مشرفة : نظم الحكم ص ١٨٤

(٥) المقرئى : اتماط الحنفا ص ١٤٨

زيادة هذا المصدر المالى بحبس أراضى زراعية ، وممتلكات كثيرة لكى يضمنوا موردا ثابتا للنفقة ولتعمير المساجد والجوامع والمارستانات ، وما الى ذلك . ويذكر لنا المقرئى نقلا عن المسبحى أن الخليفة الحاكم بأمر الله أمر فى سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م بتسجيل المساجد « التى لا غلة لها . ولا أحد يقوم بها ، وما له منها غلة لا تقوم بما يحتاج اليه » فبلغت هذه المساجد ٨٣٠ مسجدا جملة ما تحتاج اليه من النفقة فى كل شهر ٩٩٦٠ درهما بواقع ١٢ درهما لكل مسجد فى الشهر (١) . وازاء ذلك حبس الحاكم فى سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م على هذه المساجد وغيرها من المؤسسات الخيرية « عدة ضياع وهى اطفيج ، وصول ، وطوخ ، وست ضياع آخر : وعدة قياسر وغيرها » على أن يخصص ريعها لعمارة هذه المساجد ، وللقراء ، والفقهاء والمؤذنين بها ، ونفقة المارستانات ، وأرزاق المستخدمين فيها : وثمن أكفان من يموت من فقراء المسلمين (٢) .

ويرى الرحالة الفارسى ناصر خسرو الذى زار مصر فى العصر الفاطمى أنه « كان لكل مسجد فى جميع المدن والقرى التى نزلت بها من الشام الى القيروان نفقات يقدمها وكيل السلطان من زيت السرج والحصير والبوريا وساجيد الصلاة ورواتب القوام والفراشين وغيرهم » ، ثم يذكر أن والى الشام شكى من أن الزيت قليل ، واستأذن فى أن يصرف للمساجد الزيت الحار المستخرج من بذور الفجل واللفت فأجيب « انك مأمور لا وزير ، وليس من الجائز أن تغير أو تبدل فى شيء يتعلق ببيت الله » (٣) .

(١) ذكر المقرئى أن جملة النفقة التى تحتاجها هذه المساجد ٩٢٢٠ درهما المواعظ والاعتبار ٢ ص ٢٩٥

(٢) المقرئى : المراجع السابق ج ٢ ص ٢٩٥ ، د . عطية مشرفة : نظم الحكم ١٨٤ ص ، Rabie : op. cit. p. 10

ونلاحظ أن الحاكم بأمر الله وجه اهتماما خاصا ببنشآت وبالجامع الأزهر فأنوقف فى رمضان سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م على د الجامع الأزهر بالقاهرة المحروسة والجامع بראشدة ، والجامع بالمقس اللذين أمر بانشائهما وتأسيس بنائهما ، وعلى دار الحكمة بالقاهرة ، عدة دور وقياسر بالفسطاط . انظر نص وثيقة الحاكم بأمر الله التى أوردها المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٧٣ / ٢٧٥

(٣) ناصر خسرو : سفر نامه (ترجمة د . يحيى الغشاب) الطبعة الاولى - القاهرة ص ٦٥ ، د . عبد المتعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ج ١ ص ١٤٥

وهكذا اعتبرت الدولة الفاطمية نفسها مسئولة عن الأعمال الخيرية العامة والمؤسسات الدينية^(١) ، ومقابل حصولها على أموال الاحباس ، ولذلك اعتقد أن أحباس الحاكم بأمر الله وغيرها من الاحباس التي حرص الخلفاء الفاطميون على حبسها ، ليست أوقافا بقدر ما كانت ارسادا ، وافرادا لبعض الاراضى التابعة لبيت المال ، للصرف من ريعها على المساجد والمؤسسات الخيرية^(٢) .

وهكذا أشرف ديوان الاحباس - في العصر الفاطمي - على جباية ريع الاحباس سواء تلك التي حبسها الافراد ، أو التي حبسها الخلفاء ، كما أنه كان يشرف على توجيه إيرادات الاوقاف الى مصارفها الصحيحة متبعاً الشروط التي وضعها الواقف في وثيقة الوقف .

ويذكر كل من المقرئى والقلقشندى نقلاً عن أبى الطوير نظام سير العمل في ديوان الاحباس ، وطريقة اشرافه على صرف المستحقات لارباب الوظائف : فيقول المقرئى : « ان الخدمة في ديوان الاحباس ، وهو أوفر الدواوين مباشرة ، ولا يخدم فيه الا أعيان كتاب المسلمين من الشهود المعدلين ، بحكم أنها معاملة دينية ، وفيها عدة مديرين ينوبون عن أرباب هذه الخدم في ايجاب أرزاقهم من ديوان الرواتب ، وينجزون لهم الخروج باطلاق أرزاقهم ، ولا يوجد لاحد من هؤلاء خرج الا بعد حضور ورقة التعريف من جهة مشارف الجوامع والمساجد باستمرار خدمة ذلك الشهر بجميعة ، ومن تأخر تعريفه تأخر الايجاب له ، وان تمادى ذلك استبدل به : أو توفر ما بأسفه لمصلحة أخرى ، خلا جوارى المشاهد ، فانها لا توفر لكنها تنقل من مقبر الى ملازم ، وكان يطلق لكل مشهد خمسون درهماً في الشهر برسم الماء لزوارها ، ويجرى من معاملة سواقى السبيل بالقرافة ، والنفقة عليها من

(١) د. البراوى : حالة مصر ص ٣١٦

(٢) أنظر ما يلى من الاوقاف في عصر الابهيين .

ارتفاعه (الدخل أو الريح) ، فلا تخلو المصانع ، ولا الاحواض من الماء أبدا ، ولا يعترض أحد من الانتفاع به ، وكان فيه حائبان ومعينان (١) » .

ويبدو أن ديوان الاحباس في أيام الدولة الفاطمية كان يستمعين بالقضاة في الاشراف على عمارة الاحباس المختلفة ، فيذكر المقرئى نقلا عن الشريف ابن أسعد الجوانى أنه « كان القضاة بمصر اذا بقي لشهر رمضان ثلاثة أيام طافوا يوما على المساجد والمشاهد بمصر والقاهرة . يبدؤون بجامع المقس ، ثم القاهرة ، ثم المشاهد ، ثم القرافة ، ثم جامع مصر ، ثم مشهد الرأس ، لنظر حصر ذلك وقنادهيله وعمارته وما تشعث منه .. » (٢) .

ورغم حداثة منصب رئيس ديوان الاحباس الا أن متوليه سرعان ما ارتقى الى مركز كبير في الدولة بين موظفي الدواوين ، حتى فاق منصبه منصب قاضى القضاة الفاطمى الذى كان في حاجة الى توقيع رئيس ديوان الاحباس ليصرف مرتباته ، فيذكر النابلسى في كتابه « لمع القوانين الخسبية في دواوين الديار المصرية » ، « أن العادة في زمن المصريين (٣) اذا كان عيد أو موسم يهنأ فيه السلطان ، بعث قاضى القضاة رسوله يقف بباب السلطان الى أن يجىء صاحب ديوان الاحباس يهنئ ويروح ، فاذا أراح جاء غلام قاضى القضاة وأعلمه بمجىء المذكور وعوده ، فيركب حينئذ قاضى القضاة الى تهنئة السلطان « ويملك النابلسى ذلك بأنه كان « خوفا أن يتفق هو وصاحب ديوان الاحباس فيجلس صاحب الاحباس فوقه ، أو عن يسار السلطان ، وهو المنصب ، كل هذا لجلالة المشار اليه ، وأنه يساوى قاضى القضاة في العلم والدين والفقه والنزاهة والورع ، ويفضل عليه بأن جاريه ورزقه من تحت يده ، في الخطابة ، والحكم ، والتدريس ، وغير ذلك » (٤) .

(١) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٥ ، أما عبارة القلقشندى فتعمل نفس المعنى وإن كانت أكثر ايجازا . صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٩٠ ، أما ابن الفرات فقد أورد في تاريخه نفس عبارة المقرئى - تاريخ الدول والملوك المعروف بتاريخ ابن الفرات - نشر وتحقيق د. حسن محمد الشماغ (البصرة ١٩٦٧) المجلد الرابع ص ١٤٩ / ١٥٠

(٢) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٥

(٣) يقصد الفاطميين أنظر حاشية ١٨ ص ٢٨ من كتاب لمع القوانين نشر C. Cahen

(٤) النابلسى : لمع القوانين الخسبية ص ٢٨

وهكذا ظل لرئيس ديوان الاحباس مكانة مرموقة في الدولة الفاطمية حتى أوائل عصر الدولة الايوبية ، وبلغ من رقى هذا المنصب أنه لما ولى الاحباس الشيخ شهاب الدين الطوسي (١) ، لم تسعه الدنيا فرحا . مع ما كان عليه من العلم والمظمة في نفسه والجلالة عند السلطان « حتى أنه لما وصل الى البلاد : ونزل بالخانقاه ، وجاء وجوه العلماء اليه . وسلموا عليه وركب . أمر ركاب داره بأن يرفع العاشية (٢) على أطراف أصابعه . كما يصنع بين يدي الملوك ، ف قيل له في ذلك ، فقال : أنا ملك العلماء . كما أن الملوك ملوك الرعايا (٣) » .

أما عن الشروط التي كان يجب أن تتوافر في ناظر ديوان الاحباس في الدولة الايوبية ، فيذكر النابلسي أنه كان : « يحتاج الناظر فيه الى أن يكون عالما متقنا مفتيا في أنواع العلوم ، مشارك في الفضائل والادب . شريف الهمة ، عظيم المقدار ، في نفسه ، وعند سلطانه . وجها من وجود الدولة . فانه يحكم على العلماء ، والفقهاء ، والقراء ، والمحدثين ، والفضلاء ، والخطباء ، والمتصدرين (الذين يتصدروا لرواية الحديث) . والمدرسين ، وأئمة المساجد ، و وأن يكون من المشهورين بالدين : والعلم الكبير ، والنزاهة ، والعفاف ، وحس السمعة ، وأن يكون أهلا بما فيه من العلم لانه يعرف من يصلح للتدريس والتصدر ، والخطابة . والامامة ، وشروط ذلك ، بعيدا عن الهوى ، وقبول رشوة يفضح بها نفسه عند هذه الطائفة .. (٤) » .

ويمتاز ناظر ديوان الاحباس عن بقية نظائر الدواوين « بالاطلاق لمن يختار ما يختار من فدان في البلاد ، وعين من جميع الجهات ، ينفذ توقيعه

(١) هو أبو الفتح بن محمود نزيل مصر وشيخ الشافعية ت في ذي القعدة سنة ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠ م (م الذمبي : المبر في خبر من خبر - الجزء الرابع (تحقيق د - صلاح الدين النجد) - الكويت ١٩٦٣ - ص ٢٩٤)
(٢) العاشية هي قبة من اديم مخروزة بالذهب تحمل بين يدي السلطان أو الامير في المراكب - القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ص ٧
(٣) النابلسي : لمع القوانين ص ٢٧ . ويذكر الذمبي أن الطوسي كان يركب بالعاشية والسيوف المظلة وبين يديه من ينادي : هذا ملك العلماء ، المبر في خبر من خبر - ج ٤ ص ٢٩٤

(٤) النابلسي : المرجع السابق ص ٢٦

من غير اذن السلطان ، وبغير احاطة علمه ، وبغير خطه ... وأن العادة أن يستقل بالاطلاق ما شاء لمن شاء ، ويبقى ما يطلقه مؤبدا لمن أطلق له ولورثته من بعده (١) » .

ورغم هذه المكانة المرموقة فإنه يبدو أن الفساد الذى تطرق الى الدواوين فى عهد الملك الكامل الايوبى ، والذى أشار اليه النابلسى فى أكثر من موضع فى كتابه « لمع القوانين (٢) » ، كان قد ظهر بالفعل فى ديوان الاحباس ، اذ آل أمره « الى ما لم يخطر بالبال أو يؤول اليه ، فإنه تولاه جماعة من أطراف وجهال من أهل الريف كتشخص يقال له التجطهرى عامى من تجطهر ، وابن الجليس الذى ما برح ضامنا من جملة ضمان المكوس ، ما ألم أحد منهم بعلم (٣) » .

وفى العصر الايوبى أثر فى ديوان الاحباس على الاوقاف المختلفة التى وقفها السابقون ، وفقدت وثائق تحبيسها ، وجهات مصارفها لتطاول العهد بها ، وتولى الديوان الانفاق من ريعها على الجوامع والمساجد والسقايات ، وجوارى المتصدين لاقراء القرآن الكريم والعلوم الشريفة ، وغيرهم من الائمة والخطباء والمؤذنين والمبلغين ، وطلبة العلم ، وأرباب الصدقات والرواتب (٤) وكان من الطبيعى أن ينعكس الفساد الذى تطرق الى شخص متولى الاحباس على نظام الاحباس ذاته ، ومن مظاهر هذا الفساد أن تعرضت الاوقاف

(١) النابلسى : لمع القوانين ص ٢٦ .

(٢) قام النابلسى بتأليف كتابه « لمع القوانين الحضية فى دواوين الديار المصرية » ليطلع الملك الصالح ايوب على الفساد الذى تطرق الى الدواوين فى عهد والده الملك الكامل . انظر مقدمة الكتاب ، ورسالة الباحث عن الملك الصالح نجم الدين ايوب رسالة لم تنشر - ص ٥

(٣) التجطهرى غير معروف . انظر لمع القوانين حاشية ١٣ ص ٢٧ ، وابن الجليس أيضا غير معروف ، ولكن توجد أسرة بنو الجليس تتصل بالوزير ابن شكر - انظر ابن العميد (المكين جرجس) : أخبار الايوبيين (نشر C. Cahen) ص ١٢١

(٤) ابن ممتاى (الاسعد شرف الدين) : كتاب قوانين الدواوين - تحقيق ونشر عزيز سوريال عطية ص ٢٥٦ حاشية ٢

الاسلامية والذمية للاقطاع^(١) ، مقابل القيام بمصالح المسجد أو النجاء أو غيره من جهات البر ، أو فى مقابل عمل يؤدي للدولة « حتى لم يبق للجوامع والمساجد جهة يحصل منها ما يحتاج اليه فيها »^(٢) ، وكان أن استغل المقطعون الاحباس لصالحهم : وليس لصالح جهات البر ، فادت هذه السياسة الى خراب الاوقاف العقارية ، لعدم الاهتمام بمعمارتهما ، ذلك « أنها (الاحباس) لما صارت جهات لجوارى ورواتب ختى من تسلمها أن يطالع الديوان بما استهدم منها ، فيحتاط على أجرة عامرها ليصرفها فى مرمه مستهدمها »^(٣) ، كما بخل من تسلمها بالبصر عليها من ماله الخاص خشية أن تنقل لغيره ، فيضيع ما ينفقه من مال • ولم يقتصر الامر على ذلك ، فحتى أنقراض الاحباس التى خربت لم تسلم من النهب ، سواء نهبها واضع اليد عليها ، أم جيرانه ، وخاصة ما كان منها خارج العمران « فان الطوابين يزيلون آثارها ، ويطمسون معالمها »^(٤) •

أما متحصلات الوقف من الاراضى الزراعية . فكان استغلالها أيسر للمقطعين ، فان تظلم المزارعون ، قال المقطعون « هؤلاء يأخذون الخراج على أنهم يعمرن المساجد ، فيفوزون به لنفوسهم ، ونحن نستخدم بهذا القدر من يعمر المساجد ، وأن أفضل شيء دفعناه لهم » ، ومما أدى الى زيادة فساد الاحوال أن كلمة المقطعين كانت هى المسموعة ، فيقول ابن مماتي : « فلا يسمع أحد هذا الا أعان المقطعين على اتمامه »^(٥) •

أما أراضى الاوقاف التى لم تقطع ، وظلت فى أيدي المزارعين ، فلم تكن هى الاخرى خاضعة تماما لديوان الاحباس ، لان هؤلاء المزارعين لم يمكنوا موظفى الديوان من تحصيل درهم منهم برسم العمارة^(٦) •

(١) مثال ذلك ما يذكره المقرئ من أن السلطان ، تلك الشريف برسباي الدقماقي أخرج ناحيتي الاعلام والعنوشية وكاتتا من وقف السلطان الملك الناصر صلاح الدين على المدرسة القمحية ، وأنعم بها على مملوكين من مماليكه ليكونا اقطاعا لهما - المواقظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٤ ، أنظر ما يلى عن تدهور نظام الاوقاف •

(٢) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص ٣٥٦

(٣) نفس المرجع والصفحة •

(٤) نفس المرجع والصفحة •

(٥) نفس المرجع ص ٣٥٧

(٦) نفس المرجع والصفحة •

ومن مظاهر الفساد التي تطرقت الى الاحباس أيضا في العصر الايوبي تحكير الساحات التابعة لديوان الاحباس ، ويضرب ابن مماتي المثل على ذلك فيقول « ومن الحيف في الاحباس أن يحكر من الديوان مساحة لمدة خمسين سنة بخمسة وعشرين ديناراً ، فيعجل منها النصف ، ويقسط النصف للمدة ، ربع دينار في السنة ، وتعمر تلك الساحة قيسارية أو غيرها ، فتكون أجرتها في الشهر خمسة وعشرين ديناراً ، ولو كان الديوان عمرها من ماله لتضاعف ارتفاعه »^(١) .

واستغل ديوان الاحباس ما يدفع له مقدماً — كما في المثال السابق — في تسديد الرواتب المتأخرة لعدد ماضية ، وبذلك لا يجد الديوان من الاموال ما يكفي لعمارة الاوقاف ، وبدلاً من ترميمها يقوم انديوان ببيع أنقاضها^(٢) .

ويرى ابن مماتي الذي كان رئيس ديوان الجيش ، وناظر الدواوين زمن صلاح الدين وابنه العزيز عثمان ، أنه ليس من سبيل الى الإصلاح « الا أن يكشف عن أمر الجوامع والمساجد والاحباس ، ويحقق ما يحتاجه برسم العمارة فيطلق من بيت المال ، ويمسك عن استئناف التحكير ، ويتولى الديوان عمارة ما رغب الاجانب في عمارته ، فيوفر ما يحصل على العمارة ، فما تمضي مدة حتى يجبر مضاعه ، ويحسن أوضاعه »^(٣) .

انتشار الاوقاف في مصر في عصرى الفاطميين والايوبيين :

ومع بداية حكم الفاطميين لمصر تجددت فكرة ملكية الدولة لاراضي مصر الزراعية ، وارتفع رأى ينادى بأن الخلفاء الفاطميين يملكون أرض مصر ، أو غالبيتها على الاقل . وتبعاً لذلك عاد منع وقف الاراضي الزراعية ، وهو الامر الذي يؤيده قول المقرئزي : « فلما قدمت الدولة الفاطمية من الغرب الى مصر :

(١) العكر هو الاولوية في الاجارة لصاحب البناء أو الفراس في أرض الوقف أو لاراضي بيت المال . ابن مماتي : قوانين الدواوين ص ٣٥٧ . محمد ابو زهرة - العكر ص ٩٤ ، ٩٥

(٢) ابن مماتي : قوانين الدواوين ص ٣٥٧

(٣) نفس المرجع والمصنعة .

بطل تحبيس البلاد ، وصار قاضى القضاة يتولى امر الاحباس من الرباع واليه امر الجوامع والمشاهد . وصار للاحباس ديوان مفرد (١) » .

وفى ضوء هذه الحقيقة يمكن تفسير التنظيمات الفاطمية للاحباس . اد امر الخليفة المعز لدين الله بحمل الاموال المتحصلة من الممتلكات الموقوفة الى بيت المال . وبالتالي أصبحت أموال الاحباس من مصادر مالية مصر فى عصر الفاطميين . تبعا للاعتقاد السائد بأن اراضى مصر ملك للدولة .

كذلك يمكن اعتبار أوقاف الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٢) للصرف منها على المساجد وغيرها من المؤسسات الخيرية نوعا من الارصاد لضمان استمرار الصرف على هذه المساجد والمؤسسات الخيرية . التى لم يكن لها مورد للصرف منه . كذلك كان شأن أوقاف الوزير الفاطمى الصالح طلائع بن رزيق (ت ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م) ، والتى تشمل بركة الحبش (٣) . وبلقس وكفرها كوم الهوى (٤) : والتى أوقفها على الاشراف الاقارب الحسينيين : والاشراف الطالبين : وأشراف المدينة النبوية . وبنى معصوم امام مشهد على رضى الله عنه (٥) ، وكانت هى الاخرى بمثابة الارصاد للصرف على هؤلاء الاشراف .

ويؤيد هذا رأى أنه لما قام الوزير الفاضلى أمير الجيوش بدر الدين الجمالى وزير المستنصر بحبس بعض الاراضى الزراعية . على اولاده . بالبرين

(١) المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٥ . انظر ما سبق ص ٥٢

(٢) انظر ما سبق ص ٥٤

(٣) من المعروف أن بركة الحبش كانت وقتنا منذ سنة ٣١٨ هـ - انظر ما سبق . ويدل اعادة وقفها فى العصر الفاطمى على أن الفاطميين اعتبروا اراضى مصر ملكا للدولة . انظر ابن دماق : الانتصار ق ١ ص ٥٦ ، المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ١٥٢

(٤) ابن دماق : المرجع السابق ق ١ ص ٤٥ ، المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٩٤ ، ابن الجيمان (شرف الدين يحيى علم الدين شاعر) : التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية - نشر مورتيز (ط - بولاق) ص ٦ . محمد رمزى القاوس الجغرافى ج ١ ق ٢ ص ٥٥

(٥) المقرئى: المرجع السابق ج ٢ ص ٢٩٤. ١٥٢. وانظر وثيقة وقف طلائع بن رزيق بدار الوثائق القومية بالقاهرة (مجموعة المحكمات الشرعية) رقم ١/١ والتى نشرها : Cahen, Ragib et Taher : L'Acte et le Waqf, un grand domaine égyptien, par le vizir fatimide Talal B. Ruzik., Annales Islamologiques, t. XIX, 1978 pp. 12 - 126

الشرقي والغربي . وتشمل بالبر الشرقي بهبيت والاميرية ، والمنية ، وبالبر الغربي سقط ونهيا وغير ذلك من حقوق النواحي « أفتى الفقهاء بأن الحبس باطل ، وصار مالها يحمل الى بيت المال . فينفق في مصالح المسلمين^(١) » ، كما أنه لم تذكر أى من المصادر والمراجع المتداولة أوقافا في الاراضى الزراعية في العصر الفاطمي غير ما ذكر ، بينما يرد ذكر وقف الدور والحمامات والقياسر ، مثل حمام الرصاص ، وقيسارية ابن ابي أسامة وغيرها^(٢) .

وما أن جاء صلاح الدين الايوبي الى حكم مصر حتى عمد الى وقف أراضى من بيت المال على مختلف المؤسسات الدينية والخيرية ، وهى الاوقاف التى كانت بمثابة الارصاد ، وانما ذكرت أنها أوقاف من باب التجاوز ، ولم يأت صلاح الدين فى ذلك بجديد فقد سبقه الى ذلك فى مصر الحاكم بأمر الله — الخليفة الفاطمي — والصالح طلائع بن رزيك — الوزير الفاطمي — ولكن يبدو أن صلاح الدين أخذ ذلك النظام عن نور الدين ، وليس عن الفاطميين ، فيذكر مؤلف كتاب « عطية الرحمن » أن أول من وقف أراضى بيت المال على التكايا والمساجد وغيرها « السلطان نور الدين الشهيد » ولم يقع ذلك لاحد قبله من السلاطين . ولما أراد ذلك استفتى الامام ابن أبى عصرون^(٣) ، فأفتاه بالجواز ، ووافقه على ذلك جماعة من المذاهب الاربعة ، ولم يقصد ابن أبى عصرون ومن وافقه أنه وقف حقيقى ، اذ لا يصح الوقف من غير المالك ، وانما رأى ذلك « ارصادا وافرازا لبعض مال بيت المال » . ثم يستطرد

(١) انظر ما جاء من الحبس الجيوشى فى كتاب قوانين الدواوين لابن مائى ص ٣٣٦ ب ٣٣٩ ، ومن المعروف أن الحبس الجيوشى كان من ضمن مخصصات ديوان الاسطول فى عهد صلاح الدين — المقرئى : السلوك ج ١ ص ٧٣ ، ١٠٧ ، المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٢٩ ، ١٩٤ ، ٣٧١

(٢) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٨٢ ، ٨٦ ، السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٨٤

(٣) هو القاضي شرف الدين أبو سعد عبد الله بن أبى عصرون (عبد الله بن محمد ابن ميه الله بن المطهر بن علي أبو سعد بن أبى السرى التميمي الموصل) كان اماما فاضلا مصنفًا ، وكان خصيصا بالملك العادل نور الدين ، ثم استقضاء صلاح الدين وولى القضاء بمدة بلاد ، وتوفى سنة ٥٨٥ هـ ١١٩٠ م ابن تفرى بردى : النجوم ج ٦ ص ١٠٩ ، ١١٠ ، المقرئى : السلوك ج ١ ص ٦٢ ، ٦٣ ، ١٠٣

المؤلف ليقول « ثم هذا حذوه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فوقف كثيرا من أراضى بيت المال على الفقهاء بمدارسه بمصر والشام والقدس ، وعلى الصوفية المعروفة بسعيد السعداء ، وتابعهما على ذلك بقية الملوك^(١) . ويؤيد ذلك الرأي ما ورد في المصادر التاريخية عن كثرة الاوقاف التي أوقفها السلطان صلاح الدين ، وبقية أفراد أسرته ، من ذلك أنه أوقف بجميع الموارد المالية المتحصلة من مدينة بلبليس لفك أسر بعض سكان هذه المدينة الذين أسرهم الصليبيون في حملتهم على مصر سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م ، وظل هذا الوقف يؤدي الغرض منه لمدة أربعين سنة ، حتى تم فك أسر جميع من أسر من بلبليس^(٢) ، كما أوقف على الأرامل والايتام قرية نسترو^(٣) ، وعندما جعل صلاح الدين من دار سعيد السعداء خانكاه للصوفية^(٤) أوقف عليها كثيرا من الاوقاف مثل بستان الجبانية بجوار بركل الفيل^(٥) ، وقيسارية الشراب^(٦) ، وناحية دهمرو باقليم البهنساوية^(٧) وحمام الصوفية^(٨) ، وكذلك أوقف صلاح الدين ثلث ناحية سنديبيس من القليوبية ، وبلدة نقاده من

(١) ابن الصفتى (الشيخ عيسى) : عطية الرحمن في صحة ارساد الجوامك والاطيان (ط القاهرة) ص ٢١ ، ٢٢ ، أنظر أيضا ابن قاضي شهاب (بدر الدين أبو الفضل محمد بن تقي الدين) : الكواكب الدرية في السيرة النورية - تحقيق محمود زايد (بيروت ١٩٧١) ص ٣٧ ، ٣٨ ، ١٦٨ ، وأنظر ما يلي بالفصل الثاني حيث تنص وثائق العصر المملوكي صراحة على الوقف من بيت المال .

(٢) ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن) : تاريخ الدول والملوك (نشر د. الشماخ) المجلد الرابع ص ٢٣ ، Rabie : op. cit. p. 10.

(٣) تقع بين بحيرة البرلس والبحر المتوسط . وتشتهر بصيد السمك ، ويقال أنه كان يجلب من مصايدها ١٧٥٠٠ دينار - ابن دقماق : الانتصار ق ١ ص ١١٣

(٤) وهي أول خانكاه للصوفية بمصر أوقفها صلاح الدين على الفقراء الصوفية الوافدين من البلاد الاسلامية في سنة ٥٦٥ هـ او في سنة ٥٦٩ هـ أنظر ابن دقماق : الانتصار ق ٢ ص ٨ ، المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤١٥ ، السيوطي : حسن المعاصرة ج ٢ ص ١٨٧ ، فؤاد فرج : القاهرة ج ٣ ص ٤٤٨

(٥) المقرئى المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤١٥

(٦) نفس المرجع ج ٢ ص ٨٦ ، ٤١٥

(٧) ابن دقماق : الانتصار ق ٢ ص ٨ ، ابن ممتي : قوانين الدواوين ص ١٤٠ ، المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٤١٥

(٨) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٨٥

عمل قوص ، على اربعة وعشرين خادما لخدمة الضريح النبوي الشريف وذلك في ١٨ ربيع الآخر سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م (١) .

كذلك أنشأ صلاح الدين عدة مدارس بمصر وهي المدرسة الناصرية للشافعية (٢) ، وأوقف عليها حتى الصاغة واحدى القرى (٣) ، ثم المدرسة القمحية للمالكية ، وأوقف عليها قيسارية الوراقين وقرىتي انحبوشية والاعلام باقليم الفيوم (٤) ، ثم المدرسة السيوفية للحنفية ، وأوقف عليهم اثنين وثلاثين حانوتا بخط سويقة أمير الجيوش ، وباب الفتوح وحارة برجوان (٥) . وفي سنة ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م أمر صلاح الدين بتشييد مدرسة ثانية للشافعية بجوار قبة الامام الشافعي ، وأوقف عليها حماما وفرننا وحوانيت ونجيرة الفيل (٦) .

وبينما تذكر المصادر التاريخية هذه الاوقاف على المدارس نجد أنها عندما تشير الى المارستانات الايوبية الثلاثة تعتبر ما يصرف عليها ارسادا وليس أوقافا ، فيذكر المقرئى نقلًا عن متجددات القاضي الفاضل أنه في سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨٢ م أمر صلاح الدين بفتح المارستان الصالحى فى القصر الفاطمى الكبير للمرضى والضعفاء ، وأفرد برسمه من أجرة الرباع الديوانية ماثنى دينار كل شهر ، وغلات من الفيوم (٧) . وعندما أمر صلاح الدين باعادة فتح مارستان القسطنط

(١) ابن دقماق : المرجع السابق ق ٢ ص ٤٩ ، ابن اياس (محمد بن احمد الحنفى) يدائع الزهور فى وقائع الدهور (ط . بولاق) ج ١ ص ٧٢ ، ويذكر المقرئى أن هذا الوقف استمر الى أيامه السلوك ج ١ ص ٥٧

(٢) أنشئت سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م ، وعرفت أيضا بمدرسة ابن زين التجار ابن تفرى بردى : النجوم ج ٦ ص ٥٦ ، الذهبى : المعبر فى خبر من خبر ج ٤ ص ٢٦٢ (٣) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٣ ، ٣٦٤

(٤) بدئى فى انشائها سنة ٥٦٦ هـ المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٤ ، ابن دقماق : الانتصار ق ١ ص ٩٤ ، النابلسى : تاريخ الفيوم وبلاده ص ٥٩ ، محمد رمزى : القاموس الجرافى ق ٢ ج ٣ ص ٧٢ ، ٩٤

(٥) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٦٥ ، ٣٦٦

(٦) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٦٣ ، ابن تفرى بردى : النجوم ج ٦ ص ٧٩

(٧) العنبلى : شفاء القلوب (مخطوطة بجامعة القاهرة) ورقة ٢٤ ب ، المقرئى : السلوك ج ١ ص ٧٦ ، المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٠٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب (نشر د . الشيال) ج ٢ ص ٥٥ ، Cahen (C.) : Le Régime des Impots dans le Fayyüm Ayyiibide, Arabica, III. 1956 p. 25.

القديم ألفرد برسمه من متحصلات ديوان الاحباس ما تقدير ارتفاعه عشرون دينارا يوميا^(١) ، وكذلك الحال في المارستان السكندري^(٢) .

كذلك من قبيل الارصاد أيضا ما يذكره المقریزی من أن صلاح الدين في سنة ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م « وقف صادر الفرنج على الفقهاء بالاسكندرية »^(٣) وهو شيء « وظفه السلطان على تجار النصارى اذا صدروا من الاسكندرية — زائدا على العشر — رتبة لفقهاء الثغر دنابر تحرف في كل شهر ، وجعل له ناظرًا يوشهودا ، وأوقفه عليهم وعلى ذريتهم »^(٤) .

ونحن نرى أن هذا الخلط بين الافراد أو الارصاد — حتى ولو كان من ديوان الاحباس — وبين الاوقاف ، انما ينم عن حقيقة مؤكدة . وهى أن هذه الاوقاف جميعا لم تكن الا ارصادا بدليل أن ديوان الاحباس تولى الانفاق على هذه البيمارستانات دون أن تكون لها أوقاف محددة ، وهذا يشبه الى حد كبير ما تم في العصر الفاطمى من تولى ديوان الاحباس الانفاق على وجوه البر والمنشآت الدينية ، مع زيادة الاعيان الموقوفة لزيادة إيرادات هذا الديوان^(٥) .

ولم تقتصر أوقاف صلاح الدين على المنشآت الخيرية والدينية ، فقد

(١) المقریزی : المواقف والاعتبار ج ١ ص ٤٠٧ ، ابن تفری بردى : النجوم ج ٦ ص ٧٩ ،
Rabie : op. cit. p. 12.

(٢) ابن جبير : الرحلة (نشر بيروت ١٩٦٤) ص ٢٦ ، د. عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامى (كتاب معانلة الاسكندرية ١٩٦٣) ص ٢٩٣ ،
Wiet (G.) : Cairo. p. 55.

(٣) من الشروط المستبرة في الوقف أن يكون من مالك ، وأن يكون الموقوف مينا يصح بيعها ، وهذا ما يتعارض مع وقف صادر الفرنج . ويمكن القول أن لفظ وقف هنا فيه تجاوز كبير والمقصود به نوع من الارصاد والتخصيص — انظر : الشيباني : نيل المارب ج ٢ ص ٢ — وفي السلوك ج ١ ص ٦٣ حاشية ٥ — ولعل المقصود بذلك الضريبة التي كانت تفرض على تجار الفرنج الواصلين بالتاجر من بلادهم الى ثغر الاسكندرية وكان مقدارها زمن القلقشندي أى في القرن الثامن الهجرى خمس قيمة البضائع التي يحملونها — القلقشندي : صبح الامشى ج ٣ ص ٤٦٣ ، ج ١١ ص ٤١٦ ، المقریزی : السلوك ج ١ ص ٦٣

(٤) ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ص ٩٦ .
الشبال : اعلام الاسكندرية ص ١٢٠ ، تاريخ مدينة الاسكندرية ص ٧٧ .
(٥) انظر ما سبق ص ٥٢ وما بعدها .

أوقف صلاح الدين بعض الممتلكات ليستفيد منها جماعة من المعاصرين له ، ثم أولادهم من بعدهم ، دون أن ينتموا اليه بقراءة أو نسب ، يدل على ذلك منشور كتبه القاضي الفاضل - وزير صلاح الدين - وهو محفوظ ضمن رسائل القاضي الفاضل التي لم تنشر بعد ، وفيه وقف صلاح الدين كفرا على فقيه يعرف بالشبراوى ، وأثبت صلاح الدين في هذا المنشور ، أنه حبس هذا الوقف على الشبراوى ، وعلى سلالة من بعده ، وحذر صلاح الدين أى شخص أن يقف في وجه مستحقى هذا الوقف ، غذكر في المنشور « ولا ليد الديوان أن تعارضه في وقفها ، ولا لالسنة المستخدمين أن تناقضه في وصفها ولا لخواطر المتأولين أن تراجمه في كشفها » ، ولا يوجد في المراجع المتداولة ما يدل على شخصية الشبراوى ، أو سبب وقف السلطان هذا الكفر عليه (١) .

ويبدو لنا أن صلاح الدين أراد أن يكافئ هذا الفقيه على عمل اداه له أو لدولته . أو أن صلاح الدين أعجب به لسبب أو آخر (٢) : أما احتمال أن يكون هذا الوقف على ذلك الفقيه وأسرته قرابة الى الله تعالى . فأننا نرى أنه لو أراد صلاح الدين أن يقترب بهذا الوقف الى الله - سبحانه وتعالى - لجعل وقفه ابتداء وانتهاء على الفقراء والمساكين (٣) ، أما كون صلاح الدين جعل هذا الوقف ابتداء على الفقيه الشبراوى وعلى ذريته من بعده ، وبعد انقراضهم يؤول ريع الوقف الى أحد وجوه البر ، فهذا يعنى أن صلاح الدين أراد أن يكون هذا الوقف بمثابة المكافأة أو تجاوزا بمثابة معاش لهذا الفقيه وسلالة من بعده .

ويتلق هذا الاستنتاج مع الحكم العمام الذى يمكن أن نطلقه بصفة عامة على أوقاف صلاح الدين ، وهو القول بأن صلاح الدين اتخذ من نظام

Habie : op. cit. p. 16.

(١) يذكر ابن شداد (بهاء الدين) فى كتابه : النواذر السلطانية والمعاصر اليوسفية (تحقيق د. الشيال ١٩٦٤) ص ٩ أن صلاح الدين قد اجتاز على صغير بين يدي أبيه وهو يقرأ القرآن ، فاستحسن قراءته ، فقربه ، وجعل له حظا من خاص طعامه . ووقف عليه وعلى أبيه جزءا من مزرعة . فلعل الفقيه الشبراوى والد هذا الطفل (٣) أنظر ما سبق عن الوقف الخيري .

الأوقاف سبيلا لتدعيم حكمه السياسى . بعد أن قضى على حكم الفاطميين الشيعة وأعاد مصر الى حظيرة المذهب السنى . وكان هدف صلاح الدين الاساسى من انشاء المدارس فى مصر هو تدعيم المذاهب السنية ونشرها فى مصر ، والبعد عن المذهب الشيعى^(١) . ووجد صلاح الدين أن الوقف على هذه المدارس وعلى عمارتها : وفقائها ، وطلبة العلم بها ، فيه ضمان لاستمرار هذه المدارس فى أداء رسالتها ، وتحقيق الهدف من انشائها^(٢) : ولتحقيق نفس الهدف جعل صلاح الدين دار سعيد السعداء خانكاه للصوفية ، وفتح أبواب مصر للوافدين من الفقراء الصوفية^(٣) .

وإذا حاولنا تتبع أسباب كل وقف أمر به السلطان صلاح الدين لوجدنا أن غالبية أوقافه تخدم نفس الاتجاه : وأعنى تدعيم حكمه السياسى من ناحية وخدمة المذهب السنى والقضاء على المذهب الشيعى من ناحية أخرى . بل أن الوقف الذى أوقفه على أربعة وعشرين خادما لخدمة الضريح النبوى الشريف كان يخدم نفس الهدف ، إذ وجد صلاح الدين أن بنى الحسن الذين تغلبوا على الحجاز يجهرون عند الأذان بقولهم « حى على خير العمل » وهو شعار مذهب الشيعة ، فعمل على استمالتهم : وأغدق عليهم الاموال والهدايا . حتى سمحوا له أن يجعل على المدينة الشريفة جماعة من قبله : فقرر بها الخدام ، وجعل عليهم شيخا من الخدام ، وهو « بدر الدين الاسدى »^(٤) ومن البديهى أن صلاح الدين انما فعل ذلك ليتبع هؤلاء الخدام فى الضريح النبوى الشريف تعاليم المذهب السنى . ومثل ذلك يقال عندما وقف صلاح الدين متحصلات مدينة بلبيس لملك أسرى المدينة الذين أسرههم الصليبيون سنة ٥٦٤ هـ فمن الواضح أنه فعل ذلك تدعيما لحكمه السياسى ، خاصة وأن

Wiet : Cairo. p. 53. 54.

(١) د. عاشور : الناصر صلاح الدين ص ٩٢ . ٩٤ . د. الشبال : مصر الاسلامية ج ٢ ص ٢٧ . ٥١ . ٥٢

(٢) د. عاشور : السيد احمد البدوى شيخ وطريقة ص ٣٤ . د. عل صافى حسين : الادب الصوفى فى مصر فى القرن ٧ هـ ص ٢٩ . ٣٠ . د. ربيع (حنين محمد) النظم المسالية فى مصر زمن الايوبيين ص ٧٤

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور (ط . بولاق) ج ١ ص ٧٢

هؤلاء الاسرى وقموا في قبضة الصليبيين ابان الصراع بين جيش نور الدين والصليبيين على انتزاع مصر (١) .

هذا كله بالاضافة الى أن هذه الممتلكات التي أوقفها صلاح الدين لم تكن ملكا حرا له ، فمن المعروف أنه عند قيام الدولة الايوبية لم يكن لصلاح الدين مال خاص ، بل كان في حاجة ماسة للمال لتثبيت أقدامه ، وأن هذه الممتلكات التي أوقفها كانت من أملاك بيت المال ، أو من أملاك الخلفاء والامراء والوزراء الفاطميين السابقين ، والمفروض أن تؤول الى بيت المال ، لأن مصدرها بيت المال (٢) ، ويؤيد ذلك ما ذكره المقرئى عن مدرسة منازل العز فيقول : « هذه المدرسة كانت من دور الخلفاء الفاطميين بنتها أم الخليفة العزيز بالله بن المعز وعرفت بمنازل العز ٥٥٠ فلما زالت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف أنزل في منازل العز الملك المظفر تقي الدين عمر ابن شاهنشاه بن أيوب ، فسكنها مدة ثم أنه اشتراها والحمام والاصطبل المجاور لها من بيت المال سنة ست وستين وخمسمائة » (٣) ، كذلك كانت الصاغة التي أوقفها صلاح الدين على المدرسة الناصرية ، كانت من أملاك

(١) انظر ما سبق ص ٦٢

(٢) مثال ذلك دار سميد السعداء التي كانت لاحد عتقاء الخليفة المستنصر الفاطمي ، ثم سكنها كل من الوزير الصالح طلائع ابن رزيك ، ثم شاور . انظر : المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٤١٥ ، ابن قاضي شهاب : الكواكب الدرية ص ١٩٤ ، ٢٠٢ . ومن ذلك أيضا تحويل صلاح الدين دار المونة ودار الغزل في القسطنطين الى مدارس للشافعية انظر : د . عاشور : الناصر صلاح الدين ص ٩٧ ، أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ٥٠ ، ومن ذلك أيضا حمام الجبوش الذي كان من حقوق دار المظفر ابن أمير الجيوش ثم صارت بعد زوال الدولة الفاطمية من جملة ما أوقفه الملك المادل أبو بكر بن أيوب على رباطه بغط النخالين . انظر : المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٨٢ ، كذلك المدرسة التي أنشأها صلاح الدين للحنفية كانت دار العباس الوزير المبيدى انظر : ابن تفرى بردى : النجوم ج ٦ ص ٥٥ ، السيوطي . حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٨٥ ، غنية (محمد عبد الرحيم) : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ص ٨٥ . انظر أيضا ما جاء بهذا الخصوص تفصيلا في تاريخ ابن الفرات المجلد الرابع (نشر الشام) ص ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ : (Lane — Poole (S.) — Saladin, pp. III — 115

(٣) المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٤ ، أبو الفدا : المختصر ج ٣

ص ٥٠

الخليفة الفاطمي العزيز بالله^(١) . أما البيمارستان الذي أنشأه صلاح الدين بالقاهرة فتد كان في بعض قاعات قصور الفاطميين^(٢) .

وكان من الطبيعي أن يحذو المعاصرون لملاح الدين ورجال دولته وأفراد أسرته حذوه في الأوقاف ، وأن يستلهموا مصارف أوقافهم من ظروف العصر الذي يعيشون فيه . والتي تمثلت في الجهاد ضد الصليبيين ، وفي إنشاء المدارس السنية ، ومن أهم وأشهر هذه الأوقاف دار التمر التي أوقفها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني على « فكك الاسرى من المسلمين ببلاد الفرنج » ونقل المقرئ عن ابن المتوج وحف هذه الدار فقال انها تشتمل « على مخازن وأخصاص وشون ، ومنازل علوية ، وحوليت بمجازرها وظاهرها ، وهي اثني عشر حانوتا ، وخمسة مقاعد ، وثمانية وخمسون مخزنا ، وخمسة عشر خسا ، وست قاعات : وساحة ، وست شون . وخمسة وسبعون منزلا ، وخمسة مقاعد علوية ، الاجرة عن ذلك جميعه الى آخر شعبان سنة ٦٨٩ هـ في كل شهر ١١٣٦ درهما نقرة »^(٣) .

كذلك أنشأ معاصرو صلاح الدين وخلفاؤه الكثير من المدارس السنية . وأوقفوها . وأوقفوا عليها الكثير من العقارات والاراضي لاستمرار الصرف عليها . ومن هؤلاء الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه الذي أنشأ مدرسة منازل العز وأوقفها على الفقهاء الشافعية ، وأوقف عليها حمام الذهب ، وفندق النخلة ، وجزيرة الروضة . فضلا عن مدرستين احدهما للشافعية والاخرى للمالكية بالفيوم^(٤) . ومن الامراء الامير قطب الدين خسرو - أحد أمراء السلطان صلاح الدين - الذي أنشأ المدرسة القطبية سنة ٥٧٠ هـ ووقفها على الفقهاء الشافعية^(٥) .

(١) المقرئ : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٦٢ ، ٣٦٤

(٢) أبو شامة : الروضتين ج ١ ص ٢٦٨ ، ابن جبير : الرحلة ص ٢٦

القلقشندي : صبح الاعمى ج ١١ ص ٢٦٨

(٣) المقرئ : المواقظ والاعتبار ج ٢ ص ٧٨ ، ٧٩ ، ابن دقماق : الانتماء

ق ١ ص ١٢ ، أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٢٤١ ، د ربيع : النظم المالية ص ١٨

(٤) المقرئ : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٦٤ ، ٣٦٥

(٥) نفس المرجع ج ٢ ص ٣٦٥

الفصل الثاني

ازدهار الأوقاف وتنظيمها في العصر المملوكي

— أسباب ازدهار الأوقاف في العصر المملوكي — الظروف السياسية —
التودد إلى الشعب — تحصين الأموال ضد المصادرات — الشعور
الديني — الظروف الاقتصادية — إعفاء الأوقاف من الخراج
والضرائب — التهرب من ديوان الموارث الحشرية — المنافسة بين
السلطين والأمراء — تشجيع السلطين للأمراء على الوقف — الوقف
من أملاك بيت المال — الإحساس بدنو أجل الدولة •

— طبيعة الأوقاف في العصر المملوكي — رأى الفقهاء في وقف المنقول —
التوسعة في الأوقاف — وقف العبيد — أهمية الأوقاف وقت انتشار
الأوبئة — ازدياد الأوقاف على الحرمين •

— تنظيم الأوقاف في مصر في العصر المملوكي — ديوان الإحباس الذي
ينظر في الرزق بأنواعها — الأوقاف الخيرية أو الأوقاف الحكومية —
الأوقاف الأهلية — استدارية الأملاك والأوقاف السلطانية — إلغاء
وظيفة نظر الأوقاف — محاولات قضاة القضاة الحنفية النظر في
الأوقاف الحكومية •

— اهتمام سلطين المالِك بالأوقاف — رد الأوقاف إلى مستحقيها —
العمل بشرط الواقف — مراجعة حسابات الأوقاف — النوصية في
التواقيع بالأوقاف •

الأوقاف في العصر المملوكي :

شهد العصر المملوكي تطورا كبيرا وازدهارا لمختلف الانظمة والانشطة التي وضع أساسها في العصر الايوبي . ومن جملتها نظام الوقف . والمعروف أن العصر الايوبي في مصر يمثل مرحلة انتقال بين العصر الفاطمي بنظامه المرتبطة بالمذهب الشيعي من ناحية ، وبين العصر المملوكي بنظامه الموروثة عن الدولة الايوبية السنية من ناحية أخرى . ومن الطبيعي أن يتأثر نظام الوقف بهذا التحول الكبير . وخاصة وأنه نظام متشعب ومرتبطة بمختلف مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية .

حقيقة أنه عندما قامت دولة المماليك في مصر . في منتصف القرن السابع للهجرة — الثالث عشر للميلاد — كان نظام الوقف نظاما راسخا متغلغلا في المجتمع . تمتد جذوره العميقة الى بداية دخول العرب المسلمين مصر^(١) . ولكن ما شهدته مصر من تطورات في العصر المملوكي وخاصة في الاتجاهات السياسية ونظم الحكم ، والاتجاهات الدينية . والاقتصادية . والثقافية ، وما أحاط بكل من هذه الاتجاهات من ظروف خاصة انعكست آثارها على نظام الوقف ، وأعطته صورة مغايرة الى درجة كبيرة لما كان عليه قبيل العصر المملوكي . وفي نفس الوقت ساعدت على انتشار الوقف وازدهاره ، حتى أنه ليحق لنا أن نقول أن عصر سلاطين المماليك في مصر يمثل العصر الذهبي لنظام الأوقاف ، فكل من كان لديه أرضا أو عقارا أو مالا ثابتا أو منقولا في ذلك العصر كان يتطلع لوقفه بسبب أو لآخر ، أما وقفنا خيريا أو أهليا ، «لأن الظروف ، بل طبيعة العصر كانت تحتم هذا الاتجاه»^(٢) .

أما أسباب انتشار الأوقاف في مصر وازدهارها في عصر سلاطين المماليك فترجع الى جوانب متعددة — سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وثقافية — تبدو في حياة ذلك العصر ، وقد أثرت هذه الجوانب في نظام الوقف ، وعملت على تدعيمه وازدهاره ، كما تأثرت هي نفسها بنظام الوقف .

(١) أنظر ما جاء بالفصل الاول .

(٢) د . عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر الغوري (رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة — ١٩٥٦) ص ١٢٣

ويتمثل أثر الجانب السياسي في ازدهار الوقف في علاقة الحكام بالمحكومين ، وفي العلاقات الداخلية بين أفراد الطبقة الحاكمة ذاتها^(١) . ذلك أن سلاطين المماليك لم يصلوا إلى حكم البلاد عن طريق شرعي . حسب مفهوم العصر ، وإنما كان المماليك أغرابا عن البلاد وأهلها ، مفتصبين للحكم والعرش من أصحابه الشرعيين^(٢) ، وهم بنو أيوب . وظلت هذه الحقيقة ماثلة للعيان في مفهوم كل من الحكام والمحكومين ، طوال ذلك العصر ، مما جعلها تعكس صورتها على كثير من الاتجاهات والنظم ، ومنها نظام الوقف ، وكان أن اتخذ سلاطين المماليك من نظام الوقف — شأنهم في ذلك شأن أسادتهم الأيوبيين — وسيلة لتدعيم حكمهم^(٣) ، والتوحد إلى الشعب المصري لينفض الطرف عن مساوئهم ، ويكف عن البحث في أصلهم ومدى أحقيتهم بالعرش ، وهكذا أكثر سلاطين المماليك من وقف الاراضي والعقارات سواء كانت من أملاكهم الخاصة ، أو من أملاك بيت المال ، على ما نسميه في العصر الحديث ، بالمرافق العامة ، أو الخدمات العامة ، التي تقدم للشعب خدمات مباشرة ، مثل تسهيل الماء العذب — سواء المخصص منها للإنسان أو الدواب — والخدمات التعليمية بمراحلها المختلفة ابتداء من المكاتب الخاصة بتعليم الأطفال حتى المدارس الخاصة بالتعليم العالي والتي تمنح إجازات الفتيا والتدريس ، والبيمارستانات لعلاج المرضى ، وتكفين ودفن الموتى الفقراء ، وإطعام الفقراء .. الخ^(٤) ، كذلك كثرت الاوقاف على مشايخ الصوفية من ذوى النفوذ الشعبي^(٥) ، واعتبر سلاطين المماليك هذه الاوقاف منه على الشعب ، وقربة يتقربون بها إلى الله تعالى ، بالرغم من أن معظم هذه الاوقاف كانت من بيت المال^(٦) .

(١) د . عاشور (سعيد عبد الفتاح) : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك (ط ٠ القاهرة ١٩٦٢) ص ١١ وما بعدها .

(٢) د . عاشور (سعيد عبد الفتاح) : العصر المماليكي في مصر والشام (ط ٠ القاهرة ١٩٦٥) ص ٣٣٦ ، مصر في عصر دولة المماليك البحرية (ط ٠ القاهرة ١٩٥٩) ص ٢١ وما بعدها .

(٣) أنظر ما سبق بالفصل الأول من أوقاف مصر في العصر الأيوبي .

(٤) أنظر ما يلي في الفصول التالية .

(٥) د . عبد اللطيف إبراهيم : دراسات تاريخية ص ١٢٧ .

(٦) أنظر ما يلي على الوقف من بيت المال ص ٩٥ .

يضاف الى هذا كله حقيقة أخرى . تتمثل في الطريقة التي كان يصل بها السلطان الى العرش ، اذ من المعروف أن المالك لم يحترموا نظام الوراثة أو ولاية العهد الا في احوال قليلة نادرة . كما حدث في أسرة قلاوون ، وفيما عدا ذلك فان معظم سلاطين المالك من الامراء الذين مكنتهم قوتهم وشخصيتهم ، وكثرة ممالكهم من التفوق على اقربائهم . والثوب الى منصب السلطنة^(١) . وهذا السبب ذاته . أعنى تطلع كبار الامراء الى منصب السلطنة ، هو المسئول عن كثرة الفتن والاضطرابات والمصادرات التي امتاز بها عصر سلاطين المالك . غاية وشاية ضد أحد الامراء ، أو أى شك فيه كفيلا باثارة الفتن ، فضلا عن المصادرات المالية ، لمن يعتقد السلطان أنهم خرجوا عن طاعته^(٢) ، وفي كثير من الاحيان يصادر السلطان الجديد رجال السلطان الراحل وحاشيته . وقد يصادر ورثة سلفه أيضا^(٣) .

ولذا وجد سلاطين المالك ورجال دولتهم في نظام الوقف غايتهم المنشودة لحماية أملاكهم وتأمين أموالهم من المصادرات . وبذلك يضمنون موردا اقتصاديا ثابتا من ريعها الوافر لانفسهم ولاولادهم من بعدهم ، مهما تقبنت بهم الايام^(٤) .

وقد أدى ذلك في عصر سلاطين المالك الى انتشار نظام وقف يمكن أن نعتبره مزيجا من الوقف الخيري والوقف الاهلي ، فالوقف الخيري يكون ابتداء وانتهاء على جهة البر ، أما الوقف الاهلي فيكون ابتداء على الواقف ثم ذريته لحين انقراضهم ، ومن بعدهم لجهة من جهات البر^(٥) ، وبين هذين

(١) د. ماثور (سعيد عبد الفتاح) : الايوبيون والمالك في مصر والشام ط ١٩٧٠) ص ٣٦٧ ، ٣٦٨

(٢) Rable (H. M.) : The Financial System of Egypt A. H. 564 — 741 A. D. 1169 — 1341, (London 1972), P 124.

(٣) المقرئى : السلوك ج ٢ ق ١ ص ٧٢ وما بعدها ، ابن تفرى بردى : النجوم ج ٩ ص ١٧ وما بعدها .

(٤) Lapidus (Ira Marvin) : Muslim Cities in the Later Middle Ages (Harvard 1967), p. 74.

(٥) أنظر تعريف الوقف الخيري والوقف الاهلي في الفصل الاول .

النظامين انتشر في العصر المملوكي نظام ثالث كان مزيجا بين الاثنين وتوضح لنا هذه الصورة جليا من دراسة وثائق الاوقاف في العصر المملوكي اذ ان معظم هذه الوثائق تنص على وقف عقارات وارضى يزيد ريعها زيادة كبيرة عن الحاجة الفعلية لمصاريف الوقف والتي يحددها الواقف في وثيقة وقفه فيحدد المرتبات التقديرية والمينية لأرباب الوظائف ، كما يحدد قيمة الصدقات التي تخرج من ريع الوقف في المناسبات الدينية المختلفة . ثم ينص صراحة على أن الفاضل^(١) من بعد ذلك يعود الى الواقف ، ثم الى ذريته من بعده ، مثال ذلك ما جاء في وثيقة وقف السلطان برسباي « ومهما فضل بعد ذلك من الربيع يتناوله مولانا السلطان الواقف المشار اليه لنفسه الشريفة ايام حياته ، ثم من بعده يكون هذا الفاضل لمن يوجد من أولاد الواقف المشار اليه وأولاد أولاده وذريته ونسله وعقبه من الذكور والاناث من أولاد الظهر وأولاد البطن ٠٠٠٠ (٢) » .

ويصرف لنا بطريق الوقف من الجاهات البتة من زرعها في كل سنة
بمقتضى

منزلة الجلالة من الزايم المقررة ما دام من الخوص ما ية وقدم ولفظ

عنون ودمها ومما فضل بعد ذلك من الربيع يتناوله مولانا السلطان
بمقتضى

(١) المقصود بالفاضل البالغ التي تبقى من ريع المقارنات الموقوفة بعد الصرف من عمارة الوقف - اذا كان في حاجة الى ترميم - ودفع مرتبات أرباب الوظائف طبقا لشرط الواقف . انظر وثيقة وقف السلطان برسباي ٨٨٠ أوقاف ص ٢٠٢ . ووثيقة وقف السلطان قايتباي رقم ٨٨٦ أوقاف ص ٢٣٧

(٢) وثيقة وقف السلطان برسباي رقم ٨٨٠ بارشيف وزارة الاوقاف ، ص ٢٠٢ . ٢٠٤ ، ٢٠٣

الماتقان داره لشدة أنفه بما نهى عنه فحينئذ يكون
 هذه الفاضل من زوجي أو إذا الماتقان داره ولاد أولان
 وذوته ومنسله وعقبه من الذكور والانات من أولاد الظاهر
 وأولاد البطن طبقه طبقه ومنسله طبقه طبقه
 الخلبانهم أبراً الطبقة السلي يتغيره الوحدة منهم إذا انفرد
 ويشترط فيه الاثنان ما وقرهما عند الاصراع يستوي فيهما
 الذكور والائني على أنه من ذويهم وتترك له أو ولد له أو ولد
 من أمه من ذلها أو لا أسفل يعني من ذلها أو ولد له أو ولد
 ولذا كان أو الذكور أو كان أو ابني من أولاد الظاهر وأولاد البطن
 على النكاح والتعيب المزدوجين منه فان لم يتوكن المتوفى ولد أو لا
 ولد له ولا أسفل من ذلها أو لا أسفل من ذلها أو لا أسفل

ولأن ولد البعل انتقل بنصيب من ذلك الميراث والحقوق المأثورة
 أنه في الاحتياج من أجل ما يستحقه من ذلك فان لم يكن له ما ولا
 الحق ولا الثمن ذلك ما انتقل بنصيبه الي من أولاده وبناته وذوي
 طبقته من أهل الوقف من ذرية مولانا السلطان الواقف
 لنا زاليه فان لم يكن في ذريته غيره فالي أقرب الطبقات اليه
 وعلى من عاق منهم يعني قبل دخول في هذا الوقف واحتياجه
 لي من نافعه وترك ولا اولاد له ولا دخل من ذلك ولا اولاد
 والا لوقف في حال لو كان المتوفى حياً باقياً لا يمتنع ذلك
 أو شيئاً منه فامر ولد أو ولد ولد ولد وان سفل مقامه في الـ

(من وثيقة وقف السلطان برسبای رقم ٨٨٠ بارشيف وزارة الاوقاف
 ص ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ وفيها أن باقي الربيع يصرف للواقف مدى حياته
 ثم لذريته من بعده)

كذلك جاء في كتاب وثائق وقف السلطان قايتباي « ٠٠٠ فان مولانا المقام
 الشريف المنوفه باسمه الشريف أعلاه ، وقف ذلك / علي أخته السيدة المصونة المحببة
 الكبرى خوند جان تين وولده الجناب العالي / الاميرى السيفى جانبای أيام
 حياتهما ومن توفي منهما انتقل نصيبه للاخر ، ثم / من بعدهما على اولادهما
 وأولا اولادهما ، وذريتهما ونسلهما ٠٠٠ (١) »

(١) وثيقة وقف السلطان قايتباي رقم ٨٨٦ بارشيف وزارة الاوقاف ص ٢٢٧

بذلك فان مولانا المقام الشريف المنزه باسمه الشريف لعلنا نكتب ذلك
 على آخيه السيد المصونة المحجة الكبرى محمد بن عثمان بن ولده المرحوم
 الامير السيف قاتبي ايام حياته ومن ثوبه نقلت من بيته
 من بعدهما على اولادها واولادها واولادها واولادها واولادها
 بنقل من الواحد منهم الى الفرد والفرقة في كل من
 الاجتماع بالبويرة في مصر ومن ثوبه نقلت من بيته
 والاشقي في ذلك سواء الذرية العليا والسفلى في ذلك سواء

(من وثيقة وقف السلطان قاتبي رقم ٨٨٦ بارشيف وزارة الاوقاف -
 من ٢٢٧ ، وفيها وقف السلطان على اخيه ولده)

كذلك جاء بنفس الوثيقة «وقف ذلك على قريبه الجنب العالي / السيفي
 تمر من قرقماس الملكي الاشرف اعزه الله تعالى ينتفع به ايام حياته ثم من بعده
 على اولاده واولاد اولاده وذريته ونسله وعقبه الذكر والانثى في ذلك
 سواء (١) »

(١) وثيقة وقف السلطان قاتبي ٨٨٦ أوقاف من ٢٢٩

(١) وثيقة وقف السلطان قايتباي السابقة ص ٢٤٨
(٢) وثيقة وقف السلطان النورى ٨٨٣ أوقاف - سطر ١٦٧٢ . ١٦٧٣ (تحقيق رقم ٧٢٨) نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم

منه هو تحصين الاموال ضد المصادر ، فلم يقنع الواقفون بتحسين أموالهم عن طريق الوقف الاهلى ، بل عمدوا الى اخفاء وقفهم الاهلى على أنفسهم وذريتهم من بعدهم خلف الوقف الخيرى على الجامع او المدرسة ... الخ . وتتأكد هذه الحقيقة من دراسة وثائق الاوقاف المتتابعة لاي من السلاطين أو الامراء * .

وأهم مثال في ذلك الصدد أوقاف السلطان برسباي . فبعد أن وقف في سنة ٨٢٤هـ على المسجد الذى أنشأه (المسجد الاشرقى) ورتب لاصحاب الوظائف مرتباتهم محددة بالدراهم ، وجعل ما يفضل بعد ذلك يتناوله الواقف ما دام حيا ثم من بعده يكون لمن يوجد من اولاده : نجده بعد ذلك — وكأنه استقل ما يعود عليه من وقفه الاول — يوقف في ذى القعدة ٧٢٨هـ جميع أراضي ناحية بشاكنس بالغربية ، ثم ريع مزرعة سنديون بالقليوبية ثم ١٥٠ فدانا بناحية بشتيل * ... الخ من الاوقاف التى اضافها الى وقفه الاول وبنفس الشروط في كتاب وقفه الاول ، رغم أن ما أوقفه في بادىء الامر — كما يفهم من شرط الواقف بأن يعود عليه فائض الربيع — كان كافيا لسد مصاريف الجامع كما حددها الواقف ، بل * وهناك فائض يتناوله الواقف بعد ذلك ، ويترتب على ذلك أن ريع كافة الاوقاف التالية للوقف الاول ستكون زائدة عن حاجة مصاريف الوقف ، وبالتالي يؤول جميع ريعها الى الواقف ثم ذريته من بعده وبعبارة أخرى فان معنى ذلك أن هذه الاوقاف الاخيرة كانت وقفا أهليا بحتا استمرت خلف وقف الجامع ، ونفس الشيء فعله برسباي بالنسبة لباقي أوقافه (١) * .

ولم يكتب السلطان برسباي بذلك ، وانما أدخل عدة تعديلات على مصارف وقفه نص في بعضها على أن فائض الربيع : من أوقاف الجامع الاشرقى يصرف على ما قد تحتاجه بناتة من « شورة أو جهاز » ، فيصرف في شورتها وجهازها ما يكتفيها من ذلك على عادة مثلها ... » ثم نراه بعد ذلك

(١) وثيقة وقف السلطان برسباي رقم ٨٨٠ أرشيف وزارة الاوقاف . وملخص هذه الوثيقة بدار الكتب برقم ٣٣٩٠ تاريخ ، والمنشور ضمن مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة عام ١٩٦٣

يعمل على زيادة ريع أوقافه فينص على صرف الفائض في شراء عقار آخر
يوقف بنفس شروط الوقف : ثم نراه ينص على ضم فائض ريع أوقافه الى بعضه
ليشتري به عقارا يوقف نصفه على الذرية ونصفه على الجامع الاشرفي (١) .

سلافة

للدون بشايد وليد وانما اذا من ريع الاوقاف في المال
المستعينة وفي تلك الاوقاف من يحتاج الى ثوب البضاعة
وعزها وما ما يكمنها من ذلك على غان حيلنا فان لم يكن
منه مستعينة لذلك فمرفا النابض في شرائها ولا يفتقر الى ذلك
ما من قوف يوجها انما المرف بالمرف من الرافضين شره ما استعالي
وعظم ما بالذرة والقبول والراوية والبرية اذا فجع
للعية منه او تدر اسفلاد ولسا وجده من وجوه القدر
الترقية تعرف المضاف للعية في كمال الوقف المتعلقين بالية

(١) وثيقة وقف السلطان برسباي ٨٨٠ أوقاف من ٢٠٩ . ٢١٠

٩٠٠

١١٠

في كتابي الوقف العلوي بناحية الورجوان والنصف منسية
 عباد من فاين ريع الوقف المختص بالمجامع الاخرى في المذكو ووان
 فاعلى ريع وقف ناخية ابراهيم حوان والنصف من منسية على
 الصادف المنيشة في ذلكا نصفها الفاين الى عامه مختص ببيع
 لمجامع الاخرى في المذكو ووان نما فاين من ريع وقف الجامع الاخرى
 بغير صرف فاين من مرفدته ولبس للواقف بنات محتاج الى شدة
 فاشترى ذكوه يشترى به عقار ارضة من عقار وقف على حكم
 لمقام المذكور نصفين النصف للذرية والنصف مختص بالمجامع الاخرى
 وفي قول العلم والترتيب المذكورين في كتاب الوقفات ابن وان

(وثيقة وقف السلطان برسباي رقم ٨٨٠ أوقاف ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، فانض
 ريع أوقاف الجامع الاخرى يصرف على ما تحتاجه بنات الواقف او يشتري
 به عقار جديد - ثم يضم ريع الأوقاف ويشتري به عقار جديد نصفه للذرية
 ونصفه لمصالح الجامع الاخرى)

كذلك تعددت وقفيات السلطان قايتباي . ومنها ما وقفه على قريبه تمر
 من قرقماس وذريته . وكان السلطان قايتباي خشي أن تنقرض ذرية قريبه
 فيقول ريع الوقف الى جهة البر ، فنص على أنه بعد انقراض ذرية تمر

« يضم ريع ما كان موقوفا على الجانب السفلى ثمر المشار اليه فيه الى ريع أوقافه المدة للاستغلال المعينة بأعلى السابقة على تاريخه ، ويصرف في مصارفها المعينة بكتاب الوقف (١) » : فيؤول ذلك الربيع الى ذريته هو بدلا من جهة البر .

انتقل نصيبه لمن يقم من غير من قبلنا من غير اجمعين ثم ريع
كان موقوفا على الجانب السفلى ثمر المشار اليه فيه الى ريع اوقافه المدة
للاستغلال المعينة بأعلى السابقة على تاريخه ويصرف في مصارفها
المعينة بكتاب الوقف المبته عليه اعلا على ما تقر وشيخ فيه
لا يخرج من حكم ذلك حينئذ ولا بعدك غرض منه وشيخ النظر عليه

(وثيقة وقف السلطان قايتباي رقم ٨٨٦ أوقاف ص ٢٢٩ - ضم ريع أوقاف السلطان على قرية الى أوقافه)

كذلك وجد من الواقفين من لم يكتف بتحديد مرتبات أرباب الوظائف وقيمة الصدقات السنوية ، بل هناك من حدد ما يصرف على العمارة ، حتى يضمن بذلك عائدا معلوما من المال لا يتذبذب حسب حاجة عمارة الوقف (٢) .

ويتضح لنا من ذلك أن هذا النوع من الوقف لم يكن خالصا لوجه الله بل كان الغرض الاساسى منه تحصين الاموال ضد المصادرة ، وقد أدى المزج بين الوقف الخيري والوقف الاهلى ، أو بمعنى آخر أدى استتار الوقف

(١) وثيقة وقف السلطان قايتباي ٨٨٦ أوقاف ص ٢٢٩ - أنظر أيضا وثيقة وقف الامير أخور كبر : اقا الحسنى رقم ٩٢ أوقاف دراسة ونشر وتحقيق د. عبد اللطيف ابراهيم - مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - المجلد ١٨ ج ٢ ديسمبر ١٩٥٦ ص ٢١٤ وثيقة وقف سرور بن عبد الله الشبل - الجمدار رقم ٣٩ محفوظ ٦ بارشيف محكمة الاحوال الشخصية - دراسة ونشر وتحقيق د. عبد اللطيف ابراهيم مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة المجلد ٢١ ج ٢ ديسمبر ١٩٥٩ ص ١٤٩

(٢) وثيقة وقف الامير مطلطى الجبالى رقم ١٦٦٦ أوقاف .

الاهلي خلف الوقف الخيري ، أدى الى تحقيق الغرض منه ، فلم يستطع أى من سلاطين الممالك أن يحل اوقاف المساجد والمدارس الا في حالات نادرة ووفقا لظروف خاصة ، وبالنسبة لافراد معينين ، أما مبدأ حل الاوقاف على الاطلاق فقد فشلت محاولاته جميعا ، وحتى في الحالات التي اوضح فيها بعض السلاطين أنهم سوف يتركون من الاوقاف ما يكفي للقيام بالشعائر الدينية ويستولون على الفائض ، وجدوا معارضة شديدة من بعض القضاة والفقهاء^(١)، مما شجع أصحاب الثروات على وقف أملاكهم .

ويؤكد هذا المعنى أيضا ما نصت عليه كثير من وثائق الوقف ، واشترط الواقف على الناظر الا يستبدل شيء من الوقف ، ولو بلغ من الخراب ما بلغ « وان فعل الناظر ذلك كان معزولا ، وان وافقه انتقاضى كان ملعونا » وأن حاول ذلك أحد من أرباب الوظائف « عزل ، وان كان مستحقا حرم »^(٢) ومثال ذلك أيضا ما جاء بأحدى الوثائق « وليس لغيره أن يستبدل ذلك ، ولا شيئا منه ، فان خالف غيره ذلك واستبدل شيئا من ذلك أو قصد ذلك أو تحيل فيه بطريق من الطرق ، فان كان ناظرا كان معزولا من النظر ، على ذلك ، قبل ذلك بشهر ، أو مستحقا كان ممنوعا من الاستحقاق من ذلك قبل بشهر ، فقد تعاطيه ذلك نختم ذلك وتم ونفذ حكمه وانبرم ، وصار وقفا محرما بحرمت الله الاكيدة ، مدفوعا عنه بقوته الشديدة ... »^(٣) .

ومثال ذلك أيضا ما جاء في وثيقة وقف السلطان برسباي من شروط الواقف « ومنها انه اذا قصد أحد من الناظر على الوقف / المذكور من أولاد الواقف المشار اليه وذريته ونسله وعقبه / وأن سلفوا أو غيرهم ممن ذكر أو لم يذكر أن يستبدل بالوقف المذكور أو الذى / جد بنفسه أو بوكيله أو بوجه من الوجوه كان الناظر من أولاد مولانا / السلطان الواقف المشار اليه وذريته ونسله وعقبه

(١) أنظر الفصل الخاص بتدهور نظام الاوقاف .

(٢) وثيقة وقف طقطباي بن عبد الله الملاى رقم ١٠٢٠ بارشيف وزارة الاوقاف .

(٣) وثيقة وقف الأمير يشبك من مهدى الدوادار رقم ١٨٨ محفوظا ٢٨ بالحكمة

و ٦٦ ج أوقاف - سطر ١٨١ وما بعده ، نشر ودراسة وتحقيق د. عبد اللطيف ابراهيم - مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم - العدد الثانى - ١٩٧١ (ط ٠ القاهرة ١٩٧٢) ص ٦٩

بعد القصد وقبل الفعل معزولا من النظر غير مستحق من الوقف المذكور بجميعه
شيثا / وكان الناظر من المعتاق المذكورين / وغيرهم معزولا من النظر المذكور (١) :

بين القضاة الأولى وبها أنه إذا اعتقد أحد من القضاة على الوقف

الذي هو من أو كاد الرافق لما رآه وذو به ومثله وعقبه

وان سئلوا وغيرهم من ذراولمة لوان يتبدل بالوقف المذكور

من ينفذ أو يوكيله أو يوجه من الرجم كان للثناظر من أو كاد

السلطان الرافق لما رآه وذو به ومثله وعقبه بقا القضاة

وقبل الفعل معزولا من النظر غير مستحق من الوقف المذكور وبجميعه

٢٥٨

غير مستحق من الوقف المذكور وبجميعه ما كان الناظر من المعتاق المذكورين

وغيرهم معزولا من النظر المذكور وبجميعه ما كان الناظر من المعتاق المذكورين

(١) وثيقة وقف السلطان برسيای رقم ٨٨٠ أوقاف من ٢٥٧ - ٢٥٨ - حرمان
الناظر من النظر والاستحقاق إذا حاول الاستبدال)

كذلك نصت الوثائق على اشتراط الواقف ان يقوم ناظر الوقف بتمهيد
كتاب الوقف في كل عشر سنين بالاثبات والتنفيذ لدى قضاة القضاة (٢)، بل هناك
من الواقفين من شرط أن يكون من أرباب الوظائف بالوقف « موقع » يتولى
وظيفة التوقيع ، ويشترط فيه أن يكون ثقة عدلا عارفا بأمر المكاتب الحكومية ،

(١) وثيقة وقف السلطان برسيای - الوثيقة السابقة من ٢٠١

(٢) وثيقة وقف السلطان برسيای ٨٨٠ أرشيف وزارة الاوقاف من ٢٥٧ ، ٢٥٨

الذنون بحظ على فان شئت في سلفه لدويم فلما

مرانا القاهر الزيف السلطان والنادي البوق والمنقبة^٥

المذهب الرابع ائتمنا المتعالي على عار منده وفضل له في كل

[illegible]

من الجواند الثلاثة ابطال المصطفى مؤمن حقيق ويصرف

ولم يكف سلاطين الممالك وأمراؤهم بذلك : ولكن تأكيداً لواقفهم وحرصاً على بقائها قام بعضهم بنقش ملخص لكتاب وقفه على الحجر أو الخشب داخل المنشآت التي قاموا بوقفها ، وهناك أمثلة متعددة لذلك ، من أبرزها بعض وقفيات السلطان قايتباي المنقوشة على واجهة الوكالة التي أنشأها

(١) وثيقة وقف السلطان برسبای ٨٨٠ أوقاف ص ١٩٥ ، وثيقة وقف السلطان جقمق رقم ٩٧ محفظة ١٥ بمعركة الاحوال الشخصية ، وثيقة وقف السيفی ازدر رقم ٢٤١ محفظة ٣٨ بمعركة الاحوال الشخصية . وكان من اختصاص الموقع أيضاً الحضور عند حدوث أى منازعة بين المستحقين أو غيرهم خاصة بالوقف أو ريمه لينبه على مقاصد النواقف وأغراضه وغير ذلك مما فيه مصلحة الوقف - وثيقة برسبای السابقة ص ٢١٠ ووثيقة وقف قايتهای ٨٨٦ أوقاف ص ١٣٠ ، ١٣١ د. عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية - تحقيق رقم ٦٨٤

بالقرب من باب النصر^(١) ، وبعض وقفيات السلطان برسباى المنقوشة على الحجر بمدرسته الاشرفية بالقاهرة ، وعلى واجهة الخانقاه الملحقة بمدفنه^(٢) ، كذلك يوجد جزء من وقفية للسلطان الغورى على بلاطات من القيشانى^(٣) .

هذا الى أن الواقفين عمدوا أيضا الى الاعلام عن أوقافهم ، حتى يعرف الناس على اختلاف طبقاتهم بالوقف وشروطه ، وذلك عن طريق « زف كتاب الوقف بالاغانى فى شوارع القاهرة^(٤) » فضلا عن الحفلات التى تقام عادة عند افتتاح المنشآت الموقوفة مثل المدرسة وغيرها^(٥) .

ولجأ بعض الواقفين الى الاكثار من الشهود على كتاب الوقف ، مثلك ذلك ما يذكر المقرئى عند كلامه عن الدار البيسرية التى أنشأها الأمير بدر الدين التمسى الصالحى النجمى^(٦) ، فوصف كيف أنه تأنق فى عمارتها وبالنغ فى كثرة المصروف عليها ، حتى اذا ما كملت عمارة هذا الدار وقفها « وأشهد عليه بوقفها اثنين وتسعين عدلا من جملتهم قاضى القضاة تقى الدين بن دقيق العيد ، وقاضى القضاة تقى الدين بن بنت الاعز ، وقاضى القضاة تقى الدين بن رزين قبل ولايتهم القضاء فى حال تحملهم الشهادة^(٧) » .

ومن الوسائل التى لجأ اليها بعض الواقفين لضمان استمرار وبقاء أوقافهم ، جعل النظر على هذه الاوقاف للسلطان ، أو لكبار الامراء ، مقابل معلوم محدد ، ولو بالمشاركة مع أفراد ذريتهم أو عتقائهم^(٨) ، ومن هذا القبيل أيضا ما لجأ اليه بعض الواقفين من ترتيب « من له وجهة » فى وظائف مؤسسته الدينية « ليكون كل منهم مساعدا له فى ابقاء الوقف اذا حدث له أمر بعد

(١) انظر نص كتاب الوقف على وكالة قايتباى فى حسن قاسم : المزارات الاسلامية

ج ٢ ص ١٠٣ ، ١٠٤

(٢) حسن عبد الوهاب : المساجد الاثرية ج ٢ ص ١٣١

(٣) متحف الفن الاسلامى - رقم ٩٦٥

(٤) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٨٩

(٥) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٠١

(٦) بدأ فى عمارتها سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م فى عهد الظاهر بيبرس .

(٧) ورغم هذا استولى عليها الأمير قوصون سنة ٧٣٣ هـ - انظر ما يلى من تدهور

نظام الاوقاف ، المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٦٩

(٨) انظر ما يلى عن نظر الاوقاف ص ١١٤ وما بعدها

خني « ، مثال ذلك ما فعله المزر الشهابي أحمد بن عبد الرحيم العيني (ابن بنت زوجة السلطان خشقدم) ، فقد رتب جماعة من علماء مصر في مدرسة جده البدر العيني ، ومدرسة ابن الغنام « لا على معلوم المدرسة بل من جهات وقفها » ، ومن هؤلاء العلماء الشيخ أمين الدين الاقصرائي الذي استقر شيخ الصوفية « ويكون حضوره بعد العصر بعد الفراغ من حضوره بالاشرفية لأنه شيخ للشيوخ بها » ، والتقى الشمنى الحنفى شيخ تربة قايتباى الجاريسى باستقراره في مشيخة قراءة الحديث النبوى بها ، وابن الصيرفى عضد الدين شيخ البروقية باستقراره في درس التفسير ، والتقى أبو بكر الحصنى الشافعى باستقراره مدرس العلوم العقلية ، ثم نزل جماعة كثيرين من القضاة والاعيان صوفية بالمكان المذكور ورتب للمشايخ والصوفية معالم . ويذكر ابن تغرى بردى أن الناس تعجبت من غرضه لأنه لم يقرر الا من له وجاهة ووظيفة ، وكان يمكنه تقرير غيرهم من العلماء الذين ليست لهم وظيفة «ويقع ذلك في محله» ، ويؤكد ابن تغرى بردى أن الشهاب أحمد ما فعل ذلك الا محافظة على وقفه « ليكون كل منهم مساعدا له في ابقاء الوقف » ، ويعقب على ذلك ابن تغرى بردى فيقول « ففاته الحزم فيما قصد لكون الاقرب لما قصده تقرير من هو فقير مستحق لما يكون عنده من الالحاح في الطلبة والمنازعة في الحق وغيره ، بخلاف الاغنياء المستكفين عن هذا المعلوم لا يباليون منه أن حصل أو لم يحصل (١) » .

ولضمان استمرار بقاء عين الوقف نصت كافة وثائق الوقف على أن يبدأ الناظر بالصرف على عمارة الاعيان الموقوفة . وترميمها أولا . ولو صرف معظم الريع ، وحتى لو أدى ذلك الى قطع مرتبات المستحقين وأرباب الوظائف اللهم الا المؤذنين والامام والخطيب ، وحتى لو كان المحتاج من أولاد الواقف (٢) .

(١) ابن تغرى بردى : منتخبات من أحداث الدهور ص ٥١٧ ، ٥١٨ .

(٢) أنظر ما جاء بالفصل الاول عن موقف القضاة من ترميم الاحباس . وثيقة وقف جوهر اللالا رقم ١٠٢١ أرشيف وزارة الاوقاف ، وثيقة وقف السلطان حسن ابن السلطان محمد رقم ٨٨١ أرشيف وزارة الاوقاف ص ٤٧١ ، وثيقة وقف الامير صرغتمش الناصرى ٣١٩٥ أرشيف وزارة الاوقاف . وثيقة وقف طومان باى ضمن كتاب وقف السلطان النورى رقم ٨٨٢ بارشيف وزارة الاوقاف . وثيقة وقف السلطان برسباى ٨٨٠ - اوقاف ص ٢٥٨

بالقدرة والامكان والاحتقاق والتطهر منها انما اذا التزم

احد من ادمرنا السلطان الراجح لنا البعد وذو تيه ونسله

وعقبه الى من ذبح الرقعة المذلة ولا يصف له بها لا بعدا انما لا يجرى

الحال في ذلك الفصل الثالث عشر في ذكر ما يشترط

(وثيقة وقف السلطان برسيلى رقم ٨٨٠ أوقاف ص ٢٥٨ - لا يصف
شيء من ريع الاوقاف الا بعد العمارة حتى ولو كان المحتاج ابن الواقف)

وتلافيا لذلك الوضع ، اشترط بعض الواقفين أن يحفظ باقى ريع الأوقاف
لمدة ثلاث سنوات ، أو خمس سنوات لما يتوقع الاحتياج الى صرفه فى العمارة
أو الترميم . واذا لم يستغل الفائض فى هذه المدة يقوم الناظر بشراء عقار أو
حصة فى عقار أو أرض ، ويوقفها بنفس شروط الواقف (١) .

ولم يكف الواقفون بالتمسك بأنه من خصائص الوقف التأييد ، بل انهم
حرصوا على تأكيد الوقف وتأييده ولزومه ، فتضمنت كافة وثائق الوقف عبارات
تأكيد الوقف ولزومه ، مثال ذلك « وقفنا صحيحا شرعيا مؤبدا وحبسا صريحا
سبله لله تعالى دائما أبدا لا يباع ولا يوهب ولا يورث ولا ينقل به ولا بشيء
منه قايما على أصوله محفوظا على تمام شروطه مسبلا فى جهاته مصروفا ريعه
فى مصارفه الآتى ذكرها وبيانها فيه أبد الابدين ودهر الداهرين حتى
يرث الله سبحانه وتعالى الارض وما عليها وهو خير الوارثين » (٢) .

(١) وثيقة وقف السلطان قايتباى رقم ٨٨٩ أرشيف وزارة الاوقاف - والتي نشرها
• محمد محمد أمين بعنوان : وثيقة وقف السلطان قايتباى على المدرسة الاثرية وقاعة
الصلاح بدسماط - المجلة التاريخية المصرية مجلد ٢٢ سنة ١٩٧٥ ص ٣٤٣ - ٣٩٠ -
ووثيقة وقف الجمال أبو المعاسن يوسف رقم ١٤٧ محفظة ٢٣ محكمة الاحوال الشخصية ،
وثيقة وقف السلطان حسام الدين لاجين رقم ١٧ ، ١٨ محفظة ٣ بارشيف الحكمة .
(٢) وثيقة وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٣ أوقاف اسطر ١٣٧٧ - ١٣٨٠ دراسة
وتحقيق د. عبد اللطيف ابراهيم .

يضاف الى العوامل التي ساعدت على انتشار الاوقاف وازدهارها في العصر المملوكي طبيعة الحياة الدينية في مصر في ذلك العصر ، فقد شهدت البلاد نشاطا دينيا منقطع النظير بدأ بمحاولات سلاطين المماليك لصبغ حكمهم بصبغة شرعية ، واتخاذ الدين ورجاله ستارا يخفى حقيقة شعورهم باغتصاب الحكم ، ويقربهم الى قلوب الشعب الذي كان غالبا يتقبل الامر الواقع . وليس هناك أقوى من المشاعر الدينية التي يمكن استغلالها على أساس أن المماليك مسلمين حريصين على اقامة شعائر الدين وتعمير المساجد (١) . ومما يدل على حرص سلاطين المماليك على اتخاذ الناحية الدينية وسيلة تقربهم الى الشعب ما يذكره ابن اياس عن سبب بناء السلطان قلاوون مجموعة عمائره وخاصة البيمارستان ، اذ يشير الى أن السلطان قلاوون تغير على العامة لمخالفتهم أوامره « في شيء فعله بجعلهم . فأمر بقتلهم . فغلب فيهم السيف ثلاثة أيام . فقتل في هذه الحدة ما لا يحصى عدده . وراح الصالح بالطالع وربما عوقب من لم يجن ، فلما زاد الامر عن الحد طلع القضاة ومشايخ العلم الى السلطان وشنعوا فيهم : فعفا عنهم ، وكف عن القتل . فلما جرى ما جرى . وراق خاطر السلطان ، ندم على ما فعله وبني هذا البيمارستان وجعل له جملة اوقاف على رواتب بر واحسان ، وفعل من أنواع الخير ما لا يفعله غيره من الملوك ليكثر الله عنه ما فعله بالناس لعل الحسنات تذهب السيئات . كما قال الله تعالى (٢) » .

ويؤكد ابن تغرى بردى هذا الشعور الديني ، ولا سيما في عصر الجراكسة : فعندما تحدث عن سلطنة جقمق عقب على تجديد السلطان لبعض مساجد القاهرة بقوله : « قلت والناس على دين ملوكهم . وهو أنه لما كانت الملوك السابقة تهوى التنزه والترف عمرت في أيامهم بولاق وبركة الرطلى وغيرهما ... الى أن تسلطن الملك الظاهر جقمق وسار في سلطنته على قدر هائل من العبادة والعفة ... فعند ذلك تاب أكثرهم وتصلح وتزاهد وصلح

(١) د . عاشور : المجتمع المصري ص ١٥٧ وما بعدها ، العصر المماليكي ص ٢٢٦ ، الايوبيون والمماليك ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور (ط . بولاق) ج ١ ص ١١٦

كل أحد منهم يتقرب الى خاطره بنوع من أنواع المعروف فمنهم من صار يكثر من الحج ، ومنهم من تاب وأقلع عما كان فيه ، ومنهم من بنى المساجد والجوامع (١) « وتبدو أهمية الشعور الدينى كباعث على انتشار الاوقاف وازدهارها فى العصر المملوكى ، مما ورد فى افتتاحيات معظم وثائق الوقف ، من ذلك ما جاء فى افتتاحية حجة وقف السلطان قلاوون الصالحى ، ونصه «... بسم الله الرحمن الرحيم .. قابل الصدقات ، وفاتح أبواب الرحمة ... أولئك الذين وقفهم لمزاجته مولاهم ، وحقق لهم الامان ، بما وهبه لهم من نعمة المترادفات ، لقد سعدوا فى دنياهم وأخراهم ، بما حصل لهم من أجور صدقاتهم ... وعد المتصدق بصدقته استمرار أجوره حال حياته ، وبعد المات ، فأخبر نبينا محمد المصطفى المخصوص بأطيب السلام ، وأفضل الصلوات ، أن العباد إذا مات انقطع عمله الا من ثلث (ثلاث) وعد منها الصدقات الجاريات ، وحث على الخير وتوحيه وأخبر ان الله جل جلاله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه فى السكون والحركات ... فطوبى لمن عامل مولا العزيز الغفار ، وراقبه مراقبة العالم بسره ونجواه فى الايراد والاصدار ، وأقرضه أحسن القروض على حسب الامكان والافتداء وانتهاز الفرصة بالاستباق واحرز باغتنام أجرها قصد السباق ، فساعد الفقير المسلم على ازالة ألمه ومداداة سقمه تنجيه غدا من عذاب ربه الخلاق ، ورجا أن تكون له بها عند الله الرتبة العظمى والقربة التى لا يخاف بأجرها ظلما ولا هضمًا ، والحسنة التى لا تبقى لذنبه غما ... » (٢) .

ومن ذلك أيضا ما جاء فى افتتاحية وثيقة وقف السلطان الغورى « ... ان الدنيا دار فنا وزوال ، وان نعيمها فى كل وقت فى تنقل وارتحال وأن لا بقا بها ولا مقام ، وان متاعها قليل حقير ، وخطبها جليل خطير ، ولذا تم لها اذا الخير كلما انقضت صارت كأنها منام ، وأنها مع ذلك هى الاصل

(١) ابن تفرى بردى : النجوم (ط - كالىفورنيا) ج ٧ ص ١١٨ ، ١١٩
(٢) وثيقة السلطان قلاوون الصالحى رقم ١٠١٠ بارشيف وزارة الاوقاف . ٢/١٥
محلثة نشرها د . محمد محمد أمين فى ملاحق كتاب تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنية لابن حبيب العلبي ج ١ من مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٦

لصلاح الأحوال والمنبت الخصب لفراس الاعمال . والمعدن الأزكى لنما الاموال بالصدقة ، ولو بفضل مال أو طعام ، وأن أولى ما ادخره المرء منها عند مواعده ليوم معاده ، عده عمل يبقى ولا ينقطع بعده اذا قضى وسكن لحده ، ثم هيل عليه التراب في رمسه ونام ، وأن من أولى ذلك وقف مبرور يتكرر ثوابه أبدا ويدور ، ويهدى لصاحبه في طبق من نور على الدوام ، فيوما بيوم ، وشهرا بشهر ، وعاما بعام ، وأن أفضل ذلك بنى المساجد لله سبحانه وتعالى» (١) .

ويدل على قوة الشعور الديني في ذلك العصر كثرة الاوقاف وانشاء المساجد والمدارس والوقف عليها لاقامة الشعائر الدينية . وتلقى الطلبة للعلم . فضلا عن الخواص والربط ... الخ (٢) .

كذلك شهد العصر المملوكي من الظروف الاقتصادية ، والنظم المالية ما أدى الى انتشار الوقف وازدهاره ، وتمثلت هذه الظروف في انتعاش الحياة الاقتصادية في مصر في معظم سنوات ذلك العصر ، ونتيجة لازدهار التجارة العابرة عن طريق البحر الاحمر وموانئ مصر بعد اضمحلال طرق التجارة الرئيسية الاخرى بين الشرق والغرب ، نتيجة لهجمات المغول واستيلائهم على بغداد سنة ٨٦٥ / ١٢٥٨ م ، وامتداد نفوذهم الى الشام وآسيا الصغرى . فضلا عن بلاد فارس ، الامر الذي أتاح لسلطين المماليك في مصر الفرصة للافادة من القيام بدور الوسيط بين تجار الشرق وتجار الغرب ، هذا فضلا عن نشاط مصر التجاري مع بلدان السودان الغربى وأفريقيا الوسطى ، وبذلك استأثرت مصر في عصر سلطين المماليك بالجزء الاكبر من التجارة العالمية بين الشرق والغرب (٣) ، مما عاد على سلطين المماليك وأمرائهم بثروات طائلة ، ولم يكف سلطين ممالك الجراكسة بذلك فاتجهوا نحو الاستغال بالتجارة ، واتبعوا سياسة

(١) وثيقة وقف السلطان النورى ٨٨٢ اوقاف - دراسة وتحقيق د. عبد اللطيف ابراهيم - أسطر من ٧٦ : ٨١

(٢) أنظر الفصول التالية عن الوقف والحياة الدينية .

(٣) د. عاشور : العصر المماليكى ص ٢٨٤ وما بعدها ، الايوبيون والمماليك ص ٣٥١ ، ٣٥٢ . وأنظر أيضا د. محمد محمد أمين : علاقات دولتي مالى وسنغال بمصر في عصر سلطين المماليك - مجلة الدراسات الافريقية - العدد الرابع ١٩٧٥ ص ٢٧٣ - ٣١٢

الاحتكار لتمويض ما حل بهم من خسائر نتيجة لاختلال النظام الاقطاعي ،
وللحصول على المال الوفير من أيسر الطرق^(١) .

وما دام قد توافر لسلطين الممالك وأمرائهم ثروات طائلة أساسها
النظام الاقطاعي^(٢) من ناحية ، والنشاط التجارى من ناحية أخرى ، فانهم
وضعوا نصب أعينهم المحافظة على تلك الثروات لانفسهم ولذريتهم من بعدهم
وذلك بتحصيلها ضد المصادرة ، فأتجهوا الى نظام الوقف مدفوعين بعوامل
سياسية ، وأحاسيس دينية ، ومما يدعم هذا الرأي ما نلمسه من أن أكثر
سلطين الممالك أوقافا وهو السلطان برسباى وهو نفسه الذى اشتهر
باحتكاراته التجارية وتعسفه فى جمع المال ، والمعروف أن كتب وقفه زادت
عن ثمانية عشر كتاب وقف^(٣) ، وما يقال عن برسباى يمكن أن يقال أيضا عن
السلطان قايتباى ، والسلطان الغورى^(٤) ، الذى بلغت وثائق وقفه والتي
وصلتنا أكثر من مائتى وثيقة وقف^(٥) ، رغم ما كانت تعانيه البلاد فى عصرهم
فقر وفاقه ، ورغم أنه هو نفسه لجأ للاستيلاء على أموال الاوقاف ليدفع
جامكيات الممالك ، كما لجأ أيضا الى بيع أملاك بيت المال لنفس الغرض^(٦)

(١) د. عاشور : العصر المالىكى ص ٢٩٥ ، الايوبون والماللىك ٣٥١ ، ٣٥٢

(٢) د. عاشور المجتمع المصرى ص ٢١

(٣) وثيقة وقف السلطان برسباى ٨٨٠ أوقاف ص ٣

(٤) بمراجعة سجل حسابات أوقاف المساجد وخلافه بالمعروسة وبوراق وعصر القديمة
عن عام ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ م ، وهو أقدم سجلات وزارة الاوقاف (أنشئ ديوان الاوقاف
سنة ١٨٣٥) تبين لى أن أكثر أوقاف سلطين الممالك ربما هى أوقاف كل من السلطان
قايتباى والسلطان برسباى والسلطان الغورى ، وبلغ ريع أوقاف السلطان قايتباى فى
السنة المذكورة على منشأته بالقاهرة ١٩٧٩٥ جنيه و ٢٧ ملجم أما ريع أوقاف السلطان
برسباى قبلت ٢٤٩٧ ر ٢٤٩٧ جنيه و ٢ ملجم وبلغ ريع أوقاف السلطان الغورى ٣٢٨٥٨ ر ٣٢٨٥٨
جنيه و ١٢ ملجم - انظر السجل المذكور صفحات من ٢٤٤ الى ٢٥٠ ، من ٢٠١ الى ٢٠٨ ،
ومن ٢٢٣ الى ٢٢٨

(٥) يبلغ عدد وثائق وقف السلطان الغورى التى وصلتنا والمحفظة بارشيف وزارة
الاوقاف بالقاهرة ٢٩٠ وثيقة وقف بعضها صور متكررة ، أهمها وأكبرها الوثيقة
رقم ٨٨٣ أوقاف فهى وثيقة جامعة ، وقد قام بتحقيقها ودراستها دراسة فريدة من نوعها
الاستاذ الدكتور عبد اللطيف ابراهيم - انظر دراسات تاريخية وأثرية فى وثائق عن
عصر السلطان الغورى (رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة ١٩٥٦) انظر : د. محمد
محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلطين الممالك - من مطبوعات المعهد
الملى الفرنسى للأثار الشرقية بالقاهرة سنة ١٩٨٠

(٦) انظر ما يلى فى الفصل السادس والسابع بخصوص هذا الموضوع .

اختلال أحوال مصر الاقتصادية نتيجة لانتشار الوبئة أو لانخفاض مياه النيل (١) .

مشقة الوصول إلى ما بها اليد الوصول متكررة المتضررة الأثر

تندره المقتضى والامام لا يكاد يعرف ما استمر عليه إلى

ظمتروا الرخوع عنه منها بما لم يكن أعذارها ونوع

أفرادها فقتلتين شواهدها وتراوفا وتواردها

بجملتها تزيد عن ثمانية عشر مكتوباً محضون معروفة

تزيد عن ثمانية عشر مكتوباً محضون معروفة

من زاد الاختبار فالأموال محفوظة بنحو انتباه النظر

(وثيقة وقف السلطان برسبى ٨٨٠ أوقاف - ص ٣ - كتب أوقاف السلطان تزيد من ١٨ كتاباً)

ومن العوامل الاقتصادية التى شجعت السلاطين والامراء وعامة الناس على وقف أملاكهم ، اعفاء هذه الاوقاف من الخراج والضرائب ، وكان الاساس فى هذا الاعفاء هو أن الاموال الموقوفة فى سبيل الله ليس فيها زكاة ، لان المفروض فى الوقف أنه صدقة ، وان مصاريف الزكاة ، وأموال بيت المال انما توضع فى مثل الموقوف عليهم بيع الوقف ، سواء كانوا من الفقراء والمساكين أم من العلماء وطلبة العلم ، أما الاوقاف الاهلية الموقوفة على أقوام بأعيانهم فحكمها حكم سائر الاموال ، وانما جرى العرف على اعفاء الاوقاف

(١) انظر ما يلى من تأثير الوقف بالاحوال الاقتصادية .

بصفة عامة من الخراج والضرائب^(١) . وكان المستفيدون من هذه الاوقاف يتضررون كثيرا في حالة فرض أية مبالغ عليها لسد حاجة البلاد من الاموال ولا سيما في أوقات الازمات^(٢) .

كذلك وجد من النظم المالية ما ساعد بطريق غير مباشر على زيادة الاوقاف وانتشارها ، من ذلك ديوان المواريث الحشرية الذي كانت تؤول اليه تركة المتوفى بلا وارث ، بعد أن يستقطع منها نفقات الدفن والديون والاموال الموصى بها اذا وجدت ، أو يؤول اليه باقى الميراث اذا كان الوارث لا يستحق جميع الميراث^(٣) ، وفى بعض الاحيان كان ديوان المواريث الحشرية يستولى على التركات رغم وجود ورثة مستحقين^(٤) ، ومثال ذلك ما يذكره المقرئى عن صدر الدين الطيبي الذى عين ناظرا لديوان المواريث فى عهد الناصر محمد ، فالتزم بحمل أموال الى النشو ناظر الخاص ومن أجل ذلك كان الطيبي يحتاط على أموال التركات من غير أن يعطى الورثة منها شيئا . فان كان للمورث جاه ، وكان له ولد معروف ، ألزمه أن يثبت نسبة من الميت واستحقاقه الميراث ، فأل أثبت ذلك أحاله على ما يتحصل من المواريث فيماطل بذلك مدة ، ولا ينال غرضه ، « فصارت التركة تنهب بحضرة الوارث ولا يجد سبيلا اليها » ، فان عجز الطيبي عن أخذ المال من التركة لقوة الوارث ادعى الطيبي بأن المورث « لقي ووجد لقيه مال فى بيته » ، فيلزم الوارث باحضار ذلك حتى يترك ميراثه^(٥) .

(١) ابن سلام : الاموال ص ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، السيوطى : الانتصاف فى تمييز الاوقاف : مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٣٢ مجاميع ، ٢٩٠ مجاميع ميكرو فيلم رقم ٥٠٩٩ ، ٤٥٥٥ ورقة ٣٦١ ، ١ ، ٣٦١ ب ، الصنفى : عطية الرحمن ص ٢٣ ، ٢٤ (٢) انظر ما يلى من موقف الشعب من محاولات حل الاوقاف واغتصابها انظر القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ص ٣٣

(٣) ابن ممتى : قوانين الدواوين ص ٣١٩ ، ٣٢٤ ، القلقشندي : صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٦٤ ، د ٠ عاشور : العصر المالكي ص ٣٦٦ ، Rabie : The Financial, pp. 127 — 137.

(٤) ابن حجر : انباء الفجر ج ١ ص ٢٥٤
(٥) المقرئى : السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٤٣٥ ، ٤٣٦

لذلك لجأ كثير من الناس ممن لا وارث لهم . أو ممن كان ورثتهم لا يستحقون كل التركة ، لجسأوا الى وقف أملاكهم على أنفسهم مدى حياتهم . ومن بعدهم على عتقائهم أو على بعض وجوه البر . حتى لا تذهب أموالهم الى ديوان المواريث الحشرية ، وتتضح هذه الحقيقة من دراسة بعض وثائق الوقف ، ولعل أوضح هذه الوثائق صراحة حجة تملك ووقف صادرة عن القاضي سديد الدين بن أبى عبد الله ، ففى هذه الوثيقة تنازلت جارية حشرية هى خطولاً ابنة عبد الله عن دار لها - وفى حيازتها - الى ابن سيدها القاضي سديد الدين ، الذى قام بدوره بوقف هذه الدار على عتيقة أبيه خطولاً تنتفع بها بالسكن والاسكان وقبض أجرتها مدة حياتها ، ومن بعدها تصبح الدار وقفاً على ورثة القاضي من الاناث دون الذكور ، وبذلك تكون الجارية المذكورة انتفعت بدارها طوال حياتها ، كأنها فى ملكها وحيازتها ، وبعد وفاتها لن تتؤول الدار الى ديوان المواريث الحشرية ، بل ستكون وقفاً على بنات سيدها^(١) .

ومما ساعد على انتشار الاوقاف وازدهارها المنافسة بين السلاطين والامراء وغيرهم من الشخصيات الكبرى فيما بينهم وبين بعض على انشاء العماثر المحتوية على الاسبلة والمساجد والمدارس ، والخواصق والربط ، ورصد الاوقاف عليها ، وكان السلاطين والامراء يتباهون بعماثرهم ، وما أوقفوه عليها من الاوقاف مما جعلهم يحرصون على أن يفتتحوها هذه المؤسسات فى احتفالات كبيرة^(٢) . وأصبح من سمات العصر أن ينشئ السلاطين والامراء وكبار رجال الدولة المؤسسات الخيرية يقفون عليها الاوقاف ، ومن لم يفعل ذلك اعتبر شاذاً ، وفى ذلك يقول ابن تغرى بردى فى كلامه عن شبك السودونى

(١) حجة تملك ووقف صادرة من القاضي سديد الدين بن أبى عبد الله رقم ٢ محفظة ١ بمحكمة الاحوال الشخصية - دراسة ونشر د. حسين محمد ربيع - المجلة التاريخية المصرية مجلد ١٢ - ١٩٦٤/١٩٦٥ - انظر ايضا وثائق وقف كل من : سرور عبد الله الشبل رقم ٢٩ محفظة ٦ بارشيف المحكمة ، نشر ودارسة د. عبد اللطيف ابراهيم ، ووثيقة وقف الحاج سنبل رقم ١٦ محفظة ٣ بالمحكمة ، ووثيقة وقف رقم ٢٠ محفظة ٤ بالمحكمة باسم الامير سيف الدين بكسر ، ووثيقة وقف بدر الدين بن عبد الله الحسينى - احمد خدام الفريخ النبوى رقم ٢١ محفظة ٤ بارشيف المحكمة .

(٢) القرىزى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٠١

« ومع تمكنه الزائد لم يفعل ما يذكر به من سبل ومساجيد على عادة عظماء الملوك » (١) .

ثم أن بعض سلاطين المماليك اسهموا في انتشار الاوقاف ، بما كانوا ينعمون به على امرائهم ، مثل ذلك ما قام به السلطان الملك الناصر محمد سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م من توفير اقطاعات الاجناد على الحكورة (٢) وأنعم بها على الامير الطنبغا المارديني ليكون وقفا على جامعة خارج باب زويلة ، وعلى الامير بشتاك ليكون وقفا على جامع المظلل على بركة الفيل (٣) .

كذلك كان لانتشار الآراء القائلة بأن من حق السلطان شرعا أن يوقف من أملاك بيت المال أثر كبير في توسع سلاطين المماليك في الاوقاف ، ووقف الكثير من أملاك بيت المال ، وكانت أكثر الوثائق صراحة على النص بأن الوقف من أملاك بيت المال المعمور وثائق وقف السلطان قايتباي ، ففي أكثر من وثيقة للسلطان قايتباي نص فيها صراحة على أن الوقف يشمل ممتلكات السلطان ، وتم تحديدها في كتاب الوقف ، وممتلكات بيت المال المعمور ، كما تم تحديدها أيضا في كتاب الوقف (٤) . وإذا كان الفقهاء والعلماء قد أقرروا ذلك الوضع على أساس أن للسلطان أن يتصرف في بعض أموال بيت المال بما فيه المصلحة فإن سلاطين المماليك استغلوا هذا الوضع ، ووقفوا أملاك بيت المال على جهات بر تعتبر من مصارف بيت المال ، وهو ما يعبر عنه الفقهاء باسم الارصاد (٥) ،

(١) ابن تقي الدين : حوادث الدهور ص ١٤٣

(٢) الاحكار هي أجرة مقررة على ساحات دائرة ، أو كانت دائرة حين استئجارها وعمرت مساكن وبساتين ، وظلت في أيدي مستأجريها ، على أن يدفعوا الاجر المقرر لها منذ بادئ الامر ، وكانت هذه الاحكار ضمن الاموال الهلالية التي تجتمع للديوان السلطاني ، ثم أزيلت من الديوان السلطاني وأصبحت أوقافا على جهات متعددة ، ويبدو أن ذلك يبدأ من عهد الناصر محمد - ابن مماتي : قوانين الدواوين ص ٢٥٧ ، المقرئ : المواظ والاعتبار ج ١ ص ١٠٧ ، ١١٠ ، السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٥١٨ حاشية ٣

(٣) السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٥١٨

(٤) وثيقة وقف السلطان قايتباي رقم ٨٨٦ أوقاف ص ٨ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، وأنظر أيضا وثيقة وقف قايتباي رقم ٨٨٩ دراسة ونشر د. محمد محمد أمين بالمجلة المصرية التاريخية سنة ١٩٧٥

(٥) امصطفى : عطية الرحمن : ص ٢٨ ، السيوطي : الانصاف في تمييز الاوقاف ورقة ١٣٦١ .

كما وقفوا هذه الاملاك أيضا على ذريتهم وأولادهم ، وهذا يبدو بوضوح في وثيقة وقف السلطان قايتباي (١) .

الشريف الواثق المنصور بأبيه الشريف أغلا شرفه الله تعالى وعظمته
 يملكه لما أنشأه ولما يفتد له بملكه الكائنة المذكورة وبجربان ذلك
 وملكه وصرفه حال مندور هذا الوقت من موضع ابنه أخوه الفاضل الله
 سيظهر بحاشيته وبعضه وهو ما يتبين فيه من الأراضي جارية بيد
 مولانا السلطان الواثق المنصور بأبيه الشريف أغلا شرفه الله تعالى
 وعظمته وفي املاك بيت المال المغفور وله وقف ذلك على ما يشرح فيه

والجسدة التي تملكها بنت عشرين من ناحية توفيقا للفرقة
 والجسدة التي تملكها بنت عشرين من ناحية توفيقا للفرقة
 والجسدة التي تملكها بنت عشرين من ناحية توفيقا للفرقة
 وجسمين أراضي ناحية طاهر بن سليمان التتائيه والجازي
 مولانا الغمام الشريف الواثق المنصور بأبيه الشريف أغلا بمقتضى مكتوب وفيه
 عليهما وعلى تاريخهما أغلا المشروط لتبني في كل منهما الزيادة والنقص والاد
 والإخراج وغير ذلك مما عتق وشرح املا كماله والله وأضاف ذلك
 هذا الوقت وحيد كالوقت الواحد والجسدة التي تملكها بنت عشرين
 من أراضي ناحية سجون الجبار الغريبة والجسدة التي تملكها بنت عشرين

(١) وثيقة وقف السلطان قايتباي ٨٨٦ اوقاف من ١١٢.١١٣.١١٤.٢٣٧.٢٣٩.٢٤٨

من اراضي حاجية طرزيّة بالقرية والحصة التي تليها حصّة ونقطة
من اراضي حرم اراضي ابي عبد الله وعنه الحجازي في اماكن بيت المال
لا يملك ولا انعام البريف الواقعة للموت بينهما البريف اعلاه شرقا لله تعالى
وغيره ونصرته بشهادة غير شريفة وله وقت فلك الطوق الترتيب
مجمع الحجازي للملاك
بيت المال الموقوف
ولا الواقف الشريعة
من اراضي بيت المال

ع

والحصة التي تليها سنة من اراضي بيت المال الحجازي والحصة التي
تليها ملك غير اراضي بيت المال وعنه الحجازي في اماكن بيت المال
وقفاً جامعاً شريعياً وجلبتاً صريحاً جامعاً
لا يملك اصل ذلك ولا يملك ولا يملك من موقوفه ولا يملك من موقوفه
فانما اصل موقوفه مستلزم لبلد الا في ذكره انما الاصل من موقوفه
الان يملك الاصل من موقوفه وهو موقوف الوارثين انما موقوفه

أول الواقف
شريعة الواقف
عليه كان أخيراً

(وثيقة وقف السلطان قايتباي ٨٨٦ أوقاف - ص ٨ - ١١٢ - ١١٤ - النص
صراحة على الوقف من املاك بيت المال وتعدد الجهات الموقوفة من املاك
بيت المال)

وكان أن ازدادت الاوقاف زيادة كبيرة في أواخر عصر سلاطين المماليك ، وكأن الناس أحسوا بدنو أجل الدولة ، بعد أن لمسوا اضطراب أحوالها فأرادوا أن يؤمنوا أموالهم وممتلكاتهم وسط مظاهر الخلل المحيطة بهم فلا يكاد الانسان يشتري أرضا أو عقارا حتى يجبسه على نفسه وذريته (١) ، ومثال ذلك ما قام به السلطان العادل طومان باى من شراء أرض في ١٣ رمضان ٩٠٦ هـ ثم وقفها في ٢٦ رمضان ٩٠٦ هـ قبل عزله من السلطنة بأربعة أيام فقط (٢) ، كذلك قام السلطان الغورى بتحرير بعض وثائق وقفه أو التعديل فيها في يومى ١٧ ، ١٨ ربيع الثانى ٩٢٢ هـ (٣) بممصره بالريديانية ، وهو في طريقه الى حلب لمقابلة جيوش السلطان سليم : كذاك يقال أن الامير طقطبى ابن عبد الله تخاذل عن الخروج لقتال العثمانيين بحجة ضعف صحته في الوقت الذى عمل فيه على ايصال كتاب وقفه وتنفيذه والاشهاد عليه في الريديانية في أخرج أوقات الدولة (٤) .

وهكذا لم ينته عصر سلاطين المماليك في مصر ، الا وكانت مساحة كبيرة من أراضي مصر أوقافا ، بلغت عند الفتح العثمانى حوالى عشرة قراريط : كذلك كانت غالبية مباني القاهرة والفسطاط وقف (٥) .

(١) د . عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية ص ١٢٣

(٢) وثيقة وقف العادل طومان باى بدار الكتب رقم ٢١٠٠ تاريخ

(٣) من وثائق وقف السلطان الغورى رقم ٥٠٠ / ٥٠٢ / ٥٠٤ / ٥٠٥ / ٥٠٦ / ٥٠٧ / ٥٠٨ / ٥٠٩ / ٥١١ / ٥١٢ / ٥١٣ / ٥١٤ مؤرخة في ١٧ ربيع آخر ٩٢٢ هـ والوثيقة رقم ٥٥٠ مؤرخة في ١٨ ربيع آخر ٩٩٢ ، وثائق بارشيف وزارة الاوقاف (جديد) - أنظر بقية وثائق السلطان الغورى في هذين التاريخين في فهرست وثائق القاهرة .

(٤) وثيقة وقف طقطبى بن عبد الله الملاى رقم ١٠٢٠ أوقاف .

(٥) الاسحاقى : لطائف أخبار الاول ص ١٢٨ ، وذلك على أساس أن أراضي مصر المستقلة تقسم عادة الى ٢٤ قيراط - أى أن الاراضى الموقوفة حوالى نصف مساحة الاراضى المستقلة - د . عاشور : الايوبيون والمماليك ص ٣٤٧/٣٤٨

طبيعة الاوقاف في عصر سلاطين المماليك :

الاصل في نظام الوقف الاسلامي حسب ما جاء في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام الى عمر بن الخطاب عن أرضه بخيير : « حبس أصلها وسبل ثمرتها » ، فجعلها عمر رضى الله عنه حبسا لا يباع ولا يشتري ولا يوهب ولا يورث ، أى لا تجوز فيه أى من التصرفات^(١) ، وعلى هذا اشترط عامة الفقهاء في الوقف التأييد^(٢) ، ولهذا أقروا وقف العقار ويشمل الارض سواء كانت مبنية أم لا ، معدة للزراعة أم لا ، كما يشمل الدور والحوانيت ، ورأى الفقهاء أن يدخل في وقف العقار كل ما يدخل في حالة بيعه أو اجارته بدون ذكر^(٣) .

والقياس يقتضى عدم صحة وقف المنقول مطلقا سواء وقف تبعا للعقار أم قصدا ، وسواء جرى العرف بوقفه أم لا ، لأنه لا يتأبد ، والشرط في الوقف التأييد^(٤) ، وأخذ بذلك الامام أبو حنيفة فيرى عدم جواز وقف المنقول لفقدان شرط التأييد ، وبهذا رأى أخذ أبو يوسف الا في السلاح والكراع^(٥) للجهاد في سبيل الله ، ذلك أن خالد بن الوليد وقف دروعا له في سبيل الله ، فأجازه النبي صلى الله عليه وسلم ، كذلك حبس طلحه سلاحه وكراعه في سبيل الله^(٦) ، أما محمد (صاحب أبى حنيفة) فقد رأى جواز وقف أى شئ يكون الناس - في موضع الشئ الموقوف - قد تعارفوا على وقفه^(٧) ، أما الأئمة

(١) أنظر ما سبق في الفصل الاول .

(٢) يرى الامام مالك أنه يجوز التأقيت في الوقف - المدونة الكبرى ج ٤ ص ٣٤٨

(٣) العمادى (أبو السعود العمادى المفتى الحنفى) : رسالة في وقف المنقول .
مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٢٨٥ فقه حنفى ورقة ٧ ، قاضى زادة : نتائج الافكار ج ٥ ص ٥١ - السرخسى : المبسوط ج ١٢ ص ٤٥

(٤) مشوب : الوقف ص ٤٧ - الابيانى : الوقف ص ٣٤ ، ٣٨

(٥) الكراع من الخيل .

(٦) الطرابلسى : الامتاع ص ٢٤ - العمادى : رسالة في وقف المنقول ورقة ٦ ،

ابن الهمام : فتح القدير ج ٥ ص ٤٩ ، ٥٠ ، السرخسى : المبسوط ج ١٢ ص ٤٥

(٧) السرخسى : المرجع السابق ج ١٢ ص ٤٥ . ابن هابدين : رد المحتار ج ٣

ص ٣٨٥ ، العمادى : رسالة في وقف المنقول ورقة ٤ ، الحمزاوى : قواعد الاوقاف ص ٥

الشافعي ، ومالك ، وابن حنبل ، فأجازوا وقف : « كل ما أمكن الانتفاع به مع بقاء أصله ، ويجوز بيعه » (١) .

أخذ علماء الامصار بهذين الرأيين بالنسبة لوقف المنقول ، فأصبح جائزا وقف كل شيء يمكن الانتفاع به مع بقاء أصله ، كذلك وقف كل شيء تعارف أهل البلد على وقفه ، وأصبح ما لا يمكن أن يدخل تحت الشرط الاول مثل الحوانيت والعبيد والمصاحف والكتب ... الخ يدخل تحت الشرط الثاني (٢) ، وزاد العلماء في التوسعة على الناس وفي اتساع نطاق الوقف بالتالي فافتوا بأن ما يتعارف على وقفه في أى مكان بالدولة الاسلامية يجوز وقفه في أى مكان آخر بها ، على أساس أن الدولة الاسلامية وحدة واحدة (٣) ، ولكن رغم هذه التوسعة التي جعلت الوقف يشمل كل شيء ، وجد خلاف كبير بين العلماء في وقف النقود (الدراهم والدنانير) (٤) ، واعتقد أن السبب في ذلك حساسية هذا الموضوع لاتصاله بالربا وتحريمه في الاسلام ، ولكن وجد من العلماء من أجاز وقف النقود على أساس المتاجرة بها ، وما تغلّه من كسب يعتبر ريعا يصرف طبقا لشرط الواقف (٥) ، وأصبح من الجائز أيضا وقف الحيوانات ، ولو لم تكن تابعة لارض زراعية موقوفة ، فمثلا أجازوا وقف بقرة على رباط على أن ما يخرج من لبنها وسمنها يعطى لابناء المبيل وهكذا .. (٦) .

(١) قاضى زاده : نتائج الافكار ج ٥ ص ٥١ ، العمادى : المرجع السابق ورقة ٧

(٢) الخطيب (حسن أحمد) : مسائل ص ١٥٦ ، أمرار المعاملات ص ٢٨٧

(٣) العمادى : رسالة فى وقف المنقول ورقة ٧

(٤) بركلى (محمد بن بىر على ت ٩٨١ هـ) : السيف الصارم فى عدم جواز وقف النقود والدراهم - مخطوطة بمكتبة البلدية بالاسكندرية رقم ٣٠١٧ ج (٢) ، وتوجد صورة منها فى معهد المخطوطات العربية رقم ٦٤ فقه حنفى ، العمادى : رسالة فى صحة وقف الدراهم والدنانير - مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٢٨٥ فقه حنفى ونسخ اخرى أرقام ٨٧ مجاميع ، ٣٦١ مجاميع .

(٥) ابن عابدين : رد المحتار ج ٣ ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ العمادى : رسالة فى وقف المنقول ورقة ٥٢٤ ، الطرابلسى : الاسماء ص ٢٥

(٦) ابن عابدين : رد المحتار ج ٣ ص ٣٨٦ ، العمادى : رسالة فى وقف المنقول ص ٦٠٦

وكان لانتشار الاوقاف وازدهارها في العصر المملوكي أثر كبير في تنوع ما يوقف - وما يوقف عليه - تنوعا كبيرا حتى كان أن يشمل كل شيء تقريبا .

أما عن أهم الأشياء التي انتشرت وقفها في العصر المملوكي فهي الاراضي الزراعية ، والمباني ، مثل الدور والقصور والمدارس ، ومكاتب الايتام والخوانق ، والربط ، والوكالات ، والفنادق ، والقياسر ، والخانات ، والسبل وأحواض الدواب ، ومعاصر الزيت ، والقصب ، والحمامات ، والطواحين ، والاfran ، ومخازن الغلال ، ومصانع الصابون ، والنسيج ، ومعامل لترقيد الفروج ، ومعامل للنشا والنشادر ، ومسمط برسم اسقاط الاغنام... الخ (١) . ويمكن أن نقول أنه من دراسة وثائق الاوقاف في العصر المملوكي تبين لنا أن كل شيء يمكن أن يدر دخلا ، وفي حوزة السلاطين أو الامراء أو عامة الناس تم وقفه في العصر المملوكي فيما عدا الخراج وأنواع الضرائب المختلفة (٢) .

ولم يقتصر الامر على ما يدر دخلا فقط ، فقد وجد من أوقف عبيده لخدمة مؤسسة دينية ، ذلك أن الفقهاء أجازوا وقف الرقيق وأزواجهم وأولادهم إذا كانوا يعملون في ضيعة ثم وقفها صاحبها بمن فيها منهم وسماهم ، على أساس تبعية الرقيق للارض (٣) : ثم حدث بناء على توسعة العلماء والفقهاء في الاوقاف أن قام البعض بوقف عبيده لخدمة مسجده أو مدرسته ، ففي وثيقة ترجع الى السنوات الاولى من الفتح العثماني لمصر نجد الواقف وهو سليمان باشا يقف ستة من عبيده للعمل في خدمة المسجد الذي شيده فوق قبر سارية الجبل بالقاهرة (٤) ، وحدد الواقف لهؤلاء العبيد أعمالا معينة

(١) معظم وثائق إوقف المملوكية - أنظر فهرست وثائق القاهرة ، المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ، د . عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية ص ١٣٤/١٣٥
(٢) أنظر ما سبق في الفصل الاول من وقف صلاح الدين لصناديق الفرنج .
(٣) السرخسى : المبسوط ج ١٢ ص ٤٥ ، العمادى : رسالة في وقف المنقول ورقة ٤

(٤) وثيقة وقف سليمان باشا ١٠٧٤ أرشيف وزارة الاوقاف يرجع تاريخها الى اول رجب سنة ٩٣٦ هـ .

تتمثل في التنظيف (مثل الفراشين ، والاضاءة مثل الوقادين) ، كما خصص لهم أجرا من ريع الوقف ، وفي حالة تكاسلهم أو هربهم حدد عقاباً لهم^(١) ، ومن الغريب أن نجد الواقف يصر على وجود ستة من العبيد دائماً في خدمة المسجد ، وأنه في حالة تكرار كسل العبد وإهماله فعلى ناظر الوقف بيعه وشراء عبد آخر مكانه ، أما إذا لم يجد مشتر له بسبب كبر سنه أو أى سبب آخر فعلى الناظر أن يعتقه ، ويشترى عبداً آخر من ريع الوقف ، ونلاحظ أن العتق هنا يعتبر عقوبة للعبد ، لأن الواقف لم يحدد للعبد بعد عتقه أى مرتب ولو على سبيل الصدقة والإحسان كما أنه لم يعتقه إلا بعد أن تقدمت به السن وأصبح غير قادر على العمل^(٢) . وفي حالة عدم وجود عبد مناسب لشرائه ، أو في حالة عدم وجود نقود كافية لشرائه ، فيمكن تعيين أحد الرجال الأحرار ليقوم بالعمل حتى يتيسر شراء عبد جديد ، كذلك سمح الواقف أن يتولى ابن العبد المتوفى وظيفة أبيه .

وكانت الأعمال التي خصصها الواقف لعبيده يقوم بمثلها في الأوقاف الأخرى رجال أحرار ، كما أن الأجور التي حددها الواقف للعبيد لا تقل عن أجور باقى الموظفين بنفس الوقف ، بل أنها أحيانا تزيد ، فبعد أن عدل الواقف (سليمان باشا) في وثيقته مرتين^(٣) ، زاد استحقاق العبد حتى أصبح مساويا لمرتب ناظر الوقف ، ولبعض الوظائف الأخرى^(٤) .

ونصفه في كل سنة من ثلث الأوقاف التي كانت له من الوقف
عبد الواقف

(١) وثيقة سليمان باشا ١٠٧٤ أوقاف من ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤

(٢) أنظر نص الوثيقة ص ١٤

(٣) وثيقة الوقف تتضمن ثلاث وثائق - الوثيقة الأصلية ، ثم التعديل الأول ثم التعديل الثاني وتاريخه رجب ٩٧٩ هـ ، وثيقة وقف سليمان باشا ١٠٧٤ أوقاف .

(٤) الوثيقة السابقة .

Rudolf Vesely : De La Situation des

Esclaves dans l'Institution du Wakf, Archiv Orientalni

32 — 1964, pp. 345 — 353.

العتامة الموصوفة أعلاه ثلاث مائة عثمانى وسنن عثمانى عما به صفة عثمانى
 نصف الواسع يوم معاصم النور عند الضرب في كل يوم اثنا عشر عثمانى واثنا عشر
 وطلعت الخبر الجارية المسفرة من وقت البر ثلاثة اذ طال من الحق لسه الفان من العبد
 الشور بالسوية بينهم كذا تفرقهم في كل يوم عثمانان وطلعت من الخبر نصف وطلعت
 من الخبر المذكور أعلاه وهذا العبد المذكور آخر عثماننا الواسع النور باسمه الكريم
 أعلاه ان الله تعالى عز وجل من ماله وجاهه دقة جامعته المذكور على ما بين فيه
 فازدحم عبيد منها قاتلون يتولون كسبه ومنع ماله من الرطام واللاط وكفى الشان
 والبركات المجاوزة له وبين الاطعمة وقرن ماله من السطو والخبر وخلق الشان
 على ما بينه الموصوف به في ايام الجمع والاعجابه وغير ذلك مما جرت العادة به عند الحاجة
 ونقص الخبر والسطو الشان وطلبها عند الاستعانة بها واخرها في ايامها المتعددة
 لها وفضل ما حثت به عادة امثالهم ذلك واثان من العبد المذكور أعلاه وقاد من
 بالاجام المذكور وعزيمه ومقام سيدي السج سارية والشار وغير ذلك من المصالح
 الدخلة في ذلك والجارفة عنه بوليان بغير مصاحبها ووقد ما عند الحاجة اليها
 وطلبها عند الاستعانة بها ووقد مصالح الشان في ليلة النصف من شعبان الكريم وفي كل
 ليلة من شهر رمضان من كل سنة وعسل الصادق وطلبها وطلبها وطلبها وطلبها
 ما بها عند الحاجة لذلك فعل ما حثت به عادة امثاله في مثل ذلك وما دل كل واحد
 من العبد السقة المذكورين علانها لخدمة اجام المذكور على ما حثت به عادة الامام والشار

عن وظفقه وشر قصورهم أو خاسر مدقة ما عثر عليه أعلاه أو عاب من غير عديد
 ربح النول المشار إليه فيه وبناه وضمن عن التصدير والتكاسل وأمرهم باللامعة
 الحق بعد الأخرى إلى ثلاث نزل فإن ربح ولازم وظفقه يستمر عليه وإن لم يربح
 واستمر على التصدير وعدم المدقة والتكاسل إليه فإن نال ربح فبسمه على عادية
 وإن لم يربح فما هو عليه من التصدير وعدم المدقة باعده النول يأخذ الناطر المشار إليه
 أن كان صالحا للنبو واشترى عومدة ضمن بقوم مقامه وإن أصبح الزيادة في منه أجرة
 من حاسب الوقف المذكور الزيادة الفاج إليها وإن كان غير صالح للنبو كان سحابة
 اجتمع الناطر والنول المشار إليها أعلاه وطلما عفاه ونوعه إلى حال سنده وإن
 أوهمه لشترى بذلك من موت أو غروب أو غمر رواد الوقف المذكور من بقوم مداه

بالعلوم المعبر له أعلاه وأمران ولد ولد صالح لوطيه والى كان مقرراتهما معلوم والده
 وإن لم يكن له ولد ولا حيدر رخصه الله ذكره العلاء ولد صالح لوطيه النوفى كان مقرراتها
 معلوم المعبر أعلاه وإن نذر شرعا عدا قام النول المشار إليه من بقوم مقامه إلى السرى
 عدا صالحا للخدمة بعموم من من موت أو غروب أو غمر ولا يملك العمل الدوام والاستمرار

١ وثيقة وقف سليمان باشا رقم ١٠٧٤ أوقاف - ص ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ -
 وقف ستة من العبيد السود على خدمة الجامع المقام فوق قبة سارية الجبل ١

ومن الطبيعي أن يؤول ربيع الوقف أما للواقف وذريته إذا كان الوقف
 أهليا ، أما إذا كان الوقف خيريا فيؤول الربيع إلى أرباب الوظائف أو إلى طلبة
 العلم ، أو فقراء الصوفية . سواء حصلوا على المعلوم نقدا أم عينا ،
 وربما يحصر الربيع في شراء ما يحتاج إليه في المسجد أو المدرسة أو السبيل
 من أدوات لاستمرار أداء العمل . وفي هذه الحالة تتنوع مصارف الوقف تنوعا

كبيرا ، أو يؤول ريع الوقف الى الفقراء والمساكين^(١) ، ولكن وجدت في العصر المملوكي من الاغراض ما زاد الوقف عليها بدرجة ملحوظة بالنسبة للعهود السابقة . وهذه الاغراض مستوحاة من طبيعة العصر ، فمثلا كان لانتشار الاوبئة والطواعين في بعض فترات العصر المملوكي أن كثرت الاوقاف من أجل تغسيل فقراء المسلمين وتكفينهم ودفنهم . ومن أشهر هذه الاوقاف وقف الطرحاء^(٢) الذي أنشأه السلطان الظاهر بيبرس^(٣) . وكثيرا ما صنع الناس التواييت في أوقات الطواعين ، وأوقفوها على نقل الموتى^(٤) ، كذلك اهتم سلاطين المماليك بانشاء مصليات لتغسيل الاموات والصلاة عليهم ، وتجديد مصلى سبيل المؤمنين لنفس الغرض ، كما أوقفوا عليها الاوقاف^(٥) وكانت تتجلى أهمية هذه الاوقاف وقت انتشار الامراض والطواعين^(٦) .

ومن الاغراض التي زاد الايقاف عليها في العصر المملوكي أيضا ، الوقف على الحرمين الشريفين بمكة والمدينة . ولاسيما كسوة الكعبة^(٧) : فقد اشترى السلطان الملك الصالح بن الناصر قلاوون من بيت المال قرية بيسوس ووقفها على كسوة الكعبة في كل سنة ، وعلى كسوة الحجرة النبوية والمنبر النبوي مرة كل خمس سنين^(٨) ، كما أوقف ثلثي سندبيس^(٩) الملك الصالح

(١) أنظر ما يلي بالفهرسول التالية .

(٢) الفرعاء . جمع طريح وهو المتروك المهمل - النجوم الزاهرة ج ١١ ص ٦٦ حاشية ٦

(٣) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٦٣٨

(٤) ابن تفرى بردى : النجوم (ط . كاليفورنيا) ج ٦ ص ٦٥٥

(٥) وثيقة وقف السلطان القورى رقم ٨٨٢ أوقاف ، ٨٨٤ أوقاف تحقيق ودراسة

د . عبد اللطيف ابراهيم .

(٦) ابن تفرى بردى : حوادث الدهور ص ٣٣٧ - النجوم (ط . كاليفورنيا)

ج ٦ ص ٦٥٨

(٧) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٤٩٥ ، د . عاشور : العصر المماليكى ص ٢٣٠

(٨) الفاسى : شفاء الغرام ج ١ ص ٢٣ ، ٢٤ ، ابن دقماق : الانتصار القسم

الثانى ٤٨ - أنظر أيضا وثائق وقف كل من : سلما وسليمان ولدى البدرى حسن

٤٩١ أوقاف ، زينب الملاى بنت الجمال عبد الله ٥٩٥ أوقاف ، شمس الدين أبو عبد الله

٧٦١ أوقاف ، السلطان قايتباى ٨٨٥ أوقاف ، ٨٩٠ أوقاف قائم التاجر ٩٢٦ أوقاف

المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف قايتباى الرماح ١٠١٩ أوقاف ، السلطان برسباى ٨٨٠ أوقاف ،

ايتمش بن عبد الله ١١٤٣ أوقاف ، قراقچا الحسنى ٩٢ أوقاف - نشر ودراسة

د . عبد اللطيف ابراهيم ، سرور بن عبد الله الشبلى ٣٩ محفظة ٦ بمحكمة الاحوال

الشخصية . نشر ودراسة د . عبد اللطيف ابراهيم وغيرها من الوثائق .

(٩) سبق أن وقف سندبيس السلطان صلاح الدين الايوبى مع بلدة نقادة على

خدمة الحرم النبوى - أنظر ما سبق بالفصل الاول .

عماد الدين اسماعيل بن الملك الناصر محمد على ستة عشر خادما برسم خدمة الحجرة الشريفة النبوية ، كذلك أوقف السلطان قايتباي مجموعة كبيرة من المشكاوات والشمعدانات لوضعها بالحجرة النبوية ، وأمر أن يكتب عليها (عز مولانا السلطان الملك العادل المجاهد سلطان الاسلام والمسلمين الاشرف أبو النصر قايتباي هذا ما أوقف على الحجرة النبوية مولانا السلطان الملك الاشرف أبو النصر قايتباي عز نصره بتاريخ سنة سبع وثمانين وثمانمائة في شهر رمضان المعظم قدره) (١) .

واعتقد أن سبب كثرة الاوقاف على الحرمين الشريفين بمكة والمدينة . وعلى فقرائهما في العصر المملوكي . يرجع أساسا الى حرص سلاطين المماليك على القيام بكل ما يؤكد زعامتهم للعالم الاسلامي ، ومن ذلك بسط سيادتهم على الحجاز ، فقد كان شرفا عظيما وزعامة كبرى لكل حاكم مسلم أن يظهر أمام المسلمين في مشارق الارض ومغاربها في صورة حامى الحرمين والمدافع عن الحجاز (٢) ، ولذلك سلم الظاهر بيبرس الى نواب أمير مكة ريع أوقاف الحرمين بمصر والشام (٣) ، ويؤكد هذا القول أنه عندما استأذن شاه رخ بن تيمورلنك السلطان برسباي في أن يكسو الكعبة (٤) ، استفتى السلطان برسباي الفقهاء ، فتواردت أجوبتهم على المنع ، وقال بعضهم « لا يجوز ذلك لما فيه تعطيل الوقف » (٥) ، ولكن السلطان برسباي لم يعجبه هذا الرأي ، فكتب الى شاه رخ كتابا يتضمن منعه من كسوة الكعبة معتذرا بأن « المادة جرت قديما وحديثا أن لا يكسو الكعبة الا ملوك مصر ، والعادة قد اعتبرت في الشرع في مواضع ، وإن للكسوة أوقافا تقوم بعملها لا تحتاج الى مساعدة في ذلك » (٦) ، وعندما وافق

(١) حسن قاسم : المزارات الاسلامية ج ٢ ص ١٨٧

(٢) د. عاشور : العصر المماليكي ص ٢٢٩

(٣) المقرئزي : السلوك ج ١ ص ٥٦٠ ، ٥٧٩ ، د. عاشور : العصر المماليكي ص ٢٣٠

(٤) ابن تفرى بردى : النجم ج ٦ (ط . كاليفورنيا) ص ٧٢٢

(٥) ابن حجر : انباء الفرس ج ٣ ص ٥٢٥ . ابن تفرى بردى : المرجع السابق ص ٧٢٢

(٦) كان لاوقاف الكسوة ناظر خاص بها ، وكان حسب شرط الواقف من يتولى وظيفة وكيل بيت المال - ابن تفرى بردى : النجوم (ط . كاليفورنيا) : ج ٦ ص ٧٢٤ ، ٧٢٥ . ج ٧ ص ١٠١

السلطان جقمق سنة ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤ م على أن يكسو شاء رخ الكعبة ، اعتذر السلطان للأمراء والقضاة والفقهاء بقوله : « ان هذه قرية ويجوز أن يكسو الكعبة كائن من كان » ، ويعقب ابن تغرى بردى على ذلك بقوله : « فمعظم ذلك على أمراء الدولة والمصريين الى الغاية » (١) .

تنظيم الاوقاف في مصر في عصر سلاطين المماليك :

أدى انتشار الاوقاف وازدهارها في عصر سلاطين المماليك الى اهتمام السلاطين بأمرها ، ولذلك استحدث سلاطين المماليك نظاما جديدا للاوقاف واذا كانت المصادر المتداولة لا تنص صراحة على بدء التنظيم الجديد للاوقاف . والتعديلات التي أدخلت عليه حتى أصبح نظاما محكما ، فانه يبدو من الاشارات المتناثرة أن بداية هذا التنظيم كانت على عهد السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ / ١٢٦٠ - ١٢٧٧ م) ، ففي سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م فوض السلطان الظاهر بيبرس القاضي تاج الدين بن بنت الاغر النظر في « الاحباس والاقواف والمساجد » (٢) ، كما كان عليه الحال من قبل في العصر الايوبي (٣) وبعد ذلك بحوالى اربع سنوات تم تعديل نظام القضاء حتى لا يتحكم قاضى القضاة الشافعى وحده في جميع الشئون القضائية ففي سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م ، تم تعيين أربعة من قضاة القضاة يمثلون المذاهب السنية الاربعة : على أن يظل قاضى القضاة الشافعى محتفظا بالنظر في أموال الايتام ، والقضايا الخاصة ببيت المال (٤) .

وأعتقد أنه حوالى هذا الوقت ، ومع بدء تعديل نظام القضاء استحدث نظاما جديدا لإدارة الاوقاف ، تم بمقتضاه الفصل بين الرزق بأنواعها من

(١) ابن تغرى بردى : المرجع السابق ج ٧ ص ١٢٧ ، ١٣٨ .
(٢) ابن عبد الظاهر : سيرة الملك الظاهر - النص العربى فى كتاب Baybers I of Egypt, By Syedah Fatima Sadeque. ص ٢٥ ،
المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٥٢
(٣) انظر ما جاء بالفصل الاول عن تنظيم الاوقاف فى العصر الايوبي .
(٤) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٥٣٩ / ٥٤٠ ، المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٥ ، ٣٠٢ ، القلقشندي : صبح الاعشى ج ١١ ص ١٧٤ - د عاشور : العصر المماليكى ص ٣٦٦

ناحية وبين أوقاف الحرمين والأوقاف الخيرية من ناحية أخرى ، والتي كانت جميعا في العصر الأيوبي تابعة لديوان واحد هو ديوان الاحباس ؛ كما ظلت الأوقاف الأهلية على حالها في أيدي نظارها مع خضوعها لأشراف قاضى القضاة الشافعى ، وأعتقد أنه منذ ذلك الوقت أيضا أصبحت هناك تفرقة واضحة بين ديوان الاحباس ومن يتولى نظارته والأشراف عليه من ناحية وبين ديوان الأوقاف ومن يتولى نظارته والأشراف عليه من ناحية أخرى ، وذلك ان القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) يذكر أن « رزق الخطابات » أضيفت الى ديوان الاحباس ، وان الرزق من الارضين كثرت « في الدولة الظاهرية بيبرس بواسطة صاحب بهاء الدين بن حنا (وزير الظاهر بيبرس) ، وأخذت في الزيادة الى زماننا^(١) » ، وفي موضع آخر يذكر القلقشندي أنه في عهد بيبرس « أفرد للجوامع والمساجد والربط والزوايا ونحو ذلك رزقا ، وقصر تحدث ناظر الاحباس ومباشره عليها ، وأفردت الأوقاف^(٢) بناظر ومباشرين^(٣) » .

وهذا النص يشير صراحة الى أنه منذ عهد الظاهر بيبرس البندقدارى انقسمت الأوقاف الى ثلاثة أقسام رئيسية على الأقل بحسب رئاستها أو تبعيتها وهذه الأقسام الثلاثة هي : الرزق التابعة لديوان الاحباس ، والأوقاف الخيرية على الحرمين وجهات البر ، وكانت تحت اشراف قاضى القضاة الشافعى وهي التي عرفت في عصر المقرئى باسم « الأوقاف الحكيمة » ثم الأوقاف الأهلية ، أو تلك الأوقاف التي امتزج فيها الوقف الخيري بالوقف الاهلي ، والتي كانت بيد ناظر من أولاد الواقف ، أو عتقائه ، أو من القضاة ، أو الامراء أو الفقهاء تبعاً لشرط الواقف .

أما ديوان الاحباس فقد اقتصر نظره على الرزق ، وهذه عبارة عن أراضي زراعية يعطيها الخلفاء والملوك والسلطين بمقتضى حجج شرعية أو

(١) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ص ٢٨

(٢) كلمة احباس تترادف كلمة أوقاف التي انتشرت في مصر في العصر الفاطمي عن طريق المالكية ، المذهب السني الوحيد الذي سمح به في مصر في هذا العصر ، ولكن منذ العصر المملوكي وفي مصطلح الدواوين أصبح هناك فارق كبير بين الكلمتين - انظر ما يلي عن اختصاص ديوان الاحباس .

(٣) القلقشندي : صبح الاعشى : ج ١١ ص ٢٥٢ ، ٢٥٣

تقاسيـط ديوانية الى بعض الناس^(١) على سبيل الاحسان والانعـام ، مع اعفائها من الضرائب « رزقه بلا مال » ، وتنوعت هذه الرزق في العصر المالكي ، فبعضها كان ينص على أنه وقف فيصرف ريعه على المساجد^(٢) ، أو على الكتائب والاديرة^(٣) ، أو على أحد الفقهاء وذريته من بعده ، وما الى ذلك من وجوه البر ، وهى التى عرفت فى المصطلح باسم « الرزق الاحباسية » أو « الاراضى المؤبـدة » ، وكان « يتوارثها الخلف عن السلف »^(٤) وهناك « رزق » أخرى لا ينص على أنها وقف ، وتكون من قبيل الارصاد المؤقت ، يصرف ريعها الى المستحقين ، وتنحل هذه الرزق بانقراض المستحقين وتعود الى الديوان الذى خرجت منه^(٥) ، وكانت تخرج من بيت المال ، كما خرجت رزق كثيرة من الاعمال الخيرية التابعة لديوان الخاص^(٦) ، كذلك خرجت بعض الرزق من ديوان الجيش ، وهى التى عرفت فى المصطلح باسم « الرزق الجيشية » وهى لا تختلف عن غيرها من الرزق سواء فى أقسامها أو فى الاشراف عليها ، فقد كان يشرف عليها أيضا ديوان الاحباس^(٧) ، ولكنها تخرج من ديوان الجيش الى الامراء الذين اقدمهم المرض أو كبر السن عن أداء واجباتهم الحربية المرتبطة بالاقطاع ، أو الى الذين غضب عليهم السلطان واستولى على اقطاعاتهم ، ثم عفا عنهم ، فتقديرًا لولائهم القديم يمنحهم السلطان مثل هذه الرزق الجيشية ، وهذا الامر المتقاعد أو المعزول هو ما عرف فى المصطلح باسم « الطرخان »^(٨) ،

(١) ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥٣ حاشية ٦.

(٢) يذكر النويرى عند كلامه عن روك ثيابة طرابلس أن الظاهر ببيرس رسم أن يبنى بقرى النصرية فى كل قرية مسجد ، ويفرد من اراضى القرية رزقة يرسم المسجد نهاية الارب (مخطوطة بدار الكتاب المصرية رقم ٥٥١ معارف عامة) ج ٣٠ ورقة ٣٦٤

(٣) المقرئى : السلوك ج ٢ ق ٣ ص ٩٢١

(٤) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ص ٥١

(٥) جاء فى النجوم ج ٩ ص ٥٣ حاشية ٦ أن الرزق تعود الى بيت المال - أنظر

ما يلى عن الدواوين التى تخرج مختلف أنواع الرزق .

(٦) ابن تفرى بردى : النجوم ج ١٠ ص ١٥٦ ، القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤

ص ٣٣ المقرئى : السلوك ج ٢ ق ١ ص ١٥٣

Poliak : Feudalism p. 34.

(٧)

(٨) ابن تفرى بردى : النجوم ج ١٠ ص ٣١٠ ، ٣١١ ، القلقشندي : صبح الاعشى

ج ١٢ ص ٤٨ - ٥٠ ، ٥٢ - ٥٣ ، حيث وردت نصوص مراسيم بطرخانيات لارباب السيوف المتقاعدين والمعزولين ولارباب القلم .

وفي هذه الأحوال كانت هذه الرزق يستفيد منها « الطرخان » مدى حياته شأنها في ذلك شأن الرزق التي من قبيل الارصاد المؤقت . كذلك أجرى السلاطين هذه الرزق الجيشية أحيانا على زوجات الامراء والاجناد ، أو أراملهم وأيتسامهم وأولاد الناس ، وذراري السلاطين ، والفقهاء ، والمتعممين من باب المنحة رعاية لاسلافهم ، ولذلك كان كتاب الجيش يسمونها « الرزق المبررة » لجريانها مجرى الصدقة (١) .

ومع مرور الزمن زادت مساحة الرزق التابعة لديوان الاحباس حتى بلغت الرزق الاحباسية وحدها في سنة ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م في عهد الناصر محمد حوالى ١٣٠ ألف فدان (٢) معفاة من الضرائب مما جعل ناظر الخاص السلطاني المعروف بالنشو (٣) يقترح على السلطان أن يقيم شادا يختاره لكشف الرزق الاحباسية ، فما كان منها على موضع عامر بذكر الله يعطيه نصف ما هو مقرر عليه ، ويأخذ من مزارعه عن النصف الآخر بحساب مائة درهم الفدان ، ويلزمه بخراج ثلاث سنين ، وما كان على موضع خراب ، أو على أهل الارياف من الخطباء الجهال ونحوهم أخذ واستخرج من مزارعه خراج ثلاث سنين من حساب مائة درهم الفدان (٤) ، والزم النشو جمع أرباب الرزق الاحباسية باحضار تواقيعهم وبعث البريد الى الاعمال بذلك والزم ديوان الاحباس بكتابة الرزق كلها (٥) ، وحاول النشو الحصول على موافقة السلطان على اقتراحه لتدبير الاموال اللازمة ، وقال له : « جميع هذه الرزق أخرجها الدواوين بالبراطيل والتقرب الى الامراء والحكام ، وأكثرها بأيدي أناس من فقهاء الارياف لا يدرون الفقه يسمون أنفسهم الخطباء ولا يعرفون كيف يخطبون ولا يقرأون القرآن ، وكثير منها بأسماء

(١) القلقشندي : صبح الامشى ج ٤ ص ٥١ ج ٦ ص ١٨٥

(٢) المقرئى : السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٤٧٤ ، المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٥ ، ابن تفرى بردى : النجوم ج ٩ ص ١٣٢

(٣) هو شرف الدين عبد الوهاب بن التاج فضل الله ت ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م - المقرئى : السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٤٨٦

(٤) المقرئى : السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٧٤٣ ، ٤٧٤ ، ابن تفرى بردى : النجوم ج ٩ ص ١٣٢/١٣١

(٥) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ق ٢ ص ٤٧٥

مساجد وزوايا معطلة وخراب » . وانتهى الامر بالقبض على النشو وقتله قبل اتخاذ قرار في هذا الامر (١) .

ويعلق ابن تغرى بردى على كثرة الرزق في العصر المملوكى فيذكر في حوادث سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م في عهد السلطان المظفر حاجى « وفي هذه الايام توقفت أحوال الدولة من كثرة رواتب الخدام والمجائز والجوارى وأخذهم الرزق بأرض بهتيم من الضواحي ، وبأراضى الجيزة وغيرها بحيث أنه أخذ مقبل الرومى عشرة آلاف فدان » (٢) .

اهتم سلاطين المماليك بديوان الاحباس اهتماما كبيرا ، فيذكر القلقشندى عند كلامه عن الرزق « وهى تارة يتحدث فيها السلطان بنفسه وتارة النائب ، وفي غالب الوقت يتحدث فيها الدوادار الكبير على ما استقر عليه الحال آخر » (٣) ، « ففى أحوال كثيرة تولى السلطان بنفسه الاشراف العام على ديوان الاحباس ، وفي أحيان أخرى فوض هذا الاشراف الى نائب السلطنة أو الى داوداره الكبير ، ويؤكد هذه الحقيقة ما يذكره المقرئى من تولية الملك الناصر محمد للامير بيبرس المنصورى الدوادارى (ت ٧٢٥ هـ / ١٧٢٤ م) منصب نيابة السلطنة : ووظيفة الدوادارية ، ونظر الاحباس (٤) .

كذلك خلع السلطان الاشراف شعبان على الامير أيدير الشامى باستقراره « مقدم ألف ناظر الاحباس دوادارا كبيرا » وذلك سنة ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م : فكان أول دوادار يتولى نظر الاحباس دون أن يكون نائبا للسلطان (٥) ، إلا أن السلطان الاشراف شعبان عاد في سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م وخلق على الامير منجك نيابة السلطنة ونظر الاحباس ، وقد جاء في تقليد الامير منجك « أن السلطان قد أقامه مقام نفسه في كل شيء بيده ، وفوض له ما فوض اليه

(١) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٥

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم ج ١٠ ص ١٥٦ ، المقرئى : السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٧٢٤

(٣) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٤ ص ٣٨

(٤) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ق ١ ص ٧٥ ، ٢٦٩

(٥) المقرئى : السلوك (تحقيق ودراسة د . سميد عبد الفتاح عاشور) ج ٢ ق ١ ص ١٢٨ ، ابن اياس : بدائع الزهور (ط بولاق) ج ١ ص ٢٢٠ ،

الخليفة من سائر أمور المملكة «^(١)، مما يدل أنه حتى ذلك الوقت لم يستقر الحال على الشخص الذي يتولى الاشراف العام على ديوان الاحباس هل هو السلطان أم نائبه أم الدوا دار الكبير . ولكن يفهم مما أورده - القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤٤٨ م) . والمقريزي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) - أن في عهدهما أى في نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع للهجرة (بداية القرن الخامس عشر للميلاد) استقر الحال على أنه يشرف الدوا دار الكبير على النظر في الاحباس^(٢) . فيذكر القلقشندي « وفي غالب الوقت يتحدث فيها الدوا دار الكبير على ما استقر عليه الحال آخرا »^(٣) : أما المقريزي فيذكر عن الاحباس : « ويتولى هذه الجهة دوا دار السلطان . وهو أحد الامراء . ومعه ناظر الاحباس . ولا يكون الا من اعيان الرؤساء . وبهذه الجهة ديوان فيه عدة كتاب ومدير »^(٤)

ويتضح لنا من ذلك أن عمل السلطان أو نائبه أو الدوا دار الكبير وفيما استقر عليه الحال آخرا - بالنسبة لديوان الاحباس - كان من قبيل الاشراف العام ، فهناك ناظر للديوان - من الاعيان - ومعه مباشرين وعدة كتاب . ويؤكد ذلك ما ذكره ابن حجر « من أن بعض الاحكام الخاصة بالاحباس كان يعقد لها مجلس يحضره الدوا دار الكبير »^(٥) . وفي بعض فترات العصر المملوكي كان مع ناظر الاحباس . صاحب ديوان الاحباس . يعمل كنائب له . فقد كان يكتب في كل ما يكتب فيه ناظر الاحباس ، الا أن هذه الوظيفة أبطلت « على عصر القلقشندي »^(٦) .

(١) المقريزي : المرجع السابق ج ٣ ق ١ ص ٢٢٤/٢٢٥
(٢) من الامراء الذين تولوا الاشراف على ديوان الاحباس في هذه الفترة الامير بركة سنة ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م (السلوك ج ٣ ق ١ ص ٣٣٧ - انباء النمر ج ١ ص ١٧٥) والامير الطنبغا الحلبي الدوا دار سنة ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م (السلوك ج ٣ ق ٢ ص ٦٦٠ - ابن الصيرفي : نزعة النفوس ج ١ ص ٢٥٤) . والامير يشبك الدوا دار سنة ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م (نزعة النفوس ج ٢ ص ٥٩) . والامير جكم الدوا دار - سنة ٨٠٢ هـ / ١٤٠٠ (نزعة النفوس ج ٢ ص ١١٦) ، ثم الامير يشبك مرة ثانية سنة ٨٠٤ هـ / ١٤٠١ م (السلوك ج ٣ ق ٢ ص ١٠٨٨ - نزعة النفوس ج ٢ ص ١٤٥)

(٣) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ص ٣٨

(٤) المقريزي : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٥

(٥) ابن حجر : انباء النمر ج ٣ ص ٤٩٤

(٦) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ص ٣٤

أما الاوقاف الحكومية ، وتشمل الاوقاف الخيرية على الحرمين الشريفين ومختلف جهات البر ، والتي لا يدخل فيها وقف اهلى ، فكانت منذ عهد الظاهر بيبرس البندقدارى تحت اشراف قاضى القضاة الشافعى ، فقد استبقاها التنظيم الجديد ، للقضاء والى اوقاف ، تحت يده كاحدى مميزات قاضى القضاة الشافعى^(١) ، وكان يقوم فى بادئ الامر بتعيين اثنين من اعيان نوابه ، أحدهما ناظرا لى اوقاف القاهرة ، والاخر لى اوقاف مصر (الفسطاط) « فقد كان لكل من اوقاف البلدين ديوان فيه كتاب وجباة ، وفى بعض الاحيان يعين ناظرا لكلا الديوانين .

وكان يحصل من الاوقاف الحكومية مبالغ طائلة يصرف منها لاهل الحرمين أموال عظيمة فى كل سنة وتحمل من مصر اليهم مع من يثق به قاضى القضاة وتفرق هناك صرا « ، ويصرف منها أيضا لمصر والقاهرة لطلبة العلم ، ولاهل الستر والفقراء شىء كثير^(٢) ويذكر ابن ظهير فى كتابه « روضة الاديب ونزهة الاربى »^(٣) أن أموال الاوقاف الموقوفة على وجود البر المطلقة تصرف على ما يلى حسب الترتيب الآتى : الاشراف (وهم المتصلون بنسب الرسول) - الفقهاء (الشافعية - الحنفية - المالكية - الحنابلة) - الصوفية - الفقراء - القراء - الاسرى - ابن السبيل والمريض - المجنون - تجهيز الموتى - أسوار الثغور وقناطر الطرقات - عمارة المساجد - مصالح المدارس - الرباطات والخوانق - المشاهد - مواطن العبادة^(٤) .

(١) عندما عين السلطان أربعة قضاة يمثلون المذاهب السنية الاربعة ، ظلت لقاضى القضاة الشافعى مكانه ممتازة انفراد بلبس الطرحة فى الموكب ، ولا يتطلب أو يصل بالسلطان الا هو فضلا عن احتفاظه بالنظر فى مال الايتام ، والقضايا المتعلقة ببيت المال ، والى اوقاف الحكومية - أنظر د. عاشور : الظاهر بيبرس (القاهرة ١٩٦٣) ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، العصر المملوكى ص ٣٦٦

(٢) المقريزى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٥

(٣) مؤلف هذا الكتاب هو شمس الدين محمد بن ابراهيم بن محمد بن ظهير الحنفى الحموى ، مؤلف كتاب روضة الاديب ونزهة الاربى ونزهة الاربى ، عاش فى القرن التاسع للهجرة ، وللكتاب ثلاث نسخ مخطوطة ، فى دار الكتاب الوطنية بتونس رقم ٣٧٨٠ ، ومكتبة المخطوطات العربية بالاسكوريال رقم ٥٠٠ ، وفى اسطنبول فى فهرسة أسعد أفندى ، ويبحث الكتاب فى النظام الادارى المصرى خلال القرن التاسع للهجرة - أنظر د. محمد العبيد الهيلة : النظم الادارية بمصر فى القرن التاسع للهجرة من خلال كتاب روضة الادب - أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة (القاهرة ١٩٧١) من ص ١٠٤١ - ١٠٩٥ (٤) ابن ظهير : روضة الاديب - أبحاث الندوة ص ١٠٩٢ - ١٠٩٣

وظل تعيين ناظرى الاوقاف لمصر والقاهرة من اختصاص قاضى القضاة الشافعى حتى سنة ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م ، فبعد أن قرىء تقليد محمد بن أبى البقاء قاضيا لقضاة الشافعية ، فوض نظر أوقاف مصر لشمس الدين محمد بن الوحيد ، وفوض نظر اوقاف القاهرة لجمال الدين محمود العجمى المحتسب ^(١) ولكن حدث فى العام التالى أن أمر السلطان برقوق أن يتحدث جمال الدين محمود العجمى المحتسب فى الاوقاف الحكيمة جميعها ، فشق ذلك على قاضى القضاة الشافعى ، وتكلم فى ذلك مع أوحد الدين ^(٢) لمراجعة السلطان ، فقال السلطان أنا ما وليت جمال الدين وعزلت الشافعى ، وإنما أمرته أن يتحدث معه فى عمارة ما تهدم ، ثم شافه السلطان القاضى بذلك وقال له : « أنت الناظر وهذا ينوب عنك فى ذلك » ^(٣) .

ويبدو أنه منذ ذلك الوقت أعنى منذ عام ٧٨٥ هـ / ١٣٨٣ م ، أصبح السلطان يقوم بتعيين ناظر الاوقاف بنفسه ^(٤) .

وكان يقوم كل من ناظرى الاوقاف فى مصر (الفسطاط) والقاهرة بتعيين مشارفين للاوقاف الحكيمة فى الاقاليم التابعة لكل منهما ، فيذكر الادفوى أن عثمان بن عتيق الفاوى (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٢ م) كان مشارف الاوقاف الحكيمة بقوص ^(٥) أما الاسكندرية حيث ينتشر هناك المذهب المالكي منذ القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، فكان المتحدث على أوقافها عادة قاضى القضاة المالكي ^(٦) الا أنه عندما تولى جمال الدين محمود العجمى المحتسب

(١) المقرئى : السلوك ج ٣ ق ٢ ص ٤٦٩ ، ابن حجر : انباء النمرى ج ١ ص ٢٥٥ ، ٣٤٦

(٢) كاتب السر أوحد الدين عبد الواحد بن تاج الدين اسماعيل بن ياسن العنقى (ت ٧٨٦ هـ) المقرئى : السلوك ج ٣ ق ٢ ص ٥٢٦

(٣) المقرئى : المرجع السابق ج ٣ ق ٢ ص ٩٤٠ ، الصيرفى : نومة النفوس ج ١ ص ٢٦٦ ، ابن حجر : انباء النمرى ج ١ ص ٢٧٢

(٤) من الذين تولوا نظر الاوقاف الحكيمة بأمر السلطان بعد ذلك القاضى بدر الدين محمد بن فضل الله ، كاتب السر فى ٢٥ ربيع آخر سنة ٧٩٤ هـ - المقرئى : السلوك ج ٣ ق ٢ ص ٧٦٦

(٥) الادفوى (أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب) : الطالع السعيد - الجامع أسماء نجباء الصعيد (تحقيق سعد محمد حسن - القاهرة ١٩٦٦) ص ٣٥١

(٦) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٤ ص ٦٣

أوقاف مصر والقاهرة ، بأمر السلطان ، سعى لنائبه همام عبد الواحد السيواسى فخلع عليه السلطان بالاستقرار فى قضاة الحنفية بالاسكندرية ونظر أوقافها (١) .

وبالرغم من أن عمل قاضى قضاة الشافعية بالنسبة للأوقاف الحكومية يقتصر على الاشراف على ناظر الاوقاف ، الا أن أموال هذه الاوقاف كانت تحفظ فى مودع الاموال (٢) تحت يد مودع الحكم تحت اشرافه ، وكانت هناك ثلاث مودعات مستقلة لكل من القاهرة ، والحسينية ، ومصر (الفسطاط) (٣) ، وكانت هذه الاموال لا تنتقل من قاض الى آخر الا بأذن السلطان ، فعندما استقر شمس الدين الهروى قاضيا لقضاة الشافعية بالقاهرة فى جمادى الاولى سنة ٨٢٦ هـ / ١٤١٨ م راسل قاضى القضاة السابق جلال الدين البلقينى وطلب منه المال الذى تحت يده من وقف الحرمين ، فامتنع البلقينى عن اجابته ، بناء على أمر السلطان المؤيد شيخ بأن تبقى هذه الاموال تحت يد البلقينى لعدم ثقته فى الهروى ، وكان البلقينى قد حفظ أموال الاوقاف الحكومية فى موضع من داره ، وصار ينفق ما تحتاج اليه مصاريف الحرمين وغيرهما ، فأصبح فائضا لديه نحو سبعة آلاف دينار فى مدة توليه القضاء (٤) وظلت هذه الاموال طرפה حتى وفاته (٥) فانتقلت الى الشيخ ولى الدين أحمد بن عبد الرحيم العراقي تولى قضاء الشافعية (٦) ، حتى طلبها السلطان برسباى سنة ٨٢٥ هـ / ١٤٤٢م عندما شرع فى عمارة المسجد الحرام ، فكتشف

(١) المقرئى : السلوك ج ٣ ق ٢ ص ٥٣٦ ، ابن الصيرفى : نزهة النفوس ج ١ ص ١٢١

(٢) المودع والجميع مودعات : صندوق الاموال ، والاصل لحفظ أموال اليتامى ، وكان يوضع فى مهدة قاضى القضاة لحفظ أموال اليتامى والقصر وأموال الغائبين أيضا - السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٦٤ حاشية ٣

(٣) ابن حجر : أنباء النمر ج ١ ص ٤٥٤

(٤) تولى القضاء فى جمادى الآخر سنة ٨٠٤ هـ ، ومزل عدة مرات فترات قصيرة ، ثم أميد للقضاء حتى وفاته سنة ٨٢٤ هـ - ابن حجر : أنباء النمر ج ٣ ص ٢٥٩ ،

٢٦٠ - ابن الصيرفى : نزهة النفوس ج ٢ ص ٥٢٣

(٥) المقرئى : السلوك ج ٤ (تحقيق د. سعد عبد الفتاح عاشور) ص ٥٨٥ ،

ابن حجر : أنباء النمر ج ٣ ص ١٥٨ ، ٢٧١

(٦) ابن الصيرفى : نزهة النفوس ج ٢ ص ٥١٠

القاضي الشافعي عن هذه الاموال فوجد المحضر بعمارة الحرمين حوالى ألفى دينار ، وباقي الاموال لعدة جهات أخرى (١) .

وكان قاضى القضاة الشافعي يتناول معلوما من ربيع الاوقاف الحكيمة نظير اشرافه عليها ، وهناك من القضاة من تنازل عن هذا المعلوم ومنهم قاضى القضاة جلال الدين البلقيني (ت ٨٢٤ هـ) (٢) ، أما ناظر الاوقاف الحكيمة فقد تراوح معلومة بين ١٥٠٠ درهم ، ٣٠٠٠ درهم فى أشهر (٣) .

أما القسم الثالث من الاوقاف فهو الاوقاف الاهلية ، أو تلك التى تجمع بين الوقف الاهلى والوقف الخيرى (٤) ، وهى وان كانت تخضع لاشراف قاضى القضاة الشافعي الا أنه لكل وقف منها ناظر خاص بها حسب شرط الواقف ، وهذا الناظر (٥) فى الغالب كان الواقف نفسه أيام حياته (٦) ، ومن بعده الارشد فالارشد من أولاده ، أو من عتقائه ، أو لمن يوصى له بذلك من الامراء والشيوخ ، وفى أحيان أخرى كان الواقف يجعل النظر مشاركة بين أولاده وبعض كبار أمراء الدولة ، مثال ذلك نجد أن السلطان برقوق جعل النظر على وقفه من بعده لمن يكون سلطانا (٧) ، أما السلطان برسباي ، والسلطان قايتباي

(١) ابن حجر : أنباء الفهر ج ٣ ص ١٥٨ ، ٢٧١

(٢) ابن حجر : أنباء الفهر ج ٣ ص ٢٥٩ ، السخاوى : الضوء اللامع ج ٤

ص ١١٢

(٣) ابن حجر : أنباء الفهر ج ٣ ص ٢٩٧ ، ٤٥٧

(٤) أنظر ما سبق ص ٧٢ وما بعدها

(٥) الناظر هو من ينظر فى الاموال وينفذ تصرفاتها ويرفع اليه حسابها للنظر فيه ويتأمله فيمضى ما يمضى ويرد ما يرد ، وهو مأخوذ أما من النظر الذى هو رأى العين لانه يدبر نظره فى أمور ما ينظر فيه ، وأما من النظر الذى هو بمعنى الفكر فيما فيه المصلحة من ذلك - التلقضندى : صبح الامنى ج ٥ ص ٤٦٥

(٦) ولاية النظر للوقف لا تكون الا بالشرط فى المذهب الشافعي والعنيل وعند بعض فقهاء الحنفية ، أما ابو يوسف فيرى أن تكون الولاية للواقف ولو لم ينص على ذلك أما مالك فيمنع أن يكون الوقف فى يد الواقف - الطرابلسي : الاسماء ص ٤١

د. عبد اللطيف ابراهيم - وثيقة الأمير أخور كبير قرامجا العسنى - تحقيق رسم ٨٦ ص ٢٤٨ ، وثيقة مسرور الشبل تحقيق رقم ٢٦ ص ١٦٦ ، ١٦٧ ، أنظر أيضا :

Clavel (E.) : Le Wakf ou Habous, Tome second (La Caire 1898). p. 4. 5.

(٧) المقرئى : السلوك ج ٣ ق ٢ ص ٨٤٩

فقد جعلنا النظر على أوقافهما مشاركة بين الارشد فالارشد من أولادهما ، ومن يكون دوادارا خيرا بالديار المصرية^(١) ، أما السلطان المؤيد شيخ فجعل النظر لنفسه ثم للارشد فالارشد من ذريته - الذكور خاصة بالاشتراك مع من يكون دوادارا كبيرا ، ومع كاتب السر « مجتمعين غير منفردين » فان تعذر نظر ذريته ، كان النظر للدوادار وكاتب السر معا ، ويصرف لكل منهما نصف خمسمائة نصف شهريا فان تعذر ذلك ، كان النظر لحاكم المسلمين بالديار المصرية^(٢) أما السلطان المنوري فقد شرط أن يكون ناظرا أولا كبيرا من يكون سلطانا بمصر من ملوك الاسلام « يقبل ذلك على سبيل التبرك » ، أما الناظر الثاني « هو ما ينظر عليه بنظر الناظر الاول ، وهو المقام الناجري ، نجل المقام الشريف الواقف »^(٣) .

كذلك كان الحال بالنسبة للامراء وعامة الافراد ، فالامير السيفي قرقماس ينص على أن يكون ناظرا بعد ذريته وعتقائه « لمن يكون أمير رأس نوبة كبير بالديار المصرية »^(٤) ، والامير آخور كبير قراقبا الحسني ينص على أن يكون النظر من بعده لذريته ثم عتقائه « بمشاركة من يكون أميرا آخورا كبيرا بالديار المصرية في كل زمان من الازمنة^(٥) : كما أن المقر السيفي شيخو : جعل النظر على أوقافه لمن يكون رأس نوبة بالديار المصرية ، ولشيخ الخانقاه^(٦) المشاركة معه في النظر »^(٧) .

ويرى ابن تغرى بردى أن سبب اشراك الامراء في النظر على الاوقاف راجع الى فساد القضاة ، الذين كانوا أولى بالمشاركة في النظر^(٨) ، ويمكن

(١) أنظر وثائق وقف بربساي ٨٨٠ أوقاف ، وثيقة وقف قايتباي ٨٨٦ أوقاف .

(٢) وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف .

(٣) وثيقة وقف السلطان المنوري ٨٨٣ أوقاف سطر ١٥٥٥ وما بعده - تحقيق

ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم :

(٤) وثيقة وقف الميضي قرقماس رقم ٩٠١ أرشيف وزارة الاوقاف ص ٣٣

(٥) وثيقة وقف قراقبا الحسني ٩٢ أوقاف - تحقيق ونشر د. عبد اللطيف ابراهيم

سجل ٢٢٢ - ٢٧ ص ٢١٧ - ٢١٨

(٦) المقصود شيخ خانقاه شيخو التي أنشئت سنة ٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م - ابن اياس :

بدائع الزهرة (ط - بولاق) ج ١ ص ٢٠٣

(٧) ابن اياس : المرجع السابق ج ١ ص ٢٠٣ ، المقرئ : المواظ والامتحان

ج ٢ ص ٤٢١

(٨) منتخبات من حوادث الدهور ص ٤١٧ .

لنا أن نضيف إلى ذلك أن الواقفين أشركوا الأمراء في النظر على أوقافهم باعتبارهم قوة يمكن لها أن تحافظ على الوقف ، في وقت لم يكن فيه نفوذ الأمراء وتطلع الكثير منهم إلى اغتصاب الأوقاف^(١) .

ومن الطبيعي أن ينص أهل الذمة في وثائق وقفهم على أن يكون الناظر بعد ذريتهم أو عتقائهم كبير أهل ملتهم من ذلك ما تنص عليه إحدى الوثائق من أن الواقفة جعلت النظر لنفسها ثم لأولادها وأولاد أولادها الإرشد فالإرشد ، ثم لمن يكون « بطرك النصارى اليعاقبة »^(٢) .
ورتب كل واقف - حسب اتساع وقفه - عددا من الموظفين الإداريين لمباشرة الوقف ، ومساعدة الناظر في الإشراف على الوقف بحيث يحقق الغرض منه^(٣) .

ويشير المقرئ إلى كثرة هذه الأوقاف في عصره وشكوكه في صحة ملكيتها فيقول « وكان متحصلا قد خرج عن الحد في الكثرة لما حدث في الدولة التركية من بناء المدارس والجوامع ، والترب وغيرها ، وصاروا يفردون أراضي من أعمال مصر والشامات وفيها بلاد مقررة ، ويقيمون صورة يتملكونها بها ويجعلونها وقفا على مصارف كما يريدون^(٤) » .

كذلك تولى القضاة بحكم مناصبهم ، وحسب شروط الواقف ، الكثير من الوظائف في الأوقاف الأهلية ، مثل القيام بالتدريس أو الخطابة ، أو تولى نظر الوقف ، وما إلى ذلك ، فمن الوظائف التي يتولاها القاضي بحكم منصبه تدريس المدرسة الصلاحية المجاورة لقبة الإمام الشافعي ، ودرس الحديث بالجامع الطولوني ، ونظر وقف الصالح بيني القصرين ، وهذه الوظائف أمر السلطان فرج بن برقوق باستمرارها مع القاضي عماد الدين بعد عزله سنة ٧٩٤ هـ^(٥) ، كذلك يذكر المقرئ أنه عندما أعيد ابن حجر إلى وظيفة

(١) أنظر ما يلي من تدهور الأوقاف .

(٢) وثيقة وقف مارية ابنة أبي الفرج بن بركات النصرانية ، محفوظة في بطركية الأقباط الأرثوذكس رقم ٤١ الدرب الأحمر محفوظة ١٩ ، والتي نشرها د. محمد محمد أمين في (J. E. S. H. O.) vol. XVIII, p. 1, 1975.

(٣) أنظر ما يلي في الفصول التالية من الوظائف في الأوقاف .

(٤) المقرئ : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٥ - ٢٩٦

(٥) ابن حجر : أنباء النصار ج ٢ ص ٦١

القضاء أضاف اليه السلطان جقمق في سنة ٨٤٢ هـ / ١٤٣٨ م ما خرج عنه في الايام الاشرافية من نظر الاوقاف ونظر وقف قراقوش ، ونظر وقف بييغا التركمانى ، ونظر وقف المدرسة الطيرسية بجوار الجامع الازهر (١) .

ومن وظائف الوقف التى تولاهما قاضى القضاة الشافعى بحكم منصبه نظر وقف الاشراف (٢) وكان قاضى القضاة يستنوب عنه فى نظر هذا الوقف أما أحد الاشراف (٣) ، أو أحد خلفاء الحكم (٤) ، الا أن هذا الوضع لم يستمر طويلا ، ففى ذى القعدة ٧٨٥ هـ / ١٣٨٣ م خلع السلطان برقوق على نقيب الاشراف السيد الشريف جمال الدين عبد الله عبد الرحيم الطباطبى ، واستقر فى نظر وقف الاشراف عوضا عن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء ، ويعقب المقرئى على ذلك بقوله « فخرج من حينئذ نظر الاشراف عن القضاة ولم يعد اليهم » (٥) ثم أصبح هناك ديوان مستقل للاشراف هو « ديوان الاشراف » يضبط به جميع الاشراف وأنسابهم ، وما يتعلق بهم من الاوقاف (٦) .

كان ذلك هو تنظيم الاوقاف فى مصر فى عصر سلاطين المماليك من عهد السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) الى أيام كل من القلقشندى والمقرئى ، أى الى حوالى منتصف القرن التاسع للهجرة وأوائل القرن الخامس عشر للميلاد . ذلك أنه استحدثت بعض التعديلات فى النظام الادارى باستحداث بعض الدواوين ، من ذلك ديوان الاملاك الذى استحدثه السلطان برقوق (ت ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م) وأورد له بلادا سماها أملاكا ،

(١) السلوك ج ٤ (تحقيق د. عاشور) ص ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ .
(٢) اوقاف الوزير القاضى الصالح طلائع بن رزيك - انظر ما جاء عنها بالفصل

الاول .

(٣) استناب قاضى القضاة برهان الدين ابراهيم بن جماعة عنه فى نظر وقف الاشراف (شوال ٧٨٢ هـ) الشريف صدر الدين مرتضى بن فيث الدين ابراهيم حمزة - السلوك ج ٣ ق ١ ص ٣٣٣ ، ق ٢ ص ٤٥٦

(٤) وفى ربيع الاول ٧٨٥ هـ صرف الشريف صدر الدين عن نيابة نظر وقف الاشراف برغبته عنه ، واستقر مرغه صدر الدين عمر بن رزين أحد خلفاء الحكم - المقرئى : السلوك ج ٣ ق ٢ ص ٤٨٨

(٥) المقرئى : السلوك ج ٣ ق ٢ ص ٥٠٣ .

(٦) ابن شامين : زبدة كشف الممالك ص ١٠٩

وأقام لها استادار ومباشرين بمفردها ، وهذا الديوان ليس عليه مرتب نفقة أو كلفة (١) ويذكر المقرئى أنه « في يوم الاثنين خامس رجب سنة ٧٩٧هـ استقر الأمير صلاح الدين محمد بن تنكر استادار الاملاك السلطانية ، والوزير صاحب سعد الدين نصر الله ابن البقرى ناظر ديوان الاملاك (٢) » ، وليست في هذا النص أية إشارة عن الاوقاف السلطانية ، ولكن ابتداء من عام ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م نسمع عن وظيفة جديدة هي : « استادارية الاملاك والاقواف السلطانية » وأحيانا يضاف اليها « الذخيرة السلطانية » ، كذلك أصبح ديوان الاملاك يسمى « ديوان الاوقاف والاملاك الشريفة » (٣) ، ويذكر المقرئى « أنه في ١٦ شعبان سنة ٧٩٩ هـ استقر علاء الدين على بن الطنبلاوى — عوضا عن ابن تنكر في استادارية الاملاك والاقواف السلطانية » (٤) ، وفي عام ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م استقر ابن سنقر « استادار الاملاك والاقواف والذخيرة السلطانية » (٥) ، وفي سنة ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م في عهد السلطان فرج بن برقوق استقر تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاعر ناظرا للديوان المفرد على عادته « وأضيف اليه استادارية الاملاك والاقواف السلطانية » (٦) .

ويبدو أن الغرض من هذه الوظيفة الجديدة أن يتولى استادار « الاملاك والاقواف السلطانية » النظر في أوقاف السلطان نيابة عنه ، فقد كان السلطان يعتبر نفسه ناظرا على أوقافه أثناء حياته ولكن طبيعة مشاغله تجعل من الصعب عليه مباشرة النظر على أوقافه ، ويؤكد هذا القول ما جاء في وثيقة وقف السلطان الغورى من تعيين نائب عن السلطان للنظر في الوقف فجاء بها ومن ذلك ما يصرف للمقر الاشرف السيفى تانى بك بن يشبك أحد السادة المقدمين الذى قدمه مولانا المقام الشريف الواقف المنوه باسمه الشريف أعلاه

(١) كان هذا الديوان بخلاف ديوان المفرد الذى أحدثه برقوق أيضا ، وكانت عليه نفقة بمالكة ، بخلاف ديوان الخاص الذى أحدثه الناصر محمد - المقرئى : السلوك ج ٣ ق ٢ ص ٨٣٤ - القلقشندي : صبح الامشى ج ٣ ص ٤٥٣

(٢) المقرئى : السلوك ج ٣ ق ٢ ص ٨٣٤

(٣) ابن شاهين : زبدة كشف المالك ص ١٠٩

(٤) المقرئى : السلوك ج ٣ ق ٢ ص ٨٧٨

(٥) المقرئى : المرجع السابق ج ٣ ق ٢ ص ٩٣٠

(٦) المقرئى : السلوك ج ٤ (تحقيق د. عاشور) ص ١١٠

نصره الله تعالى في نيابة النظر عنه على هذا الوقف ، لما رأى في ذلك من الحظ والمصلحة عشرة دنائير يصرف له ذلك من ريع هذا الوقف مدة حياة الواقف المنوه باسمه الشريف أعلاه .» (١) .

وبذلك يكون المعز السيفي ثاني بك بن يشبك متوليا استدارية الاوقاف السلطانية بشرط الواقف .

ومن المحاولات التي جرت لتعديل نظام الاوقاف ما قام به قضاة القضاة الحنفية من محاولات لمشاركة قاضي القضاة الشافعي في مميزاته التي انفرد بها ، ومنها الاشراف على الاوقاف الحكومية (٢) ، وكادت تنجح محاولتهم الثالثة في عهد السلطان برقوق (٣) الذي وافق على طلب قاضي القضاة الحنفى جلال الدين جار الله ، وخلص عليه في ٨ جمادى الاولى (٨٧٨١ / ١٣٧٩ م) ورسم له أن يلبس الطرحة في أيام الخدمة السلطانية ، كما يلبسها قاضي القضاة الشافعي ، وأن يستنوب عنه في أعمال مصر قبليها وبحريها قضاة حنفية ، وأن يتخذ لايتام الحنفية مودعا يودع فيه أموالهم «حتى لا يخرج منها زكاة» ويتبع ذلك النظر في الاوقاف الحكومية التي يوقفها أناس على المذهب الحنفى (٤) ، فشق ذلك على قاضي القضاة الشافعي برهان الدين ابراهيم بن جماعة ، وسعى عند السلطان برقوق في ابطال ذلك ، وساعده الشيخ أكمل الدين شيخ خانقاه شيخو ، والفقيه المعتقد خلف الطوخى (٥) ، فمال السلطان برقوق الى ابطال ذلك ، وفي ٢٢ جمادى الاولى ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م أى بعد حوالى

(١) وثيقة وقف السلطان النورى ٨٨٣ أوقاف - سطر ١٥٦١ وما بعده - دراسة وتحقيق د. عبد اللطيف ابراهيم .

(٢) أنظر ما سبق ص ١١٣ وما بعدها .

(٣) بدأت هذه المحاولات على يد قاضي القضاة الحنفى مزاج الدين عمر الهندى فى عهد الاشراف شعبان أنظر المقرئى : السلوك ج ٣ ق ١ ص ١٩٦

(٤) المقرئى : السلوك ج ٣ ق ١ ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ابن حجر : أنباء الفهر ج ١ ص ١٩٣ ، ١٩٤

(٥) الشيخ خلف الطوخى أحد فقهاء الصوفية ، كان السلطان يحبه ويمتدح فيه ، فلما اجتمع الشيخ خلف بالسلطان وكلمة فى ابطال ذلك وبلغ معه فيه حتى قال أن لم ترجع والا بيننا وبينك سهام الليل ، فانقل برقوق لكلامه ، وخاف عاقبته - المقرئى - السلوك ج ٣ ق ١ ص ٣٥٩ - ابن حجر : أنباء الفهر - ج ١ ص ١٩٤

أسبوعين خلع السلطان على القاضي القضاة برهان الدين بن جماعة بالاستقرار على عادته « وأن لا يخرج شيء من الأوقاف الحكمية والمودع عن أمره » (١) . وظلت الأوقاف الحكمية تحت إشراف قاضي القضاة الشافعي حتى نهاية عصر سلاطين المماليك (٢) .

وتقبل نهاية عصر سلاطين المماليك تعرضت وظيفة « ناظر الأوقاف » للانقضاء ، ويبدو أن السبب في ذلك هو ما ساد أواخر عصر سلاطين المماليك في مصر من انتشار الرشوة بين الحكام والمحكومين حتى في المناصب الدينية « بحيث لا يمكن التوصل إلى شيء منها إلا بالمال الجزيل » (٣) ، ووظيفة ناظر الأوقاف بطبيعتها من أكثر الوظائف حساسية في النواحي المالية ، لذلك بذل الكثيرون الأموال للسلطان وكبار الأمراء لتولي هذه الوظيفة ، على أمل أن يعوضوا أكثر مما دفعوه عن طريق مباشرتهم لمهام منصبهم ، ولذلك نجد المقرئ يصف بعض من تولوا هذه الوظيفة بأنه « كان في غاية الجهل » ، بأنه « كان عاريا من العلم » (٤) ويذكر ابن إياس أن شخصا من « الأراذل كان أصله من العوام ، يقال له محمد بن العظمة » سعى له وسطاء السوء لدى السلطان قايتباي ليقرره في نظر الأوقاف ، فلما خلع عليه بذلك « حصل على الناس منه غاية الضرر الشامل ، فالتزم للسلطان بمال يورده في كل شهر فصار يرسل خلف أعيان الناس من رجال ونساء ويرسم عليهم بسبب الأوقاف ، ويحاسبهم على الماضي والمستقبل ، ويأخذ منهم جملة مال ، وصار يابه أنص من باب الوالي ، والتف عليه جماعة من المناحيس ، وصاروا يفرعوا له الذي تقرئما (٥) ورغم أن محمد بن العظمة لم يستمر في منصبه إلا ما يقرب من

(١) المقرئ : المرجع السابق ج ٣ ق ١ ص ٢٥٩ ، ابن حجر : المرجع السابق - ج ١ ص ١٩٤

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٥ ص ١٨٩

(٣) المقرئ : أغنية الأئمة بكشف الغمة (القاهرة ١٩٥٧) ص ٢٤ ،

السلوك ج ٤ ص ١٦٠

(٤) المقرئ : السلوك ج ٤ ص ١٧٠

(٥) ابن إياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ١٩٣

الثلاثين شهرا^(١) ، فان سوء سيرته جعلت الناس تضج بالشكوى من ناظر الاوقاف .

وزاد من تضرر الناس من هذه الوظائف ما فرضه السلطان قايتباي على الاملاك والاقواف وهي أجرة شهرين ، ثم خمسة أشهر^(٢) ، فيذكر ابن اياس أن القاضي شرف الدين يحيى بن البدر حسن (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٥ م) الذي ولي نظر الاوقاف « كان رئيسا حشما لكنه أظهر للسلطان نتيجة ، وعادى الناس قاطبة ، ولاسيما الاتراك بسبب ما أفرد على البلاد ، لاجل الخمس ، ولم يثن عليه أحد خيرا ، في مدة ولايته لنظر الاوقاف ، كما يقال : تولاها وليس له عدو وفارقتها وليس له صديق »^(٣).

كان لهذه المساويء التي صاحبت وظيفة « نظر الاوقاف » في الآونة الاخيرة ، وما الحقه شغلها بأضرار لطوائف كبيرة من الناس في أرزاقهم وأموالهم سببا في أن قرر الأمير كرتباي الاحمر^(٤) الذي ولي الوزارة - والاستدارية ، وكائف الكشاف ، في عهد السلطان الملك الناصر أبو السعادات ناصر الدين محمد بن الملك الاشرف أبو النصر قايتباي ، - « والذي أصبح صاحب الحل والمقد في تلك الايام » ، قرر أبطال وظيفة نظر الاوقاف في شهر ذي الحجة سنة ٩٠١ هـ / ١٤٩٦ م ، « ونودى بذلك في القاهرة ، فارتفعت له الاصوات بالدعاء »^(٥) ، ويعقب ابن اياس على ذلك بقوله « ولو دام كرتباي بمصر لحصل للناس به خير »^(٦) .

ولما كانت وظيفة ناظر الاوقاف تدر دخلا كبيرا على من يتولاها ، ويقوم بدوره بدفع ما يقرره عليه السلطان من مال ، لذلك سعى بعض الذين سبق لهم أن تولوا نظر الاوقاف في اعادة هذه الوظيفة ، ومن هؤلاء

(١) ابن اياس : المرجع السابق ص ١٩٢ ، ٢٠٥

(٢) انظر ما يلي عن تدوير الاوقاف .

(٣) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨

(٤) ابن عم السلطان محمد بن قايتباي - ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢

ص ٣٤٠

(٥) ابن اياس : المرجع السابق ج ٣ ص ٢٣٦

(٦) المرجع السابق ج ٣ ص ٢٣٦

« محمد بن العظمة » ، فأعادته الناصر محمد بن قايقباى إليها — بعد خروج كرتباى الأحمر الى الشام — فلم يقيم بها الا مدة يسيرة « وضع منه الناس » فقبض عليه الملك الناصر وضربه ضربا مبرحا ونفاه الى قوص ، ولم يحسن أحد ممن أقاموا في هذه الوظيفة بعد ذلك بسبب كثرة المال الذى يقرر عليهم من قبل السلطان « وهى وظيفة شر وظلم » (١) .

وفي عهد السلطان الأشرف أبو النصر جان بلاط (٩٠٥ — ٩٠٦ هـ / ١٤٩٩ — ١٥٠٠ م) حاول بعض وسطاء السوء إعادة هذه الوظيفة ، ولكن طومان باى داودار السلطان رفض اعادتها (٢) ، وظلت ملغاة حتى عين فيها السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى محمد بن يوسف — جابى أوقاف الجامع المؤيدى — وذلك في جمادى الاول ٩٠٧ هـ / ١٥٠١ م الا أنه لم يستطع الاستمرار فيها ، اذ حدث بعد أقل من سنة أن سجنه السلطان بسبب مال قد أنكر عليه ولم يقيم به (٣) .

وفي ١٩ شوال ٩٠٨ هـ / ١٥٠٣ م تولى المزع علاء الدين على بن الامام — ناظر الخاص — نظر الاوقاف ، مضافا الى ما بيده ، وهو آخر من تولى هذه الوظيفة اذ ظل شاغلا لها الى نهاية عصر سلاطين المماليك ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م (٤) .

ومما يؤكد التهاافت على هذه الوظيفة لما تدره من مال على شاغلها أن محمد بن العظمة (٥) عاد الى الظهور في رمضان ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م وسمى لدى السلطان الغورى لاعادته الى نظر الاوقاف ، ومان السلطان الى اقراره في هذه الوظيفة : فطلع علاء الدين على بن الامام ناظر الخاص والاوقاف الى الى السلطان ، وشكا له من ابن العظمة ، فقال السلطان « أنت تشكى عندى من هذه الوظيفة ، وتقول باخسر فيها » فقال ناظر الخاص « أسد فيها

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٢ ص ٤٤٦

(٢) ابن اياس : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٤٦

(٣) ابن اياس : المرجع السابق ج ٤ ص ٢٢ ، ٤٢

(٤) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٥ ص ٥

(٥) أنظر ما سبق ص ١٢٢

بمساعدة السلطان » ، فخلع عليه السلطان ، ولما نزل ناظر الخاص قبض على محمد بن العظمة وضربه وسجنه مدة طويلة حتى أطلقه السلطان في ربيع الآخر ٩١٩ هـ / ١٥١٣ م ، وذلك لكونه سعى عليه في نظر الاوقاف « (١) » .

اهتمام سلاطين المماليك بالاوقاف :

اهتم سلاطين المماليك بالاوقاف اهتماما خاصا . وبذلك بعضهم عنايته من أجل استقرار قواعدها واستمرارها ، من ذلك ما قام به السلطان بيبرس البندقدارى من استرداد أوقاف الجامع الأزهر التي اغتصبها بعض الأهالي في فترة قطع الخطبة به في العصر الايوبي (٢) ، وما قام به أيضا السلطان حسام الدين لاجين (٦٩٦ - ٦٩٨ هـ / ١٢٩٦ - ١٢٩٨ م) من رد بعض الاوقاف التي أخذت من غير حق الى مستحقيها ، مثال ذلك رد وقف قراقوش الى الفقراء وتسليمه لقاضي القضاة الشافعي ، ورد الدار القطبية الى من وقفت عليه من جهة الملك الكامل الايوبي ، كذلك وضع عن وقف الاشراف ببلقش المظالم التي فرضت عليهم وتبلغ نحو ثلاثين ألف درهم في السنة ، وعوض المقطمين الذين لحق بهم ضرر من جراء ذلك (٣) .

وقام الملك الناصر محمد بن قلاوون بتولية الأمير بدر الدين محمد كندغدى بن الوزيرى نيابة دار العدل وشد الاوقاف (٤) سنة ٧١٣ هـ ، بسبب شكوى قدمت للسلطان بشأن الاوقاف ، فقام ابن الوزيرى بطلب سائر مباشرى الاوقاف (٥) ، وألزمهم بعمل الحساب مدة عشرين سنة بالاوقاف ،

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٣١٧

(٢) عبد الحميد يونس : الأزهر ص ٣٥ ، عنان : الأزهر ص ١١٣

(٣) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٦٤/٨٦٥

(٤) تضمنت بعض وثائق الوقف عمل شاه الاوقاف ويتلخص في العمل على ما فيه مصلحة الوقف سواء في المساهمة في جمع الربيع أو في حث أرباب الوظائف على العمل - أنظر وثيقة وقف الأمير قرقماس ٩٠١ أوقاف ، ووثيقة السلطان قايتباي ٨٨٦ أوقاف ووثيقة وقف قراقجا الحسنى ٩٢ أوقاف (نشر ودراسة د . عبد اللطيف ابراهيم وأنظر أيضا ما جاء من هذه الوظيفة في Rabie : The Financial, pp. 150 — 153.

(٥) المباثرون جميع مباشر ، وهم الموظفون الإداريون للوقف ويتولون وظيفة المباثرة - أنظر وثيقة قاني باي الرماح رقم ١٠١٩ أوقاف ، ووثيقة وقف السفى قرقماس ٩٠١ أوقاف ، وثيقة وقف السلطان النورى ٨٨٢ أوقاف ص ٥٠٧ ، وأنظر د . عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية وأثرية - تحقيق رقم ٦٧٤

كذلك طلب موادع الحكم^(١) ، وتشدد عليهم ، فخشى القضاة من كشف سوء الاحوال ، وطلبوا منه التقاضى عن ذلك ، ولكنه أمر على طلبه ، وضرب بعض المباشرين لفساد حسابهم ، فقام قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة فى الوقوف ضد ابن الوزيرى والكيد له بتأليب القضاة والامراء عليه « وما زال بهم حتى خيلوا السلطان من ابن الوزيرى أنه ثرس الاخلاق وله أغراض فاسدة ، وقصد اهانة القضاة ، وأهل العلم وحط اقدارهم ، وقد كثر الدعاء على السلطان بسببه » وازاء ذلك أمر السلطان ابن الوزيرى بعدم التحدث فى الاوقاف^(٢) .

كذلك خلع السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون على الامير صرغتمش باستقراره فى نظر « المارستان المنصورى » سنة ٧٥٥ هـ / ١٣٥٥ م ، وكان « فسد حال وقفة » فركب الامير صرغتمش الى أوقاف المارستان « بالمهندسين ، وكشف ما يحتاج اليه من العمارة ، فعمر ما فسد من الاوقاف ، وزاد ريعها فى الشهر نحو « أربعين ألف درهم » ، كما عرض الامير جميع مستحقى الوقف من الفقهاء القراء وغيرهم ، وأكثر من سؤالهم ، ونقب عن أمورهم « ولزمهم بمواظبة وظائفهم »^(٣) .

وفى سنة ٧٩٤ هـ / ١٣٩١ م أمر السلطان برقوق لما بلغه من تخريب الاوقاف أن يقوم الامير أبو يزيد الدوادار والقاضى بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر بمراجعة أوقاف الحرمين بمساعدة مستوفى ديوان المرتجع^(٤) شمس الدين نصر الله بن شطية ، فألزموا مباشرة أوقاف الحرمين برفع حسابات عشر سنين ، ورسم^(٥) على أمناء الحكم وجباة الاوقاف^(٦) .

(١) موادع الحكم الذين يتولون حفظ الاموال فى موادع الحكم تحت اشراف قاضى القضاة الشافعى - أنظر ما سبق ص ١١٥ - حاشية ٢

(٢) المقرئى : السلوك ج ٢ ق ١ ص ١٢٦

(٣) المقرئى : السلوك ج ٢ ق ١ ص ٧ ، ٨ ، الرامض والاعتبار ج ٢ ص ٤٠٥

(٤) وهو الذى يحكم فى القضايا الديوانية - القلقشندى : صبح الامشى ج ٤ ص ٣٣ المقرئى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٧١١ حاشية ٤

(٥) أى وضعهم تحت المراقبة أنظر السلوك ج ١ ق ٢ ص ٧٤٠ حاشية ٥

(٦) المقرئى : السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٧٦٦ ، أنباء الغمر ج ١ ص ٤٢٥

كذلك حرص السلطان الاشرف برسباى (٨٢٥ - ٨٤١ هـ / ١٤٢٢ - ١٤٣٧ م) على تعمير الاوقاف ، وفى سبيل ذلك رفع يد قاضى القضاة الشافعى عن وقف قراقوش سنة ٨٢٥ هـ / ١٤٢٢ م وغوض أمرة الى التاج الشويكى والى القاهرة ، وأمره أن يجمع متحصله ويبنى منه خان السبيل ، ففعل ذلك وجدد بناءه ، وقرر فيه غير من كان ينال ريعه ، وألزم من كان رتب عليه من الاغنياء باعادة ما قبضوا منه (١) .

أما السلطان برسباى فقد اشتد فى أمر الاوقاف التى على المدارس والجوامع والزوايا وأحواض السبيل وألزم مباشرها القيام بها ، من ذلك ما قام به السلطان بنفسه من استدعاء مدرسى المدرسة القمحية والزمهم بعمل حساب أوقاف المدرسة ، وعمارتها مما تناولوه من ريعها فيما سلف ، فقد ندب السلطان الامير أربك رأس نوبة للكشف عن المدرسة ، فوجد الخراب قد أحاط بها ، وليس بها سوى رجل يحرسها (٢) ، كذلك تشدد السلطان برسباى فى منع أرباب الوظائف بالاوقاف من النزول عنها ، بعد أن اعتاد أرباب هذه الوظائف أن ينزلوا عن وظائفهم لاي انسان مقابل مبلغ من المال ، فيلى الوظائف من ليس أهلا لها ، ويحرم منها من يستحقها (٣) . وحرص السلطان برسباى أيضا أن يلتزم القضاة بشروط الواقفين ، ومن أمثلة ذلك أن السلطان قرر عزل ابن حجر من تدريس الشافعية بالمؤيديه سنة ٨٢٧ هـ / ١٤٢٤م عندما أخبره الشيخ شمس الدين الهرماوى أن شرط المؤيد أن لا يكون المدرس بها قاضيا ، وعندما ظهر أن كتاب الوقف سكت عن هذا الشرط أعيد ابن حجر الى التدريس بها (٤) . وفى سنة ٨٣٨ هـ / ١٤٣٤ م أصدر برسباى أوامره الى القضاة بقراءة كتب الاوقاف بالمدارس الكبار والخوانق واتباع شرط الواقفة

- (١) المقرئى : السلوك ج ٤ ق ٢ ص ٦٢٠ ، ابن حجر : انباء الفهرى ج ٢ ص ٢٦٨
(٢) المقرئى : السلوك ج ٤ ق ٢ ص ٦١٦ ، ابن حجر : انباء الفهرى ج ٢ ص ٢٨٢ ، ٢٧٥
(٣) المقرئى : السلوك ج ٤ ق ٢ ص ٦١٩ ، ٦٦١
(٤) ابن حجر : انباء الفهرى ج ٢ ص ٢٢٥ ، وانظر ايضا وثيقة وقف السلطان المؤيد ٩٢٨ أوقاف .

« وشدد في ذلك : فسر الناس بذلك غاية السرور . وكثر الدعاء للسلطان بسبب ذلك »^(١) . الا أن هذا الوضع لم يستمر . فيقول ابن تغرى بردى « وقد اجتهد الاكله في السعى بإبطال ذلك حتى أبطله السلطان »^(٢) .

أما السلطان قايتباى (٨٧٢ - ٩٠١ هـ / ١٤٦٧ - ١٤٩٦ م) فقد حرص على الالتزام بشرط الواقفين من ذلك أنه لما توفيت خوند فاطمة بنت الملك الظاهر ططر ، كانت عليها ديون كثيرة لعدد كبير من الناس بسبب اسرافها ، فطلع الدائنون الى السلطان وطلبوا منه أن يأخذوا عوض أموالهم من أوقاف أبيها « فردوا ردا شنيئا وهددوا » ، وأخرج السلطان أوقافها وتعليقاتها لمستحقيهم^(٣) . كذلك حدث عندما توفيت المصونة المحبة أمنة ابنة اسماعيل المشهورة ببنت الخازن سنة ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م ، ولأبيها أوقاف كثيرة يؤول النظر من بعدها الى قاضى القضاة الحنفية أن أراد القاضى الشافعى الوثوب والتكلم في هذه الاوقاف ، فبلغ السلطان قايتباى ذلك ، فقال « أنا أحق من الاثنين ، ولكنى أعمل فيهم بالشرط . واحميهم من الغاضبين »^(٤) .

ويذكر ابن اياس أن جلال الدين عبد الرحمن بن سويد المالكي باع أوقافا كانت موقوفة على مدرسة جده ، فحصل له بسبب ذلك « غاية البهدة من اينال الاشقر - رأس نوبة النوب - في ذى الحجة سنة ٨٧٤ هـ ، وما خلاص الا بعد جهد كبير ا وافترق حاله عقيب هذه الكاينة ، وباع جميع ما يملكه حتى سد ما جاء عليه من المال »^(٥) .

أما آخر سلاطين المماليك في مصر أبو النصر طومان باى (ت ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م) ، فقد رفض رأى الامراء الذين أشاروا عليه في أخرج أوقاف الدولة أن يفعل كما فعل الاشرف قايتباى ، والسلطان الغورى^(٦) ، وأن يأخذ

(١) ابن حجر : أنباء الفهر ج ٣ ص ٥٣٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم (ط ١ كاليفورنيا) ج ٦ ص ٧٢٩

(٢) أنظر ما على من تدهور الاوقاف .

(٣) ابن الصيرفى : أنباء الفهر ص ١٣١ - ١٣٤ - ١٦٨ - ١٦٩

(٤) ابن الصيرفى : المرجع السابق ص ٢٥ ، السقاوى : الضوء اللامع ج ١٢

ص ٣

(٥) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٤٥

(٦) أنظر ما على من تدهور نظام الوقت .

من أجرة الاملاك والاقواف بالقاهرة سبعة أشهر ، وأن يأخذ على الرزق والاقطاعات خراج سنة ليستعين بها في نفقة الحرب ضد القزويني : وقال « ما أحدث في أيامي هذه المظلمة أبدا ، ما أجمل هذا يكون في صحيفتي »^(١) . ولعل طومان باي لم يكن في هذا الموقف بالذات مدافعا عن الاوقاف مهتما بها بقدر ما كان يرغب في تلك الشدة في استرضاء الله تعالى عن طريق التخفيف عن الناس وتجنب فعل المحارم .

ولم يقتصر اهتمام سلاطين الممالك على الاوقاف الاسلامية فقط ، بل حظيت أيضا الاوقاف الذمية برعايتهم واهتمامهم ، وليس أدل على ذلك من المراسيم التي اصدرها سلاطين الممالك الى رهبان دير سانت كاترين^(٢) ، والتي تنص صراحة على ألا يتعرض أحد لاقوافهم^(٣) ، كما توصى بالرهبان واقوافهم التي بالديار المصرية والبلاد الشامية^(٤) ، وأن « يساعدوا على مصالح واقوافهم وأحباسهم وجميع تعلقاتهم »^(٥) .

ويتجلى لنا اهتمام سلاطين الممالك بصفة عامة بالاقواف بمراجعة تواقيع النظر في الاحباس ، والاقواف ، والمارستان المنصوري وغيره ، فنجد أنها جميعا تنص على صرف الربح في مصارفه الشرعية وجهاته المرعية ، وعمارة الاوقاف ، وصيانة الاوقاف ، من تبديل الشروط واتباع شروط الواقفين^(٦) ، كذلك عكس ديوان الانشاء اهتمام سلاطين الممالك بالاقواف في كتابة تواقيع القضاة من ذلك ما ذكره القلقشندي من ضرورة النص في وصايا القضاة بالنسبة للقاضي الشافعي « والصدقات الموكولة الى تصريف قلمه المأكولة بعدم امانة المباشرين وهي في ذمته يتيقظ لاجرائها على السداد

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٥ ص ١٢٧ ، ١٢٨

(٢) أنظر ما جاء بهذا الخصوص د . عبد اللطيف ابراهيم : مكتبة دير سانت

كاترين مجلة جامعة أم درمان الاسلامية العدد الاول ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ص ١٥١

(٣) مرسوم ببيرس الجاشنكير رقم ٣٢ سطر ١٤ - ١٧

(٤) مرسوم برقوق رقم ٣١ سطر ١٢ - ١٥ ، مرسوم برقوق رقم ٤٥ سطر ٢١ -

٢٢ نشر ودراسة د . محمد محمد أمين - مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم - العدد الخامس سنة ١٩٧٤ ص ٩٢

(٥) مرسوم السلطان ببيرس البند قداري رقم ١٨ سطر ٣٨ ، مرسوم السلطان

قلاوون رقم ٢٢ سطر ١٤ - ١٦ ، مرسوم السلطان برقوق رقم ٤٥ سطر ٢٣ - ٤٥

(٦) القلقشندي : صبح الامشي : ج ١١ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٧

في صرفها في وجوه استحقاقها ، والعمل بما لا يجب سواء في أخذها وانفاقها»^(١) ، ويزاد للقاضي المالكي « قبول الشهادة على الخط ، وأحياء ما مات من الكتاب ، وأدناء ما شط ، واسقاط غلة الوقف اذا استرد بعد بيعه مدة بقاءه في يد المشتري تحذيرا من الاقدام على بيع الوقف : وعقوبة رادعة لبائعه المجترى»^(٢) ويزاد للقاضي الحنبلي « وليتحرز لدينه في بيع ما دثر من الاوقاف وصرف ثمنه في مثله ، والاستبدال بما فيه المصلحة لأهله»^(٣) .

(١) القلقشندي : المرجع السابق ج ١١ ص ١٩٩

(٢) المرجع السابق ج ١١ ص ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠١

(٣) المرجع السابق ج ١١ ص ٩٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٢

الفصل الثالث

الوقفات والزمان لله تعالى

- الاوقاف والاحسان العام — ارتباط الاوقاف بالصدقات — وجوده البر التي حرص الواقفون صرف ريع أوقافهم عليها — الصدقات اليومية والاسبوعية .
- الاوقاف والمواسم الدينية — التوسعة على أرباب الوظائف وطلبة العلم والفقراء والمساكين — يوم عاشوراء — شهر رمضان — عيد الفطر — عيد الاضحى — توزيع الحلوى في المناسبات المختلفة — التوسعة بالفواكه في أوقاتها — توزيع الكسوة السنوية .
- الاوقاف وتوفير ماء الشرب — انشاء الاسبلة — وقت التسبيل — المزملاى — أدواك السبيل — نظافة السبيل — مزملاى من الصوفية .
- الاوقاف والرعاية الصحية — انشاء البيمارستانات — البيمارستان المنصورى ووثيقة وقف السلطان قلاوون عليه — وصف البيمارستان الغرض من انشائه — الامراض التي يعالجها — فئات الشعب المستفيدة منه — الخدمات التي يوفرها البيمارستان للمرضى — الصيدلى — المرضى — الاطباء — التزام الاطباء بقواعد معينة — معالجة المرضى في بيوتهم — العيادة الخارجية — النهوض بعلم الطب — كسوة من يشفى من المرضى وتجهيز ودفن من يميت منهم — أثر الاوقاف في استمرار العمل بالبيمارستان المنصورى — البيمارستان المؤيدى — الرعاية الصحية في المنشآت الدينية لارباب الوظائف وطلبة العلم .

الأوقاف والاحسان العام :

شرعت الأوقاف في الإسلام بمعناها الدقيق ، ليكون ريعها « صدقة جارية » ولذلك ارتبطت الأوقاف الإسلامية منذ نشأتها الاولى في صدر الإسلام بالصدقات ، فأول وقف في الإسلام كان سبعة حوائط أوصى بها مخيريق لليهودى لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، يضعها حيث أراه الله ، فجعلها الرسول عليه السلام « صدقة في سبيل الله »^(١) ، وتتأكد هذه الحقيقة أيضا من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، الى عمر بن الخطاب بشأن أرضه بخيبر ، اذ قال له عليه الصلاة والسلام : « ان شئت حبست أصلها ، وتصدقت بثمرتها »^(٢) . كما أن الائمة والفقهاء عرفوا الأوقاف أو الاحباس بأنها « الصدقات الموقوفة »^(٣) ، أو بأنها « الصدقات المحرمات »^(٤) .

ولذا اقترنت كلمة الصدقة بالأوقاف ، أو الاحباس في كافة وثائق الوقف فغالبا ما يرد فيها أن الواقف « وقف ، وحبس ، وسبل ، وأبد ، وحرم ، وتمصدق »^(٥) ومن الطبيعى أن تخصص هذه الصدقة للفقراء والمحتاجين طبقا لما جاء بالقرآن الكريم (انما الصدقات للفقراء والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم)^(٦) ، كما قال الله تعالى (وءاتى المال على حبة ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب)^(٧) .

(١) ابن هشام : سيرة النبي ج ٣ ص ٢٨ . أنظر ما سبق بالفصل الاول .

(٢) الغصاف : أحكام الأوقاف ص ٥ ، ٦ ، ٨ . الطرابلسي : الاسماء فى أحكام الأوقاف ص ٦ ، أنظر ما سبق بالفصل الاول

(٣) الامام الشافعى : الام ج ٣ ص ٢٨٠

(٤) الامام الشافعى : المرجع السابق ج ٣ ص ٢٨١

(٥) أنظر على سبيل المثال وثيقة الزينى ياقوت رقم ٢٠٤ محفوظة ٣٣ بمحكمة الاحوال الشخصية سطر ٦ - نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم مجلة جامعة أم درمان الإسلامية المجلد الثانى ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م ص ٢١٨ ، وثيقة وقف مسرور عبد الله الشبلى رقم ٢٩ محفوظة ٦ بارشيف المحكمة سطر ٦ - نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم ص ١٤٢ ، وثيقة وقف الامير أخور كبير قراقبا الحسنى رقم ٩٢ أوقاف سطر ٥ ، ٦ - نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم ١١٩ - أنظر أيضا محمد محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة .

(٦) سورة التوبة آية ٦٠

(٧) سورة البقرة آية ١٧٧

وعلى ذلك يمكن أن نقول أن الاوقاف باعتبارها « صدقة جارية » ، قامت بدور خبير في مجال الرعاية الاجتماعية والضمان الاجتماعي في المجتمع الاسلامي، بصفة عامة ، وفي المجتمع المصري في العصر المملوكي بصفة خاصة ، تبعا لازدهار الاوقاف وانتشارها في ذلك العصر ، وزاد من أهمية ذلك الدور أن الدولة ، أو السلطة الحاكمة عندئذ ، لم تكن لها سياسة محددة واضحة تجاه مسائل الرعاية الاجتماعية والضمان الاجتماعي ، فاكثفت بما حددته الشريعة الاسلامية بهذا الخصوص من فرض الزكاة على القادرين ، والحث على الصدقات .

والمعروف أن المدن المصرية اكتظت في العصر المملوكي بجمهور كبير من الباعة والسوقة ، والسقائين ، والمكاريين ، والمعدمين ، وأشباه المعدمين ، وهم الذين عرفوا في المراجع المعاصرة بلفظ « العوام »^(١) ، وهؤلاء عاشوا جميعا في ضيق وعسر بالقياس الى غيرهم من الطبقات الممنعة ، حتى أن بعض الرحالة الاجانب الذين زاروا مصر في ذلك العصر لاحظوا أن عددا كبيرا من العوام « بلا مأوى في النهار والليل سوى الطرقات ، يهيمن فيها ، وأجسادهم شبه عارية » ، كما دهش بعض الاجانب من كثرة عدد الشحاذين بالقاهرة « الذين أحاطوا به من كل جانب طالبين منه الاحسان »^(٢) . وفي مثل هذا المجتمع برزت أهمية الوقف في توفير الرعاية الاجتماعية لتلك الطبقات المحرومة من كثير من أسباب الحياة .

ومهما يكن من أمر البواعث التي أدت الى ازدهار الاوقاف ، وانتشارها في العصر المملوكي^(٣) ، فقد أصبح للفقراء والمعدمين والايتام ، وطلبة العلم ، نصيب محدد من ثروة الاغنياء عن طريق الاوقاف ، إذ أن من الأركان الاساسية

(١) أنظر ما ورد عن هذه الفئة من المجتمع بالتفصيل في كتاب د. سعيد عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ص ٢٧ وما بعدها ، العصر المماليكي ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، مصر في عصر دولة المماليك البحرية ص ١٦٠ ، ١٦١

(٢) د. سعيد عاشور : المجتمع المصري ص ٢٨ ، العصر المماليكي ص ٢٢ ، ٢١٢

(٣) أنظر ما سبق في الفصل الثاني .

لنظام الوقف - حتى ولو كان وقفا أهليا - أن يؤول في النهاية الى جهة بر لا تنقطع ، وهي في الغالب ، وحسب ما جاء بكافة وثائق الاوقاف « الفقراء والمساكين » (١) ، ومثال ذلك ما تذكره وثيقة وقف الامير آخور كبير قراقجا الصنى (٢) من جهات صرف ريع الوقف بعد انقراض نسل أولاده ، ونسل عتقائه ، وتمذر الصرف للصرمين الشريفين ، وأن يصرف ذلك الربع « للفقراء والمساكين من المسلمين أينما كانوا وحيث ما وجدوا ، وفي الصدقة المطلقة العامة من طعام وتسجيل ماء عذب في لىالى الجمع وغيرها ، وفكك أسير من أيدي الكافرين ، ووفاء دين عن مديون » (٣) .

كذلك وجد من الواقفين من جعل فائض ريع أوقافه لشراء عقار جديد ، وفي حالة عدم الحاجة في الوقف الاصلى لريح هذا العقار الجديد ، يصرف هذا الريع في وجوه البر والقربات ، وهي كما جاءت في وثيقة وقف السلطان حسن « خلاص المسجونين ، ووفاء دين المدينين ، وفكك أسرى المسلمين وتجهيز من لم يؤد فرض الحج لقضاء فرضه ، وتجهيز الطرحاء من أموات المسلمين واطعام الطعام ، وتسجيل الماء العذب ، والصدقة على الفقراء ، والمساكين ، والايتام ، والارامل ، والمنقطعين ، والزمناء ، والعميان وأرباب المعاهات ، وذوى الحاجات من أرباب البيوت ، وأبناء السبيل ، على ما يراه الناظر ، ان شاء ، صرف ذاك نقدا أو كسوة ، أو طعاما ، أو غير ذلك ، ومداواة المرضى » (٤) .

(١) انظر ما جاء بهذا الخصوص في الفصل الاول .

(٢) هو الامير سيف الدين قراقجا بن عبد الله الحسينى الظاهري ، من ممالك الظاهر برفوق وتوفي في الغدوم السلطانية حتى صار أمير آخور كبير في عهد السلطان جقمق ، وقام بدور كبير في الصراع الذي قام بين السلطان جقمق والأتابكي قرقماس ، وتوفي بالطاعون هو وولده الامير علام الدين على أحد الامراء المشراوات في يوم واحد في ١٨ صفر ٨٥٣ هـ - انظر الدراسة التاريخية لوثيقة الامير المذكور للدكتور عبد اللطيف ابراهيم ص ١٨٢ - ١٨٧ وهي الوثيقة رقم ٩٢ أوقاف ، وانظر ايضا وثيقة قراقجا الحسينى رقم ٧٤٨ ج أوقاف .

(٣) وثيقة وقف الامير آخور كبير قراقجا الحسينى رقم ٩٢ أوقاف ، نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم سطر ٢٠٩ ، وما بعده ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٤) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف ص ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

لله ومرارا إلى الطريق هذا الوقت مطر في ابرار الوقت
اعلاه واراد في ربه فانه لا يمان في العبد اعلاه
ما يحصل من ربح المسير المذكور في ربه والظاهر ان
من خلاص المسيرين ورواد المسيرين ورجال الري
المسلمين ويحبون لم يرد من الحج لهما وصد كسور
الطرحا من اموال المسلمين والطعام الطعام في سبل
الما العبد والصرف على العبد والاساس ولا يمان ولا يمان
والمستطعس والارباب العمان وادار العباد في ذلك
الحاجات من ابرار الوقت ولما السلك على ابرار الوقت
٤١٤

ان ناصر ذلك هذا اوسع او طعاما او غير ذلك
ويعاد المسيرين وان لم يكن في ربح المسيرين فانه لا يمان
المسيرة اعلاه في مضار من ربح المسير المذكور

(وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف من ٤٧٢ - ٤٧٣)

ومن وجوه البر ايضا التي اهتم الواقفون بالصرف عليها من ربيع أوقافهم
كسوة المرايا ، والمقلين ، وستر عورات الضعفاء ، والماجزين « كسوة واقية
من برد الشتاء ، وحر الصيف » ، وارضاع الاطفال عند فقد أمهاتهم ، أو
عجزهن عن ارضاعهم ، وكفالتهم (١) .

(١) انظر وثائق وقف السلطان لرج رقم ٦٦ محفظة ١١ بارشيف الحكمة ، والسلطان
شعبان بن حسين رقم ٤٩ محفظة ٨ بالحكمة ، وبيبرس الجاشنكير رقم ٢٢ ، ٢٣ محفظة ٤
بالحكمة ، وحسام الدين لاجين رقم ١٧ ، ١٨ محفظة ٣ بالحكمة ، والسلطان جقمق
رقم ٩٧ محفظة ١٥ بالحكمة والسيفي قراجا الجمالي رقم ١٧٧ محفظة ٢٧ بالحكمة ،
ومحمد بن قلاوون رقم ٢٥ ، ٣٠ محفظة ٤ ، ٥ بالحكمة .

كذلك وجد من الأوقاف ما يصرف ريعها مباشرة للفقراء ، وتحدد لنا وثيقة الأمير يشبك من مهدى الدوادار (١) كيفية صرف ريع بعض أوقاف الأمير المذكور على الفقراء المجاورين بالجامع الأزهر « ممن لم يكن له وظيفة » ، واشترط الواقف أن لا يوزع الريع نقدا ، بل يوزع في هيئة خبز ، وقمحية تطبخ « بلحم ولبن وقمح » ، وتفرق يوميا كصدقة ، فتذكر هذه الوثيقة : « والباقي من الأوقاف المذكورة أعلاه .. يصرف ما يتحصل منه في خبز برطيب كل رغيف وظل بالمصرى ، يعمل ذلك كل يوم ، وفي قمحية تطبخ بلحم ولبن وقمح كل يوم ، ويفرق ذلك كل يوم صدقة على الفقراء المجاورين بالجامع الأزهر ، ممن لم يكن له وظيفة ، فيعطى لكل فقير منهم كل يوم رغيفان من الخبز المذكور ، وملى (ملا) قصعة قمحية من الطعام المذكور مع لحم يجعل له بذلك على ما يراه الناظر في ذلك ، ويؤدى إليه اجتهاده ، أو من يقوم مقامه في ذلك ، وفيما يحتاج إليه ذلك من أجرة حريق خبز وأجرة طبخين ، وثمان حطب : وقدر للطبخ ، وثمان جرارات (٢) وغير ذلك ، مما يحتاج إليه المطبخ المذكور ، وعمل الخبز المذكور ، بحسب الكفاية ، يستمر ذلك كذلك كل يوم على الدوام فان فخل شيء من الطعام أو الخبز أو اللحم عن تكفية الفقراء المجاورين المذكورين فيه تصدق بالفاضل في يومه على الفقراء الواردين على الجامع الأزهر المذكور أعلاه ، وهو الكاين بالقاهرة المحروسة » (٣) .

وبالإضافة الى هذه الصدقات اليومية ، وجدت أيضا صدقات أسبوعية ،

(١) الأمير يشبك من مهدى الدوادار الكبير ، ينسب الى السلطان جقمق ترقى في الخدم السلطانية بسرعة وساعد السلطان قايتباي في الوصول الى كرسى السلطنة ، فعينه السلطان في الدوادارية الكبرى ، في رجب سنة ٨٧٢ هـ . ثم ولاه الوزارة والاستادارية في سنة ٨٧٢ هـ ، وكان ثريا وفي سنة من المال ، وكانت أملاكه الكثيرة واقطاعاته الواسعة وأوقافه الجليلة ، ووجهه السلطان قايتباي لقتال يعقوب بك بن حسن الطويل ، فقتل بعد أمره في الزها في آخر رمضان ٨٨٥ هـ ، أنظر د . عبد اللطيف إبراهيم بن وثائق التاريخ العربى - ص ٤ - ١١

(٢) وثيقة وقف لأمير يشبك من مهدى الدوادار رقم ١٨٨ محفوظة ٢٨ بالمحكمة ورقم ٦٦ ج أوقاف ، نشر ودراسة د . عبد اللطيف إبراهيم سطر ١٥٠ وما بعده - ص ٦٥ - مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم - العدد الثاني ١٩٧١ ، طبعة القاهرة ١٩٧٢

واشترط الواقف كذلك أن توزع هذه الصدقات الاسبوعية عينا ، على أن تكون مناصفة بين أرباب الوظائف ، وطلبه العلم ، والاياتام بأوقافه ، وبين الفقراء المجاورين لمؤسساته ، فجاء في بعض الوثائق « ويصرف من ريع الوقف المذكور في ليلة كل جمعة ثمن خمس قناطير بالقنطار المصري من لحم الضأن ، وثن عشرين قنطارا من الخبز القرصة ، وثن ما يحتاج اليه من أرز وعسل وحبوب وحب رمان وغير ذلك ودهن وحطب وتوابل ، وأجرة من يتولى طبخ ذلك وتفرقته ، وغير ذلك مما يحتاج اليه في طبخ ذلك ، ويطبخ ذلك في ليلة كل جمعة ، ويقسم الطعام والخبز نصفين ، فالنصف منه يفرق على أرباب الوظائف المقيمين بالاماكن المذكورة ، والائمة ، والمؤنن ، والفراشين ، والقومة ، والبوابين ، والاياتام ، والمؤدبين ، والعريفين ، على ما يراه الناظر والنصف الثاني يصرف على الفقراء والمساكين من جيران المكان وغيرهم على ما يراه الناظر ، ويؤدي اليه اجتهاده » (١) .

وكتب من ريع الوقف المذكور للسلطان محمد بن محمد بن طاهر
السلطان المصري محمد بن محمد بن طاهر بن محمد بن طاهر
المرصه وبن ما كاح الله من أرز وعسل وحب
رمان وعد ذلك ودهن وحطب وتوابل واهوه
من ريع طبع ذلك ودهنه وعد ذلك ما كاح الله

المرصه
للجميع

في

(١) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف من ٤٦٢ ، ٤٦٤

٤٠٤

في طيحه ذلك ويطبخ ذلك في ليلة الجمعة ويصنع الطعام
والحارصين والصنف يدفن على ايدى الوطاس المعين
الامامان المذكوران والامام والمودين والبربرين والقوم
والبربرين والامام والمودين والبربرين على ما اراد الناظر
والصنف الذى يصرف على الفقراء والمساكين من حراش
المكان وعنده على ما اراد الناظر ويؤدى الى ارحامه ونحوه

(وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ اوقاف من ٤٦٣ - ٤٦٤)

وحرص بعض الواقفين على أن توزع صدقاتهم في الليالى التى تقام
لقراءة القرآن والذكر في بعض الاضرحة مثل مدفن الامام الشافعى ، ومدفن
الامام الليث أو غيرهما ، ومثال ذلك ما جاء في وثيقة وقف السلطان فرج
ابن بريق « ويصرف من ذلك في كل شهر من شهور الالهة في ليلة المحيا
بمدفن الامام الشافعى رضى الله عنه ... ألف واحد فلو ساجددا معاملة
القاهرة المحروسة يومئذ يشترا (هكذا) بذلك لحما وتوابلا وحطباً
وخبزاً ويطبخ طعاماً وتصرف كلفته على العادة ، وفي ثمن أوانى أن احتيج اليها ،
ويطعم من ذلك للمتتردين الى المكان المذكور في الليلة المذكورة لقراءة القرآن
وذكر الله سبحانه ... ويمد سماطاً ظاهراً يشاهده من حضر ، ويأكلون منه على
العادة ... ويفرق أيضاً من الطعام المذكور والخبز على من يتيسر حضوره من جيران
المكان من الفقراء والمقلين ممن لا يمكن جلوسه على السماط ، ليعم فضل الواقف
وبره القوى والضعيف والدنى والشريف ... ويصرف في كل ليلة من كل جمعة
وفي ليلة المحيا بمدفن الامام الايث ... خمسمائة درهم يشتري بها لحماً

وتوابلا وفي كلفة ويعمل طعاما ويشترى خبزا ويفعل في ذلك كما تقدم ذكر مثله بمقام الامام الشافعى^(١) .

هذا فضلا عن كثير من مجالات الرعاية الاجتماعية ، التي اهتمت الاوقاف في العصر المملوكى بالصرف عليها ، على اساس أنها من وجوه البر والقربات ، وهى في الحقيقة انما تعبر عن روح التضامن الاجتماعى التي سادت ذلك العصر ، والتي كان للاوقاف أكبر الاثر في تدعيمها واستمرارها ومن هذه المجالات رعاية النساء اللاتي طلقن أو هجرن حتى يتزوجن أو يرجعن الى أزواجهن ، صيانة لمن ، وذلك بايداعهن في رباط البندادية^(٢) ، حيث ينقلن عن الناس ، ويوظبن على أداء العبادات وتجرى عليهن الارزاق من الاوقاف^(٣) ، وكان من الطبيعى أن يتأثر هذا النوع من الرعاية الاجتماعية الذى اعتمد على استمرار ريع الاوقاف ، بما حدث من تدهور الاوقاف في بداية القرن التاسع للجيرة / الخامس عشر للميلاد ، فيذكر المقرئى أن هذا الرباط لم يعد « يؤدى خدماته على الوجه الاكمل »^(٤) .

ومما لا شك فيه أن هذه الخدمات الاجتماعية التي كان لنظام الاوقاف الفضل الاول في استمرارها وتنظيمها صار لها أكبر الاثر في المجتمع المصرى في العصر المملوكى ، فقامت هذه الاوقاف الى حد كبير برسالة وزارة الشئون الاجتماعية في العصر الحديث ، كما أنها خففت من الظلم والعسف الذى عانى فيه عامة الشعب في ذلك العصر ، فضلا عن أنها قامت بدور كبير في مساعدة الناس وقت انتشار المجاعات والوبئة .



الاوقاف والمواسم الدينية :

من المظاهر الاجتماعية التي ارتبطت بالاوقاف بشكل ملحوظ ، التوسعة

(١) وثيقة وقف السلطان فرج بن برقوق رقم ٦٦ محفوظة ١١ بالمحكمة .

(٢) انشأت هذا الرباط السيدة تذكاري باي خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس

سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م - المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٢٧ ، ٤٢٨

(٣) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٢٨

(٤) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٢٨ ، وأنظر ما يلى من تدهور نظام الاوقاف في

الفصل السابع .

على أرباب الوظائف ، وطلبة العلم ، والإيتام ، والفقراء والمساكين ، في المناسبات الدينية المختلفة مثل يوم عاشوراء ، وشهر رمضان ، وعيدى الفطر والأضحى ، ومن دراسة وثائق الأوقاف في العصر المملوكي ، يمكن لنا أن نقرر أن استمرار كثير من العادات والتقاليد الاجتماعية المرتبطة بهذه المواسم والتي ما زال معمولاً ببعضها إلى اليوم ، يرجع أساساً إلى أثر نظام الأوقاف ، فقد حدد الواقفون تفصيلاً كيفية التوسعة في هذه المواسم ، وحرصوا على تنفيذ شرط الواقف ، وسنة بعد أخرى أصبح ما يعمل طبقاً لشرط الواقف تقليداً جارياً على الدوام في المجتمع .

ففي يوم عاشوراء ، وهو اليوم العاشر من المحرم - أصبح من التقاليد المعمول بها في العصر المملوكي - والتي ما زال بعضها باقياً حتى اليوم في المجتمع المصري^(١) ، والتي ساعدت الأوقاف على استمرار العمل بها تقليد توزيع « العاشوراء المعمولة من حب القمح » ، فتتص إحدى الوثائق على أنه « يصرف في كل سنة برسم الصدقة في يوم عاشوراء ثمن أربعين قنطاراً من خبز البر ، وثمان عشرة قناطير من لحم الضأن ، وثمان أردبين من الحبوب الجارى بها العادة ، وثمان أربع قناطير عسل ، وثمان عشرين رطلاً من السيرج ، وثمان أبايزير وحطب ، وأجرة من يتولى طبخ ذلك وتفرقته ، وثمان غير ذلك مما يحتاج إليه من الآلات التي يطبخ بها ، فيطبخ ذلك جميعه على جارى المادة في ذلك ، ويقسم نصفين ، فالنصف منه يفرق على الطلبة المقيمين بالمكان المذكور ، وأرباب الوظائف الملازمين له ، والإيتام ، ومؤدبهم وعريفهم على ما يراه الناظر في ذلك ، والنصف الباقي يفرق على الفقراء والمساكين من هيران المكان وغيرهم على ما يراه الناظر في ذلك »^(٢) .

أما شهر رمضان فكان فرصة طيبة للاكثار من الصدقات وإطعام الفقراء ، ومن مظاهر التوسعة في ذلك الشهر الكريم صرف رواتب إضافية لأرباب الوظائف وطلبة العلم ، والإيتام ، ولا سيما من السكر الذي تتضاعف كمية المستهلك

(١) د. سعيد عاشور : المجتمع المصري من ١٧٧ ، المصري المالكي ص ٢٢١

(٢) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف من ٤٦٨ ، انظر أيضاً ما جاء بهذا النصوص في وثيقة وقف السلطان قايتباي رقم ٨٨٦ أوقاف من ١٤٧

منه في هذا الشهر ، بسبب الاكثار من عمل الحلوى (١) ، واذا كانت المصادر التاريخية روت لنا الكثير عن صدقات السلاطين والامراء في هذا الشهر (٢) ، فان وثائق الاوقاف لم تكتف بتأييد ما ورد في المصادر التاريخية ، بل حددت لنا تفصيلا نصيب كل فرد من ارباب الوظائف ، وطلبة العلم ، والايتام ، من « السكر الطيب الابيض النقى » ، كل حسب منزلته ومكانته ، والذي تراوح طبقا لما جاء في وثيقة وقف السلطان حسن بين خمسين رطلا ، وخمسة عشر رطلا ، لمن يمكن أن نطلق عليهم أصحاب الوظائف العليا ، وما يتراوح بين عشرة أرطال ، ورطلين لأصحاب الوظائف الدنيا ، وطلبة العلم ، والايتام ، فقد نصت الوثيقة على توزيع « ثلاثة وعشرون قنطارا بالقنطار المصرى ، وأربعة وسبعين رطلا بالرطل المصرى من السكر الطيب الابيض النقى » ، وحسب ما جاء بالوثيقة (٣) كان توزيع هذه الكمية على الوجه الاتى :

عدد الارطال	المستحق
٥٠	الناظر
٣٠	صاحب الديوان
٢٠	المستوفى
١٣٥	الشاد — الخطيب — المدرسين — شيخ الميعاد — لكل منهم ١٥ رطلا .
٥٠	متصدر القرآن — ملقن القرآن — العالم — ٢ شاهد لكل منهم ١٠ أرطال .
٩٠	١٢ معيدا — ٦ أئمة لكل ٥ أرطال .
٢٤	قارئ حديث — ٥ خدام لكل ٤ أرطال .
١٦٨٩	٤٦٠ طالب — ٢ رؤساء مؤذنين — ٦٠ قارئ بالقبة — خازن الكتب — ٥ خدام — ٢٦ من الفرائشين والقوامين والبوابين — سطحي — ٢ خادم للمزلة — ٢ مؤدب — ٣ أطباء — أمين الزيت لكل ٣ أرطال .

(١) د- سعيد ماشور : المجتمع المصرى ص ١٨٧

(٢) أنظر ما جاء من ذلك تفصيلا فى : د- سعيد ماشور : المجتمع المصرى ص ١٨٤

وما بعدها .

(٣) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف ص ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨

عدد الأبطال	المستحق
٥	٢ عريف لكل ٢ ١/٢ رطل •
٢٧٢	قارىء الميعاد - ماح - ٣٢ مؤذن - مختص بالمصحف - مبخر - ١٠٠ يتيم لكل منهم رطلين •

ولم يقتصر أمر التوسعة في شهر رمضان على توزيع السكر ، بل شمل ذلك أيضا توزيع الطعام المجزأ طبقا لشرط الواقف ، والذي اشتمل على الخبز واللحم ، والارز ، والعدس ، وحب الرمان ٥٠٠ إلخ ، فكما جاء في وثيقة وقف السلطان حسن « ويصرف في كل يوم من أيام شهر رمضان ثمن عشرة قناطير من لحم الضأن ، وثمان أربعون قنطارا من خبز انقرصة ، وثمان حب رمان ، وأرز ، وعدس ، وحبوب ، وأبزار ، وثوابل ، وأجرة من يتولى طبخ ذلك ، وتفرقته ، وثمان غير ذلك مما يحتاج اليه من الآلات التي يطبخ بها ، فيطبخ ذلك في كل يوم من أيام الشهر المذكور ، زيادة على ما هو مرتب في لياالى الجمع (١) ، ويقسم ذلك نصفين ، فالنصف منه يفرق على المقيمين بالاماكن المذكورة ، من الطلبة ، وأرباب الوظائف ، والايتام ، والمؤدين ، والعريفين ، على ما يراه الناظر ، والنصف الثانى يفرق على الفقراء ، والمساكين ، من جيران المكان ، وغيرهم ، على ما يراه الناظر » (٢) •

كذلك حرص الواقفون على التوسعة على أرباب الوظائف ، والصوفية ، والايتام ، والفقراء المجاورين للمؤسسة الدينية بمناسبة عيد الفطر ، حتى يشارك هؤلاء الفقراء في بهجة العيد ، فينص الواقفون على شراء كميات من الكمك ، والتمر ، والبندق ، لتوزيعها على المستحقين والفقراء (٣) ، مثال ذلك ما تذكره وثيقة وقف الأمير صرغتمش « ويصرف في عيد الفطر من كل سنة مايتا درهم نقرة يشتري بها كمكا وتمرأ وبندقا وخشكنانا ويفرق ذلك

(١) أنظر ما سبق من توزيع الصدقات الاسبوعية ص ١٣٦ ، ١٣٧

(٢) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف ص ٤٧٠

(٣) أنظر وثائق وقف كل من بيبس الجاشنكير رقم ٢٢ ، ٢٣ محفوظة رقم ٤ بالمعكة ، وفرج بن بروق رقم ٦٦ محفوظة ١١ بالمعكة ، وحسام الدين لاجين رقم ١٧ ، ١٨ محفوظة ٣ بالمعكة ، وبدر الدين حسن رقم ٢٣١ محفوظة ٣٦ بالمعكة ، وببيرس الغياط رقم ٣١٣ محفوظة رقم ٤٧ بالمعكة ، والسلطان حسن رقم ٤٠ محفوظة ٦ بالمعكة والناصرى محمد رقم ٢٣٤ محفوظة ٣٧ بالمعكة والصوينة فاطمة رقم ٢٧٠ بالمعكة محفوظة رقم ٢/٤٢ ، منطاي الجمالى ١٦٦٦ أوقاف ، وجوهى اللا ١٠٢١ أوقاف ، وقايتباى ٨٨٦ أوقاف ص ١٤٦

على الايتام ومؤديهم والعريف ، على ما يرام الناظر في ذلك «^(١)، كما تذكر وثيقة وقف السلطان قايتباي « يصرف في كل سنة تمضي من سنَى الاهلة ، في يوم عيد الفطر توسعة لارباب الوظائف بالجامع المذكور أعلاه ، ما مبلغه من الفلوس الموصوفة أعلاه ألفا درهم ٠٠٠ يوسع الناظر بذلك عليهم في يوم عيد الفطر على حسب ما يراه ٠٠٠ » «^(٢) .

أما عيد الاضحى ، فكانت توزع فيه كميات هائلة من اللحوم ، فكانت تشتري من ريع الاوقاف ، رؤوس الابل ، والجاموس ، والبقر ، والغنم ، لتذبح عادة عند أبواب المدارس والخوانق ، أو تجاه الجوامع ، وتوزع لحومها على أرباب الوظائف والمستحقين ، وغيرهم من الفقراء المجاورين ، وأبناء والسبيل^(٣) ، ومثال ذلك ما جاء في وثيقة وقف السلطان قايتباي « يصرف في كل سنة تمضي من سنَى الاهلة في عشر ذى الحجة الاول منها ما مبلغه من الفلوس الموصوفة أعلاه ثمانية آلاف درهم نصفها أربعة آلاف درهم ، أو ما يقوم مقام ذلك من النقود عند الصرف في ثمن بقرتين كل منها تجرى في الاضحى ، يضحى بها تجاه الجامع المذكور أعلاه ، فاحداهما تفرق على أرباب الوظائف بالجامع المذكور ، والاخرى تفرق صدقة على من يحضر يوم الذبح عند الجامع المذكور من الفقراء ، ويكون ذلك يوم عيد النحر ، يستمر ذلك جميعه كذلك على الدوام » «^(٤) . ومثال ذلك ما جاء أيضا بوثيقة وقف السلطان حسن « يصرف من ريع الوقف المذكور ثمن رأسين من الابل وعشرين رأسا من المعز (غنزا) وعشرة أروس (هكذا) من كباش الضأن ، يذبح ذلك في عيد الاضحى ، ويقسم نصفين ، فالنصف منه يصرف على المقيمين بالاماكن المذكورة ، من

(١) وثيقة وقف الأمير صرفتمش رقم ٣١٩٥ أوقاف ص ٣٥ ، نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم - مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة مجلد ٢٨ - ١٩٦٦ (ط ٠ القاهرة ١٩٧١) ص ٣٧ وتحقيق رقم ٨٤ ص ٧٢ ، ٧٣

(٢) وثيقة وقف السلطان قايتباي رقم ٨٨٦ أوقاف ص ١٤٦

(٣) أنظر رثائق الوقف الاتية بارشيف وزارة الارواق برسيائ رقم ٨٨٠.النورى ٨٨٤ ، السلطان حسن ٨٨١ ، مغلطاي الجمال ١٦٦٦ ، قاني باي الرماح ١٠١٩ ، وبارشيف المحكمة السلطان حسن ٤٠ محفظة ٦ ، الناصر محمد ٢٥ ، ٣١ محفظة ٤ ، ٥ والسنيى اذمر ٢٤٠ ، ٢٤١ محفظة ٣٨ ، ناصر الدين محمد الاقنى ٧٠ محفظة ١١ ،

بيبرس الخياط ٣١٣ محفظة ٤٧

(٤) وثيقة وقف السلطان قايتباي رقم ٨٨٦ أوقاف ص ١٤٦

الطلبة ، وأرباب الوظائف على ما يراه الناظر ، والنصف الثانى يفرق على
الايتم ، والمؤدين والعريفين ، والفقراء ، والمساكين فى خارج الاماكن المذكورة
من الجيران وغيرهم « (١) » .

٤٧١

المساكين من هذا المكان على ما يراه الناظر
من غير الروى المذكور لاس من لاس على ما يراه الناظر
وعند ان من هذا المكان ما يراه الناظر على ما يراه الناظر
من هذا المكان من هذا المكان على ما يراه الناظر
من الطلبة والارباب الوظائف على ما يراه الناظر
من غير الروى المذكور لاس من لاس على ما يراه الناظر
في خارج الاماكن المذكورة من هذا المكان

(من وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف من ٤٧١ - التوسعة فى ميد الاضفى)
وشملت التوسعة أيضا توزيع الحلوى فى المناسبات الدينية المختلفة .
وقد أوضحت لنا بعض الوثائق أصناف من هذه الحلوى ومواعيد توزيعها
مثال ذلك ما جاء بوثيقة بيبرس الجاشنكير والتي نصت على توزيع « نصف
رطل مبرى من الحلوى على البصوفية والفقراء بالرباط ، وأرباب الوظائف ،
فى ليلة عاشوراء ، وليلة أول رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وليالى الجمع من
شهر رمضان وليلة ختم التاسع والعشرين من كل شهر رمضان المعظم ، وإذا
وافق ليلة الختم لليلة الجمعة صرف ذلك مع النصيب المقرر » ، على أن
« يضاعف نصيب شيخ الخانقاه وشيخ الرباط من نسبة ذلك » ، وحددت لنا
هذه الوثيقة نوع الحلوى بأنها « حلوى عجمية معمولة من الدقيق الطيب
المستخرج من القمح والعسل المحلى بالسكر ، والخشخاش ، وماء زعفران ،
واللوز » (٢) .

(١) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف من ٤٧١

(٢) وثيقة وقف بيبرس الجاشنكير رقم ٢٢ منقطة ٤ بالحكمة .

(من وثيقة بييرس الجاشنكير بارثيف المعككة رقم ٢٢ معظلة ٤ - التوسعة بتوزيع العلوى - نوع العلوى - مضاعفة نصيب شيخ الخانقله وشيخ الرباط)

ومن الواقفين من رأى توزيع الحلوى فى مناسبات مختلفة على الايتام المنزلىين بالملك ، ومؤدبهم ، والعريف ، غنى وثيقة وقف الامير صرغتمش « ويصرف أيضا برسم الايتام ومؤدبهم والعريف ثمن حلوى فى نصف شهر شعبان ، وفى أول شهر رجب من كل سنة مائة درهم واحدة وخمسين درهما نقرة ، فى كل وقت منهما خمسة وسبعين درهما نقرة » (١) .

(١) وثيقة وقف الأمير صرغتمش رقم ٢١٩٥ أوقاف من ٢٥ نشر ودراسة
د. عبد اللطيف إبراهيم ص ٢٢

ولم تقتصر التوسعة على زيادة الرواتب ، وتوزيع السكر والطعام والحبوى بل شمل ذلك أيضا توزيع الكسوة السنوية على أرباب الوظائف والمستحقين والايتام وغيرهم من الفقراء(٢) ، مثال ذلك ما جاء في وثيقة وقف السلطان قايتباى « ويصرف في كل سنة في شهر رمضان منها لكسوة العيد ، وهو عيد الفطر للايتمام ومؤدبهم وعريفهم ، ما يبلغه من الفلوس الموصوفة أعلاه خمسة عشر ألف درهم ، نصفها سبعة آلاف درهم وخمسمائة درهم ، أو ما يقوم مقام ذلك من الفلوس عند الصرف »(٣) .

غايه
 لكن الامار ومعه
 على ايد البطل
 غايه

النفوس في كل عام من الخيرة المذكورة أعلاه والآن بالبري في يعرف كل سنة في
 سنة من سنين ما كان اليد وهو هذا البطل الأليام وودهم زعمهم في سنة
 العروس المصونة أملا خسة عسرا فيهم صفها سنة الألام ودم
 لا والله فيهم مقام وذلك من النفوس عند الترف كل الأليام المذكورة في سنة فيهم

(١) الوثيقة السابقة ص ٢٢ - نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٢٢
(٢) أنظر وثائق وقف يارشيف وزارة الاوقاف لكل من تمر باى المسمى ١٠١٨ ،
وجوه اللالا ١٠٢١ ، المؤيد شيخ ٩٢٨ ، قراقبا الحسنى ٩٢ (نشر ودراسة د. عبد اللطيف
ابراهيم) ، ويارشيف المحكمة وثائق كل من جوه اللالا ٨٦ محفظة ١٤ ، فرج بن برقوق
٦٦ محفظة ١١ حسام الدين لاجين ١٧ ، ٨ امحفظة ٣ ، السيفى أؤمر ٢٤١ محفظة ٣٨
(٣) وثيقة وقف قايتباى رقم ٨٨٦ أوقاف ص ١٣٦ ، وأنظر أيضا ص ١٥٠ من
ففس الوثيقة .

كذلك جاء في وثيقة وقف الامير صرغتمش عن كسوة الايتام صيفا وشتاء « ويكسى كل من الايتام المذكورين في فصل الصيف قميصا ولباسا وقبعما^(١) ونعللا في رجليه ، وفي الشتاء مثل ذلك ، ويزاد في الشتاء جبة محشوة بالقطن^(٢) » .

ولم يقتصر توزيع الكسوة السنوية على الايتام ، بل شمل أيضا بعض أرباب الوظائف مثل المؤدبين والعريفين ، وطلبة العلم من غير الايتام : وغيرهم من الفقراء والمساكين ، فجاء في بعض الوثائق « يصرف من زرع الوقف المذكور ثمن ألف قميص وألف طاقية وألف مداس ، فيعطى كل طالب من الطلبة المشروط اقامتهم في المدارس الاربعة المذكورة قميص وطاقية ومداس ويعطى لكل يتيم من الايتام والمؤدبين والعريفين مثل ذلك ، ويفرق الباقي على الفقراء والمساكين من جيران المكان وغيرهم ، لكل منهم قميص وطاقية ومداس^(٣) » .

وتنوعت الكسوة تبعا لشرط الواقف ، فنصت بعض وثائق الوقف أن تكون الكسوة من قماش لائق^(٤) أو من الكتان^(٥) ، وبعضها سواى وهى قمصان مطرزة بالزخارف مصنوعة من الحرير أو الكتان الناعم^(٦) ، وكان بعضها من الصوف الابيض الذى تصنع منه « اللاليط » لتلبس في الشتاء فوق الملابس التى كانت تصنع أحيانا من الحرير الخالص^(٧) ، فنصت وثيقة وقف

(١) الاقباع جمع قبع ، وهو خرقه لغطاء الرأس . وتعمل كالبرنس ، وتصنع من الحرير أحيانا - ابن الحاج : المدخل ج ٤ ص ٢٤ ، السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٤٩٤ حاشية ١ (٢) وثيقة وقف الامير صرغتمش رقم ٣١٩٥ أوقاف ص ٣٥ ، نشر ودراسة

د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٢٢

(٣) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، انظر أيضا ما جاء في وثيقة الامير قراقبا العنسى ٩٢ أوقاف سطر ١٦٠ ، ١٦١ ، نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٢١٢

(٤) وثيقة وقف المؤيد شيخ رقم ٩٣٨ أوقاف .

(٥) وثيقة وقف جومر اللا لا ١٠٢١ أوقاف .

(٦) وثيقة وقف ترم باى الحمدي رقم ١٠١٨ أوقاف ، وثيقة وقف طقطباى رقم ٢٧٢ محفظة ٤٢ بالمعكة ، وثيقة وقف الجمالى يوسف رقم ١٠٥ محفظة ١٦ بالمعكة ، د. عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية تحقيق رقم ٧١٤

(٧) وثيقة وقف جومر اللا لا أوقاف رقم ١٠٢١ ، السلوك ج ١ ص ٥٤٠ حاشية ١ ، د. عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية تحقيق رقم ٧١٣

[illegible]

(٢) البغلطاق أو البلفوطاق ، لفظ فارسي . وهو قباء بلا أكمام ، أو باكمام قصيرة جدا ، يلبس تحت الفرجية وكان يمنع من القطن البلسك الأبيض أو من السجاب أو من الحرير اللامع - السلوك ج ١ ق ٢ ص ٥٨٤ حاشية ١

(٣) المقریزی : المواقف والاعتبار ج ٢ ص ١١٥

منها للناس أو الحيوانات^(١) : وجرت العادة بأن يلحق السبيل بالمسجد . وأن يكون فوقه في الغالب مكتب لتعليم الايتام : وفي ذلك العصر الذي كان الحصول فيه على المياه العذبة من المهام الشاقة ، أصبح تسهيل الماء العذب : وتسهيل الحصول عليه من وجوه البر التي يهتم بها الواقفون . ويقفون على استمرار أداء خدماتها العقارات المختلفة ، ومن أجل ذلك أيضا أنشأ الواقفون الصهاريج لملئها بالماء المنقول من مياه النيل^(٢) ، نذكر لنا وثيقة وقف السلطان برسباي « ويصرف في كل شهر من الشهور من الفلوس المذكورة سبعمائة درهم وخمسون درهما ، وفي كل سنة من الفلوس المذكورة ثلاثة آلاف وخمسمائة درهم أو ما يقوم مقام ذلك من النقود : ويصرف ذلك في ثمن ماء عذب ينقل الى الصهريج المذكور في كل سنة من ماء النيل المبارك عند جريانه في الخلجان ما فيه كفاية الى السنة »^(٣) : ومن الوثائق ما ينص صراحة على أن يكون الماء عذبا ، ومن ماء النيل بالذات ، فتنص وثيقة الامير صرغتمش « ويصرف الناظر من ريع الوقف المذكور فيه في كلفة نقل ماء عذب من النيل المبارك في كل يوم الى الزملة المذكورة برسم شرب المقيمين بالمدرسة المذكورة ، والواردين اليها ، من ثمن جمال ينقلون عليها الماء وأجرة عمالين عليها »^(٤) وتؤكد نفس المعنى وثيقة الامير قراقجا الصنعي فتنص على أن « يصرف في ملى الصهريج

(١) د. سعيد عاشور المجتمع المصري ص ٩٠

(٢) انشاء السيل عادة جارية عند كل الملل في جميع الاجيال الا انها عند المسلمين أكثر ولا سيما في الجهات القليلة الماء - انظر ما سبق في الفصل الاول من بر رومة ، وبدأت ظاهرة الاكثار من الاسيلة في مصر ابتداء من القرن السادس - للهجرة ، وكان معظمها من انشاء السلاطين والامراء ونسائهم ، ولا يكاد يوجد سبيل الا وتحت صهريج ، وهو المصنع المبني تحت الارض لغزن الماء فيه فكلما فرغ ماء السبيل يملأ منه حتى يتفد مأواه على سبيل ملكه من السنة الثانية ، انظر وثيقة وقف أبو المعاسين بن تدرى بردي ١٤٧ محكمة محفظة رقم ٢٢ ، على مبارك : القبط الجديدة ج ٦ ص ٥٨

(٣) وثيقة وقف السلطان برسباي رقم ٨٨٠ اوقاف ٢٠٠

(٤) وثيقة وقف الامير صرغتمش رقم ٢١٩٥ اوقاف ص ٢٢ . نشر ودراسة

د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٢٢

المذكور في كل سنة من الماء العذب من بحر النيل المبارك عند زيادته لا من ماء الخليج ، بل بما بلغ « (١) » .

ومن الأسبلة الملحقة بالمساجد السبيلين اللذين أنشأهما السلطان قايتباي ، فضلا عن المزملة التي أنشأها بدهليز الجامع لتيسير حصول أرباب الوظائف وغيرهم من المترددين على ما يحتاجون إليه من الماء العذب . فجاء في وثيقة وقفه « ووقف السبيلين وهما السبيل المرخم الكبير الذي هو بواجهة الجامع الشريف المذكورة أعلاه على الطريق الجادة مما يلي باب الجامع الكبير : والسبيل المبطل الصغير الذي من جهة الباب الصغير من بابي الجامع المذكور لتسبيل الماء العذب من ماء النيل المبارك بهما للناس على الدوام . ووقف الصهريجين اللذين بالسبيلين المذكورين حاصلين لاستقرار ماء النيل المذكور بهما ليسبل ذلك شيئا فشيئا للناس على العادة في ذلك على الدوام ، ووقف المزملة المرخمة التي بدهليز الجامع المذكور فيه ليسبل بها الماء العذب للشرب أيضا لأرباب الوظائف بالجامع المذكور : وغيرهم ممن يرد على ذلك على العادة في ذلك » (٢) . كذلك جاء في وثيقة ووقف السلطان الغوري « وأما السبيل فوقه للانتفاع به في تسبيل الماء به على المارة بالطريق » (٣) ، وجاء بها أيضا « ومن ذلك خمس مائة درهم في كل شهر تصرف لثمن راويتين في كل يوم من الماء الحلو يصب في المزمتين ، ويسبل بهما على المصلين ، والمترددين للمدرسة المذكورة » (٤) .

ولم يقتصر اهتمام الواقفين على حد إنشاء الأسبلة بل شمل أيضا اهتمامهم بضرورة توافر الماء العذب بالسبيل طوال العام ، صيفا وشتاء ، مع مراعاة زيادة استهلاك المياه في فصل الصيف نظرا لشدة الحرارة وازدياد إقبال الناس على الشرب : فتتضمن إحدى الوثائق على أن « يصرف كل شهر بعض من شهور الأهلة من الفلوس الموصوفة أعلاه ألف درهم نصفها خمس

(١) وثيقة وقف الأمير قراقبا الحسنى ٩٢ أوقاف سطر ١٦١ ، ١٦٢ نشر ودراسة د. عبد اللطيف إبراهيم ٢١٢

(٢) وثيقة وقف السلطان قايتباي رقم ٨٨٦ أوقاف ص ١١٦

(٣) وثيقة وقف السلطان الغوري ٨٨٣ أوقاف سطر ٢٨٢ ، دراسة د. عبد اللطيف

إبراهيم .

(٤) الوثيقة السابقة سطر ١٤٥٨ . ١٤٥٩

مائة درهم . أو ما يقوم مقام ذلك من النقود عند الصرف . يشتري بذلك ماء عذب من ماء النيل المبارك موزعا في طول أيام انشهر بالسوية ، يسجل ذلك مزملا تى هذا السبيل لجميع من يرد على ذلك من الناس في أوانى السبيل المذكور . سفل الربع الظاهرى ، في زمن التسبيل المعين بسبيلى الجامع المذكور أعلاه . على ما تقدم شرجه ، وبيانه أعلاه ، وإذا رأى — الناظر على ذلك أن القدر المعين صرفه في كل شهر لثمن ماء السبيل الكائن تحت الربع الظاهرى يفصل منه شيء في أيام الشتاء لقلّة شرب الناس فيه ، فيدخر الفاضل من أيام الشتاء لايام الصيف ، ويزيده في ثمن الماء المبجل في أيام الصيف ، فيصرف الناظر في ذلك بما يرى فيه الحظ والمصلحة ، بحيث لا يفرط في ذلك ، ولا يفرط ، ولا يخرج في سلوكه عن السنن المتوسط «(١)» .

ووضع الواقفون شروطا معينة جسمية وخلقية لن يتولى وظيفة «المزملا تى» وهو الذى يتولى نقل المياه الى السبيل ، وتسبيل الماء ، وتوزيعه على أرباب الوظائف المترددين «(٢)» ، وقد أصبحت هذه الشروط فيما بعد من التقاليد المرعية فيمن يتولى الاعمال المتصلة بالطعام والشراب ، وخاصة الشروط الصحية منها، ومن هذه الشروط الصحية ما نصت عليه وثيقة السلطان الفورى من أن يكون المزملا تى « رجل ثقة أمين جميل الهيئة ، نظيف الثياب ، سليم البدن ، والجسد من المعاهات ، ذى قوة وشطارة ونهضة ومروءة » «(٣)» ، أما الصفات الخلقية المستقرطة في المزملا تى فهي « أن يسهل الشرب على الناس ، ويعاملهم بالحسنى ، والرفق ليكون أبلغ في ادخال الراحة على الواردين صدقة دائمة وحسنة مستمرة » «(٤)» .

أما مواعيد تسبيل المياه ، فكانت غالبا طوال النهار ، وذلك في الايام

(١) وثيقة وقف السلطان قايتباى رقم ٨٨٦ أوقاف من ١٥٠ . ١٥١ .
 (٢) وثيقة وقف السلطان المؤيد شيخ ٩٢٨ أوقاف وثيقة وقف هشبك بن عبد الله رقم ١٢١ محنظة ٢٠ بالمحكمة .
 (٣) وثيقة وقف السلطان الفورى رقم ٨٨٢ أوقاف سطر ١٥٤٦ . وما بعده .
 تعقيق ودراسة د . عبد اللطيف ابراهيم .
 (٤) وثيقة وقف السلطان فرج بن برقوق رقم ٦٦ . محنظة ١١ . بالمحكمة وثيقة وقف الجمالى يوسف رقم ١٠٥ محنظة ١٦ بالمحكمة . انظر ايضا د . عبد اللطيف ابراهيم دراسات تاريخية تعقيق ٦٦٨ ، د . سميد عاشور : المجتمع المصرى من ٩٠ ، ٩١ .

العادية . وأما في شهر رمضان فكان تسبيل المياه من وقت الغروب إلى ما بعد صلاة التراويح (١) . ومن ذلك ما تنص عليه وثيقة وقف السلطان النجاشي . ويسبله في سائر أوقات النهار من شروق الشمس إلى غروبها . ثم من بعد الغروب إلى أن تمضي حصة من الليل . ويأوى الناس إلى مساكنهم . وتنقطع الرجل عن الطرقات . فيملا الفسقية ويضع عليها كوزا ، يفعل ذلك دائما في كل يوم ما خلا شهر رمضان : فإنه يبتدىء بالتسبيل فيه من أول وقت الغروب إلى أن يأوى الناس إلى مساكنهم . ثم من وقت التسبيل إلى الفجر . يفعل ذلك المزملائي المذكور بنفسه وبمن يقيمه مقامه في ذلك ممن يكون متحفا بصفاته المذكورة (٢) ، وهناك من الواقفين من رأوا الاكتفاء بفتح السبيل في انقضاء التي بين صلاة الظهر والعصر : في وقت الحر الشديد (٣) . فجاء في إحدى الوثائق « ورجل من أهل الخير والدين زملائي يتولى تسبيل المساء المذكور في السبيل المذكور وسقيه للمارين عليه كل يوم من الظهر إلى العصر ما عدى (هكذا) شهر رمضان فإنه يسبل كل ليلة من المغرب إلى العشاء » (٤) .

وكان المزملائي يقوم أيضا ببعض الأعمال المتصلة بالسبيل ونظافته (٥) . مثال ذلك ما تذكره وثيقة وقف السلطان النجاشي : من الأعمال المضافة إلى المزملائي : ولا سيما وأنه كانت توجد بسبيل النجاشي مظلتين لوقاية من يشرب من السبيل حرارة الشمس ، فنصت على أن « يتولى المزملائي أيضا تعليق السحابتين المحدثين لشبكي السبيل المذكور البحري والغربي في زمن

(١) وثيقة وقف السلطان برسباي ٨٨٠ أوقاف ص ١٩٣ ، ١٩٤ ، وثيقة وقف قايتباي ٨٨٦ أوقاف ص ١٥٢ ، ١٥٥ وثيقة وقف قراقبا الحسني ٩٢ أوقاف سطر ١٤٩ نشر ودراسة د . عبد اللطيف إبراهيم ص ٢١١

(٢) وثيقة وقف السلطان النجاشي ٨٨٣ أوقاف سطر ١٥٤٨ وما بعده ، دراسة د . عبد اللطيف إبراهيم .

(٣) وثيقة وقف قاضي باشي الرماح ١٠١٩ أوقاف ، وثيقة وقف يشبك بن عبد الله رقم ١٢١ سحفة ٢٠ بالمعكة .

(٤) وثيقة وقف يشبك بن عبد الله الحمدي رقم ١٢١ سحفة ٢٠ بالمعكة .
(٥) وثيقة وقف الأمير قراقبا الحسني ٩٢ أوقاف سطر ١٤٩ ، ١٥٠ - نشر ودراسة د . عبد اللطيف إبراهيم ص ٢١١

الحيث اذا مالت انشمس عليهم . ونفضهما وضيهم . وشسينهما في كل يوم بالحاصل . اذا قرب الغروب وامتد الظل . ويتمهد الرخام والدهاليز بالكنس والمسح في كل وقت . ويكون المبلغ المذكور أعلاه له ولن يستعين به من صبيانه ، ولما يحتاج اليه من ثمن الكيزان والبخور^(١) وثمان الآلة التي يحتاج اليها^(٢) .

وحتى يؤدي السبيل والمزملاتي خدماته على أكمل وجه لم يهمل الواقفون أمر الادوات المستخدمة في السبيل ، مثل سلب انثيف ، أو الكتان والادلية انجلد . وآنية الشرب ، والمكانس الخوص : والطسوت ، والاسطال النحاس . والاباريق ، والقلل الفخار ، والسفننج ، والفوط للمسح^(٣) ، وبلغ من اهتمام الواقفين بآلات السبيل أن خصصوا أماكن لحفظها من ذلك ما تنص عليه احدى الوثائق « أما الخوستانان^(٤) والخلوى التي بانسبيل المذكور قريبا بأعاليه فانه أعد ذلك لاحراز أواني السبيل المذكور أعلاه على العادة في ذلك ، وأما الرواقان اللذين (كذا) علو السبيل المذكور أعلاه فانه وقفهما وحقوقهما لينتفع بذلك من يكون مزملاتيا بالسبيل المذكور^(٥) »

كذلك وجد في الخانقاوات مزملاتيا من انصوفية ، يتولى تنظيف حانوت السبيل ، ونقل الماء من الصهريج اليه ، والطواف بالماء على أبواب الوظائف

(١) نصت كتب العسبة على ضرورة تبخير الكيزان التي يشرب فيها الناس ، فانها تنفخ من أمام الناس وتكثفهم ، - انظر ابن الاخوة - معالم القرية (تحقيق محمد محمود شمبان وصديق أحمد ميسى - القاهرة ١٩٧٦) ص ٣٤٨ ، د . سعيد مافور : المجتمع المصري ص ٩١

(٢) وثيقة وقف السلطان النوري رقم ٨٨٣ أوقاف سطر ١٥٥٢ وما بعده ، دراسة د . عبد اللطيف ابراهيم .

(٣) وثيقة وقف السلطان برسباي ٨٨٠ أوقاف ص ١٩٩ ، ٢٢٥ ، وثيقة وقف قايتباي ٨٨٦ أوقاف ص ٢٤٤ ، بدون رقم بالحكمة ، وثيقة وقف آزيك ١٩٨ محفظة ٣١ بالحكمة ، وثيقة وقف السيفي أدمر ٢١٤ محفظة ٣٣ بالحكمة ، وثيقة وقف فرج بن برفون رقم ٦٦ محفظة ١١ بالحكمة ، وثيقة وقف ابن تغرى بردى رقم ١٤٧ محفظة ٢٣ بالحكمة ، انظر أيضا ، د . عبد اللطيف ابراهيم - دراسة وثيقة قراقبا العسنى تحقيق رقم ٧٤ ص ٢٤٢ ، دراسات تاريخية تحقيق رقم ٦٦٩

(٤) الخوستان أو الخروستان خزنة خشبية ضيقة بها رفوف خشبية لوضع الالات انظر د . عبد اللطيف ابراهيم - دراسة وثيقة الامير قراقبا العسنى تحقيق رقم ٢٥ رقم ٦٦٩

(٥) وثيقة وقف السلطان قايتباي رقم ٨٨٦ أوقاف ص ١٢٠

المذكورين بأعاليه رجلا من أهل الخير والديانة تكاف للعمل لأن يكون سقا بالخانقاه ، وفى نظير ذلك يكون له معلوم خارج عن معلومه للتصوف . مثال ذلك بحانوت السبيل النافذ إلى الخانقاه المذكورة الموصوف بأعاليه على أن يقوم كل يوم بالمكان المذكور من غسل الاواني ، وغير ذلك ، وتنظيف الحانوت المذكور ، ما جاء فى وثيقة وقف جمال الدين الاستادار « ويرتب أيضا من الصوفية ونقل الماء للصهريج الذى هو سفل الحانوت المقدم ذكره أعلاه ، والطواف بالماء على أرباب الوظائف بالخانقاه وقت اشتغالهم : والعمل بما شرطه الواقف بأعاليه فى موضع ذكر صفات الحانوت المذكور من وقت التسبيل وكيفية . وغير ذلك على ما شرح بأعاليه ، وغير ذلك . ويصرف له فى كل شهر من شهور الالهة من الفلوس المذكورة ستون درهما ، وعليه تكفية الحانوت المذكور : من ذلك بالكانس ، والسفنج ، والكيان خارجا عما هو مقرر له من معلوم التصوف على أن الرجل المذكور يتولى نقل الماء من الصهريج المذكور ، ويملى آوانى الشرب ، ويسبل ذلك على أهل الخانقاه المذكورة . وغيرهم من المترددين إليها من الناس أجمعين فى كل وقت وكل يوم ، وقرب آذان الظهر إلى العصر ، ووقت اشتداد الحر ، الا فى شهر رمضان فيكون الماء به مقدار ساعة من السحر إلى طلوع الفجر : ومن الغروب عند الافطار إلى وقت العشاء الآخرة (١)

ولم يقتصر الاهتمام على توفير الماء العذب للناس ، بل شمل ذلك أيضا الدواب ، فوجد كثير من أحواض المياه الموقوفة سبيلا لله لسقى الدواب ، من ذلك ما تذكره وثيقة وقف السلطان قايتباى « ووقف حوض السبيل المذكور أعلاه ، بالقرب من الجامع المذكور فيه ، وفسقية الحوض المذكور المجاورة له لاستقرار الماء الذى يجرى إليها من بير الساقية المذكورة أعلاه المعلقة بذلك ، لينتفع به فى سقى الدواب المارين على ذلك ، والمترددين إليه ، وفى غير ذلك من الانتفاعات الشرعية على العادة ، فى ذلك ، وجعله سبيلا لله » (٢) .

(١) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ معنظة ١٧ بمعكة الاحوال الشخصية .

(٢) وثيقة وقف السلطان قايتباى رقم ٨٨٦ أوقاف ص ١١٧

الأوقاف والرعاية الصحية :

اهتم بعض ولاية مصر منذ فجر الاسلام بتقديم الرعاية الصحية لمختلف طبقات الشعب ، وكان أول بيمارستان (١) أنشئ في مصر في عصر ولاية الأمويين في دار أبي زبيد بزقاق القناديل بالفسطاط (٢) ، ثم أنشئ - بيمارستان المعافر سنة ٢٤٧هـ / ٨٦١م (٣) : ويبدو أن هذين البيمارستانين كانا من الصغر وقلة الأهمية بحيث أن بعض المؤرخين اعتبروا أن بيمارستان أحمد بن طولون الذي أنشأه عام ٢٤٩هـ / ٨٧٣م أول بيمارستان أنشئ في مصر (٤) .. والذي عرف أيضا بالمارستان العتيق (٥) ، أو بالمارستان الأعلى (٦) : وأوقف عليه ابن طولون دخل بعض الأبنية منها دوره في الاسكفة ، والقيسارية ، وسوق الرتيق ، وشرط ألا يعالج فيه « جندى ولا مملوك » (٧) وجعل له حمامين أحدهما للرجال والآخر للنساء ، وأدخل ابن طولون في هذا البيمارستان ضروبا من النظام جعلته في مستوى أرقى المستشفيات في الوقت الحاضر (٨) ، فكان إذا دخله مريض تنزع ثيابه ، ويودع ما معه من المال عند أمين البيمارستان ، وتقدم له ثياب خاصة من البيمارستان . وكان المرضى يتناولون الأدوية ، والاعذية مجانا ، ويظل المريض بالبيمارستان حتى يتم شفاؤه : فيقدم له فروج ورغيف

(١) البيمارستان : مستشفى لمعالجة المرضى وإقامتهم ، وهو لفظ فارسي مركب من بيمار أى مريض ، وستان أى محل ، أى دار المرضى ، ويقال أحيانا البيمارستان ، والمارستان ، وهو مستشفى عام لمعالجة كافة الامراض ، ولكن بمرور الزمن قصر الاسم على المكان الذى يعد لإقامة المجانين - أنظر السلوك ج ١ ق ٣ ص ٧١٦ حاشية ٦ ، د . أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الاسلام (ط ٠ دمشق) ص ٤ ، د . سيدة كاشف : أحمد بن طولون ص ٢٥٢

(٢) ابن دقماق : الانتصار ق ١ ص ٩٩ ، د . سيدة كاشف : أحمد بن طولون ص ٢٥٢

(٣) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٠٥

(٤) القلقشندي : صبيح الأشئى ج ٣ ص ٣٤٣

(٥) عرف أيضا البيمارستان الذى أنشأه صلاح الدين بالبيمارستان العتيق أنظر

مابلى ص ١٥٦

(٦) ابن دقماق : الانتصار ق ١ ص ٩٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم ج ٣ ص ١٢٠

(٧) ابن دقماق : الانتصار ق ١ ص ٩٩ ، المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢

ص ٤٠٥

(٨) د . سيدة كاشف : أحمد بن طولون ص ٢٥٢

فإذا أكلها أذن له بمغادرة البيمارستان ، بعد أن ترد إليه ثيابه ونقوده^(١) .
ويبلغ من عناية أحمد بن طولون بهذا البيمارستان أنه كان يتفقد بنفسه يوما
في كل أسبوع كان في الغالب يوم الجمعة ، فيطوف على خزائن الأدوية ، ويتفقد
أعمال الأطباء ، ويشرف على سائر المرضى ، ويعمل على مواساتهم وادخال
السرور عليهم^(٢) ، بما في ذلك المحبوسين من المجانين حتى غافله في يوم أحدهم
ورماه برمانة كادت تقضى على ابن طولون ، فلم يعاود البيمارستان بعد ذلك^(٣)

وفي أثناء وصاية كافور على الأمير أبى القاسم أنور جور الاخشيدى تم
بناء المارستان الاسفل ، وذلك سنة ٣٤٦ هـ / ٩٧٨ م ، وحبس عليه قيسارية ،
ودور ، وهوانيت ، وزود بما يلزمه من أدوات وآلات وألحق به ميفاتين
أحدهما برسم تسيل الموتى ، وسقاية ، وحمامين^(٤)

ولطد أشهر البيمارستانات في العصرين الايوبى والملوكى تلك التى أنشئت
في عهد كل من صلاح الدين الايوبى ، والمنصور قلاوون ، فحسب افتتاح
السلطان صلاح الدين الايوبى ثلاثة بيمارستانات ، الاول في احدى قاعات
القصر الفاطمى الكبير ، والذي عرف في العصر الملوكى .. بالبيمارستان
العتيق^(٥) ، « واستخدم له أطباء وطبائعين وجراحين ومشارف وعاملا
وخداما » كما أمر باعادة فتح مارستان القسطاط القديم ، « واستخدم له

(١) ذكر سعيد القاضى منشآت أحمد بن طولون فى قصيدة له جاء بها من
البيمارستان :

ولا تنس مارستانه واتساعه ... وتوسع الارزاق للعلل والشهر .

وما فيه من فوائده وخفاته ... ورفقهم بالمعتمين ذوى العسر

فللميت المقبور حسن جهازه ... وللحي رفق فى علاج وفى جبر .

الكنى : ابولة واقضاة ٢٥٧ ، المقرئى : المواظ والاعتبار ج ١ ص ٢٢٣

(٢) المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٠٥ ، د : سيدة كاشف : أحمد
بن طولون ٢٥٣

(٣) المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٠٦

(٤) ابن دقماق : الانتصار ق ١ ص ٩٩ ، المقرئى المواظ والاعتبار ج ٢
ص ٤٠٥

(٥) أنظر ما سبق من بيمارستان أحمد بن طولون ص ١٥٥ ، المقرئى : المواظ
والاعتبار ج ١ ص ٤٠٧ ، القلقشندي : صبح الاعشى ج ٣ ص ٣٦٥ ، ويبدو أنه أطلق
عليه لفظ العتيق ، فميزا له من البيمارستان المنصوري الذى أنشئ قريبا منه - أنظر
ما على من البيمارستان المنصوري .

طبيب وعامل ومشارف ، وارتفق به الضعفاء ، وكثر بسبب ذلك الدعاء «^(١)» ، وفي أثناء زيارة صلاح الدين للاسكندرية سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨٢ م ، أمر صلاح الدين باقامة مدرسة ، والحق بها بيمارستانا ، ويذكر ابن جبير « ونصب (صلاح الدين) لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم : ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم ، وتحت أديهم خدام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وغذاء »^(٢) ، وتولى الاتفاق على هذه البيمارستانات ديوان الاحباس ، على اعتبار أن الرعاية الصحية في ذلك العهد كانت من أعمال البر والخير : أكثر منها من مهام الدولة الحاكمة^(٣) .

أما في العصر المملوكي فمن أشهر البيمارستانات التي أنشئت في ذلك العهد : وذاع صيتها في أنحاء مصر وخارجها . وحظيت برعاية سلاطين المماليك وأمرائهم : كان البيمارستان المنصوري ، الذي قال عنه الرحالة ابن بطوطة « وأما المارستان الذي بين القصرين عند تربة الملك المنصور قلاوون فيعجز الواصف عن محاسنه ، وقد أعد فيه من المرافق والادوية ما لا يحصر ، ويذكر أن مجباه ألف دينار كل يوم »^(٤) ، وهذا البيمارستان أنشأه الملك المنصور قلاوون الألفي الإصاحي (ت ٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م) ، وذلك في موضع قاعة ست الملك ابنة الملك العزيز بالله الخليفة الفاطمي ، والتي عرفت فيما بعد باسم دار الأمير فخر الدين جهار كس^(٥) ، ثم دار موسك^(٦) ، ثم عرفت بالدار القطبية نسبة الى الملك المفضل قطب الدين أحمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، فقد ظلت في ورثته حتى أخذها السلطان قلاوون من ابنة الملك العادل مؤنسة خاتون ، وعوضها عن ذلك بقصر الزمرد بريحة باب العيد ،

(١) المقرئزي : المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٤٠٧

(٢) ابن جبير : الرحلة (ط ٠ بيروت) ص ١٥

(٣) أنظر ما سبق عن الاوقاف في العصر الاموي . بالنص : الاول

(٤) ابن بطوطة : الرحلة (ط ٠ القاهرة ١٩٦٦) ص ٢٣

(٥) هو ابن عبد الله فخر الدين أبو المنصور الناصري الصلاحى ، من أكبر أمراء الدولة الصلاحية ، توفي في دمشق ١٩ ربيع الآخر سنة ٦٠٩ هـ - المقرئزي : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٨٧

(٦) هو الأمير عز الدين موسك الصلاحى من كبار أمراء الدولة الايوبية ، وابن حالة صلاح الدين ، توفي بدمشق ١٨ شعبان سنة ٥٨٤ هـ - المقرئزي : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٤٧

في ١٨ ربيع الاول ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م ورسم السلطان بعمارتها مارستانا ،
وقبة ومدرسة (١) : وتولى الاشراف على هذه العمارة الامير علم الدين سنجر
الشجاعى (٢) : فابقى القاعة على حالها : وجعلها مارستانا .

وجاء في وثيقة وقف عمائر السلطان قلاوون وصف تفصيلي للبيمارستان
منه « ٠٠٠ وباقصى هذا / الدهليز باب كبير معقود حنية بالطوب الاجر
والجبس بعتبة / سفلى صوانا يخلق عليه زوج اذراف مدهون مذهب / بحشوات
منقوشة مذهبة وصفائح حديد مذهبة يدخل منه الى / قاعة كبرى وهى
البيمارستان المبارك تحوى اربعة اواوين متقابلة / مسقفة نقيبا بقباب
وأخياط معرقة بالذهب واللازورد والاصبلغ / المختلفة وأربع قاعات متفرقة
ومطبخ وبيوت برسم الحواصل / وفسقية كبيرة بديعة الشكل تعلوها قبة

منها الخارجة الى الشرق والاربعون المظلة : ايمن ما يفتى
للتعليق باب لمرقعة قد حده : بغير روبرج والحد
سفل صوانا : بغير روبرج والحد
حشوات مسقوفة : وصفائح حديد مدهونة
قاعة كبرى وهى البيمارستان المبارك تحوى اربعة اواوين متقابلة
مسقفة نقيبا بقباب وأخياط معرقة بالذهب واللازورد والاصبلغ
المختلفة وأربع قاعات متفرقة ومطبخ وبيوت برسم الحواصل
وفسقية كبيرة بديعة الشكل تعلوها قبة
منها الخارجة الى الشرق والاربعون المظلة : ايمن ما يفتى
للتعليق باب لمرقعة قد حده : بغير روبرج والحد
سفل صوانا : بغير روبرج والحد
حشوات مسقوفة : وصفائح حديد مدهونة
قاعة كبرى وهى البيمارستان المبارك تحوى اربعة اواوين متقابلة
مسقفة نقيبا بقباب وأخياط معرقة بالذهب واللازورد والاصبلغ
المختلفة وأربع قاعات متفرقة ومطبخ وبيوت برسم الحواصل
وفسقية كبيرة بديعة الشكل تعلوها قبة
منها الخارجة الى الشرق والاربعون المظلة : ايمن ما يفتى
للتعليق باب لمرقعة قد حده : بغير روبرج والحد
سفل صوانا : بغير روبرج والحد
حشوات مسقوفة : وصفائح حديد مدهونة
قاعة كبرى وهى البيمارستان المبارك تحوى اربعة اواوين متقابلة
مسقفة نقيبا بقباب وأخياط معرقة بالذهب واللازورد والاصبلغ
المختلفة وأربع قاعات متفرقة ومطبخ وبيوت برسم الحواصل
وفسقية كبيرة بديعة الشكل تعلوها قبة

(من وثيقة وقف عمائر السلطان قلاوون رقم ٢٠٦ اوقاف - وصف البيمارستان)

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٧١٦ ، ٧١٧

(٢) هو سنجر بن عبد الله الشجاعى تولى الوزارة فى بداية سلطنة الناصر محمد

الاول . وتوفى سنة ٦٩٣ هـ / ١٢٩٤ م - المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٠٢

محمولة على أربع عمد رخام أبيض مكمل / القواعد الرخام الذهبية وأربعة أركان حجر نحيت مرضهم ظاهرها / بالرخام الابيض والازرق والاحمر والكريدانات المتنوعة المجزعة/ الى علو صحاف العمدة المذكورة ٠٠/»^(١).

كملت العمارة في أحد عشر شهرا وأيام ، فتمت في ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م ، فركب السلطان الى البيمارستان ، وجلس به ومعه الامراء والقضاة والعلماء ، واستدعى قدحا من الشراب ، فشربه ، وقال : « وقد وقفت هذا على مثلي فمن دوني »^(٢) ، فأوقفه السلطان على الملك والملوك ، والجندي والامير ، والكبير والصغير ، والحر والعبد ، الذكور والاناث ، كما أوقف السلطان الكثير من أملاكه من القياسر ، والصوانيت والحمامات ، والفنادق ، وغير ذلك من الضياع بالشام ، وبلغ ريع أوقافه في كل شهر جملة كثيرة ، جعل معظمها لمصاريف البيمارستان .

وتعدنا وثائق وقف السلطان قلاوون بكثير من المعلومات عن هذا البيمارستان الشهير^(٣) ، فمن وصفه تذكر الوثيقة « البيمارستان المبارك المنصوري المستجد انشاؤه ، والبديع بناؤه ، المدوم في الآفاق مثاله ، والمشهور في الاقطار حسن وصفه ، وجماله ، لقد أعجز همم الملوك الاول ، وحوى كل وصف جميل واكمل ، وحدث عنه العيان والخبر ، ودل على علو الهمة فيه ، كالسيف دل على التأثير بالاثار »^(٤) .

(١) انظر وثيقة وقف عمائر السلطان قلاوون التي اكتشفتها في دفاتر خانة وزارة الاوقاف بالقاهرة في صيف عام ١٩٧٨ وأعطيتها رقم ٧٠٦ ج انظر أيضا د. محمد أمين : فهرست وثائق القاهرة .

(٢) النويري : نهاية الارب (مخطوطة بدار الكتب) ج ٢٩ ورقة ٢٩ ، المقرئ : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٠٦

(٣) انظر وثائق وقف السلطان قلاوون وهي : وثيقة رقم ٧٠٦ ج أوقاف ، وهي جزء من حجة وقف عمائر السلطان قلاوون بها وصف للمدرسة والبيمارستان ، والوثيقة رقم ١٠١٠ أوقاف وصورتها بجموعة المحكمة رقم ٢/١٥ والتي قام بدارستها ونشرها د. محمد أمين وهي أوقاف على مصالح البيمارستان ، ثم الوثيقة برقم ١٠١١ أوقاف وهي على مصالح البيمارستان أيضا ، والوثيقة ٧٠٨ ج وهي عبارة عن وثيقة إيجار رواق بالبيمارستان المنصوري وأوتنظر أيضا خلاصة شروط كتب وقف السلطان قلاوون في الوثيقة رقم ١٠١٢ أوقاف .

(٤) وثيقة وقف السلطان قلاوون رقم ١٠١٠ أوقاف ، ٢/١٥ محكمة سطر ١٨٩ - ١٩٢ نشر ودراسة د. محمد أمين .

ويقع هذا البيمارستان « بالقاهرة المحروسة بين القصرين بخط المدارس الكاملية والصالحية والظاهرية رحم الله واقفيها ، على يمينه السالك من المدرسة الكاملية الى باب الزهومة ، وفنادق الطواشي شمس الخواص مسرور رحمه الله ، وفندقى الحجر والفاكهة ، والحريبين ، والسقطيين ، والشرابشين وغير ذلك ... » (١) .

ويشير الواقف في وثيقته الى الغرض من وقف هذا البيمارستان ويعدد المنتفعين به ، كما يعدد الامراض التى تعالج فيه : مما يعطينا صورة واضحة عن مدى أهمية هذا البيمارستان ، والدور الذى قام به في تقديم الرعاية الصحية لمختلف فئات الشعب في العصر المملوكى ، فجاء في وثيقة السلطان قلاوون « ... وهذا البيمارستان هو الذى وقفه مولانا السلطان الملك المنصور الموكل الموقوف عند خلد الله ملكه ببيمارستانا لداواة مرضى المسلمين الرجال والنساء من الاغنياء المثرين والفقراء المحتاجين بالقاهرة : ومصر وضواحيهما ، من المقيمين بهما والواردين اليهما من البلاد والاعمال على اختلاف أجناسهم وأوصافهم وتباين أمراضهم وأوصابهم من أمراض الاجسام قلت أو كثرت ، اتفقت أو اختلفت : وأمراض الحواس : خفيت أو ظهرت واختلاف العقول التى حفظها أعظم المقاصد والاغراض ، وأول ما يجب الاقبال عليه دون الانحراف عنه ، والاعراض : وغير ذلك مما تدعو حاجة الانسان الى صلاحه واصلاحه بالادوية والعقاقير المتعارفة عند أهل صناعة الطب ، والاستغال فيه بعلم الطب ، والاستغال به ، يدخلونه جموعا ووحدا ، وشيوخا ، وشبانا ، وبلغا وصبيانا ، وحرما وولدا ، يقيم به المرضى الفقراء من الرجال والنساء لداوتهم الى حين بروتهم وشفائهم ، ويصرف ما هو معد فيه للداواة : ويفرق للبعيد والقريب : والاهل والغريب والقوى والضعيف : والدنى والشريف : والعلو والحقير : والغنى والفقير ، والمأمور والأمير : والاعمى والبصير ، والفضول والفاضل ، والمشهور والخامل : والرقيق والوضيع ،

(١) الوثائق ١٠١٠ اوقاف . ٢/١٥ محكمة سطر ١٧٥ - ١٩٧ نشر ودراسة

والمترف والصعلوك ، والمليك والملوك ، من غير اشتراط لمعوض من الاعواض ،
ولا تعريض بانكار على ذلك ، ولا اعتراض ، بل لمحض فضل الله العظيم و«٠٠» (١)

للعوقد وانه للعرض مضاه للمدبر للملك المصطفى المرحوم وهذا المارستان
هو الثاني ومنه في ان الشاكر الملك المنصور للمولود عنه طرد للملك
مارستانا للمدولة وفي المجلد الثاني من الامساك المشرقة والمشرقة المحاصرة
المعاصرة وموضوعاتهما للمعاصرة والمعاصرة للمعاصرة والمعاصرة على المعاصرة
لحاصره وانما هي من اماراته وادابها من اماراته لمعاصرة الملك المارستان

الاسف لو اختلف ولم يرض احد من خفي او طهيب واحلال العقل والاحتياط العظيم
للعامة والخاص ولعل في الاماكن ادمر الانحراف عنه ولا اعتراض وغيره لا بد غدا
حاجه الى ان لا يصيد ما يصيد الا في الاماكن التي لا يصيد فيها من غير
ولم يشغل في عمل الطب في السعال من جوعا وضرا لا من شفاها من اعضاء
وهنا وحرارة لانا من من المصاعب المصاعب المصاعب المصاعب المصاعب
يُعرف ما منعت من المداواة فيعرف للمعاصرة والمعاصرة والمعاصرة والمعاصرة
والمعاصرة والمعاصرة والمعاصرة والمعاصرة والمعاصرة والمعاصرة والمعاصرة
والمعاصرة والمعاصرة والمعاصرة والمعاصرة والمعاصرة والمعاصرة والمعاصرة

(١) وثيقة وقف السلطان قلاوون رقم ١٠١٠ أوقاف ، ٢/١٥ محكمة سطر ٢١٤ -
٢٢٠ نشر ودراسة د. محمد محمد أمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْمَلِكِ الْبَاقِلِ عَنْ أَسْرَاطِ الْعُزْرِ وَالْأَعْزَارِ وَالْأَرْضِ الْبَارِئِ وَالْأَعْرَافِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَظِيمِ وَطَوْلُ الْكِبَرِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَظِيمِ

(من وثيقة وقف السلطان قلاوون رقم ١٠١٠ أوقاف - الغرض من وقف
البيمارستان - الأمراض التي تعالج فيه - الفئات المنتفعة بخدماته)

ومن ذلك نرى أن هذا البيمارستان كان عبارة عن مستشفى عام لعلاج جميع الأمراض ، وكان مقسما الى قسمين أحدهما للذكور ، والآخر للإناث ؛ وكل قسم مقسم الى قاعات : قاعة للأمراض الباطنية ، وقاعة للجراحة وقاعة للكحالة (أمراض العيون) ، وقاعة للتجبير ، وكانت قاعة الأمراض الباطنية مقسمة الى الأخرى الى أقسام صغيرة تبعا لاختلاف الأمراض فمنها قسم للمحمومين ، وهم المصابون بالحمى ، وقسم للممرورين وهم مرضى الجنون السبعي ، وقسم للمبرودين أى المتخومين ، وقسم لن به اسهال ١٠٠٠ (١) وهكذا وكان لكل قسم من أقسام البيمارستان ما بين طبيب وثلاثة حسب اتساع القسم وعدد المرضى (٢) ، ولكل قسم رئيس ، فكان فيه رئيس للأمراض الباطنية ؛ ورئيس للجراثيم ، ورئيس للكحالين (٣) .

وفي موضع آخر من وثيقة وقف السلطان قلاوون على بيمارستانه يوضح لنا الواقف ما يحتاج اليه المرضى في البيمارستانات في ذلك العصر ، وبالتالي يمدنا بمعلومات قيمة عن الخدمات التي تؤدي للمرضى به ، والتي كان يصرف عليها من ريع الوقف ، وأهم هذه الخدمات توفير الأسرة والفرش اللازمة للمرضى ، وتوفير الأدوية والعقاقير على اختلاف أنواعها ، وتوفير الغذاء المناسب لكل مريض حسب حالته الصحية ، فضلا عن توفير الاضاءة ، والماء ،

(١) ابن أبى أصيبعة : طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٥٤ ، ٣١٠ ، ج ٢ ص ٢٤٢ .
٢٤٣ ، ٢٦٠ ، القرطبي : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، النويري : نهاية
الارب ج ٢٩ ورقة ٣٠

(٢) ابن أبى أصيبعة : المرجع السابق ج ٢ ص ١٧٩

(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ١٥٥

المعذب ، وترتيب الفراشين والقومة الذين يتولون أعمال النظافة وغسل ملابس المرضى والقيام بمختلف مصالحهم التي يحتاجون اليها ، كما يوضح لنسب الواقف في هذه الوثيقة بعض الانظمة التي كان معمولاً بها ، والتي تعتبر من أسس الرعاية الصحية الحديثة ، من ذلك ما يشترطه من ضرورة تحضير الادوية ، في أوانها وتخزينها لحين الحاجة اليها ، على أن يصرف لكل مريض ما يحتاج اليه فقط دون زيادة أو نقصان ، فقد كان للبيمارستان خزانة كاملة للشراب ، كذلك راعى الواقف حالة الجو في مصر في فصل الصيف ، فاشتراط ضرورة صرف مراوح من الخوص ليستخدمها المرضى في التخفيف من حرارة الصيف ، كذلك حرص الواقف على أن يكون هناك ما يغطي به غذاء المرضى لمنع تلوثه ، وأن يتناول كل مريض غذاءه من غير مشاركة مع مريض آخر زيادة في الحيلة ، واتباعاً لاساليب صحية ، أصبحت بمرور الزمن ، ونتيجة للعمل بشرط الواقف ، من التقاليد الصحية المرعية ، فجاء في هذه الوثيقة « ويصرف الناظر من ربيع هذا الوقف ثمن ما تدعو حاجة المرضى اليه من سرر هديد أو خشب ، على ما يراه مصلحة ، ولحف محشوة قطناً ، وطراريح محشوة بالقطن أيضاً ، وملاحف قطن ، ومخاد طرح ، أو آدم محشوة على ما يراه ، ويؤدي اليه اجتهاده ... فيجعل لكل مريض من الفراش والسرر على حسب حاله ، وما يقتضيه مرضه ... ويصرف الناظر في هذا الوقف ثمن سكر يصنعه أشربه مختلفة الانواع ، ومعاجين ، وثن ما يحتاج اليه لاجل ذلك من الفواكه والخضائر ، رسم الاشربة ، وثن ما يحتاج اليه من أصناف الادوية والمعاجين والعقاقير والمراهم ، والاكحال ، والشياقات (١) ، والذخورات

(١) الشياقات جمع شياف ، وهي عبارة عن دواء مسحوق يستعمل للميون كما
 (نما أيضاً الدواء الذي يعمل منه قعما أو تلييسة) فحيلة)

والادهان ، والسفوفات ، والدرياتقات^(١) ، والاقراص ، وغير ذلك ، يصنع كل صنف في وقته وأوانه ، ويدخره تحت يده في أوعية معدة له ، فإذا فرغ استعمل مثله من ريع هذا الوقف ، ولا يصرف من ذلك لآحد شيئاً إلا بقدر حاجته إليه ، ولا يزيده عليها ، وذلك بحسب الزمان ، وما تدعو الحاجة إليه بحسب الفصول وأوقات الاستعمال ، ويقدم في ذلك الاحوج فالاحوج من المرضى المحتاجين ، والضعفاء والمنقطعين ، والفقراء ، والمساكين ، ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف ما تدعو حاجة المرضى إليه من مشموم في كل يوم ، وزبادى فخر برسم أغذيتهم ، وأقداح زجاج برسم أشربتهم ، وكيزان وأباريق فخر ، وقصاري فخر ، وزيت للوقود عليهم ، وماء من بحر النيل المبارك برسم شربهم وأغذيتهم ، وثمان مكبات خوص لآجل أغذية أغذيتهم عند صرفها عليهم ، وفي ثمن مراوح خوص لآجل استعمالهم إياها في الحر ، بصرف الناظر ثمن ذلك من ريع هذا الوقف في غير اسراف ولا اجحاف ، ولا زيادة على ما يحتاج إليه كل ذلك بحسب ما تدعو الحاجة ، لزيادة الأجر والثواب ...» (٢)

(١) الدياقات أو الترياتقات جميع درياق أو ترياق ، وهو دواء مركب لعلاج السموم ، أنظر النويرى : نهاية الأرب ٢٩ ورقة ٣٠ ، المنجد : قاموس في اللغة والأدب والعلوم (الطبعة ١٧ ط - بيروت ١٩٦٠) ص ٦١ . Dozy : Suppl. Dict. Ar.

(٢) وثيقة وقف السلطان قلاوون ١٠١٠ أوقاف ، ٢/١٥ محكمة سطر ٢٥١ - ٢٦٧ نشر ودراسة د. محمد محمد أمين .

ومن الوظائف التي رتبها الواقف بالبيمارستان ، ما يماثل وظيفة الصيدلي والمرضى في العصر الحديث ، فقد رتب رجلين اشترط فيهما الامانة والديانة ، يتولى أحدهما حفظ الادوية والعقاقير ، ويكون مسئولاً عن صرف الادوية حسب أوامر الاطباء ، فيسلمها للرجل الثاني لتوزيعها على المرضى ، وعليه أن يتأكد من أن كل مريض تناول الدواء الموصوف له ، وعليه كذلك الاشراف على المطبخ ، وتوصيل الطعام الى المرضى كل حسب ما وصف له ، فنصت الوثيقة على أن « يصرف الناظر في هذا الوقف لرجلين مسلمين موصوفين بالديانة والامانة ، يكون أحدهما خازناً لمخزن حاصل التفرقة يتولى تفرقة الاشربة والاكحال والاعشاب والمعاجين والادهان والشيافات المأذون له في صرف ذلك من المباشرين ، ويكون الآخر أميناً ، يتسلم صبيحة كل يوم وعشيته أقذاح الشراب المختصة بالمرضى والمختلين ، من الرجال والنساء ، المقيمين بهذا المارستان ، ويفرق ذلك عليهم ، ويباشر شرب كل منهم لما وصف له من ذلك ، ويباشر المطبخ بهذا المارستان ، وما يطبخ به للمرضى من فراور ودجاج وفراريج ولحم وغير ذلك ، ويجعل لكل مريض ما طبخ له ، في كل يوم ، في زبديّة منفردة له من غير مشاركة مع مريض آخر ، ويعطيها ، ويوصلها الى المريض ، الى أن يتكامل اطعامهم ، ويستوفي كل منهم غذاءه ، وعشاءه ، وما وصف له بكرة وعشية .. » (١) .

(١) وثيقة وقف السلطان قلاوون ١٠١٠ أوقاف ٢/١٥ محكمة سطر ٢٦٧ ب ٢٧٣ نشر ودراسة د. محمد محمد أمين ، وأنظر أيضاً خلاصة شروط كتب وقف السلطان قلاوون في الوثيقة رقم ١٠١٢ أوقاف .

[illegible]

(من وثيقة وقف السلطان قلاوون رقم ١٠١٠ أوقف رجلين يقومان بعمل الصيدل والمرض - كيفية توزيع الادوية والاعذية على المرضى)

أما أطباء البيمارستان فكانوا حسب ما جاء بوثيقه الوقف من ثلاث نئات : « الطبائميون » وهم الذين يقومون بعلاج الامراض الباطنية Physician ، وجراحيون ، وهم الذين يقومون بالعمليات الجراحية Surgeon ، والكحالون ، وهم المختصون بمعالجة أمراض العيون Ophthalmic Surgeon^(١) ، وتوضح لنا وثيقة السلطان قلاوون كيفية قيام الاطباء ببعض مهامهم في هذا البيمارستان من ذلك ما تذكره من مباشرة المرضى « مجتمعين أو متناوبين » ، وأن يصفوا لكل مريض ما يحتاج اليه من علاج وغذاء « في دستور ورق ليصرف على حكمه » ، كذلك حدد الواقف

(١) د. عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية تحقيق رقم ٦٥٤

مواعيد تواجد الأطباء بكل دقة ، فشرط ضرورة تواجد الأطباء الكحالين صباح كل يوم حتى لا يأتى مريض للملاج ويرد . كذلك توضح لنا الوثيقة نقطتين على جانب كبير من الأهمية الأولى ضرورة مراجعة الطبيب الكحال (طبيب العيون) للطبيب الطبائعى (طبيب الأمراض الباطنية) . للنظر سويًا في علاج المريض الذى قد يرجع مرض عينيه إلى أسباب باطنية وتوضح لنا هذه النقطة مدى التعاون بين الأطباء في فروع الطب المختلفة في ذلك العصر . وهو ما يقابل أحدث وسائل العلاج . وتشخيص الأمراض في العصر الحديث . ويذكر لنا ابن أبى أصيعة أهمية تشاور الأطباء فيقول : « فتتضاعف الفوائد المكتسبة من اجتماعهما . ومما كان يجرى بينهما من الكلام في الأمراض ومداواتها : وما كانا يصفان للمرضى (١) . والنقطة الثانية هي حرص الواقف على ضرورة تواجد الأطباء بالبيمارستان ليلا « مجتمعين أو متناوبين » : مما يدل على مدى اهتمام الواقف بالرعاية الصحية ، وضرورة الاحتياط لما قد يحدث من أزمات للمرضى أثناء الليل . فقد نصت الوثيقة : « ويصرف الناظر من ريع هذا الوقف لمن ينصبه بهذا المارستان من الأطباء المسلمين الطبائعين والكحالين والجرائحين بحسب ما يقتضيه الزمان : وحاجة المرضى . وهو مخير في العدة . وتقرير الجاميكات . ما لم يكن في ذلك حيف ولا شطط . يباشرون المرضى والمختلين . الرجال والنساء ، بهذا المارستان مجتمعين ومتناوبين . باتفاقهم على التناوب : أو باذن الناظر في التناوب ، ويسألون عن أحوالهم . وما يتجدد لكل منهم من زيادة مرض أو نقص ، ويكتبون بما يصلح لكل مريض من شراب وغذاء وغيره ، في دستور ورق ليصرف على حكمه ، ويلتزمون المبيت في كل ليلة بالبيمارستان مجتمعين أو متناوبين ، ويجلس الأطباء الكحالون لداواة أعين الرمداء بهذا المارستان : ولداواة من يرد اليهم به من المسلمين بحيث لا يرد أحد من المسلمين الرمداء من مداواة عينيه بكرة كل يوم ، ويباشرون الداواة ، ويطلقون فيها ، ويرفقون بالرمداء في ملافتهم : وأن كان بينهم من به قروح أو أمراض في عينيه : تقتضى مراجعة الكحال للطبيب الطبائعى راجعه :

(١) ابن أبى أصيعة : طبقات الأطباء ج ٢ ص ٢٤٢

وأخضره معه ، وباشر معه من غير انفراد عنه ، وراجعه في أحواله الى حين برؤه وشفاؤه .» (١) .

ولم يقتصر أثر الاوقاف في مجال الرعاية الصحية على المترددين على البيمارستانات ، بل شمل ذلك أيضا المرضى الفقراء في بيوتهم ، فقد نص السلطان قلاوون في كتاب وقفه على أن تمتد الرعاية الصحية الى الفقراء في بيوتهم ، فيصرف لهم ما يحتاجون اليه من الادوية والاشربة والاغذية أيضا : بشرط عدم التضيق على الموجودين بالبيمارستان ، ويذكر النويري أن هؤلاء المرضى الذين يعالجون في بيوتهم : بلغوا في وقت من الاوقات أكثر من مائتين (٢) : كما أنه بلغ عدد المترددين على البيمارستان ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه العيادة الخارجية بالبيمارستان حوالى أربعة آلاف نفس ، فيقول البلوى في رحلته « أن من يكحل فيه كل يوم من المرضى الداخلين اليه والناقمين الخارجين أربعة آلاف نفس ، وتارات يزيدون وينقصون » (٣) : وبالرغم مما يبدو في هذا الرقم من مبالغة ، الا أنه يعطينا صورة واضحة عن مدى أهمية هذا البيمارستان ، ومدى الاستفادة منه بالنسبة لمختلف فئات الشعب : وبهذا الخصوص ننص وثيقة وقف البيمارستان على أن « من كان مريضا في بيته ، وهو فقير ، كان للناظر أن يصرف اليه ما يحتاج اليه من حاصل هذا المارستان من الاشربة والادوية والمعاجين وغيرها ، مع عدم التضيق في الصرف على من هو مقيم به » (٤) .

(١) وثيقة وقف السلطان قلاوون ١٠١٠ أوقاف ، ٢/١٥ محكمة سطر ٢٧٥ - ٢٨٤

نشر د. محمد محمد أمين .

(٢) باشر النويري نظر البيمارستان المتصورى في الفترة من شوال ٧٠٣ هـ الى آخر رمضان سنة ٧٠٧ هـ - نهاية الارب (مخطوطة بدار الكتب) ج ٢٩ ورقة ٢٩
(٣) البلوى (خالد بن عيسى) : تاج الفرق في تعليه علماء المشرق (رحلة البلوى) مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٤٠٠ جغرافيا ، ورقة ٥٦ ب .

(٤) وثيقة وقف السلطان قلاوون ١٠١٠ أوقاف ، ٢/١٥ محكمة - سطر ٢٩١ -

٢٩٣ نشر ودراسة د. محمد محمد أمين .

لشهره بالحكمة للوزير بركاته أيضا في تربيته ونفذه في الناظر له من المصالح
 دجلا به؟ الامتنان من الاشهر والادب والمعاون غايه من المصالح
 عن هتمه هازمته

(من وثيقة وقف السلطان قلاوون ١٠١٠ أوقاف - معالجة المرضى الفقراء في بيوتهم)

وللاوقاف أيضا أثر كبير على النهوض بعلم الطب والعمل على ترقيته ، ذلك أن خدمات البيمارستانات لم تقتصر على معالجة المرضى ، بل تعدى الامر ذلك الى تدريس الطب والاهتمام به ، ويشبه هذا الى حد كبير ما يتم في كبار المستشفيات في العصر الحديث من الحاق كليات الطب بالمستشفيات حيث تتوافر الدراسة العملية ، وممارسة الطب تحت يد الاساتذة ، فقد نصت وثيقة وقف البيمارستان المنصوري على تعيين شيخ للاستغال بالطب ، يكون من بين أطباء البيمارستان ، وخصص له الواقف مكانا محددا لالقاء دروس الطب على طلبته ، فنصت الوثيقة على أن « يصرف الناظر في هذا الوقف لمن ينصبه شيخا للاستغال عليه بعلم الطب على اختلافه ، يجلس بالمسطبة الكبرى المعينة له في كتاب الوقف المشار اليه ، للاستغال بعلم الطب على اختلاف أوضاعه في الاوقات التي يعينها له الناظر ما يرى صرفة اليه ، وليكن من جملة أطباء البيمارستان المبارك من غير زيادة عن العدد » (١) .

(١) وثيقة وقف السلطان قلاوون ١٠١٠ أوقاف ، ٢/١٥ محكمة - سطر ٢٨٤ - ٢٨٧ - نشر ودراسة د. محمد أمين .

(من وثيقة وقف السلطان قلاوون ١٠١٠هـ / أوقاف - تعيين شيخا للاشتغال بعلم الطب)

ولما كان المرضى بصفة عامة هم أحوج الناس الى الرعاية الاجتماعية ولا سيما في عصور لم تعرف الاجازات المرضية بأجر أو نصف أجر ، فقد راعى السلطان قلاوون ذلك في وقفه ، وخصص بعض ريع وقفه على البيمارستان لكسوة الخارجين من البيمارستان بعد شفائهم « ومن حصل له الشفاء والعافية ممن هو مقيم بهذا المارستان المبارك صرف الناظر اليه من ريع هذا الوقف المذكور كسوة مثله على العادة بحسب الحال من غير زيادة تقتضى التضيق على المرضى والقيام بمصالحهم » (٣) .

(٢) وثيقة وقف حسام الدين لاجين رقم ١٧ ، ١٨ معظمة ٣ بالمحكمة .

٢٩٩ نشر ودراسة د. محمد محمد أمين .

فذلك عجب لا يافى لثان وقدر
ما عوا الجاحدين في كفرهم من الملأ الشان من الصواب والحق والبيان
لما احتاج إليه من علمه من شجرة طارعة على طوره، ولعله في
النور والكمال للوضيعة كان زلفا في شدة معرفته بالباطل والحق والحق
وخطبه في الملأ الشان من الأشهر والأديب والمعاين غيا مع علمه للصواب
على من همته وانوار من أبيه في الملأ الشان

وكان لكرة الاوقاف التي أوقفها السلطان قلاوون على البيمارستان أثر كبير في استمرار العمل به . واستمرار تقديم خدماته الصحية والاجتماعية لمختلف فئات الشعب . فيذكر السخاوي أن الفائض من ريع أوقاف البيمارستان

(١) وثيقة وقف السلطان قلاوون ١٠١٠ أوقاف . ٢/١٥ محكمة سطر ٢٨٩ - ٢٩٤ . نشر ودراسة د. محمد محمد أمين .

بلغ في سنة ٨٥١ هـ / ١٤٤٧ م . أى بعد مرور ما يقرب من قرنين على انشائه ، حوالى أربعة عشرة ألف دينار . عرضها القاضي الشافعى على السلطان جقمق ، فشكره السلطان على ذلك . ولو أن السخاوى كل يرى ضرورة صرف هذا المبلغ جميعه في مصالح البيمارستان حسب شرط الواقف ، فيقول عن السلطان جقمق « وغفل عن كونه لم يعمل فيه بمراد الواقف ، بل حجر في تنزيل المرضى وغيره ، وأمر بمسح دهاليزه ، وكنسه . وعدم التمكين من المشى فيه بالنعال » (١)

ومما يؤكد أهمية الاوقاف في استمرار العمل بالبيمارستانات ، وبالتالى تقديم الرعاية الصحية لمختلف فئات الشعب . وخاصة الفقراء منهم ، ما حدث بالنسبة للبيمارستان المؤيدى الذى أنشاه السلطان المؤيد الشيخ « بخط الرميلى بالصوة تحت القلعة المحروسة » ، وكانت به « قاعات برسم ضعفا النساء والرجال » (٢) ، في سنة ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م ، فقد جعل مصاريفه من جملة أوقاف الجامع المؤيدى ، دون أن تكون له أوقاف مستقلة ، فلما مات المؤيد شيخ في الحرم ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م ، تعطل البيمارستان ، اذ « لم يوجد في كتاب الوقف المؤيدى له جهة تصرف ، فأخرجت المرضى منه وأغلق » (٣) ثم سكنته طائفة من المعجم في ربيع الاول من نفس العام ، ثم عمل فيه منبر ، وأقيمت به الجمعة في ربيع الآخر سنة ٨٢٥ هـ / ١٤٢٢ م ، وأصبح جامعا تصرف مرتبات القائمين عليه من ريع وقف الجامع المؤيدى (٤) .

ولم يقتصر أثر الاوقاف في تقديم الرعاية الصحية على ما تقدمه البيمارستانات ولا سيما البيمارستان المنصورى ، من خدمات ، تمول من ريع الاوقاف ، وتؤدى طبقا لشروط الواقف ، فقد غامت الاوقاف أيضا بتمويل خدمات صحية أخرى لبعض فئات الشعب من خلال المؤسسات الدينية ، فقد حرص الواقفون في العصر المملوكى على تقديم الرعاية الصحية للمتربين

(١) السخاوى : التبر المسبوك ص ١٨٧ ، ويذكر السخاوى أن الشيخ أبو عبد الله الراعى أنشده في هذا المعنى لنفسه :

مرستانكم يشكو الغلاء وما به من الكنس والمسح الذى ليس ينفع
وناظره اذ جار فى حكمه له فيمنه المرضى ومن ذا يجمع

(٢) وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٣٨ اوقاف .

(٣) المقرئى : السلوك ج ٤ ق ٢ ص ٦١٠

(٤) المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٠٧ ، السلوك ج ٤ ق ٢ ص ٦١٠

على منشئاتهم الدينية والتعليمية^(١) . مثال ذلك ما تذكره وثيقة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون^(٢) : من أنه كان بالخانقاه الناصرية قلاوون ، والتي عرفت بخانقاه سرياقوس^(٣) . « طبيب كحال جراح مقيم بها ل مداواة الفقراء المستقرين بها والواردين عليها من الصوفية » ، وهناك أيضا طبيب آخر طبائعي من الصوفية أنفسهم^(٤) ، كما وجدت بهذه المؤسسات الدينية صيدليات حوت « أشربة وسفوفات وأدوية ونقوعات » وغير ذلك^(٥) ، وما جاء بهذه الوثيقة يؤكد لنا ما رواه المؤرخ الكبير المقرئ من أنه كان « بالخانقاه خزانة بها السكر والأشربة والأدوية : وبها الطبائعي والجرائحي والكحال ومصلح الشعر ... وبالحمام الحلاق لتدليك أبدانهم وحلق رؤوسهم »^(٦) .

كذلك وجد في الخانقاه التي أسسها بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م « كحال طبائعي ومغسل » . وذلك حسب شرط الواقف لمعالجة من يمرض من الصوفية^(٧) .

وبلغ من حرص الواقفين على تقديم الرعاية الصحية لأرباب الوظائف . وطلبة العلم . في مؤسساتهم أن اشترطوا على الأطباء الحضور يوميا الى المؤسسة الدينية لمعالجة من يمرض من أرباب الوظائف : أو طلبة العلم : سواء كانوا مقيمين بالمؤسسة ، أو خارجها ، وفي كافة الاحوال لا يكلف المريض بالحضور الى الطبيب ، بل يشترط الواقف ضرورة توجه الطبيب الى

(١) كان أول من أدخل الرعاية الطبية في المنشآت الدينية أحمد بن طولون فقد جعل في مؤخره جامعة خزانة شراب فيها جميع الشراب والأدوية ، وعليها خدم وفيها طبيب جائس يوم الجمعة لعادى يحدث للحاضرين للصلاة . على مبارك : التخطط الجديدة ج ٤ ص ٤٦

(٢) وثيقة وقف الناصر محمد رقم ٢٥ محفظة ٤ بالمعكة .

(٣) خانقاه سرياقوس أنشأها السلطان المالك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م المقرئ : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٢٢

(٤) وثيقة الناصر محمد رقم ٢٥ محفظة ٤ بارشيف المعكة .

(٥) وثيقة الناصر محمد رقم ٢٥ محفظة ٤ بارشيف المعكة .

(٦) المقرئ : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٢٢ ، ٤٢٣ .

(٧) وثيقتى وقف بيبرس الجاشنكير ٢٢ ، ٢٣ محفظة ٤ بالمعكة .

المريض حيث سكنه (١) ، فقد جاء في وثيقة وقف السلطان حسن أن على الناظر أن « يرتب الناظر رجلين مسلمين أحدهما عارف بالطب خبير بمعالجة الابدان ، والثاني عارف بصناعة الكحل ، على أن كلا منهما يحضر في كل يوم الى المكان المذكور ، ويداوى من يحتاج الى المداواة من أرباب الوظائف والطلبة المقيمين بالاماكن المذكورة أعلاه ، ومن يحضر اليها من الطلبة ، وأرباب الوظائف ، ممن ليس له سكن بالمكان ، ومن مرض من المقيمين بالاماكن المذكورة أعلاه ، يوجه الطبيب اليه في مكان اقامته ، ولا يكلف المريض الحضور الى الطبيب ، ويصرف اليهما في كل شهر مائة درهم واحدة وعشرون درهما نقرة بالسوية لكل منهما ستون درهما نقرة ، ويرتب الناظر رجلا جراحيا مجدا يحضر في كل يوم الى المكان المذكور ، ويفعل نظير ما شرط على الكحال والطبيب بأعليه ، فيصرف اليه في كل شهر أربعون درهما » (٢) .

ورب الناظر رجلين عارفين بالطب

طبيب
حاج
مختار محمد الأبدان والبلد عارف بصناعة الكحل على أن

درهما

٢٥٨

على أن كلاهما يحصل من ماله الخاص للدرور والى

من يحتاج الى المداواة من أرباب الوظائف والطلبة المقيمين

(١) وثيقة وقف السلطان النوري ٨٨٣ أوقاف سطر ١٥١٢ ، تحقيق ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم ، وثيقة وقف المزيدي شيخ ٩٣٨ أوقاف ، وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف من ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، وثيقة وقف بيبرس الجاشنكير ٢٢ ، ٢٣ محفظة ٤ بالحكمة .

(٢) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف من ٤٥٧ ، ٤٥٨ .

كالأمانى المدفوعة أعلا ومن حصرها من الطلبة والاطفال
 من لم يسكن بالخان ومن مرضى من المعسر كالأمانى
 المدفوعة أعلا وجهه الطبس للمرضى كان إمامه ولا يظف
 المصالح المحرولة للطبس وحرف السهام إلى سهلهم
 واحد وعشرون درهم من السيرة لكل سبعة سبعة
 درهم ورسب الساطر رجلا حرا كاحمد محصر كلهم
 إلى الخان المدفوع وسهل بطرما سطر على الكمال والطب
 ماغاله مصرف السؤل سراسر درهما ودرهم

(من وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف من ٤٥٧ ، ٤٥٨ - تعيين
 أطباء لمداداة أرباب الوظائف وطلبة العلم - عدم تكليف المريض بالعضور للطبيب)

ويبدو أن اهتمام الواقفين بالرعاية الصحية في المؤسسات الدينية
 الكبيرة أصبح تقليدا معمولاً به طوال العصر المملوكي . حتى أننا نجد في
 نهاية عصر سلاطين المماليك أن السلطان الغوري يرتب من بين وظائف
 مؤسساته الدينية « طبائعى جراحى » ليتفقد مرضى الصوفية وغيرهم
 من أرباب الوظائف ، فجاء في وثيقة وقفه « ومن ذلك خمسمائة درهم تصرف
 لرجل مسلم طبيب طبائعى جراحى عارف الصنائع ، يتفقد مرضى الصوفية
 وغيرهم من سائر أرباب الوظائف بهذا الوقف ، ويصف ، لكل منهم
 ما يناسبه من الادوية ، ويحسن علاجه » (١) .

كذلك حرص الواقفون على عزل المرضى من أرباب الوظائف خاصة إذا كان
 مرضهم من الأمراض المعدية ، ورأفة بهم شرطوا لهم أن يتناولوا مرتباتهم
 حتى شفائهم أو وفاتهم ، مثال ذلك ما جاء في وثيقة وقف السلطان برسباي

(١) وثيقة وقف السلطان الغورى ٨٨٣ أوقاف سطر ١٥١٢ ، ١٥١٣ ، دراسة
 وتحقيق د^و عبد اللطيف ابراهيم

« وأن لا يترك في انوظائف المذكورة أحد به شاعة من جذام أو برص : فان حدث والعياذ بالله تعالى بأحد من أرباب الوظائف المذكورة بشيء من ذلك : وحدث له مرض يعجزه عن القيام بوظيفته . أجرى عليه معلومة المقرر له الى حين عافيته ، أو وفاته الى رحمة الله تعالى » (١) .

وانعكس اهتمام الواقفين بالرعاية الصحية في العصر المملوكي على ما يصدره ديوان الانشاء من وصايا عند تقليد أحد الاطباء رئيسا أو مقدما للاطباء ، فاذا كان طبيا طبائعا يذكر في وصيته . « وليتجنب الدواء ما أمكنه المعالجة بالغذاء ... اذا اضطر الى وصف دواء صالح للعملة نظر الى ما فيه من المنفعة ، وان قلت ، وتحيل لاصلاجه ، بوصف مصلح مع الاحتراز في وصف المقادير ، والكميات ، والكيفيات في الاستعمال ، والاوقات وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر عنه ، ولا يأمر باستعمال دواء ولا ما يستغرب من غذاء » (٢) واذا كان طبيا كحالا جاء في وصيته « وها أنت قد أفردت بتسليم أشرف الحواس الخمس ، والجوارح التي لولاها لم تعرف حقيقة ما يدرك بالسمع والذوق والشم واللمس : وهي العين التي تغرى بالعين ... وأرفق بها فانها من طبقات منها الزجاجية ومنها شبيه الزجاج : ولا يقدم عليها بمداواة حتى يعرف حقيقة المرخر : والسبب الذي نال به ذلك الجوهر : ثم داوها مداواة تجلو بها القذى عن البصر ... » (٣) : واذا كانت الوصية لطبيب جرائحي جاء بها : « وأجبر كل كسر وشد كل أسر : وخط كل فتق وقو كل رتق : وداو الكلوم : ودار باللفظ ... واعمل على حفظ الاعصاب : وشد الاعضاء ، حتى يمكن معالجة المصاب ... وليحذر قضم شريان : ما قطع الا نزع دم صاحبه حتى يموت ، ولبعد معه ما يكون لاجراج النصال : فانه يكون مع عساكرنا المنصورة اوقات الحرب : والسهام تغوص في الاجسام : والرماح في رجل هي والحسام ... » (٤) .

(١) وثيقة وقف السلطان برسيبى ٨٨٠ أوقاف من ٢٠٨

(٢) ابن فضل الله العمري : التمرين بالمصطلح الشريف من ١٢٨

(٣) نفس المرجع من ١٢٩

(٤) نفس المرجع من ١٤٠

الفصل الرابع

للأوقاف والحياة الدينية

— الأوقاف وانشاء المساجد والجوامع : الحث على انشاء المساجد —
 اقبال الممالك على انشاء المساجد لتقوية الرابطة الاسلامية بينهم
 وبين الشعب — أثر الأوقاف في كثرة انشاء المساجد — الأوقاف
 وترتيب الوظائف الخاصة باقامة الشعائر الدينية — الامام — الخطيب
 — الترقية — المؤذنون — الميقات — الوظائف التي أضفت على
 العصر الروح الدينية : المادح — مجمر المبخرة — الوقاد — أمين
 الزيت — الشموع — القراء •

— الأوقاف والتصوف في مصر : التصوف الفردي — خانقاه سعيد
 السعداء — عوام انتشار التصوف وأثر الأوقاف في ذلك — الخانقاوات
 — وظيفة التصوف — انقطاع الصوفية العبادة — الربط والزوايا ،
 والفرق بينهما وبين الخانقاوات طبقا لما جاء بوثائق الأوقاف •

— الأوقاف وتسهيل تأدية فريضة الحج •

— الأوقاف والجهاد في سبيل الله — أهمية الوقف على الجهاد — وقف
 على برج الامير يشبك الدواidar بالاسكندرية — وقف السلطان قايتباي
 على قاعة السلاح بدمياط •

الأوقاف وإنشاء المساجد والجوامع :

الأصل في نظام الأوقاف بمعناه العام أنه ارتبط بدور العبادة دون تحديد ، إذ أن المعابد لم تكن ملكا لأحد من العباد في أية ديانة من الديانات ، وإنما ظهرت منذ القدم الأملاك المخصصة ريعها للصرف على دور العبادة ، وعلى القائمين بأمر الشعائر الدينية (١) ، وعندما ظهر الإسلام ، وعزفت الأوقاف بمعناها الإسلامي الدقيق ، كان من الطبيعي أن يرتبط نظام الأوقاف في الإسلام بإنشاء المساجد ، ولا سيما وأن الإسلام حرص على أن يدعو المسلمين إلى إنشاء المساجد وتعميرها ، فيقول الله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) (٢) ، وقال عليه الصلاة والسلام « من بنى لله مسجدا ، ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة » (٣) ، ولذلك نرى أن الأئمة والفقهاء الذين عارضوا نظام الوقف ، وعلى رأسهم الامام أبو حنيفة لم يتعرضوا لوقف المساجد ، بل أن الامام أبا حنيفة كان لا يرى وقفا لازما إلا ما كان مسجدا (٤) .

والمعروف أن مصر شهدت في العصر المملوكي نشاطا دينيا منقطع النظير ، كانت له أسبابه المتعددة ، والتي منها ما يتعلق بسلطين المماليك وأمرائهم أنفسهم ، ومنها ما يتعلق بالسياسة العامة للدولة ، وقد سبق أن ذكرنا الأسباب المتعلقة بالمماليك أنفسهم ، والتي أدت إلى ازدهار الأوقاف (٥) ، والتي تتلخص في شعور المماليك بأنهم مفتصبون للعرش سواء من أسادتتهم الأيوبيين ، أو من ورثة السلطان السابق ، فلم يحترم المماليك بصفة عامة نظام ولاية العهد في حكم البلاد ، هذا فضلا عن احساس المماليك أنهم أغراب عن أهل البلاد ، وأنهم أصلهم أرقاء ، فلم يجدوا إلا التمسح

(١) أنظر ما سبق بالفصل الاول .

(٢) سورة التوبة آية ١٨

(٣) اختلفت صيغ هذا الحديث الذي كثيرا ما ورد في الصيغ الانتحائية لوثائق الوقف ، كما اختلفت صيغته أيضا في كتب الحديث - سلم : الجامع الصحيح ج ٢ ص ٦٨ (٤) ابن الهمام : فتح القدير ج ٥ ص ٣٩ المرغني : المبسوط ج ١٢ ص ٢٧ (٥) أنظر ما سبق بالفصل الثاني عن أثر الشعور الديني في ازدهار الأوقاف .

بالدين الاسلامى . واستغلال العاطفة الدينية عند الشعب بالاكثار من انشاء المؤسسات الدينية : والظهور بمظهر التقوى والورع . مما جعل عامة الشعب تنغص النظر عن البحث في مدى أحقية السلطان القائم بالعرش : وفي أصل الممالك : ومدى أحقيتهم في تولى الحكم . على أساس أن السلطان حاكم مسلم تقى ورع^(١) .

ويبدو أن سلاطين الممالك أكثروا من انشاء المؤسسات الدينية بصفة عامة ، والمساجد بصفة خاصة في محاولة لتقوية رباط الدين الذى يربطهم بالشعب لينسئ لهم ماضيهم وأصلهم وأجناسهم ولا يذكر لهم الا أنهم مسلمون مخلصون ، حريصون على احياء شعائر الاسلام ، وبعبارة أخرى فان الممالك حرصوا على التركيز على الرابطة الوحيدة التى تربط بين الممالك بعضهم وبعض من ناحية ، وبينهم وبين الشعب من ناحية أخرى ، وبينهم وبين الدول الاسلامية المجاورة من ناحية ثالثة ، وهى رابطة الاسلام ، ومن الصعب أن نرجع قوة الشعور الدينى في العصر المملوكى الى ظروف العصر وحدها على أساس أن العصور الوسطى هى عصور الايمان سواء في الشرق أو الغرب ، ويدعم هذا القول المقارنة بين قوة الشعور الدينى في مصر في العصر المملوكى من جهة وبين قوة الشعور الدينى في دول المغرب العربى أو دول المشرق العربى المعاصرة من جهة أخرى : وفي مثل هذه المقارنة نجد الفرق شاسعا بين ما تمت اقامته بمصر من المؤسسات الدينية في العصر المملوكى ، وبين ما كان بالدول الاسلامية المجاورة المعاصرة . ويمكن أن نعلل هذه الظاهرة بأن حكام المغرب أو المشرق العربى كان يكفيمهم أنهم انحدروا من آباء يدينون بالاسلام لتأكيد سلطتهم^(٢) ، بينما لم يكن أمام الممالك الذين لم يعرف الشعب شيئا عن أصولهم الا الظهور دائما في صورة حماة الاسلام والمسلمين ووجدوا في تطهير المنطقة من أعداء الاسلام : الصليبيين والمغول فرصتهم ، وربما أدى

(١) د. سعيد عاشور : المجتمع المصرى ص ١٥٢ ، العصر المالىكى ص ٢٣٦ وما بعدها .

(٢) Ibrahim Salama : L'Enseignement Islamique en Egypte (Le Caire 1939), P. 65.

بهيم هذا الاحساس أيضا إلى الحرص على احياء الخلافة العباسية في القاهرة في عهد الظاهر بيبرس ، فضلا عن مواصلة سياسة الايوبيين في محاربة التشيع . وادت هذه الظروف مجمعة إلى وجود تيار ديني قوى خلال العصر المملوكي في مصر ، وهو التيار الذي ظهر بوضوح في انشاء المساجد والجوامع ، ويؤكد ذلك ما يذكره ابن ابيك في كلامه عن الملك الناصر محمد اذ يقول « ان في ايامه علا منار الاسلام . وعزت امه النبي عليه السلام . . . فمما يؤيد هذا المقال ما تجددت في ايام دولته المباركة من بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالعدو والاصل ، وهم عدة » (١) ، ثم عدد ابن ابيك الجوامع التي اُنشئت في عهد الناصر محمد « بمصر بالقاهرة وضواحيها . . . وهم عدة سبعة وعشرين خطبة » (٢) .

وفي هذا المجال قامت الأوقاف بدور كبير من أجل تدعيم المساجد والجوامع وتمحيصها من اداء رسالتها . ويمكن أن نقول ان قوة الشعور الديني التي وجدت في العصر المملوكي في مصر سببها ازدهار الأوقاف وانتشارها ، كما أن ازدهار الأوقاف أدى بدوره إلى تقوية الشعور الديني ، واستمرار تدفق المشاعر الدينية عن طريق المؤسسات الدينية ، « فجميع هذه الاماكن مشحونة بالأئمة والخطباء . والفقهاء . والمدرسين . والمحدثين ، والطلبة . والمؤذنين . والقوام . والفقراء ، والمساكين ، وكل من هؤلاء له المقرر من سائر ما يحتاج اليه مما أوقف عليهم من البلاد . والضياع ، والأماك ، والحوانيت ، ولهذه الأوقاف مباشرين وعمال وغير ذلك » (٣) .

وبفضل أموال الأوقاف أنشئ في مصر الكثير من المساجد التي تقام بها الصلوات الخمس ، وهي التي قال عنها القلقشندي أنها « أكثر من أن

(١) ابن ابيك : كنز الدرر وجامع الفر ج ٩ (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر - ط - القاهرة ١٩٦٠) ص ٢٨٨

(٢) المرجع السابق ص ٢٩٠ ، وجاء في كتاب مسلاطين المسالك الذي نشره زيتير تتين والذي ينسب لابراهيم مغلطاي - أحد معاصري الناصر محمد أن عدة هذه المساجد ٢٨ مسجدا ، وهذا الرقم وإن كان يزيد واحد عما ذكره ابن ابيك فإنه يؤكد كثرة المساجد التي اُنشئت في هذا العهد - تاريخ المالك ص ٢٢٥ - ٢٢٦

(٣) ابن ابيك : الدر الفاخر ص ٢٩١

تحمي ، وأعر من أن تستقصى « (١) ، أما المساجد التي تقام فيها صلاة الجمعة ، فيذكر ابن شاهين أنه « قيل أن بمصر والقاهرة داخل السور وخارجيه الف خطبة ونيف عن ذلك » (٢) ، ويبدو أن هذا الرقم مبني فيه ، إذ يذكر المقرئ أن عدد المساجد التي تقام بها الجمعة مائة وثلاثين مسجدا « فيما بين مسجد تبر خارج القاهرة من بحريها الى دير الطين قبلى مدينا مصر » (٣) ، وهو رقم اقرب الى الصواب مما ذكره ابن شاهين . ومهما يكن من أمر فقد أثارت كثرة هذه المساجد دهشة الرحالة الأوربيين في ذلك العصر (٤) .

وبالإضافة الى المساجد والجوامع فان مصر عرفت في العصر المملوكي كثيرا من المنشآت الدينية ، مثل المدارس والخوانق والربط ، وهذه المؤسسات وان كان لكل منها وظيفة أساسية محددة ، الا أنه أقيم في غالبها منبر وأقيمت فيها الصلوات ، فضلا عن أن منشئها أو واقفها رتبوا فيها من الموظفين من يقوم بالشعائر الدينية ، ويبدو أن ذلك الوضع جعل المؤرخين يدخلون في حسابهم عند الكلام عن المساجد هذه المنشآت الدينية الأخرى (٥) .

ويتجلى دور الاوقاف في انشاء المساجد والجوامع من دراسة افتتاحيات معظم وثائق الاوقاف ، ومثال ذلك ما جاء في وثيقة وقف السلطان حسن « الزاد ما ادخره الناس ليوم المعاد ، وقدم بين يدي خالقه عند قيام الاشهد ، وأقرض الله القرض الحسن ففاز بنيل المراد ٠٠٠ - الصدقة التي يرجوها المتصدق الأجر والثواب ٠٠٠ وتكون له طريقا موصلة الى دار النعيم ، دافعة عنه ما يخشاه من عذاب الجحيم ٠٠٠ لقوله صلى الله عليه وسلم اتق النار ولو بشق تمرة ٠٠٠ سيما صدقة الاوقاف التي هي أنفس الصدقات وأسناها ،

(١) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٢ ص ٣٦٥

(٢) ابن شاهين : زبدة كشف المالك ص ٣١

(٣) المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٤٥

(٤) د. سعيد عاشور : المجتمع المصري ص ١٦٠

(٥) ابن أبيك : الدرر الفاخر ص ٣٩٠ ، المقرئ : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٨١ ومن وثائق الوقت التي نذكر هذه الحقيقة وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف ص ٤٣٧ حيث خصص الاوقاف الديوان القبلى لاقامة الخطبة وقراءة المصحف وتدريب الشافعية .

وأرفعها قدرا عند الله وأعلاها لاستمرار تسطيرها في الصخايف الحسان ٠٠٠
 مهى الصدقة الجارية ، والدخيرة الياقية ٠٠٠ وقد بدأ صلى الله عليه وسلم
 بدورها ٠٠٠ فقال اذا مات العيد انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او
 علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له (١) - ، وقال صلى الله عليه وسلم فيما
 ثبت عنه في صحيح السنة مقالة اخبر فيها يعظم المنة من بيني بيتا لله ولو
 كمفحص قطاة بني الله له بيتا في الجنة ٠٠٠ (٢) ، وجاء في وثيقة وقف أخرى
 عن الذين يبنون المساجد والجامع « ٠٠ وحازوا فضل قوله تعالى ، انما يعمر
 مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ، واستحقوا جزيل الثواب وعظيم
 المنة يقوله صلى الله عليه وسلم : من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بني
 الله له بيتا في الجنة ٠٠٠ (٣) .

وتؤكد المصادر التاريخية ما جاء بهذه الوثائق من ارتباط انشاء المساجد
 بالاوقاف بوصفها صدقة جارية فضلا عن ارتباطها بالشعور الديني العام
 في العصر المملوكي ، من ذلك ما يذكره ابن عبد الظاهر عن السلطان الظاهر
 بيبرس عندما أراد بناء جامعة ، فأرسل « الاتابك والصاحب فخر الدين ولد
 الصاحب لكشف مكان يعمل جامعا بالحسينية ، فتوجها واتفقا على مناخ الجمال
 السلطانية ، فقال السلطان : أولى ما جعلت ميداني الذي هو نزهتي جامعا ،
 وركب السلطان في ثامن ربيع الآخر وصحبته الصاحب بهاء الدين والقضاة ،
 ونزل الى ميدان قراقوش ، ورتب أمور بنائه جامعا ، وأن يكون بقية الميدان
 وقفا على الجامع » (٤) .

واذا تم بناء المسجد أو الجامع احتفل بانتهاء عمارته احتفالا كبيرا ،
 مثال ذلك ما يذكره المقرئزي عند انتهاء عمارة الجامع الجديد الناصري

(١) انظر الصيغة الصحيحة والكاملة لهذا الحديث الشريف في الفصل الاول ص ١٦
 والعاشية الخاصة به بنفس الصفحة رقم ١

(٢) انظر ما سبق ص ١٧٩ حاشية ٣ ، وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ اوقاف
 ص ٣ - ٥

(٣) وثيقة وقف السلطان قايتباي ٨٨٦ اوقاف ص ٢ ، والامثلة على ذلك كثيرة في
 معظم افتتاحيات وثنائق الوقف .

(٤) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر (مخطوطة بمكتبة ماتح كتبخانسي) ورقة
 ٩١ ب .

بمساحل مصر « فنزل السلطان اليه ورتب فيه قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي خطيبا . ورتب فيه أربعين صوفيا في سجنه . وأربعين صوفيا بداخله . ورتب لكل منهم الخبز واللحم في ايوم . ومبلغ خمس عشر درهما في الشهر . وجعل شيخهم قوام الدين النيرازي . ووقف السلطان عليه قيسارية العنبر (١) بالقاهرة . وعمر له ربعا وحماما وأقام له خضيبا (٢) » .

وتمدنا وثائق الاوقاف التي وصلتنا من انصر المملوكي بكثير من المعلومات المتصلة بترتيب الوظائف . واقامة الشعائر الدينية سواء ما كان منها بالمساجد والجوامع . او ما كان منها في المدارس ولخواتق اتى اقيمت فيها الصلوات . واعتبرت من جملة المساجد . بالاضافة الى وظيفتها الاساسية . ومن هذه الوظائف مجموعة رئيسية حرص الواقفون على استمرارها حتى لو خرب الوقف . أو خربت الاعيان الموقوفة على مصالح الجامع أو المدرسة . واعنى بها وظائف الامامة والخطبة والآذان . وذلك لاستمرار أداء الشعائر الدينية .

وأهم هذه الوظائف وظيفة « الامامة » وتشترط المذاهب السنية في الامام الذي يؤم المسلمين في الصلاة شروطا معينة . تتلخص في أن يكون الامام عالما بكيفية الصلاة وشروطها (٣) . ولذلك اشتد بعض الواقفين في الامام أن يكون رجلا « من أهل العلم الشريف . حافظا لكتاب الله سبحانه وتعالى . مشهورا بالخير والدين . حسن الصوت . محسن للتلاوة . عالم بأحكام العبادات الشرعية (٤) . ومن الواقفين من اشترط أن يكون الامام حنفيا المذهب (٥) » .

-
- (١) قيسارية العنبر عمرها الملك المنصور قلاوون سنة ٦٨٠ هـ في موضع سجن المعونة . وجعلها سوقا للعنبر . المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٨٩ . ٩٧ .
 (٢) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٠٤ . السلوك ج ٢ ص ١١٤ . ١١٥ .
 (٣) وزارة الاوقاف : الفقه على المذاهب الاربعية - قسم العبادات (الطبعة السادسة - القاهرة ١٩٦٧) ص ٣٨٠ . ٣٨١ .
 (٤) وثيقة وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٣ أوقاف سطر ١٣٩٠ . دراسة وتحقيق د . عبد اللطيف ابراهيم .
 (٥) وثيقة وقف الامير قراغجا الحسنى رقم ٩٢ أوقاف سطر ١٠٨ . دراسة ونشر د . عبد اللطيف ابراهيم ص ٢٠٨ .

وكذلك تحدد وثائق الاوقاف اختصاص الامام في « أن يؤم المسلمين في الصلوات الخمس المفروضة . لاول أوقاتها الشرعية . وفي قيام شهر رمضان^(١) . وصلاتي انخسوف والكسوف^(٢) . عند وجود سببها الشرعي^(٣) . وفي بعض الوثائق رتب الواقف اربعة ائمة كل منهم يؤم المسلمين في الصلاة في احد أو اوين الجامع الاربعة . مثال ذلك ما جاء في وثيقة وقف المؤيد شيخ^(٤) . ويرتب بالجامع المذكور ائمة اربعة يؤمون بالناس في الصلوات الخمس . فالواحد منهم يؤم بالناس في الايوان القبلى الذى به المحراب في الصلوات الخمس وصلوة التراويح من العادة في مثل ذلك . ويكون هذا الامام المذكور حافظا لكتاب الله تعالى عالما بالاركان والسنن وبشروط الإمامة قراءة وفقها . ويصرف لهذا الامام المرتب بالايوان القبلى في كل شهر من الشهور المذكورة ما مبلغه من الفضة الانصاف المذكورة مائة نصف واحدة وعشرون نصفاً . نصف ذلك ستون نصفاً . وفي كل يوم من أيام الاسبوع اربعة أرتال من الخبز القرصة . والثلاثة الأئمة المباقون يؤم كل واحد منهم في ايوان من الأواوين الثلاثة في الصلوات الخمس على العادة في ذلك . ويصرف لكل واحد من الائمة الثلاثة في كل شهر من الشهور المذكورة من الفضة الانصاف المذكورة ستون نصفاً . نصف ذلك ثلاثون نصفاً^(٥) .

ونلاحظ من النص السابق أنه بالرغم من أن الواقف رتب أربعة أئمة الا أنه جعل مرتب الامام الذى يؤم بالناس في الايوان القبلى ، ضعف مرتب

(١) المقصود به صلاة التراويح . وهي سنة عين مؤكدة للرجال والنساء وتسن فيها الجماعة عينا - الفقه على المذاهب الاربعة عبادات ص ٢٩٦ . ٢٩٩ ، وثيقة وقف الأمير قراقبا الحسنى ٩٢ اوقاف سطر ١١٠ ، دراسة ونشر د^و عبد اللطيف ابراهيم ص ٢٠٨
(٢) صلاة كسوف الشمس وخسوف القمر من السنن لقوله عليه الصلاة والسلام . ان الشمس واتشم ايمان من ايات الله لا ينكسفان موت احد ولا لحياة . فاذا رايتم ذلك فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم . وقد صلى عليه السلام لكسوف الشمس وخسوف القمر ، انظر احكام هذه الصلاة فى : الفقه على المذاهب الاربعة عبادات ص ٢٩٩ - ٣٠٣

(٣) وثيقة وقف السلطان الفورى ٨٨٣ اوقاف سطر ١٣٩١ . ١٣٩٢ دراسة د^و عبد اللطيف ابراهيم .

(٤) انظر أيضا ما جاء بهذا الخصوص فى وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ اوقاف

ص ٤٤٧

(٥) وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٣٨ اوقاف .

[illegible]

ولكى يتمكن الامام من أداء عمله على أكمل وجه ، كان يلحق بالجامع سكن خاص بالامام ، فجاء في احدى الوثائق « ويتوصل من باب السر الى سلم يصعد من عليه الى بيت الامام يشتمل على طبقة^(١) وخزانة : ومنافع وحقوق »^(٢) .

(١) الملاحظ من نصوص الوثائق أن المقصود بالقبيل هو الإيوان الذي به محراب القبلة الرئيسى والمنبر .

(٢) الطليقة والجمع طباق ، وهي غالباً حجرة أو حجرتين للنوم ، توجد بها ملاقات للتهوية والاشعاع ، وبها عادة دهليز به بيت أزيار (مزيرة) ومرحاض دراسة وثيقة وقف قراچبا الحسنى . د. عبد اللطيف ابراهيم - تحقيق رقم ٢٨ ص ٢٢٩

(٣) وثيقة وقف الاسير قراچبا الحسنى ٩٢ اوقاف سطر ٣٠ دراسة ونشر د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٢٠١

(٤) الفقه على المذاهب الاربعة - عبادات من ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤٥ ، السبكي
معبد النعم من ١١٢ ، ابن فضل الله العمري : التعريف من ١٢٦

لطيفة مرخمة مسقفه عقدا قبوا بصدرها شباك من نحاس وهي حلوه الخطابه
معدة لخطيب الجامع المذكور لاحراز ما يلبسه ومن الخطبه والربعات الشريفات
التي بالجامع المذكور» (١) .

وفي بعض الاحيان خصص للخطيب سحن بجوار الجامع فتذخر احدى
الوثائق « وعليه يمنه الايوان المذكور بيت برسم الخطيب » (٢) .

ومن الوظائف المرتبطة باقامة الشعائر الدينية «وظيفة الترقية» ويتولاها
المرقى للخطيب ، واشترطت بعض الوثائق فيه ان يكون « من اهل الديانه .
والعفة ، والصيانة ، حسن الصوت ، جميل الهيئة » (٣) ، والمرقى هو الذى
يعلن عند ظهور الخطيب من خلوة الخطابة بالاية الكريمة « ان الله وملائكته
يصلون على النبى ، يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » (٤) .
كما يعلن بالآذان عند صعود الخطيب المنبر . وهو الاذان الثانى ، وعليه
أيضا رواية الحديث النبوى فى معنى الانصات (٥) وقد جاء وثيقة وقف السلطان
الغورى عن واجبات المرقى أنه « يدعو بين السلام والآذان ، ويخرج الخطيب
ويؤذن الآذان الثانى بين يديه ، ويروى حديث أبى هريرة رضى الله عنه
الوارد فى الانصات اذا خطب الخطيب » (٦) .

وبالرغم من أن مذاهب السنة الأربعة أجمعت على أن الترقية بالمساجد
بدعة ، الا أنهم اختلفوا بين تحريمها وجوازها ، فأبو حنيفة يذكر أن الكلام
بعد خروج الامام من خلوته الى أن يفرغ من صلاته مكروها تحريما سواء

(١) وثيقة وقف قايتباى ٨٨٦ أوقاف ص ٢١

(٢) وثيقة وقف الامير قراقبا الحسى ٩٢ أوقاف سطر ٢٠ ، دراسة ونشر
د. عبد اللطيف ابراهيم ابراهيم ص ٢٠٠

(٣) وثيقة وقف السلطان النورى ٨٨٣ أوقاف سطر ١١٩٥ ، ٨٨٢ أوقاف ص ٥٠٣
دراسة : د. عبد اللطيف ابراهيم .

(٤) سورة الاحزاب آية ٥٦

(٥) الحسين بن المبارك : التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح ج ١ ص ٧٢

(٦) وثيقة وقف السلطان النورى ٨٨٣ أوقاف سطر ١٣٩٥ وما بعده ، ٨٨٢ أوقاف
ص ٥٠٤ ، انظر أيضا د. عبد اللطيف ابراهيم دراسات تاريخية : تحقيق رقم ٦١٣

كان ذكر : أو كلاما دنيويا ، فالامام الشافعي يرى أن الترقية بدعة حسنة لأنها لاتخلو من حث على الصلاة على النبي . وتحذير من الكلام بالآية والحديث ، أما الصنابلة فقالوا : لا بأس بالكلام مطلقا قبل الخطبتين وبعدهما ، في حين رأى الامام مالك أنها بدعة مكروهة . ولكنها اذا اقترنت بشرط الواقف فانها تجوز^(١) ، ويبدو أن رأى المالكية هذا شجع الكثير من الواقفين على النص على هذه الوظيفة في وثائق وقفهم^(٢) ، واعتقد أن استمرار هذه الوظيفة حتى الوقت الحاضر ، برغم اجماع المذاهب الأربعة على أنها بدعة ، يرجع أساسا الى نظام الوقف ، فالتمسك بالعمل بشرط الواقف ، واستمرار ذلك على مر السنين ، أوجد ما يشبه التقاليد في اتمام شعائر صلاة الجمعة .

وجرت العادة أن يرتب الواقف عددا من المؤذنين يتناوبون الأذان على المئذنة على هيئة جوق ، كل جوقة ثلاثة نفر أو أربعة ، وهو ما يعرف بالأذان السلطاني ، وهو أن يجتمع للأذان جماعة يؤذنون معا بحيث يأتى كل واحد بأذان كامل . وبحيث يبنى على آذان نفسه ، فيبتدىء من حيث انتهى هو غير معتد بأذان غيره^(٣) ، من ذلك ما تذكره وثيقة وقف السلطان الغورى « ومن ذلك خمسة آلاف درهم وأربعمائة درهم تصرف لستة عشر مؤذنا ٥٠٠٠ يكون ستة منهم ريسا مستقلين ، والعشرة الباقية أتباع لهم ، يتناوبون الأذان والتسبيح على منار المدرسة المذكورة ، أربع نوب : كل نوبة منهم أربعة أنفار^(٤) ومن الوثائق ما حددت عدد المؤذنين بتسعة أفراد « على أن يكونوا ثلاث جوق كل جوقة ثلاثة نفر يتداولون الأذان المشروع^(٥) » ، وقد يصل عدد المؤذنين

(١) الفقه على المذاهب الأربعة - عبادات ص ٣٥٧ ، ٣٥٨

(٢) مثال ذلك وثائق قاني باى الرماح ١٠١٩ أوقاف ، السيفى بيبيرس الغياط رقم ٣١٣ محفظة ٤٧ بالحكمة ، وثيقة وقف برسباى ٨٨٠ أوقاف ص ١٨٩ وغير ذلك من الوثائق .

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة - عبادات ص ٢٧٠

(٤) وثيقة وقف السلطان الغورى ٨٨٣ أوقاف سطر ١٣٩٧ - ١٣٩٩ - دراسة

د. عبد اللطيف إبراهيم .

(٥) وثيقة وقف قراقجا الحسنى ٩٢ أوقاف سطر ١١٤ - ١١٦ ، دراسة ونشر

د. عبد اللطيف ص ٢٠٨ ، وثيقة وقف قاني باى الرماح ١٠١٩ أوقاف .

الى ستة فقط^(١) ، ويشترط في المؤذن أن يكون « طيب الصوت ، حسن الهيئة ، داخلا ، عارفا بالآذان وطرقه^(٢) » ، وتكاد تجمع وثائق الوقف على أن يكون المؤذن حسن الصوت^(٣) . ومن الوثائق ما تضيف شروطا أخرى مثل أن يكون « ذا عفة وأمانة ، وثقة وديانة ، وصوت جهر ، وحس طيب ، وترتيب مستحسن »^(٤) .

وحددت وثائق الاوقاف مهام المؤذنين في القيام بـ « الآذان لكل صلوة في وقتها ، والتسبيح في أواخر الليل في الوقت المعتاد لقيام المؤذنين في المساجد الجامعة بمصر المحروسة ، ويبلغون خلف الامام ويقرأون بعد الصلوة سورة الاخلاص ، والمعوذتين ، والحزب المعتاد ، والاذكار السلطانية ، ويصلون على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويختمون بالذكر والتأمين على الدعا على العادة في ذلك^(٥) » ، ومن أمثال هذه الشروط أن المؤذنين « يتداولون الآذان المشروع على الميدنة ويسبحون في الثلث الأخير من الليل في كل ليلة ، ويذكرون في أيام الجمع قبل صلاة الجمعة ، ويسلمون ، ويؤذنون على الميدنة وعلى الدكة عند طلوع الخطيب المنبر للخطبة^(٦) » ، ويهللون ويسبحون ويكبرون بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع ، ويهللون ويسبحون ويمجدون الله سبحانه وتعالى على الدكة قبل صلاة العيد وبعده ، ومثل ما جرت العادة بفعله في مثل ذلك^(٧) ،

(١) وثيقة وقف وقف السلطان فرج بن برقوق رقم ٦٦ محفوظة ١١ بالمحكمة .
(٢) وثيقة وقف الغوري رقم ٨٨٣ أوقاف سطر ١٣٩٨ - دراسة د. عبد اللطيف ابراهيم .

(٣) وثيقة وقف الامير قراقبا الحسنى ٩٢ أوقاف سطر ١١٤ دراسة ونشر د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٢٠٨ ، وثيقة وقف فرج بن برقوق ٦٦ محفوظة ١١ بالمحكمة ، وثيقة وقف الامير صرفتمش ٣١٩٥ أوقاف ص ٣١ نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٣١ انظر أيضا ما ذكره المقرئ عن طريقة اختيار الناصر محمد للمؤذنين : المواقظ والاعتبار ج ٢ ص ٢١٢

(٤) وثيقة وقف فرج بن برقوق ٦٦ محفوظة ١١ بالمحكمة .

(٥) وثيقة وقف السلطان الغوري ٨٨٣ أوقاف سطر ١٣٩٩ - ١٤٠٢ - دراسة د. عبد اللطيف ابراهيم .

(٦) يلاحظ هنا أن بعض المؤذنين قاموا أحيانا بوظيفة الترقية - انظر ما سبق ص ١٨٨

(٧) وثيقة وقف الامير قراقبا الحسنى ٩٢ أوقاف سطر ١١٦ - ١١٩ - دراسة ونشر د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٢٠٨ ، ٢٠٩

وهكذا كان المؤذنون ينشدون « السحريات والفجريات والقصائد والمواظع^(١) » ،
اذ أنهم كانوا يؤذنون للصبح من منتصف الليل^(٢) ، وكانوا يلبسون الفراء
الكباشية عند آذان الفجر للاستعانة بها على قيام الليل ، ولدفع البرد زدن
الشتاء^(٣) .

ومن الوظائف التي ارتبطت بالآذان « وظيفة الميقات » ، وكان يقوم بها
في بعض الأحيان بعض المؤذنين العارفين بالمواقيت والفلك وعلم الهيئة^(٤) ،
فقد جاء في وثيقة وقف السلطان فرج بن برقوق أن يكون من بين المؤذنين « اثنان
يعرفان علم الميقات ، ويخبران بدخول الأوقات المشروع بها الصلوات »^(٥) ،
أما وثيقة وقف قاضي باي الرماح فقد قسمت المؤذنين التسعة الى ثلاث نوب ،
وكل نوبة ثلاث أنفار « ويكون أحد الثلاثة المذكورين رئيسا عالما بعلم الميقات^(٦) » .
وكان يتولى هذه الوظيفة - في بعض الأحيان - أشخاص من غير المؤذنين ،
فجاء في احدى الوثائق « ويصرف لثلاثة نفر من أهل الخير والدين لهم المام
بعلم الميقات ، ومعرفة دخول أوقات الآذان ٥٥٥٥ على أن يتداولون الرياسة
وتنهيض المؤذنين للتسبيح والتذكار والسلام والآذان وترقى الخطيب لطلوع
المنبر للخطبة ، ومثل ما جرت العادة بفعله في مثل ذلك^(٧) » ، وكان « الميقاتي »
يستخدم المزولة نهارا ، والساعات الرملية وغيرها من الآلات الزمنية ليلا ، وكانت
هذه الآلات موجودة بالجوامع والمدارس لتحديد الاوقات ، ويباشرها الميقاتي
بنفسه^(٨) .

- (١) وثيقة وقف السلطان فرج بن برقوق رقم ٦٦ محفوظة ١١ بالمحكمة .
- (٢) السبكي : معيد النعم ص ١١٥
- (٣) ظهر وثيقة وقف السلطان النوري ٨٨٣ أوقاف ، ٨٢٢ أوقاف ص ٥٠٦ .
- د. عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية تحقيق ٦١٤
- (٤) وثيقة وقف السلطان النوري ٨٨٢ أوقاف ص ٥٠٥ ، وثيقة وقف السلطان
برسباي ٨٨٠ أوقاف ص ١٨١ ، السبكي : معيد النعم ص ١١٥ ، د. عبد اللطيف
ابراهيم : دراسات تاريخية تحقيق رقم ٦١٦ .
- (٥) وثيقة وقف السلطان فرج بن برقوق رقم ٦٦ محفوظة ١١ بالمحكمة .
- (٦) وثيقة وقف قاضي باي الرماح ١٠١٩ أوقاف .
- (٧) وثيقة وقف الأمير قراقبا الحسني ٩٢ أوقاف سطر ١١٩ - ١٢٢ - دراسة
ونشر د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٢٠٩
- (٨) وثيقة وقف حسام الدين لاجين ١٧ ، ١٨ محفوظة ٣ بالمحكمة ، وثيقة وقف
السلطان حسن ٤٠ محفوظة ٦ بالمحكمة ، د. عبد اللطيف ابراهيم - دراسات تاريخية تحقيق
رقم ٦١٦

ويضاف الى هذه المجموعة الرئيسية من الوظائف المتصلة باقامة الشعائر الدينية ، مجموعة أخرى من الوظائف حرص الواقفون على ترتيبها في مؤسساتهم الدينية ، ويبدو أن هذه المجموعة الثانية ساهمت الى حد كبير في صبغ العصر المملوكي بالصبغة الدينية . وأضفت عليه احساس خاص بالروحانية ، ومن هذه الوظائف ، وظيفة « المادح » أو « المنشد » ، وهو المطرب الواعظ ، فجاء في وثيقة وقف السلطان حسن ، « ويرتب الناظر رجلا مادحا ينشد ما يحضره من مدائح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهورة للصرصرى وأمثاله بهد فراغ قراءة الميعاد ، ويدعو القارئ عقب ذلك لمولانا السلطان الملك الناصر الواقف المسمى فيه خلد الله ملكه ولوالديه ولذريته ولجميع المسلمين ، ويصرف للمادح المذكور في كل شهر أربعون درهما نقرة (١) » .

ثمانية دراهم وللمادح في كل شهر اربع دراهم وربع
الناظر رجلا مادحا مسلما يحسن الخلق سديا المادح
رسول الله صلى الله عليه وسلم المصلح المبرور والهادي

مروج وراة المادح ويدعو القارئ عقب ذلك
لمولانا السلطان الملك الناصر والهادي المسمى به خلد
الله ملكه ولوالديه ولذريته ولجميع المسلمين
للمادح المذكور في كل شهر اربع دراهم وربع الناصر

(من وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ اوقاف ص ٤٤٤ - ٤٤٥ وظيفة المادح)

ويشترط في المادح « أن يذكر من الأشعار ما هو واضح اللفظ صحيح المعنى ، مشتملا على مدائح سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد صلى الله تعالى عليه

(١) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ اوقاف ص ٤٤٤ ، ٤٤٥

وسلم ، وعلى ذكر الله تعالى وآلائه ، وعظمته ، وخشيته مقتته وغضبه ، وذكر الموت وما بعده » (١) .

وجرت العادة بأن يقوم المادح بعد صلاة الجمعة ، وبعد الانتهاء من قراءة سورة الكهف بانشاد « عشرة أبيات فأكثر من مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وكلام القوم ، بحيث يحصل التواجد والطرب للسامعين » (٢) ، ومن الطبيعى أن يشترط في المادح « أن يكون حسن الهيئة ، والصوت » (٣) ، ولذلك كان للمادح صاحب الصوت الحسن شهرة كبيرة في فنه (٤) .

ومن هذه الوظائف أيضا وظيفة « مجمر المبخرة » والتي كان يطلق على من يتولاها « رجل بخورى » (٥) ، أو « المبخر » (٦) ، ويشترط في متولى هذه الوظيفة أن يكون « حسن الهيئة ، سليم البدن من العاهات » (٧) ، وكانت مهمته أن « يجمر المبخرة المعدة لتبخير المدرسة المذكورة في كل يوم جمعة قبل الصلاة بجمر طاهر نظيف ، ويضع فيه من أنواع البخور الطيب الرائحة ما تنعش رائحته القلب ، وتبعث على الاستغفار ، ويطوف بها على المصلين فيما بين السلام والأذان على عادة أمثاله » (٨) ، واشترط بعض الواقفين أن يكون التبخير « عند

(١) السبكي : معيد النعم ص ١٠٩

(٢) وثيقة وقف السلطان النورى ٨٨٣ أوقاف سطر ١٤٣٢ - ٣٣ - دراسة د. عبد اللطيف ابراهيم .

(٣) وثيقة وقف قاني باى الراح رقم ١٠١٩ أوقاف .

(٤) وثيقة وقف قاني باى الراح ١٠١٩ أوقاف ، وثيقة وقف الجمالى يوسف رقم ١٠٦ محفوظ ١٧ بالحكمة ، وثيقة وقف السلطان برسباى رقم ٨٨٠ أوقاف ص ١٨٨ ، وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف ، وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف ص ٤٤٤ ، د. عبد اللطيف ابراهيم ، دراسات تاريخية تحقيق رقم ٦٢٣ .

(٥) وثيقة وقف قاني باى الراح ١٠١٩ أوقاف .

(٦) وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف ص ٤٥٢ ، وثيقة وقف السلطان قايتباى ص ١٣٢ ، وثيقة وقف السلطان برسباى ٨٨٠ ص ١١٧ ، وثيقة وقف صرفتمش ٣١٩٥ أوقاف ص ٣٢ ، نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٣١ ، د. عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية . تحقيق رقم ٦٢٦ .

(٧) وثيقة وقف السلطان النورى ٨٨٣ أوقاف سطر ١٤٤٠ دراسة د. عبد اللطيف ابراهيم .

(٨) الوثيقة السابقة سطر ١٤٤٠ وما بعده .

الاجتماع في الأماكن المذكورة ، وصلاة الجمع ، والعيدين ، والتراويج على
جاري العادة (١) .

في بلدك وسمو له في كل شهر ما يدرى به
صاحب السمر الناس على الاجتماع في الأماكن المذكورة
السمع والحدس والدرج على جانبا العاد وسمو له في كل
صهر طبعه وما يدرى به ويرعى من الحكم الأرباب العاد

(من وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف من ٤٥٢ - الميصر)

المؤنف ملاطكان الميصر ونيفر و...
بالمناج المذكور لئلا يمتنع من السلام بمحنة يكون في ما يمتنع مما
رأى عليه كالمؤنف و...
في كل شهر من شهر...

(من وثيقة وقف السلطان قايتباي ٨٨٦ أوقاف - من ١٣٢ - رجل ميصر)

ومن هذه الوظائف أيضا « وظيفة الوقادة » : وهي من وظائف القومة
الرئيسية في المنشآت الدينية ، ويشترط في « الوقاد » أن يكون ثقة أمينا قويا
قادرا على العمل (٢) ، وتنص وثيقة وقف السلطان المؤيد شيخ على أن « يرتب

(١) وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف من ٤٥٢ ، ٤٦٢ ، وثيقة وقف
السلطان قايتباي ٨٨٦ أوقاف من ١٣٢ ، وثيقة وقف السلطان برسباي ٨٨٠ أوقاف
من ١١٧

(٢) وثيقة وقف جوهر اللا رقم ١٠٢١ أوقاف ، وثيقة وقف قاني باي ١٠١٩
أوقاف . وثيقة وقف النوري ٨٨٣ أوقاف سطر ١٤٧٠ - دراسة د. عبد اللطيف ابراهيم ،
وبارشيف المحكمة وثائق بدر الدين الوقائي ٢٢١ محفظة ٣٥ واز من رقم ٢٤١ محفظة
٣٨ والسيفي بيبس الخياط رقم ٣١٣ محفظة ٤٧

بالجامع المذكور تسعة رجال عقلاء عارفين بصناعة القومة لخدمة القناديل قادين على العمل بذلك مشهورون بالجودة — والأمانة ، يتولون غسل القناديل وتنظيفها ، وتعميرها ، وتعليقها ، ووقودها ، وإطنائها ؛ وشيئها : وحطها ، وفعل ما جرته عادة القومة يفعلونه » (١) .

[illegible]

(من وثيقة وقف السلطان المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف - القومة الوقادون)

وتؤكد وثيقة وقف السلطان الغوري أن يكون الوقاد « من أهل المعرفة بصناعته ، يتولى تعمير القناديل بالحدسة ، والمنازل ، وفعل ما يحتاج اليه من الاشغال والطفى وغسل القناديل وتغيير المياه » (٧) .

وكان يتولى هذه الوظيفة في بعض الخانقاوات جماعة من الصوفية فجاء في احدى الوثائق « ويرتب أيضا من الصوفية المذكورين بأعلاء ستة من الرجال العارفين بصناعة القومة (٣) لخدمة القناديل ، والقادرين على العمل المذكور المشهورين بالجودة والأمانة ، ثلاثة أنفس يتولون غسل القناديل وتنظيفها ، وتعميرها ، وتعليقها ، ووقودها ، وطفئها ، وشيلها وحطها ، ويعملون ذلك بالخانقاة المذكورة على أن يتناوبون العمل المذكور نوبتان نوبة بعد نوبة (٤) » .

(١) وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف ، انظر أيضا وثيقة وقف فرج بن برقوق رقم ٦٦ محفوظة ١١ بالمعكة ، وثيقة وقف الأمير قراجبا الحسنى رقم ٩٢ أوقاف سطيف ١٤٥ نشر ودراسة - عبد اللطيف ابراهيم ص ٢١١
(٢) وثيقة وقف السلطان النورى ٨٨٣ أوقاف سطر ١٤٧٠ وما بعده دراسة د. عبد اللطيف ابراهيم -
(٣) في الاصل القيامة ويبدو أنه تحريف من الناسخ ، والتصحيح من نص وثيقة المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف
(٤) وثيقة وقف جمال الدين الامتدادار ١٠٦ - ١٠٧ محفوظة ١٧ بالمعكة .

ونصت معظم الوثائق على صرف ثمن زيت يستصبح به ، « بالغاً ثمن ذلك ما يبلغ » (١) .

وكان الزيت المستخدم في الغالب « زيت الزيتون الطيب أو ما يقوم مقامه في الاستصباح عند تعذره » (٢) ، فيوضع في مسارج من الخزف أو المعدن ذات فتيل للاشتعال من شعبة أو سبعين ، أو يوضع الزيت في القرايات (القناديل من الزجاج عادة) ، فوق كمية من الماء ، والتي توضع بدورها في المشكاوات الزجاجية المموهة بالمينا ، أو في التتور النحاس (٣) .

ووجدت في بعض الاحيان وظيفة أخرى مكملة لوظيفة الوقاد ، وهي وظيفة « أمين الزيت » ، وكانت مهمته « حفظ الزيت وتفرقته على القومة لعمارة المصاييح » (٤) .

سهرامه درهم واحد اجل انيس من محط الزيت
على ان يكون معلوماً للباحث الا ما لا بد من حياطة العمل
منه بالنظر الى الدور من سطوحه وما داخله من لائل
وما يحوي ويعد ذلك ما حرم على اناسه من قبله ومن بعده

(من وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف - ص ٤٦٠ وظيفة أمين الزيت)

ولهذه الوظيفة أهمية خاصة ، ذلك أن زيت الزيتون غير متوفر على مدار السنة ، ولذلك نص الواقف في موضع آخر من الوثيقة ، على أن يشتري ما يحتاج اليه « ويدخر في مكان معد لحفظه ٥٠٠٠ تحت يد الأمين المذكور بأعاليه ، ويصرف منه في كل يوم الى كل طالب من الطلبة المقيمين بالمدارس المذكورة وأرباب

(١) وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٢٨ أوقاف -

(٢) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف ص ٤٦٤

(٣) وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٢٨ أوقاف ، د . عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية تحقيق رقم ٦٣٩

(٤) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف ص ٤٦٠

الوظائف المقيمين بها سدس رطل بالمصرى ، وما يحتاج اليه فى عمارة المصابيح بالقبة والمسجد والجامع والأواوين والمدارس ، وما هو من حقوق ذلك من ميفضا وطهارات وغيرها ، على جارى العادة فى ذلك ، ويصرف من الزيت المذكور ، أو ما يقوم مقامه ما يحتاج اليه فى توسعة الوقود فى ليلة النصف من شعبان ، وفى شهر رمضان ، وفى ليلة الختم من الشهر المذكور (١) فى الأماكن والمآذن المذكورة على جارى العادة فى ذلك على ما يراه الناظر « (٢) » .

وكان يستخدم فى الاضاءة أيضا الشمع (٣) ، فنصت بعض وثائق الوقف على أن « يصرف الناظر فى ثمن أربع موكبات من الشمع الأبيض المسبول (٤) على القطن المفتول ، زنة كل موكبة عشرة أرطال بالمصرى ، فمن ذلك موكبتان توضعان فى محراب القبلة المباركة ، وموكبتان توضعان فى محراب الايوان الكبير القبلى من المسجد الجامع ، يوقد ذلك وقت صلاتى العشاء والصبح وصلاة التراويح فى شهر رمضان ، وكلما فرغت الموكبتان المذكوران استبدل الناظر عوضهما ، من ريع الاوقاف المذكور بعد بيع الأعقاب الفاضلة منها (٥) » .

(١) هذه الليالى التى حددما الواقف للتوسعة فى الوقود غير ليالى الوقود التى هرفت فى مصر فى العصر الفاطمى ، والتى كانت تشمل أربع ليالى فى السنة وهى أول رجب ، ونصفه ، وأول شعبان ونصفه - أنظر القلقشندي : صبح جـ ٣ ص ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، أما ليالى الوقود فى العصر المملوكى فشملت أول ليلة من شهر رجب ، وليلة السابع والعشرين منه ، وليلة نصف شعبان - أنظر د . سعيد عاشور : المجتمع المصرى ص ١٨٣ ، ١٨٤

(٢) وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف ص ٤٦٤ ، ٤٦٥

(٣) أنظر أيضا وثائق وقف كل من السلطان النورى ٨٨٢ أوقاف ص ٥١١ ، سليمان باشا ١٠٧٤ أوقاف ص ٤٧ ، السلطان حسن ٨٨١ أوقاف ص ٤٦١ ، ٤٦٢ محكمة رقم ٤٠ محفظة ٥٦ الأمير صرغتمش ٣١٩٥ أوقاف ص ٣٢ ، دراسة ونشر د . عبد اللطيف ابراهيم ص ٣١ ، د . عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية تحقيق رقم ٧٠٨ ، جوهر اللالا ١٠٢١ أوقاف ، المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف ، برسيلى ٨٨٠ أوقاف ص ١٩٨ ، بيبرس الجاشنكير ٢٢ ، ٢٣ محفظة ٤ بالمحكمة .

(٤) أسبل الماء أى صبه ، والمقصود هنا الشمع الابيض المصهور والمصبوب على فتيل من القطن لصناعة الموكبة - المنجد : قاموس فى اللغة والآداب والعلوم ص ٣٢٠

(٥) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف ص ٤٦١ ، ٤٦٢

السمع منه وصرف الماطر في مزارع موكب من السمع الأص
 المسرور على المطر المبول وهدل بولده عسرا طال
 المصري من ذلك بولسان وحصان في محراب العله
 للهدل

المناويع من موكب ان وحصان في محراب القراء العله على
 من المسرور الجامع بولده ذلك وهدل في الصا الماصع وهدل
 الدوايح في سهر وحصان وهدل عن الوداد المهدل
 اسند الماطر عن بهاس مع الادوا المهدل
 مع الاعمار الماصع مهاد وهدل في موكب موكب عند

(من وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ اوقاف - ص ٤٦١ - ٤٦٢ - استخدام
 الطبع في الاضاعة)

ومن الطبيعي أن يكون لقراء القرآن الكريم مكانة كبيرة في هذه المنشآت
 الدينية ، وكان يشترط في القراء أن يكونوا « ذو أصوات حسنة ، ونغمات
 مستحسنة وطريقة في التلاوة جيدة ، جهرين للأصوات ، عارفين بالقراءة مع
 الجماعات (١) ، وكان القراء في الغالب ينقسمون الى قسمين ، « قراء المصحف »
 وكانوا عادة ثلاثة يقرأون القرآن في المصحف بالتناوب فيما بينهم ، بحيث يقرأ
 القرآن في كل يوم من قبيل الظهر الى صلاة الظهر ، ومن قبيل العصر الى صلاة

(١) وثيقة وقف فرج بن برقوق رقم ٦ محفوظة ١١ بالحكمة - السبكي : معيد
 النعم ص ١١ - ١١١ . انظر أيضا ما ذكره المقرئ من طريقة اختيار الناصر محمد
 للقراء : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٢١٢

انعصر ، وأما القارئ ، الثالث فيقرأ نهار الجمعة ، فجاء في وثيقة وقف السلطان الغوري : « ومن ذلك ألف درهم ومائتان درهم تصرف لثلاثة قراء بمصحف شريف كبير ، وهو الذى وقفه مولانا الواقف المنوه باسمه الشريف أعلاه ، من قبل تاريخه ، وجعله على كرسى كبير بالمدرسة المذكورة ، رافعين أصواتهم بالقراءة في الأوقات التى تذكر فيه فأحدهم يقرأ في كل يوم قبيل الظهر الى أن يؤذن المؤذن فيجيبه ويقول مثل ما يقول ، فإذا انتهى الأذان ، عاد الى قراءته وأكملها ، وختم بالدعاء على عادة أمثاله في ذلك ، فإذا أكمل دعاء أقيمت صلاة الظهر ، والثانى يقرأ في كل يوم أيضا قبيل وقت العصر الى أن يؤذن المؤذن ، فيقطع القراءة ويجيبه ، ويقول مثل ما يقول ، كما ذكر أعلاه ، فإذا انتهى الأذان أكمل القراءة ودعا فإذا انتهى دعاء أقيمت صلاة العصر ، وأما القارئ الثالث فيقرأ في كل نهار جمعة عند اجتماع الناس بالمدرسة المذكورة لصلاة الجمعة ويختم القراءة والدعاء وقت السلام ، ويكون المبلغ المذكور أعلاه مقسوما بين القراء الثلاثة المذكورين فيه أثلاثا بالسوية والاعتدال لكل واحد منهم الثلث من ذلك أربعمائة درهم (١) .

وفي بعض الأحيان يتكفى الواقف بقارئين أحدهما يتولى القراءة في أيام الاسبوع ما عدا يوم الجمعة ، والثانى يتولى القراءة يوم الجمعة ، فجاء في وثيقة وقف المؤيد شيخ « ويرتب رجلين حافظين لكتاب الله تعالى ، حسنى الاصوات ، يقرآن في المصحف الشريف منفردين أحدهما يقرأ قبل صلاة (الظهر) كل يوم من أيام الاسبوع ما تيسر له من قراءته من القرآن الكريم ، وسورة الاخلاص والمعوذتين ، ويدعو عقب قرأته ما تيسر من الدعاء المرغب فيه ، ويهدى ثواب قراءته للواقف المشار اليه ولذريته والمسلمين . . . والآخر يقرأ في المصحف الشريف قبل صلاة الجمعة من كل يوم جمعة ما تيسر له من قراءته من القرآن الكريم وسورة الاخلاص والمعوذتين ، ويصلى على النبى محمد صلى الله عليه

(١) وثيقة وقف السلطان الغوري ٨٨٣ أوقاف سطر ١٤٠٩ - ١٤١٦ ، دراسة د. عبد اللطيف ابراهيم ، أنظر أيضا مثال ذلك فى وثيقة وقف الامير قراقبا العسنى ٩٢ أوقاف سطر ١٣١ - ١٣٨ ، نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٢١٠

[illegible]

والقسم الثاني من القراء هم قراء السبع الشريف (٢) الذين يقرأون القرآن في مجموعات على هيئة جوقات ، فقد يقرأون القرآن في مجموعتين كما جاء في وثيقة السلطان الغوري « ومن ذلك أربعة آلاف درهم وستماية درهم تصرف لاثنتين وعشرين نفرا من حملة كتاب الله العزيز متقنين لحفظه محسنين لتلاوته عن ظهر قلب يجعلون فرقتين ، كل فرقة منهم أحد عشر نفرا يكون أحدهم شيخا للعشرة الباقية منهم ، ويقرر الناظر احدى الفرقتين المذكورتين في وظيفة قراءة سبع شريف بالمدرسة المذكورة على أن يبتديوا قراءتهم بعد صلوة الصبح تابعين لشيخهم في الترتيل ورفع الصوت بالقراءة مع الأدب والوقار والسكينة الى أن تنتهى قراءة ما جرت العادة بقراءته في الاسباع الشريفة بجامع الازهر وغيره ، ويتولى شذيم الدعاء ، وهو أو من يشير اليه بذلك ، ممن يكون أحسنهم صوتا وأطربهم نفمة فيحمد الله سبحانه وتعالى وبثنى عليه بما هو أهله ثم يصلى كثيرا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه ، ويهدى ثواب القراءة الى حضرته الشريفة ثم الى الأنبياء والمرسلين والآل

(٢) وثيقة وقف السلطان فرج بن برقوق ٦٦ محظلة ١١ بالحكمة ، أنظر أيضا وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف ص ٤٤٥

والصحابية والتابعين والعلماء العاملين ، ثم في صحيفة مولانا السلطان المسالك الملك الاشرف أبى النصر قانصوه الغورى الواقف المنوه باسمه الشريف فيه ثم في صحيفة نجله المقام العالى الناصرى سيدى محمد رحمة الله تعالى رحمة واسعة ، وصحيفة كريمته المرحومة خوند الصغرى . ومن جاورهم من الأموات وسائر أموات المسلمين على العادة في مثل ذلك ، ويقرر الفرقة الثانية في قراءة سبع آخر بالمدرسة المذكورة يقرأونه من بعد صلاة المغرب لآذان العشاء ، ويكون أحدهم شيخا لباقيهم ، فإذا انتهت قراءتهم تولى الدعا منهم أحسنهم صوتا وأطربهم نغمة بنظير الدعا المشروح أعلاه ، ويكون المعلوم المذكور مقسوما بينهم على ما يفصل فيه (١) .

وقد يكون قراء السبع على هيئة أربعة جوقات ، ومثال ذلك ما تنص عليه احدى الوثائق على أن « يرتب الناظر أيضا من القراء الحافظين لكتاب الله العزيز العارفين بطريق التلاوة جميعا ذوى الاصوات الحسنة والقراءة المستحسنة اثنى عشر رجلا يكون منهم أربعة أنفس رؤسا فيقسمون أربع جوقات ، وكل جوقة ثلاثة أنفس بريس وأن تتناوب الجوقات المذكورة القراءة بالشباك الكاين بصدر الايوان الشرقى المشرف على محجة الطريق المسلوك لتقرأ الجوقة الاولى بعد صلاة الصبح من كل يوم حزين كاملين من كتاب الله العزيز المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم قراءة جهرية مرتلة مرتبة يرتاح لسماعها من سمع ويرق فؤاده لسماعها وينتفع ، وتقرأ الجوقة الثانية نظيرها ووصفها عقب صلاة الظهر ، وتفعل الجوقة الثالثة نظيرها بعد المغرب ، وتفعل الجوقة الرابعة نظير ذلك وصفته بعد صلاة العشاء الآخرة ، يتناولون فعل ذلك كذلك على الدوام ، وتختتم كل جوقة منهم القراءة المذكورة بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويهدون ثواب ذلك فى صحيفة الواقف المذكور ، ويدعون له ولذريته ولوالديه ولجميع المسلمين بالرحمة والمغفرة ، ويفعلون ذلك أسوة أمثالهم ، وعادة نظرائهم في مثل ذلك (٢) .

(١) وثيقة وقف السلطان الغورى رقم ٨٨٢ أوقاف سطر ١٤١٧ - ١٤٢٩ دراسة

د عبد اللطيف ابراهيم .

(٢) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محظظة ١٧ بالحكمة .

وقد يكون قراء السبع على هيئة خمس جوقات ، ومثال ذلك ما نصت عليه وثيقة وقف الأمير قراقبا الحسنى ، فقد شرط الواقف أن « يصرف لخمسة شبر نفرا من حملة كتاب الله العزيز عن ظهر قلب بالسوية بينهم ما مبلغه من الفلوس المذكورة ألف درهم نصفها خمس مائة درهم أو ما يقوم مقام ذلك من النقود على أن يكونوا خمس جوق لكل جوقة منهم مائتا درهم أو ما يقوم مقام ذلك من النقود ، على أن تقرأ جوقة منهم بعد صلاة الصبح بالجامع المذكور حزبا واحدا من تجزية ستين حزبا من القرآن العظيم ويختمون قراءتهم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو أحسنهم صوتا ويهدي ثواب ذلك للواقف المشار اليه فيه ولمن درج بالوفاة الى رحمة الله تعالى من ذريته ولجميع المسلمين وتقرأ الجوقة الثانية بعد صلاة الظهر بالجامع المذكور كقراءة الجوقة الاولى ودعائهم وتقرأ الجوقة الثالثة بالجامع المذكور كقراءة الجوقة الاولى ودعائهم بعد صلاة العصر وتقرأ الجوقة الرابعة بالجامع المذكور بعد صلاة المغرب كقراءة الجوقة الاولى ودعائهم ، وتقرأ الجوقة الخامسة بالجامع المذكور بعد صلاة العشاء كقراءة الجوقة الاولى ودعائهم (١) » .

ومن الواقفين من حرص على ترتيب قارئ للحديث النبوى ، وقارئ ميعاد ، وذلك لالقاء درس دينى للوعظ والارشاد والحث على التقوى « على أن الشيخ والقارئ يحضران فى المكان المذكور فى أربعة أيام فى الاسبوع منها يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة (٢) » ويبدأ هذا الدرس الدينى بقراءة بعض آيات القرآن الوعظية ، ثم يعقب ذلك تفسير بعض الاحاديث النبوية ولاسيما من باب الرقائق لما فيها من الوعظ (٣) .

محمد راعى الماسهورا بالربانوس ربى محمد

بارك الله فى امره اهل الله على ان السمع والاعيان بحراب : ت. محمد

(١) وثيقة وقف الأمير قراقبا الحسنى رقم ٩٢ أوقاف سطر ١٢٣ - ١٣١ - دراسة ونشر د. عبد اللطيف إبراهيم ص ٢٠٩ - ٢١٠

(٢) وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف ص ٤٤٣ - ٤٤٤

(٣) الوثيقة السابقة - أنظر أيضا السلوك ج ١ ق ٢ ص ٥٥٧ حاشية ١ ، ٢ ص ٨٢٧ حاشية ٢ ، Dozy : Supp. Dict. Ar.

في السلطان المذكور في عهدنا من ايام الاستيع منها
 في الجمعة بعد صلاة الجمعة وعقد العار في المذكور ما
 نصبت له من ايام في المظفر والسور السوطه
 اعلاه من الحب العمود في العسر والحدر السرب
 النوري والامان والظاوع على جاري العلاء في ذلك
 محضر السج المذكور وصرف النسخ المذكور في
 علمه وحسنه والعار في كل سبيل من سبيلها

(من وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف من ٤٤٤ - قارئ الميعاد)

واكتفى بعض الواقفين بترتيب قارئاً للحديث النبوي يقوم بقراءة الحديث
 من صحيح الامام البخاري أو مسلم أو غيرهما من كتب الحديث في أشهر
 رجب وشعبان ورمضان (١) ، ومثال ذلك ما نصت عليه وثيقة وقف السلطان
 الغوري « ومن ذلك ثلاثماية درهم تصرف في كل شهر لرجل من أهل الفضل
 والدين حسن الصوت فصيح اللسان محسن لقراءة صحيح الامام مسلم والامام
 البخاري رضي الله عنهما وغير ذلك من كتب السنة الشريفة يقرر الناظر في
 وظيفة قراءة الحديث الشريف بالخائفة المذكورة أعلاه في الأشهر الثلاثة رجب
 وشعبان ورمضان ٤٠٠ » (٢) .

(١) وثيقة وقف قاني باي الرماح ١٠١٩ أوقاف ، وثيقة وقف السلطان برسباني
 ٨٨٠ أوقاف من ١٩٠ ، وثيقة وقف السلطان الغوري ٨٨٢ من ٥٠٥ ، د. عبد اللطيف
 ابراهيم: دراسات تاريخية - تحقيق رقم ٦٥٨
 (٢) وثيقة وقف السلطان الغوري رقم ٨٨٣ أوقاف سطر ١٥١٤ وما بعده دراسة
 د. عبد اللطيف ابراهيم .

الأوقاف والتصوف في مصر في العصر المملوكي :

من مظاهر النشاط الديني في مصر في العصر المملوكي انتشار التصوف واتساع نطاقه الى درجة كبيرة ، ومن المعروف أن التصوف الاسلامي عرف في مصر منذ نهاية القرن الثاني للهجرة (١) ، ولم يلبث أن ظهر في مصر في عهد الولاة أبو الفيض ثوبان بن ابراهيم المبري المعروف بذي النون (٢) ، وهو زعيم مذهب الاتصال بالله ، ويعتبره أصحاب التصوف مؤسس العقيدة الصوفية، كما يعتبرونه من أقطابهم الاول ، ذلك أن الصوفية أخذت على يديه شكلها الدائم فهو الذي أدخل إليها النظرية القائلة بأن الوجد وليس العلم هو السبيل الوحيد لمعرفة الله المعرفة الحقيقية (٣) .

ظل التصوف في مصر ظاهرة فردية حتى بداية العصر الأيوبي ، في أواخر القرن السادس للهجرة (الثاني عشر للميلاد) ، إذ أن السلطان صلاح الدين الأيوبي لم يكتف بإنشاء المدارس السنية للقضاء على المذهب الشيعي ، بل رأى أن يحارب المذهب الشيعي بنفس سلاحه ، وأعنى التصوف ، فقد استغل الفاطميون التصوف لنشر مذهبهم ، ومن الثابت أن صلاح الدين استغل هذه الناحية نفسها للقضاء على آثار المذهب الشيعي عن طريق « التصوف السني » فكان أن أنشأ صلاح الدين أول بيت للصوفية في مصر ، وهو الذي عرف باسم خانقاة سعيد السعداء ، ووقفها على الفقراء الصوفية الواردين من مختلف البلاد الاسلامية ، وذلك في سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤م (٤) ، ورغم ذلك ظل التصوف هادئا

(١) د. سيدة كاشف : مصر في عصر الولاة من ٩٥ ، ١٨٢

(٢) ولد في أخميم في صعيد مصر ، وروى عن الامام مالك والليث بن سعد ومحمد الله بن لهيعة وغيرهم ، وكان أوجد مصره ملما وورعا وأدبا وزهدا ، قال عنه أهل مصر أنه أحدث ملما لم تتكلم فيه الصحابة وعاش في مصر وتوفي في الجزيرة سنة ٢٤٥ هـ / ٨٦٠ م ، ويقال أنه أول شيخ أعلن اعتناقه العقيدة الصوفية - د. سيدة كاشف - مصر في عصر الولاة من ١٨٢ - ١٨٣ - ابن تغري بردي - النجوم ج ٢ ص ٣٢٠ ، ٣٢١

(٣) د. سيدة كاشف : المرجع السابق ص ١٨٣ ، د. عاشور : السيد أحمد البدوي ص ٣٣

(٤) أنظر ما سبق عن هذه الخانقاة في الفصل الاول ، المقرئ : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٤١٥ ، د. عاشور : المجتمع المصري ص ١٦٣ ، السيد أحمد البدوي ص ٣٤

قليل الأثر ، ولم يشتد تياره في الحياة الاجتماعية والدينية الا في عصر سلاطين المماليك (١) .

ومنذ البداية أعنى منذ انشاء خانقاه سعيد السعداء ، ارتبط انشاء بيوت الصوفية أو الخوانق (٢) بالاوقاف ، فقد أوقف صلاح الدين هذه الخانقاه على الفقراء الصوفية ، وأوقف عليهم بستان الحبانية ، وقيسارية الشراب ، وناحية دهمرو من البهنساوية ، كما شرط أن من مات من الصوفية وترك عشرين دينارا فما دونها كانت للفقراء ، ولايتعرض لها الديوان السلطاني ، ومن أراد السفر منهم يعطى تسفيرة ، ورتب للصوفية في كل يوم « ثلاثة أرغفة زنتها ثلاثة أرطال خبز ، وقطعة لحم زنتها ثلث رطل في مرق ، ويعمل لهم الحلوى في كل شهر ، ويفرق فيهم الصابون ، ويعطى كل منهم في السنة ثمن كسوة قدر أربعين درهما » ، وكان بها حوالى ثلاثمائة من الصوفية (٣) .

وازاء هذه المزايا التي تمتع بها الصوفية مقابل انقطاعهم للمعبادة. في الوقت الذي عاش فيه المصريون في ضيق وكمد بسبب سطوة المماليك ، وضغطهم على الشعب ، وكثرة الفتن ، واختلال الأمن ، وكثرة المجاعات والوبئة وكان أن وفد على مصر في القرن السابع للهجرة / الرابع عشر للميلاد كثير من مشايخ الصوفية ، مثل أبى الحسن الشاذلى ، وأبى العباس المرسى ، وأبى القاسم القبارى ، والسيد أحمد البدوى ، فوجدوا المسرح معدا لنشاطهم ، والناس مهئين لتلقى تعاليمهم ، والتربة صالحة لاستنبات آرائهم ومذاهبهم ، فاندفع الكثيرون الى الدخول تحت لواء مشايخ الصوفية (٤) .

(١) د. سعيد عاشور : المجتمع المصرى ص ١٦٣ ، زكى مبارك : التصوفى الاسلامى فى الادب والاخلاق (القاهرة ١٩٣٨) ج ١ ص ٣٣٩

(٢) الخوانق أو الخوانك مفردا خانقاه ، وهى كلمة فارسية معناها بيت ، وجعلت لتخلل الصوفية فيها للمعبادة والتصوف المقريزى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤١٤ . السلوك ج ١ ق ١ ص ١٨٢ حاشية ٤ ، على مبارك : الخطط الجديدة ج ٦ ص ٤٨ ، د. سعيد عاشور : المجتمع المصرى ص ١٦٨

(٣) المقريزى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤١٦

(٤) د. سعيد عاشور : المجتمع المصرى ص ١٦٦/١٦٧ ، السيد أحمد البدوى

وشايح سلاطين الممالك وأمرأؤهم حركة التصوف بمصر ، ومشاركة عامة الشعب في الاعتقاد في الصوفية والعطف عليهم ، فأنشأوا الكثير من البيوت التي خصصت للصوفية ، والتي أطلق عليها خوانق . وربط ، وزوايا ، وأوقفوها . كما أوقفوا على من يقيم بها من الصوفية ، أو من طلبة العلم الصوفية الكثير من الأوقاف ، وقد أثارت كثرة هذه المؤسسات الخاصة بالصوفية دهشة الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر في العصر المملوكي ، وشبهها بعضهم بالملاجئ ، ذلك لأن منازل الصوفية كانت مأوى لطوائف المريدين يقيمون فيها ليلهم ونهارهم ، كما اتخذت كذلك مأوى لأصحاب العاهات ، وكبار السن والعميان ، فضلا عن المطلقات من النساء (١) .

ومنذ أواخر القرن السابع للهجرة (القرن الرابع عشر للميلاد) أضيفت الى عمارة الخانقاه منارة ومنبر ، فأصبحت الخانقاوات عبارة عن مساجد تؤدي فيها صلاة الجمعة وغيرها من الصلوات الجامعة ، ورتب فيها واقفوها موظفين للقيام بالشعائر الدينية ، سواء من الصوفية أو من غيرهم ، فأصبحت الخانقاه عبارة عن مسجد ملحق به بيوت أو خلاوى للصوفية ، وكانت أول خانقاه أنشئت كمسجد و خانقاه تلك التي أنشأها الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري الصالحى النجمي (٢) سنة ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م ، والتي عرفت بالخانقاه البندقدارية (٣) ، ذلك أن خانقاه سعيد السعداء لم يكن بها مئذنة ، ولا تؤدي بها صلاة الجمعة ، وكان الصوفية بها يؤدون صلاة الجمعة بالجامع الحاكمي (٤) حتى ولى مشيختها شهاب الدين أحمد الأنصارى فى سنة بضع وثمانين وسبعمائة فعمر لها مئذنة (٥) .

(١) د. سعيد عاشور : المجتمع المصرى ص ١٧٠

(٢) تولى نيابة حلب ثم دمشق ، ثم أعطاه السلطان الظاهر بيبرس أمرة مصر وطلبخانة وتولى سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م ، ودفن بقبة هذه الخانقاه المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٢٠ ، ٤٢١

(٣) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٢٠

(٤) أنظر ما ذكره المقرئى من مجيء سكان مصر الى القاهرة لمشاهدة موكب صوفية سعيد السعداء عندما يتوجهون منها الى صلاة الجمعة بالجامع الحاكمى ، المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٤١٦

(٥) نفس المرجع والصفحة .

وهكذا أصبحت الخانقاه مسجدا جامعا أيضا ، وفي سنة ٨٧٢٥/١٣٢٥م أنشئت المدرسة المهندارية ، وجعلها مؤسسها « مدرسة و خانقاه » (١) ، وبعد ذلك بقليل أقيمت الخطبة في المدرسة الصالحية في سنة ٨٧٣٠/١٣٣٠م وتوالى انشاء المدارس التي تقام فيها صلاة الجمعة (٢) ، أى التي تستخدم كمدرسة ومسجد جامع في نفس الوقت ، وأصبح من الممكن أن يضم المبنى مسجدا جامعا ، ومدرسة طلبة العلم فيها هم أنفسهم صوفية ، وأوضح مثال لذلك مدرسة و خانقاه الظاهر برقوق ، وهى أولى المنشآت المعمارية فى دولة المماليك الجراكسة ، وافتتحت كمدرسة و خانقاه فى ١٢ رجب ٨٧٨٨/١٣٨٦م ، ثم أقيمت فيها خطبة الجمعة فى ١٠ رمضان ٨٧٨٨/١٣٨٦م (٣) ، وبذلك أصبح من الممكن أن يؤدى المبنى الواحد وظائف ثلاث مؤسسات دينية .

ومن الطبيعى أن يكون للأوقاف آثار بعيدة المدى فى انتشار التصوف فى مصر فى العصر المملوكى ، فمن ريع الأوقاف كان يصرف على الصوفية المنقطعين للعبادة أو طلب العلم ، طبقا لشرط الواقف ، ومع كثرة انشاء بيوت الصوفية سواء سميت خانقاه أو رباط أو زاوية ، ازداد تيار التصوف فى البلاد ، والواقع أن زيادة قوة تيار التصوف فى العصر المملوكى يعكس فى بعض مظاهره مدى انتشار الفقر والفاقة واليأس من الحياة فى أواخر العصر المملوكى ، مما جعل الكثيرين يقبلون على التصوف تخلصا من ظلم المماليك ، فضمت بيوت الصوفية كثيرا من الدخلاء الذين لم يقبلوا على هذه الحياة رغبة فى الانقطاع للدين ، ولكن فرارا من قسوة الحياة ورغبة فى الهناء دون عناء (٤) ، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن الدنيا شغلت أذهان المقيمين ببيوت الصوفية ، والذين ابتعدوا عن التصوف والزهد بمعناه الدقيق ، وانصرفوا عن العبادة الى البحث عن المال والمتاع فى ظل الأوقاف الواسعة التى تمتعت بها الخوانق ، حتى وجد من

(١) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٩٩

(٢) أنظر ما يلى من المدارس .

(٣) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الاثرية ج ١ ص ١٩٢

(٤) د . عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية ص ١٥٩

الصوفية من ارتبط بأكثر من خانقاه طمعا في المال ^(١) ، ويؤكد هذا المعنى ما يذكره المقرئى عن التصوف في عصره ، فيقول : « ذهب والله ما هنالك ... وتلاشى الآن حال الصوفية ومشايخها حتى صاروا من سقط المتاع ، لا ينسبوا الى علم ولا ديانة ، وإلى الله المشتكى ^(٢) » .

وجرت العادة أن يعين لكل خانقاه شيخ أو أكثر ^(٣) ، وعدد من الصوفية مثال ذلك ما تنص عليه وثيقة وقف السلطان الغورى « ومن ذلك ستة آلاف درهم تصرف لرجلين من أكابر العلماء أهل الدين والورع والفقہ يقررهما الناظر في وظيفتى مشيخة التصوف بالخانقاه المذكورة بالسوية خارجا عن السكن المعين لشيخ نوبة العصر والمبلغ الذى يعين لشيخ نوبة الصبح في نظير السكن » ^(٤) .

واشترط بعض الواقفين أن يكون مدرس الحنفية هو نفسه شيخا للصوفية ، ويشترط فيه أن يكون « له قدم على ^(٥) في شروط طريق الصوفية ، ويكون حسن الهيئة ، حسن الاعتقاد ، حافظا لنقول الفقهاء ، وتأويل العلماء واختلاف المذاهب ، ونصوص الامام أبى حنيفة رضى الله عنه ومن بعده من أصحابه رضى الله عنهم » ^(٦) .

(١) د سميح عاشور : المجتمع المصرى من ١٧٥٠ ، د عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية من ١٦٠

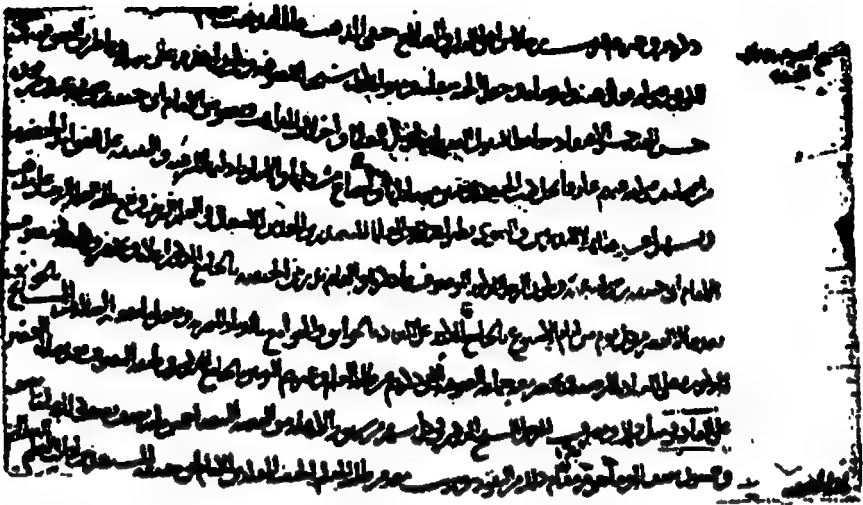
(٢) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ من ٤١٤ ، ويصور المقرئى الصوفية على لسان الشيخ فتح الدين محمد اليمرى فيقول : ما شروط الصوفية فى عصرنا اليوم سوى ستة بغير زيادة وهى ... الملوك والسكر والسلطة والرقص والغناء والقيادة .

(٣) كان يلقب شيخ الخانقاه بلقب د شيخ الشيوخ ، الذى كان قاصرا على مشيخة الخانقاه الصلاحية حتى عهد الناصر محمد الذى لقب به شيخ خانقاه مرياقوس ، ثم أصبح هذا اللقب عاما لكل من يتولى مشيخة احدى الخانقاوات - المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ من ٤٢٢ - القلقشندي : صبح الاعشى ج ١١ من ٣٧٠ ، د حسن الباشا : الانقلاب الاسلامى من ٣٣٦ ، ٣٦٧

(٤) وثيقة وقف السلطان الغورى ٨٨٣ أوقاف سطر ١٤٩٥ وما بعده دراسة د عبد اللطيف ابراهيم .

(٥) كذا فى الاصل والصواب مال .

(٦) وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٢٨ أوقاف .



(من وثيقة وقف المريد شيخ ٩٣٨ أوقاف - شيخ الصوفية هو مدرس الحنفية)

ومن الوثائق ما تنص على أن يكون شيخ الصوفية واحدا منهم ، « وشرط
هذا الواقف المذكور بلغه الله ما يؤمله في سائر الأوقات والدهور أن يكون
شيخ الصوفية منهم لامن غيرهم ، ومن بين من عرف بصحبة المشايخ ، ولبس
خرقة التصوف » (١) .

واختلف عدد الصوفية في كل خانقاه حسب اتساعها ، وبيع أوقافها ،
وتراوح هذا العدد في الغالب بين مائة صوفى ، وعشرة نفر من الصوفية ، فبينما
تذكر وثيقة ببيرس الجاشنكير أن عدد الصوفية المنزليين بالخانقاه مائة نفر ،
فضلا عن مائة آخرين بالرباط (٢) ، وبشرط ألا يزيد عدد الصوفية بالخانقاه
« من المقيمين والمترددین والعزاب والمتزوجين لا يزيد عن أربع مائة نفس » (٣) ،
نجد وثيقة السلطان الغورى تنص على أن عدد الصوفية ثمانون صوفيا من

(١) وثيقة وقف ببيرس الجاشنكير رقم ٢٢ ، ٢٣ محفوظه ٤ بالمحكمة .

(٢) وثيقة وقف ببيرس الجاشنكير رقم ٢٢ ، ٢٣ محفوظه ٤ بالمحكمة .

(٣) الوثيقة السابقة ، وهذا يؤيد ما ذكره المقرئى عن عدد الصوفية بهذه

الخانقاه - المقرئى : الواظظ والاعتبار ج ٢ ص ٤١٧

الفقراء المحتاجين ، بينما ينخفض عدد الصوفية الى عشرة أفراد في الخانقاه الخروبية التي استجدها المؤيد شيخ بالجيزة (١) .

أما الشروط التي يجب أن تتوافر في الصوفية النازلين بالخانقاه . فقد أجمعت معظم الوثائق على أن يكونوا من العارفين بطرائق الصوفية . وآدابهم . بغض النظر عن جنسيتهم وأعمارهم ، من ذلك ما تذكره لنا وثيقة وقف ببيرس الجاشنكير أن الواقف « وقف ذلك وقفا شرعيا على الصوفية والمتصوفة الشيوخ والكهول والشبان البالغين العرب منهم والعجم ، وغير ذلك من الأحباش على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم : الملتزمين بآدابهم وطرائقهم المقيم منهم بهذا المكان المذكور من أهل القاهرة ومصر المحروستين وطوابعهما (٢) (هكذا) وضواحيهما وغيرهما من البلاد والواردين الى هذا المكان من الخواثق وغيرها من أى مكان كان قريبا أو بعيدا بطرائق الصوفية وآدابهم بحيث أن لا يدخل عليهم أحد من غير جنسهم بشفاعه شافع غالأولى العزاب اذا كان من الاهلية لذلك : ومن فعل خلاف ذلك فوزره على الشافع والمشفوع له » (٣) .

وقف ذلك وقف اسعيا على الصوفية والمتصوفة
الشيخوخة والشبان البالغين العرب منهم والعجم
على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم الملتزمين بآدابهم وطرائقهم
المقيم منهم بهذا المكان المذكور من أهل القاهرة ومصر
المحروستين وطوابعهما (٢) (هكذا) وضواحيهما وغيرهما
من البلاد والواردين الى هذا المكان من الخواثق وغيرها
من أى مكان كان قريبا أو بعيدا بطرائق الصوفية وآدابهم
بحيث أن لا يدخل عليهم أحد من غير جنسهم بشفاعه شافع
غالأولى العزاب اذا كان من الاهلية لذلك : ومن فعل
خلاف ذلك فوزره على الشافع والمشفوع له .

(١) وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف ، وثيقة وقف السلطان الغورى ٨٨٣ -
اوقاف سطر ١٤٩٨ دراسة د - عبد اللطيف ابراهيم .
(٢) هكذا في الاصل والصواب وتوابعهما .
(٣) وثيقة وقف ببيرس الجاشنكير ٢٢ محفظة ٤ بالمحكمة .

- (١) وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف ، وثيقة وقف السلطان الغورى ٨٨٣ -
اوقاف سطر ١٤٩٨ دراسة د - عبد اللطيف ابراهيم .
(٢) هكذا في الاصل والصواب وتوابعهما .
(٣) وثيقة وقف ببيرس الجاشنكير ٢٢ محفظة ٤ بالمحكمة .

ومن الواقفين من حرص على تقسيم الصوفية الى قسمين يحضر أحد القسمين وظيفه التصوف في الصباح ، والقسم الثاني يحضر في العصر ، ولكن من القسمين شيخ خاص به ، فجاء في وثيقة وقف السلطان الغوري « ويقرر معها (شيخا التصوف) ثمانين صوفيا من الفقراء المحتاجين ، وستة خدام ، وستة عشر قارئ صفة ومادحين ، ويقسمهم فرقتين : فرقة تحضر مع الشيخ في نوبة الصبح دائما وفرقة تحضر مع الشيخ في نوبة العصر دائما على أن يجلس الشيخ بالخانقاه المذكورة صدرا على سجادته ويأخذ الباقون مجالسهم على قدر مرتبتهم في الفضل ، ويتقدم خادم المصحف وخادم الرتبة بالمصحف والكرسي ويجعلان المصحف بين يدي الشيخ رافعين له على الكرسي ، ويدور خادم الرتبة وخادم السجادة بأجزاء الربيعتين الشريفتين على الحاضرين فيأخذ كل جزاء ويقرأ به الى أن تنتهي قراءة الشيخ ، ويقفل المصحف الشريف ، فيتناوب قراء المصفاة باليمينه واليسرى القراءة والاذكار ورفع العشر على ما جرت به عادة أمثالهم في ذلك ، فاذا فرغوا من القراءة ولم يبق الا الدعا قام المادح وأنشد من مدح خير الوري محمد هادي الامة وكاثف الغمة صلى الله عليه وسلم وكلام القوم ما يحصل به الطرب والتواجد للسامعين ثم يجلس المادح ويدعو الداعي » (١) .

أما في خانقاه بيبرس الجاشنكير فقد اقتضت وظيفة التصوف بالنسبة للمقيمين والمتردددين على الخانقاه ، على وقت العصر ، فقد نصت وثيقة الوقف على أن « يجتمع هو (شيخ الخانقاه) ، وجماعة الصوفية المنزلون بهذه الخانقاه من مقيم ومتردد وقت العصر من كل يوم ، بأسرهم ما لم يكن لأحد منهم عذرا أو ضرورة ، ويقرؤون بالايوان العظيم ما تيسر على ما يراه شيخهم من ربح شريفة ، ويدعو أحدهم بعد قراءته للواقف المسمى بأعليه ، وللناظر والمسلمين بما يجريه الله على لسانه من الخير » (٢) .

أما المقيمون بالخانقاه ، والذين رتبهم شيخ التصوف بها ، وهم حسب شرط الواقف مائة صوفي ، فقد كان عليهم أن يقوموا عقب كل صلاة مفروضة

(١) وثيقة وقف السلطان الغوري ٨٨٣ أوقاف سطر ١٤٩٨ وما بعده دراسة

د. عبد اللطيف ابراهيم .

(٢) وثيقة وقف بيبرس الجاشنكير ٢٢ محفظة ٤ بالمحكمة .

« يقرؤون آية الكرسي ويسبحون الله ثلاثا وثلاثين مرة ، ويحمدون الله كذلك - ويكبرون كذلك (وثلاثين مرة) (١) كما جاء في الحديث النبوي ، فاذا فرغ مم ذكر يدعو كل واحد منهم للأوقف المذكور أعلاه بما يجريه الله على لسانه من الخير » (٢).

ومن الواقفين من زاد في وظيفة التصوف ، بجعل الحضور خمس مرات في كل يوم وليلة عقب كل صلاة ، واعترف الواقف « أن هذا الحضور فيه زيادة بحضور أربعة أوقات في كل يوم على غيره » (٣) ، كذلك من الواقفين من زاد في معلوم بعض الصوفية مقابل اسناد أعمال اضافية لهم مما يتعلق بالصوفية « فمنهم تسعة عليهم من العمل زيادات على حضورهم التصوف على ما يبين فيه ، فأحد التسعة يكون خادما لشيخ الصوفية المذكور يجتمع مع مباشرى الوقف المذكور أعلاه كلما اجتمعوا ، وكذلك في يوم النفقة لعمل مصلحة الوقف المذكور ومستحقه ، والثاني من التسعة يكون كاتب غيبة الصوفية المذكورين يكتب غيبة من يغيب منهم غير أيام المسامحة الآتى ذكرها فيه فمن غاب منهم وفر معلومه من الفلوس والخبز أيام غيبته وأضيف الى حاصل الوقف لجهة الوقف المذكورة ، والثالث من التسعة يكون خادما للربعة ومفرقها وخادم المصحف الشريف المتعلق ذلك بالصوفية وشيخهم على أن يتولى في كل وقت من أوقات حضور التصوف المذكور احضار المصحف والربعة الشريفين من محلها لمحل الحضور ويفرق الربعة وقت الحضور على الصوفية وجمعها بعد الفراغ من القراءة وجعلها هي والمصحف الشريف في محلها على العادة في ذلك وغير ذلك مما جرت عادة خدام الربعة بعمله في مثل ذلك ، والستة الباقون من التسعة قراء صفة يجلسون عند حضور التصوف ثلاثة أمامهم ثلاثة يقرؤون بعد فراغ قراءة الشيخ والصوفية سورة الاخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب وأوائل سورة البقرة وأواخرها وما جرت العادة به من ذكر الله تعالى والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يدعو بعد ذلك واحد منهم للنبي صلى الله

(١) العبارة بين القوسين زيادة سهو من الكاتب .

(٢) وثيقة وقف ببيرس الجاشنكير ٢٢ معنظة ٤ بالمعكة .

(٣) وثيقة وقف السلطان قايتباي رقم ٨٨٦ أوقاف ص ١٢٨

عليه وسلم وآله وأصحابه نم لمولانا المقام الشريف المنوه باسمه الشريف أعلاه شرفه الله تعالى وعظمه نم لأولاده وذريته ومن يلوذ به وجميع المسلمين (١)

وحرص الواقفون على تحديد كل ما يتعلق بوظيفة التصوف بدقة تامة ، بما في ذلك طريقة جلوس الصوفية حول شيخهم وأمامه المصحف مرفوعا على كرسيه « على أن يحضر الصوفية الأربعون وشيخهم كل يوم وليلة بالجامع المذكور بالايوان القبلى منه عقب كل صلاة من الصلوات الخمس المفروضات ويجلس الشيخ بالقبلة والصوفية عن يمينه ويساره مستديرين وقراء الصفة يتميزون عنهم في الجلوس ثلاثة أمام ثلاثة فيقدم أمام الشيخ المصحف الشريف مرفوعا على كرسيه ويفرق من الربعة الشريفة التى بالجامع المذكور على كل واحد من الصوفية جزؤ فيقرأ الشيخ ما تيسر له قراءته من القرآن العظيم بالمصحف الشريف وتقرأ الصوفية بالأجزاء الشريفة من الربعة الشريفة التى تفرق عليهم عند الحضور يختمون قراءتهم عند ختم الشيخ قراءته ان كان حاضرا والا فقدرها على العادة ثم يفتتح قراء الصفة بما عين وشرط عليهم أعلاه وعند نهايتهم ذلك يدعو أحد قراء الصفة الدعاء المذكور أعلاه على ما نص وشرح أعلاه كما جرت العادة به في حضور التصوف بمدارس الديار المصرية » (٢) .

(١) وثيقة وقف السلطان قايتباى رقم ٨٨٦ أوقاف من ١٢٦ ، ١٢٧

(٢) وثيقة وقف السلطان قايتباى رقم ٨٨٦ أوقاف من ١٢٧ - ١٢٨

فتم تسعة عليهم من العمل زادات على حضورهم التصوف على ما بين فيه فأنشد
 يكون خادما الشيخ الصوفية المذكور يجمع مع مباشرى الوقت المذكور أعلا كمالا
 وكذلك في يوم التفتة لعمل مصلحة الوقت المذكور مستحقه مؤثافي من ^{التيعة}
 يكون كابت غيبة الصوفية المذكور يكتب غيبة من ينسبهم غير أيام ^{للاوقاف} ^{للمساجد}
 ذكر ما فيه من غلب منهم ذم مغلوبة من الغلويس والجزايرام غيبة وأضيفت
 حامل الوقت لحجة الوقت المذكور والثالث من التسعة يكون خادما ^{التيعة}
 ومفتريا وخادما المحف الشريف المتعلق ذلك بالصوفية وشيخهم في أن
 في كل وقت من أوقات حضور التصوف المذكور اختار المحف والرتبة الشريفة
 من علمها محل الحضور ويصير والرتبة وقت الحضور على الصوفية وجمعها ^{الذراع}
 من العبد آية وتجلها هي والمحف الشريف في مجلها على العادة في ذلك غير
 تباحث عادة خدام الرتبة بعمله في مثل ذلك ٥ والنبذة الأولى من ^{التيعة}

قرآنه عليه علون عند حضور التصوف ثلاثة أنا مقسم ثلاثة ينشرون في ذراع
 قرآن: الشيخ والصوفية سون الاصلاح والمجودين وقائمة الكتاب وأول
 البقرة وأواخرها وأما جرت العادة به من ذكر الله تعالى والصلاة على رسول الله
 عليه وسلم ثم يمدحون بذلك واجلهم للشوق على الله عليه وآله واجلهم ثم
 المقام الشريف المنج باسمه الصوفية أعلا شرفه تعالى وعظم ثم لا ولا دونه
 ومن تلازمه ويذبح المثلين على ان يحضر الصوفية المذكور في شجيرة كل يوم
 بالجامع المذكور بالا واول البسطة منه عقب كل صلاة من الصلوات الخمس المأذونة



ويجلس الشيخ بالقبلة والصوفية عن يمينه ويسار مستديرين وقراء الصفة
 ثم في الحلوين ثلاثة امام ثلاثة فيقدم امام الشيخ المحصل الشريف ^{عليه} ^{السلام}
 كسبه ويسترق من الرغبة الشريفة التي بالجامع المذكور على كل واحد من الصوفية
 فيقرأ الشيخ ثمانية عشر مرة قرأه من القرآن العظيم بالمصحف الشريف وقراء
 بالجنز الشريفة من الرغبة الشريفة التي تسترق من عنده عند المحفل
 قرأه ثم عند ختم الشيخ قرأه ان كان حاضرا والا فيقدها على العادة ثم يفتتح

الصفة باتباع شرط تعليم اعلانه وعند نهايتهم ذلك يدعوا خذ قرأ الصفة
 الدعاء المذكور اعلانه على ما نصرت شرح الاملاء كما جرت العادة به في حضور الصوف
 الذين بالمهجرة فيران هذا المحذور فيه زيادة محضوا رابعة او كانت في

(من وثيقة وقف السلطان قايتباي ٨٨٦ اوقاف - من ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ -
 وظيفة التصوف)

ومثال ذلك أيضا ما جاء في وثيقة وقف الامير قرقماس عن ترتيب صوفية
 بالجامع الازهر اذ نصت على أن « يصرف لعشرة أنفار صوفية يحضرون كل يوم
 مع شيخ لهم بالجامع الازهر داخل المقصورة بعد صلاة العصر ، فيجلس الشيخ
 جهة القبلة ، والصوفية عن يمينه ويساره مستديرين ويقرؤون - بربعة شريفة
 يفرق على كل واحد جزء ويقرأ الشيخ ما تيسر قراءته من القرآن العظيم
 والصوفية بالاجزاء الشريفة من الربعة ويختمون قراتهم (كذا) عند ختم الشيخ
 قراءته ان كان حاضرا والا فيقدها على العادة في ذلك ويختمون قراتهم بسورة

الاخلاص والمعوذتين وفتحة الكتاب العزيز وخواتيم سورة البقرة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (١) » .

وحرصت وثائق الوقف الخاصة بالخانقاوات والصوفية بوضع الشروط الكفيلة بانقطاع الصوفية للعبادة : فاشتراط الواقفون تفضيل الاغزب على المتزوج للسكنى بالخانقاه (٢) ومنهم من اشترط ألا ينزل بالخانقاه الا من كان أغزبا . ولا يسمح للمتزوجين بسكنى الخانقاه الا بغير « زوجات ولا جوارى على مهر الايام والشهور والاعوام » (٣) ومثال ذلك ما جاء في احدى الوثائق « وشرط الواقف اثابه الله تعالى الجنة : وضاعف عليه المنه أن يكون من هو ساكن بالخانقاه المذكورة غزبا غير متزوج » : ولم يستثن من هذا الشرط « الا الشيخ خاصة فانه يرخس له في السكن بزوجه للضرورة (٤) » .

كذلك حرص الواقفون على ألا يتغيب الصوفية لمدد طويلة خارج الخانقاه . وأقصى ما سمح به الواقفون من غياب هو خمس ليال كل شهر . فنصت احدى الوثائق على أنه « وشرط على أرباب البيوت الاقامة والمبيت بها . ويسامح كل منهم بالمبيت خارج الخانقاه « لخمس ليال من كل شهر » . ويبدو أن هذا السماح للمتزوجين اذ نصت الوثيقة بعد ذلك مباشرة « وأن لا يعطى لاحد بيت بالخانقاه الا بعد تكفية المجردين كما ذكر أعلاه » (٥) .

ومن أجل ضبط حضور الصوفية رتب بعض الواقفين وظيفه « كاتب غيبة الصوفية » ويرتب رجالا ثقة أمينا عدلا غير ذى غرض يكون كاتب غيبة الصوفية الآتى ذكرهم يفعل ما جرت العادة بفعله من ضبط عدد من يغيب من الصوفية في أوقات الحضور على العادة في ذلك (٦) .

-
- (١) وثيقة وقف الامير قرقماس رقم ٩٠١ أوقاف ص ٢٥ . ٢٦
 - (٢) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفظة ١٧ بالمعكة .
 - (٣) وثيقة وقف بيبس الجاشكبر رقم ٢٢ محفظة ٤ بالمعكة .
 - (٤) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفظة ١٧ بالمعكة .
 - (٥) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفظة ١٧ بالمعكة .
 - (٦) وثيقة وقف المزيدي شيخ ٩٣٨ أوقاف - انظر أيضا وثيقة وقف السلطان قايتباي ٨٨٦ أوقاف ص ١٢٦

ومن أجل ذلك أيضا اشترط الواقفون شروطا خاصة فيما يتعلق بسفر الصوفية سواء للحج أو زيارة القدس ، أو زيارة الأهل ، وفي جميع الحالات لا يصرف لمن يسافر من الصوفية المعلوم عن مدة غيابه إلا إذا استناب عنه من يقوم بوظائفه (١) ، أو يكون السفر لأداء فريضة الحج ، أما إذا كان السفر للحج تطوعا ، أو للمجاورة يتوفر معلومه إلى حين عودته (٢) ، ومثال ذلك ما نصت عليه وثيقة وقف ببيرس الجاشنكير « وأنه من سافر من أرباب الوظائف بالخانقاه والرباط والقبه لأداء فريضة الحج أو زيارة القدس والخليل زادهما الله شرفا صرف له ما هو مقرر له من الجوامك المعينة فيه في مدة غيبته بشرط أن يستناب عنه من يقوم بوظائفه التي كان بها ، إلى حين عوده ، الأهل لذلك (٣) » ، كذلك نصت وثيقة جمال الدين الاستادار « وشرط أن من قصد السفر من أهل الخانقاه فإن كان من أهل الوظائف التي يحصل فيها الخلل بغيبته عنها استناب في وظيفته ويسد بها عنه إلى حين حضوره ، ويجرى عليه معلومه ، وإن لم يكن للوظيفة يحصل بغيبته فيها خلل مثل الطالب والصوفي وغير ذلك فإن كان السفر لحج الفريضة أجرى عليه معلومه إلى حين حضوره ، وإن كان لحجة تطوع أو مجاورة وفر معلومه وليستمر على وظيفته إلى حين حضوره فيجرب عليه ويستقر مكانه ، ويفسخ لكل من بها بالوظائف والمنزلين بالخانقاه المذكورة مدة المجاورة وهي سنة كاملة وثلاثة أشهر ، فإن زادت — غيبة أحد منهم على ذلك قطع ونزل غيره ، كل ذلك غير طائفة المجردين فإن شرطهم قد تقدم ، ومن سافر لغير الحج ممن تقدم ذكرهم ، فإن كان سفره لزيارة أهل وأقارب فيسمح له في السفر مدة ثلاثة أشهر ولا يصرف له فيها معلوم مدة غيبته فإذا حضر عاد على حاله فإن زادت غيبته على ثلاثة أشهر قطع ونزل غيره ، وهذا الحكم فيمن لا وظيفة له تتعطل بغيبته فإن غاب في السفر المذكور أحد ممن تتعطل وظيفته بغيبته أو يهمل فيها ذلك بغيبته عنها فيسمح له في الاستنابة بمن يسد وظيفته عنه مع استمرار معلومه مدة ستة أشهر فإن زادت غيبته على ذلك قطع ونزل

(١) وثيقة وقف ببيرس الجاشنكير رقم ٢٢، محفوظة في المحكمة.

(٢) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦، محفوظة ١٧ بالمحكمة.

(٣) وثيقة وقف ببيرس الجاشنكير رقم ٢٢، محفوظة ٤ بالمحكمة.

غيره ، وإن كان السفر لغير زيارة الأهل والأقارب فيسمح له في ذلك مدة عشرة أيام ثم يقطع كل ذلك في حق المذكورين بأعاليه خلا طليفة المجردين فإن شرطهم تقديم وخلا المتصدرين فإن من شرطهم ما تقدم ومنها ما يأتي ثانية وهو أن من غاب من المتصدرين بالخانقاه المذكورة لسفر حج أو زيارة أهل وأقارب أو ليتعاهد نفعه سريعة فيستنيب عنه من يقوم بوظيفته ويسد بها على الوجه المرعى لحين حضوره ، ويجرى له معلومه لحين حضوره بحيث لا تزيد غيبته على مدة سفر الحج أو مدة المجاورة وإن كان مجاوراً فإن زادت على ذلك لغير عذر شرعى قطع ونزل غيره مكانه (١) .

وفي مجال حرمس الواقفين على أن ينقطع الصوفية للعبادة . نجد أن نظام عمارة الخانقاه أسس على أساس أن تكون الخانقاه وحده قائمة بذاتها ، وبداخلها عدد معين من الخلوات خصصت كل منها لأحد الصوفية ، مثال ذلك ما جاء عن خانقاه سرياقوس في وثيقة وقف الناصر محمد « الرباط بناحية سماسم المشتمل على ستين بيتاً وجعله رباطاً مأوى للفقراء الواردين إليه ، والرباطان الباقيان المشتمل كل منهما على أحد وعشرين بيتاً ، فانه جعل ذلك رباطين برسم سكنى الفقراء الصوفية المقيمين بهذا المكان المذكور على الدوام والاستمرار » (٢) .

كذلك زودت الخانقاه بكل ما يحتاجه المقيمون بها ، ورتبت من أجل ذلك بها الكثير من الوظائف التي يتولاها الصوفية أنفسهم ، بسواء من المقيمين بالخانقاه أو من بين المترددين عليها ، حتى يتحقق للخانقاه استقلالها ، ويمكن للصوفية بها أن يعيشوا في معزل تام عن المجتمع . ينقطن فيها للعبادة ، فكان يوزع على الصوفية « خبز البر الطيب » (٣) ، ولحم الضأن ، وكان بالخانقاه طبابخ يمد الطعام للصوفية ، ووزان يقوم بوزن الطعام والخبز للصوفية ليحصل كل منهم على نصيبه حسب شرط الواقف ، وهو حسب ما جاء بوثيقة

(١) وثيقة وقف جمال الدين الاستاد رقم ١٠٦ محفوظ ١٧ بالمعكة .

(٢) وثيقة وقف الناصر محمد رقم ٢٥ محفوظ ٤ بالمعكة .

(٣) هو الخبز الممنوع من دقيق القمح .

بيبرس الجاشنكير « ثلاثة أرغال من الخبز ، وثلاث رطل من اللحم الضأن ، وكان لشيخ الخانقاه كمية مضاعفة ، كما كان يصرف للمتصوفة درهمان ونصف في الشهر برسم غسل ثيابهم . وكذلك درهم برسم دخولهم الحمام في كل شهر » ان لم يكن حماما برسم دخولهم (١) » .

ويشبه الخوانق الربط والزوايا من حيث أن تعريف المقریزی لها جميعا « بيت للصوفية ومنازلهم » : الا أننا من دراسة وثائق الأوقاف يمكن أن نفرق قليلا بين الخانقاه والرباط والزاوية ، فالخانقاه كما يتضح من الدراسة السابقة أنها مسجد وبيت للصوفية يتسع لعدد كبير قد يصل الى أربعمائة ، كما كان الحال في خانقاه بيبرس الجاشنكير ، ويشترط غيبن يقيم بالخانقاه أن يكون متبعا لطريقة التصوف ، أما الرباط فلا يشترط غيبن ينزل به أن يكون متبعا لاحدى طرق التصوف ، فنجد أن بيبرس الجاشنكير عندما أنشأ الرباط المجاور للخانقاه « وقف ذلك رباطا على مائة نفر من المسلمين المتصفين بالفقر والمسكنة يكون ظاهريهم الخير ، وهم متصفون بصفة أرباب الزوايا ، غير مبتدعين مالا يجوز شرعا أو عادة أو مشهور بذلك ، يكون منهم ثلاثون نفرا بالصورة التي يراها الناظر والشيخ يقيمون بالرباط المذكور ، وباقيهم مترددون كذلك ، ومن جميعهم الشيخ والامام والمؤذن والخادم والبواب ، ويقدم من يرغب في الانقطاع بهذا الرباط من عتقاء الواقف المذكور وذرياتهم من الذكور أيضا على غيرهم من سائر الناس أجمعين ، ولا يكلفون اثبات استحقاق ولا زى الفقر ، فان تعذر ذلك تقدم من يرغب في الانقطاع من الجند البطالين من المسلمين على غيرهم (٢) » .

(١) وثيقة وقف بيبرس الجاشنكير ٢٢ محنطة ٤ بالمحكمة .

(٢) وثيقة وقف بيبرس الجاشنكير ٢٢ محنطة ٤ بالمحكمة .

(١) أنظر ما سبق من الخدمات الاجتماعية في الفصل الثالث ص ١٣٩ المقرري :
المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٧٨

ويدعم هذا الرأي أيضاً ما جاء في وثيقة وقف الناصر محمد بن قلاوون على خانقاه سرياقوس . إذ حددت الوثيقة بوضوح تام أن الرباط يكون لسكن الصوفية أو لغيرهم . أما الخانقاه فهي المكان الذي يجتمع فيه الصوفية لممارسة وظيفة التصوف فجاء في هذه الوثيقة « الرباط بناحية سماسم المشتغل على ستين بيتاً وجماله رباطاً مأوى للفقراء الواردين إليه ، والرباطان الباقيان المشتغل كل منهما على أحد وعشرين بيتاً فانه جئ ذلك رباطين برسم سكني الفقراء الصوفية المقيمين بهذا المكان المذكور على الدوام والاستمرار » (١) ، وواضح من هذا النص أن الرباط الأول يختلف عن الرباطين الآخرين ، فالرباط الأول للعابرين ووصفهم بالفقراء دون أن يحدد ان كانوا صوفية أم لا ، ولو كان يقصد بالفقراء هنا الصوفية لما حدد بالنسبة للرباطين الآخرين « الفقراء الصوفية » . ومن هذا يمكن أن نقول أن الرباط هو مأوى للصوفية أو لغيرهم من الفقراء .

أما باقى النص فيحدد معنى الخانقاه بوضوح تام فيقول : « وصحن المكان وقفه خانقاه برسم اجتماع الشيخ والصوفية المقيمين والواردين بالمسجد أو الخانقاه المذكورين . أو فيها للصلوات الخمس ، وقراءة القرآن . والتهليل . والاذكار والتسبيح والاستغفار والاعتكاف ... » (٢) .

وكان من الطبيعي أن يمارس سكان الرباط نشاطهم الديني، نظراً لانقطاعهم عن الحياة ، ولكن بصورة تختلف عن وظيفة التصوف بالخانقاه ، فلم يشترط الواقفون مظهراً معيناً لنشاط المقيمين بالرباط ، وكان لانعزال المقيمون بالرباط ، وممارستهم للشعائر الدينية أثره في أحداث نوع من التقارب بين كل من الخانقاه والرباط ، وبمرور الزمن وبانحدار التصوف ، أصبح سكان الخانقاه لا يختلفون كثيراً عن سكان الرباط ، ودأب بعض الأفراد على إنشاء الربط وانزال بها عدد قليل من الصوفية ، لا يتجاوز العشرة ، ولم يأت عصر المقيزي حتى أصبح الرباط خانقاه صغيرة ، بل أن هناك من الخانقاوات كان بها من الصوفية ، ما

(١) أول من أشار إلى أهمية هذا النص د. عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق في خدمة الآثار ، ٥٦ ، ٥٧ ، وثيقة وقف محمد بن قلاوون رقم ٢٥ محفوظة في المحكمة .
(٢) وثيقة وقف محمد بن قلاوون رقم ٢٥ محفوظة في المحكمة .

يمثل من حيث العدد الصوفية بواحد من الربط ، من ذلك خانقاه المؤيد شيخ المعروفة بالخانقاه الخروبية ، والتي لم يزد عدد الصوفية بها عن عشرة أفراد بشرط الواقف (١) .

أما الزاوية فكانت في الغالب تنشأ برسم شخص معين ينقطع فيها للعبادة؛ مثال ذلك زاوية الشيخ خضر التي أنشأها الظاهر بيبرس خارج القاهرة : وأوقف عليها أحكاراتل في السنة نحو الثلاثين ألف درهم ، وأنزل بها الشيخ خضر بن أبى موسى المهراني العدوي (٢) ، وكان للظاهر بيبرس فيه اعتقاد كبير (٣) ، وكان من الطبيعي أن يلتف حول الشيخ الزاهد بعض مريديه ومجبيه يلزمونه ، ويأخذون العهد على يديه ، فأصبحت الزاوية مقرا للشيخ المنقطع للعبادة من ناحية : ومقرا لبعض مريديه من ناحية أخرى ، وبالتالي أصبح مثلها مثل الخانقاه والرباط ، عبارة عن بيت لبعض العباد المقتطعين ، وكانت كل زاوية في الغالب تختلف في تقاليدها — تبعا لشيخها — عن باقي الزوايا الاخرى : في حين أن الخواثق تشابهت جميعا في تقاليدها وآدابها (٤) .

ومهما يكن من أمر فإن انشاء الخواثق والربط والزوايا ، وكثرة الاوقاف على من يقيمون بها : كانت تمثل قوة الشعور الديني ، واشتداد تيار التصوف في مصر في العصر المملوكي من ناحية ، ولكنها صبت حياة المجتمع بالزهد في الدنيا ونشرت روح الاستكانة والتذلل بين عامة الناس من ناحية أخرى (٥) .

(١). وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف ، المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٢٧

(٢). توفي سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٨ م ، وكان الظاهر بيبرس قد أسس لهذا الشيخ عدة زوايا بالشام - المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٣٠

(٣). المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٣٠ ، ٤٣١

(٤). انظر ما سبق ص ٢٠٧

(٥). د. سعيد عاشور : المجتمع المصري ص ١٦٨

الاقواف وتسهيل تأدية فريضة الحج :

تعتبر تأدية فريضة الحج من الاركان الدينية التي تاثرت الى حد كبير بنظام الاوقاف . ولاسيما بالنسبة لغير القادرين ، فاشتد كثير من الواقفين أن يصرف ريع أوقافهم أو جزء منه في مساعدة غير القادرين لأداء فريضة الحج، ذلك انه بالرغم من أن الحج لم يفرض الا على القادرين لقوله تعالى (والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) (١) : الا أن قوة الشعور الديني في هذا العصر جعلت الكثيرين يتوقعون لتأدية الفريضة ، ووجد الواقفون أن في اعانتهم على تأدية الفريضة وجه من وجوه البر التي ينفقون فيها صدقاتهم من ريع أوقافهم ، (٢) فشرطوا أن يصرف جزء من ريع الوقف في كل سنة في مساعدة الذين يخرجون لتأدية فريضة الحج : ويشرفون على الهلاك اما لضعفهم أو لفقرهم : سواء في طريق الذهاب أو العودة ، من ذلك ما يذكر من أن السلطان برقوق أوقف ناحية بهتيت (٣) على سحابة (٤) تسير مع الحج الى مكة في كل سنة ، ومعها جمال تحمل المشاء من الحج ، وتصرف لهم ما يحتاجون اليه من الماء والزاد ذهابا وايابا (٥) . ويؤكد هذا المعنى ما جاء في احدى الوثائق من توجيه جزء من ريع الوقف « وهو الذي بجهة الناظر في كل سنة صحة الركب الشريف والمحمل السلطاني ، المتوجه الى الحجاز الشريف صحة كل سنة ، صحة من يوثق بدينه وخيره وعفته وأمانته وكفايته والذي يصرف ذلك بطول الطريق ذهابا وايابا على المنقطعين من الحجاج الذين قاربوا الاشراف على الهلاك من المسلمين : في أجرة حمل واطعام طعام : واستقا ماء : وكلفة ما يكون في ذلك

(١) سورة آل عمران آية ٩٧

(٢) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ اوقاف ص ٤٧٣

(٣) بهتيت هي احدى قرى الجيزة القديمة - انظر السلوك . تحقيق د. سعيد

ماشور ج ٢ ق ٢ ص ٩٤٤ حاشية ١

(٤) السحابة هي الطائفة من يرافقون الحاج للمحافظة عليه - النجوم الزاهرة

ج ١٢ ص ١٠٨ حاشية ٢

(٥) المقرئى : السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٩٤٤ - ابن تفرى هردى : النجوم الزاهرة

ج ١٢ ص ١٠٨ ، ١٠٩ - انظر ما يل في الفصل السادس عن موقف السلطان برقوق من الاوقاف .

ابقا لمجههم وحفظا لآبدانهم في ايصالهم الى مأمهم على العادة : ويصرف ذلك عليهم بمباشرة من يكون متصفا بصفات العدالة والخير والعفة والديانة ، ويصرف لمن يباشر ذلك ممن هو بالصفات المشروطة من الجمالة ما يراه الناظر . وذلك بمباشرة أمير الحاج ، والملاحة على ذلك ، فان فضل من ذلك شئ فرقه بالحرمين المذكورين ، فان تعذر صرف ذلك على المنقطعين ، فرق على الفقراء والمساكين والايتام والضعفاء والمجازين بالحرمين المذكورين أو بأحدهما ان تعذر الآخر^(١)

الأوقاف والجهاد في سبيل الله :

الجهاد في سبيل الله من وجوه القربات الرئيسية التي حرص الكثيرون على الوقف عليها . ولا سيما في الفترات التي واجهت فيها الدولة الاسلامية أعداءها . وذلك منذ صدر الاسلام ، فمن الآثار الصحيحة أن خالد بن الوليد حبس « دروعه وكراعه في سبيل الله » ، فأجازه النبي صلى الله عليه وسلم كما أن طلحة حبس سلاحه وكراعه في سبيل الله^(٢) ، ورأى كثير من الفقهاء وعلى رأسهم الامام مالك جواز وقف المنقولات والدواب في سبيل الله ، ومن أجل الجهاد الديني ، ولو أن هذا أثار الكثير من المشاكل خاصة بالنسبة لوقف الدواب التي تحتاج الى غذاء مستمر — حتى ولو لم تكن هناك حرب قائمة — هذا الى أن الحيوانات بعد فترة من الزمن يتقدم بها العمر ، وتصبح عبئا . وفي هذا المجال رأى بعض الفقهاء جواز استبدال هذه الحيوانات^(٣) ، ومما يوضح أهمية الوقف على الجهاد في سبيل الله أن بعض الفقهاء رأوا أن تكون مصارف الاوقاف التي بالثغور البرية والبحرية اذا لم يحدد لها الواقف مصرفا محددا — يجب أن تكون في الصرف على الجهاد في سبيل الله^(٤) وأن المنازل الموقوفة في الثغور يمكن استخدامها ككنات للجند^(٥) .

(١) وثيقة وقف السلطان فرج بن برقوق رقم ٦٦ محفوظة ١١ بالمعكة .

(٢) أي سلاحه وخيله — انظر ما جاء بالفصل الثاني من طيبة الاوقاف ص ١٩ .

١٠٠ ، ملال : أحكام الاوقاف ص ١٠ . الطرابلسي : الاسماء ص ٢٤

(٣) الامام مالك : المدونة الكبرى ج ٤ ص ٣٤٥ وما بعدها .

(٤) الغصاف : أحكام الاوقاف ص ٢١٨ . ٢٥١

(٥) ملال : أحكام الاوقاف ص ١٨

وفي مصر وجدت الكثير من الاوقاف لخدمة الجهاد الديني ولا سيما في العصر الايوبي الذي اشتهر بانه عصر الجهاد ضد الصليبيين ، والتي نص واقفوها على صرف ريعها على فك أسر المسلمين من أيدي الصليبيين ولعل أشهر هذه الاوقاف وقف صلاح الدين لبلدة بلبس ، ووقف القاضي الفاضل لداره التي عرفت بدار التمر (١) .

ووجدت أيضا مثل هذه الاوقاف في العصر المملوكي (٢) ، وبالرغم من أن خدة الجهاد الديني قد خفت بعد أن تم طرد الصليبيين من الشام والانتصار على المغول ، فإن السواحل المصرية والشامية تعرضت لهجمات القراصنة ، مثال ذلك ما وقع من هجوم القراصنة على السفن المصرية بالاسكندرية وبالقرب من ثغر دمياط (٣) ، في عهد الاشرف برسباي ، كما تعددت أمثال هذه الحوادث في عهد السلطان قايتباي فقامت بعض سفن الفرنجة بمهاجمة ثغر الاسكندرية في سنة ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م كما قامت بعض السفن الاخرى بالعبث في ميناء الاسكندرية والطينة ودمياط (٤) .

وأدت هذه الاحداث الى تنبيه السلطان قايتباي وأمرائه الى ضرورة الاهتمام بسواحل البلاد ضد القوى المعادية سواء كانت اسلامية أو غير اسلامية ، والتي تمثلت أساسا في العثمانيين وبقايا الصليبيين وتمثل هذا الاهتمام في انشاء القلاع من ذلك القلعة أو البرج التي أنشأها السلطان قايتباي بالاسكندرية ، سنة ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م « بسبب أن لاتطرق الفرنج للثغر على حين غفلة ، وجعل به جماعة من المجاهدين قاطنين به ، وأجرى عليهم الجوامك والرواتب في كل شهر ٥٠٠ وأوقف عليه الاوقاف الجليلة (٥) » ، ومن ذلك

- (١) أنظر ما جاء بالفصل الاول عن الاوقاف في العصر الايوبي .
 (٢) مثال ذلك ما جاء في وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف ص ٣٧٠ ، ٤٧٣ ، وثيقة وقف قراقجا العسني رقم ٩٢ أوقاف مطر ٢١٠ دراسة ونشر د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٢١٦
 (٣) د. عبد اللطيف ابراهيم : من وثائق التاريخ العربي (القاهرة ١٩٧٢) ص ١٧
 (٤) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٧٥ ، ٧٦ د. عبد اللطيف ابراهيم : المرجع السابق ص ١٩ - أنظر تفصيل ذلك في : د. ماعور : قبرس والحروب الصليبية ص ٩٨ وما بعدها ، الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٢٢٨ وما بعدها .
 (٥) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ١٥٦

ماقام به الأمير قجماس الاسحاقى - نائب السلطان بالاسكندرية - من انشاء رباط على بحر السلسلة « اودع فيه الاسلحة والاقوات وما يلزم المرابطين فيه (١) » ، ووقف على هذا الرباط ومنشأته الاخرى ، وعلى نفسه وذريته بعض الاملاك (٢) .

كذلك بنى الأمير يشبك من مهدى الدواidar الكبير في طرف منطقة الاسكندرية برجاً أو قلعة صغيرة ، في موقع مناسب بحيث يمكنه عن طريق المدافع . بالاستراك مع قلعة قايتباى من ضرب أى محاولة لسفن العدو الحربية لدخول ميناء الاسكندرية الشرقي ، أو مهاجمة المدينة (٣) ، وأوقف الأمير يشبك على هذا البرج ، وعلى الفقراء والمجاورين بالجامع الازهر في سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م اراضى بالوجه البحرى بناحية صندلا بالغربية ، ومنية خلف بالمنوفية ، وأراضى بالوجه القبلى بناحية ما كوسة الغربية والشرقية ، ومنية بنى خصيب بالاشمونين (٤) ، وجعل من مصارف وقفه ما يصرف على « أرباب الوظائف ، والمقاتلة أجناد العدة التى ترصد للجهاد في سبيل الله تعالى ، كل ذلك بالبرج المذكور أعلاه » (٥) .

وفي مجال الجهاد في سبيل الله شرط الواقف أن يرتب بالبرج المذكور :
- « عشرين نفراً رجالاً من أجناد العدة (٦) يصلحون للقتال والجهاد في سبيل الله تعالى ، يقيمون بالبرج المذكور أعلاه للجهاد والقتال ، وكف العدو المخذول عن الثغر المذكور وعن المسلمين وغير ذلك ، على عادة أمثالهم في ذلك بحيث يكون واحد منهم زرد كاش (٧) برسم

(١) السخاوى : الضوء اللامع ج ٦ ص ٢١٢ ترجمة ٧٠٦

(٢) وثيقة وقف السيوفى قجماس الاسحاقى رقم ٦٨٢ ج بارشيف وزارة الاوقاف

د عبد اللطيف ابراهيم : من وثائق التاريخ العربى ص ٣٦

(٣) د عبد اللطيف ابراهيم : المرجع السابق ص ٢٦ ، ٤٥

(٤) وثيقة وقف الأمير يشبك رقم ١٨٨ معنظة ٢٨ بالحكمة ، ورقم ٦٦ ج أوقاف

سطر ٩ - ١٢ ، ٨٧ - ٨٨ نشر ودراسة د عبد اللطيف ابراهيم ص ٤٨ ، ٥٧

(٥) الوثيقة السابقة سطر ١٠٥

(٦) يكونون عادة من المماليك -

(٧) الزرد كاش - لفظ أعجمى معناه صانع الزرد ، ويتماطى صقال الاسلحة وتنظيمها

واصلاحها وما فيه صلاحها لما أعدت له ، وثيقة وقف السلطان قايتباى رقم ٨٨٩ أوقاف

سطر ١٣٠ نشر ودراسة د محمد محمد أمين - المجلة التاريخية المصرية مجلد ٢٢

سنة ١٩٧٥ ص ٣٦٤ د عبد اللطيف ابراهيم : من وثائق التاريخ العربى ص ٤٠

أسلحة البرج المذكور واصلاحها وتمهدها ليعطى ذلك وغير ذلك مما جرت عادة الزردكاشية بعمله في مثل ذلك (١) ، وكان يصرف لكل منهم في كل شهر ألف درهم (٢) .

— « أربعة أنفار رجالا نفطية بارودية (٣) عارفين برمي المدافع والمناجنيق (٤) وغير ذلك من أنواع الرمي ، وما فيه نكاية أعداء الدين وكفهم عن أذى المسلمين » (٥) ، وكان يصرف لكل منهم خمسمائة درهم (٦) .

— « وأما باشر أجناد العدة (٧) المذكورين أعلاه فان الواقف المشار اليه أعلاه ذكر أنه أرسد له ما يتحصل من خراج الحصة التي مبلغها الخمس من أرض كنيسة القبط بالبحيرة بالغنا ما بلغ عن جاميكة باش العدة المذكورة بمستند غير هذا المستند وذكر الواقف المشار اليه أن المتحصل من خراج الخمس المذكور من كنيسة القبط بالبحيرة كل سنة أربعة وخمسون ألف درهم ، فيكون متحصلها له قليلا كان أو كثيرا » (٨) .

(١) وثيقة وقف الامير يشبك ١٨٨٨ محفوظة ٢٨ بالمحكمة ، ٦٦ ج أوقاف سطر ١٠٨ - ١١٠ ، نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٥٩

(٢) الوثيقة السابقة سطر ١١١

(٣) النفطية والبارودية كانوا غالبا من المبيد السود أو من رجال الطبقة الخامسة ويدل على ذلك سفر مرتباتهم نسبيا عن أجناد العدة الماليك .
د. عبد اللطيف ابراهيم : من وثائق التاريخ العربي ص ٤٠ حاشية ٥ ،
Dozy : Supp. Dict. Ar.

(٤) من المدافع والمناجنيق أنظر الفلقشندي : صبح الاعشى ج ٢ ص ١٤٣ ، ١٤٤

(٥) وثيقة الامير يشبك رقم ١١٨ محفوظة ٢٨ بالمحكمة ، ٦٦ ج أوقاف - سطر ١١٥ - نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٦٠

(٦) الوثيقة السابقة سطر ١١٥

(٧) باشر أجناد العدة يقابل باشر المسكر في قلعة قايتباي ، ومقدم المجاهدين في برجى طرابلس وصيدا ، أو رئيس المجاهدين في قلعة طرابلس .
د. عبد اللطيف ابراهيم : من وثائق التاريخ العربي ص ٤١ حاشية ١

(٨) وثيقة الامير يشبك رقم ١٨٨٨ محفوظة ٢٨ ، ٦٦ ج أوقاف سطر ١١٥ - ١١٧ - نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٦٠

— « ويصرف كل شهر يفضى من شهور الالهة من الفلوس الموصوفة أعلاه ألفا درهم نصف ذلك ألف درهم ، أو ما يقوم مقام ذلك من النقود عند الصرف لاربعة رجال بالسوية بينهم لكل واحد منهم في كل شهر خمس مائة درهم فلوسا ، اثنين منهم يكونان رقيبين بطبلين واثنان منهم يكونان أنيسين يقيمون (كذا) بالبرج المذكور (١) لارهاب العدو المخذول ولإعلام الناس — المقاتلة اذا ورد العدو المخذول بالورود عليهم ليعتدوا لقتالهم على المادة في ذلك (٢) » .

— « ويصرف في كل شهر يفضى من شهور الالهة من الفلوس الموصوفة أعلاه ألف درهم لرجلين حرسين بالبرج المذكور أعلاه لكل منهما في كل شهر النصف خمس مائة درهم فلوسا أو ما يقوم مقام ذلك من النقود عند الصرف على أن يقيما بالبرج المذكور فيه لحراسته وما به ومن به ولمراقبة العدو المخذول ، ليعلموا بوروده على المادة في ذلك ليعتد لقتاله » (٣) .

ويتضح لنا من دراسة هذه الوثيقة مدى اهتمام الامراء بالوقف من أجل الدفاع عن الاسلام والبلاد .

وثمة وثيقة وقف أخرى ترجع الى عصر السلطان قايتباي أيضا ، وهي وان كانت أقل أهمية من وثيقة وقف الأمير يشبك بالنسبة لإظهار أهمية الأوقاف للدفاع عن الاسلام والبلاد ، الا أنها تمدنا بمعلومات أصيلة عن مدى اهتمام السلاطين بشحن الثغور بالأسلحة ، والعمل على أن تكون جاهزة دائما وفي حالة استعداد دائم لأي ظاري ، وهذه الوثيقة هي

(١) كانت مهمة هؤلاء الرجال التكبير والتهليل ، ودق الطبول بعنف عند ظهور العدو داخل مياه الاسكندرية لكي يمد كل مجاهد نفسه ويستمد للدفاع والحرب — د. عبد اللطيف ابراهيم : وثائق التاريخ العربي ص ٤٢ حاشية ١
(٢) وثيقة الأمير يشبك رقم ١٨٨ محفوظة ٢٨ بالمحكمة . ٦٦ ج أوقاف سطر ١١٨ - ١٢٠ ، نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٦١
(٣) وثيقة وقف الأمير يشبك رقم ١٨٨ محفوظة ٢٨ بالمحكمة . ٦٦ ج أوقاف سطر ١٢١ - ١٢٣ - دراسة ونشر د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٦١

وبصرى وكما يترجم من شهود ما لم يكن ذكره كما شاق باعده لتسليم
 المنى باسمه الشريف علاه الكايند من نفعه ريسا للحكومتين والجامع المذكور شاعيا صلت
 التي تفاعلت اربع المذكور وتنظيمها واصلاحها فاقبها لغاها لما اعدت من لطف للبر
 ختماء من رخصتها ما بئد من رخصتها ورضا وبصرى
 اعلاه بتعاطي نفعها عند الاحتياج الى ذلك ولعلها عند الاستغناء عنها او اخر الزمان
 وحفظها وجعلها في الاماكن التي لا يخشى عليها من الفساد والتصدى وغير ذلك من
 البوابات فان السلاسل بعلده في مثل ذلك في كل شهر من شهر الاموال والنفوس الموضوعة
 تلافا من رخصتها ما بئد من رخصتها ورضا وبصرى

(من وثيقة وقف السلطان قايتباي ٨٨٩ اوقاف - الزردكاش - بواب قاعة
 السلاح)

وهناك أيضا وثيقة وقف الشيخ أبو عبد الله محمد الديروطى الشافعى
 الذى أنشأ برجا بمجمع البحرين بالبر الغربى بدمياط ، وأوقفه وأوقف على
 مصالحه بعض الاعيان للصرف من ريعها على عمارة البرج وعلى المجاهدين
 والمرابطين به ، فقد جاء بها « وأن يكون بالبرج المذكور عشرة أنفس مرابطين
 به ٥٥٥٥ ومؤذن وخادم وبواب وخازن للسلاح ومن يحفظه ويمقله وغير ذلك
 من أرباب الوظائف ، وأن يكون كل منهم يحسن الرمى بالنشاب والبندق
 والرصاص والمدافع ٥٥٥ » (١) .

(١) انظر الوثيقة رقم ٧٢٧ ج اوقاف - وهي من الوثائق التى اكتشفتها في صيف
 عام ١٩٧٨ - ويرجع تاريخها الى ٦ جمادى الاول ٩١٢ هـ - ٦ ربيع الاول ٩٢١ هـ -
 نشر ودراسة د . محمد محمد أمين .

وحرص الواقف أيضا على تعمير البرج بآلات الحرب فجاء بنفس الوثيقة « وأن يشتري من ربيع أوقاف البرج المذكور ما يحتاج اليه البرج المذكور من آلات الحرب ومن بارود وقسي ونشاب وأوتار القسي وأحجار المدافع وبندق رصاص ٠٠٠ » (١) .

وهكذا يتضح لنا من دراسة وثائق العصر المملوكي والتي تتناول موضوع الجهاد في سبيل الله ، وفك أسرى المسلمين الى أهمية الاوقاف في هذا المجال ، اذ كان للاوقاف الفضل في ضمان استمرار الصرف على الابراج والقلاع ، وقاعات السلاح ، وجعلها دائما في حالة استعداد لصد الاعداء في أى وقت ، وترداد أهمية هذه الاوقاف في وقت الحروب ، اذ تمثل الاوقاف في وقت الحرب موردا ماليا ثابتا لا يتأثر كثيرا بمالية الدولة ، يتولى الصرف على هذه المنشآت العسكرية الهامة .



(١) وثيقة وقف الشيخ محمد الديروملى ٧٣٧ ج أوقاف - نشر ودراسة د. محمد محمد أمين .

الفصل الخامس

لهوفاوس والحياة الثقافية

— الحركة العلمية في مصر وارتباطها بالنشاط الديني — بداية نشأة المدارس في مصر — الهدف من انشاء المدارس — زيادة عدد المدارس في العصر المملوكي — الخلط بين المدرسة والمسجد والخانقاه — الاوقاف هي اساس قيام المدارس والحركة العلمية — الاوقاف هي المصدر المالي الاساسي للمدارس — وثائق الوقف هي لوائح المدارس وقوانينها — أثر الاوقاف في : مقر الدراسة — الشروط التي يجب توافرها في المدرس — الكتب التي تدرس — وظيفة المعيد واختصاصه وطرق التدريس — عدد الطلبة — انتقال الطلبة من مذهب الى آخر سعيا وراء المعلوم الاجبر — مواعيد الدراسة — الاجازات السنوية — مساكن الطلبة — خزانات الكتب — نظم الاستعارة •

— الوقت على زوايا العلم بالمساجد (جامع عمرو — جامع ابن طولون الجامع الازهر) •

— مكاتب الايتام — أثر الاوقاف في تعليم الايتام — مناهج الدراسة — طريقة التعليم بالمكاتب — مكافأة اليتيم والمؤدب — مؤدب الاطفال — العريف — استبدال الايتام •

الأوقاف وانشاء المدارس :

ارتبط النشاط العلمى فى الاسلام بالحياة الدينية ، اذ اهتم المسلمون وخاصة فى الادوار الاولى من تاريخ دولتهم بتفسير المسائل المتعلقة بالعقيدة وتعليم اصول هذه العقيدة للمسلمين الجدد فى مصر وغير مصر من الامصار ، وازدهرت هذه الحركة العلمية فى مصر بوجه خاص بعد أن نزع اليها عدد كبير من الصحابة (١) ، بلغ حسب تقدير بعض المؤرخين أكثر من مائة وأربعين صحابيا (٢) ، كانوا أساس مدرسة مصر الدينية ، وهى المدرسة التى كان مركزها جامع عمرو بن العاص (٣) .

وهكذا ارتبط التعليم فى مصر — منذ العصر الاسلامى — أساسا بالعلوم الدينية من ناحية ، وبالمساجد من ناحية أخرى ، وزاد من ازدهار هذه الحركة العلمية استقلال البلاد فى عهد الطولونيين والاششيديين (٤) ، ذلك أن الحكام المستقلين يتعلمون عادة أنى تدعيم نفوذهم عن طريق الظهور فى صورة حجة الدين والعلم ، فضلا عما يتوافر لأولئك الحكام من حرية الحركة والتصرف .

أما فى العصر الفاطمى فكان ازدهار الحركة العلمية مرتبطا بجهود الفاطميين فى نشر المذهب الشيعى ، والدعوة له والاقناع به ، وهو المجال الذى قام الازهر فيه بدور كبير (٥) .

وازاء المد الشيعى الذى اجتاحت المغرب العربى ومصر والشام ، ووصل الى بغداد على يد البساسيرى سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م ، كان على القوى السنية أن تنهض بسرعة للصمود أمام هذا الخطر . ووقع عبء هذه المهمة على دولة السلاجقة الفتية التى عملت على تقوية المذاهب السنية ، والقضاء على

-
- (١) د. سميد عاشور : مصر فى العصور الوسطى ص ٧٦ ، د. سيدة كاشف : مصر فى عصر الولاة ص ١٣٧
 (٢) السيوطى : حدى المحاضرة ج ١ ص ٧٨
 (٣) د. سيدة كاشف : مصر فى عصر الولاة ص ١٨١
 (٤) د. سيدة كاشف : أحمد بن طولون ص ٢٣٢ ، مصر فى عصر الاششيديين ص ٣٠٣
 (٥) أحمد أمين : ظهر الاسلام ج ١ ص ١٨٨

الحركات الشيعية ، وكان من وسائلها في ذلك التعليم ، لمواجهة الآراء الشيعية التي وجدت لها تربة خصبة بين الطبقات الشعبية ، فقام الوزير السلجوقي مظالم الملك بحركة واسعة لانشاء المدارس في أهم مدن العراق وفارس وبلاد الجزيرة وديار بكر ، بدأها بانشاء المدرسة النظامية في بغداد سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م (١) .

ثم كان أن انتقلت فكرة انشاء المدارس السنية من العراق الى الشام ومصر في أواخر عصر الدولة الفاطمية ، وكان لبعد الاسكندرية عن القاهرة — عاصمة الفاطميين — ولانتشار المذهب السني المالكي بالاسكندرية ، فضلا عن ضعف الخلفاء الفاطميين ، كان لذلك أثره في قيام أول مدرسة سنية بمصر في الاسكندرية على يد رضوان بن ولخشي ، وزير الخليفة الفاطمي الحافظ ، في سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٧م ، وكانت للمالكية (٢) . ثم أعقب ذلك بناء مدرسة ثانية بالاسكندرية أيضا للشافعية ، على يد الوزير العادل سيف الدين علي بن السلار ، وزير الخليفة الفاطمي الظاهر سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م (٣) وهكذا حتى تولى صلاح الدين الايوبي وزارة الخليفة الفاطمي المعاضد فكان ذلك بداية عهد جديد لانشاء المدارس في مصر ، اذ بدأ صلاح الدين حربه الفكرية والذهبية ضد الشيعة بانشاء مدرستين في سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م ، بجوار جامع عمرو بن العاص ، خصص احداها وهي التي عرفت باسم المدرسة الناصرية للشافعية ، وخصص الثانية وهي التي عرفت بالمدرسة القمصية للمالكية . وما أن قضى صلاح الدين على الخلافة الفاطمية ، حتى واصل سياسة

(١) المقرئزي : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٣ ، غنية : تاريخ الجامعات الاسلامية ص ٧٦،٧٥

(٢) أنشئت هذه المدرسة للفتية المالكي أبي الطاهر بن عوف (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) المقرئزي : أتعاط الحنفا حوادث سنة ٥٣٢ هـ ، الشيال أعلام الاسكندرية ص ١٢١ وما بعدها ، غنية : تاريخ الجامعات الاسلامية ص ٨٢ ، ٨٣

(٣) يذكر ابن خلكان من ابن السلار ، وكان ظاهر التستن شافعي المذهب ولما وصل العافظ أبوطاهر أحمد السلفي الى ثغر الاسكندرية المعروس وأقام به ثم صار العادل المذكور واليا به ، احتفل به وزاد في اكرامه ، وعمر له مدرسة فوض تدريسها اليه ، وهي معروفة به ال الآن ، ولم أر بالاسكندرية مدرسة للشافعيين سواها — وفيات الاميان : ج ٢ ص ١١٨ ترجمة ٣٤٥

انشاء المدارس السننية في أنحاء البلاد ، واقتدى به أمراءه ورجال دولته ، فأنشئت بمصر عدة مدارس ، كان الغرض منها تدعيم المذهب السننى بالبلاد ، والقضاء على بقايا التشيع . وسار خلفاء صلاح الدين من سلاطين وملوك بنى أيوب على نهجه في انشاء المدارس ، ومن أهمها المدرسة الكاملية التى أنشأها السلطان الكامل سنة ٦٢١هـ / ١٢٢٤م والمدرسة الصالحية التى بناها الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤١م وكلفت هذه المدرسة الاخيرة أول مدرسة تجمع بين مذاهب السنة الاربعة (١) . ومنذ العصر الايوبى قام ديوان الاحباس ، والاقواف بالمصرف على هذه المؤسسات التعليمية (٢) .

وفي العصر المملوكى سار المماليك على نهج أساتذتهم الايوبيين في محاربة التشيع ، واتبعوا أسلوبهم في ذلك وهو انشاء المدارس ، فزاد عدد المدارس زيادة كبيرة ليس في مصر والقاهرة فحسب ، بل في الاقاليم أيضا (٣) فقد بنى سلاطين المماليك وأمراؤهم من المدارس « ما ملا الأخطاط وشحنها (٤) » ، ويذكر الرحالة ابن بطوطة « وأما المدارس بمصر فلا يحيط أهد بحصرتها لكثرتها (٥) » .

على أن هذه الزيادة الكبيرة في عدد المدارس في مصر على عصر سلاطين المماليك بالرغم من انخفاض تيار التشيع بصورة واضحة عما كان عليه في العصر الايوبى ، تجعلنا نبحث عن أسباب لتعليها عدا محاربة المذهب الشيعى ، وأعتقد أن سياسة الاكثار من المدارس في عصر سلاطين المماليك انما ترجع الى عدة عوامل متشابهة ومتداخلة ، من بينها حرص السلاطين

(١) د . سعيد عاشور والرافعى : مصر فى العصور الوسطى ص ٢٩٢

Ibrahim Salama : op. cit. p. 58.

(٢) أنظر ما جاء بالفصل الاول ص ٦٢ وما بعدها عن أوقاف صلاح الدين ،

(٣) أعطى المؤرخون أرقاما متضاربة لعدد المدارس فى العصر المملوكى فيذكر المقرئى ٧٥ مدرسة ، ولكنه لم يدخل فى اعتباره المدارس التى أنشئت بالأقاليم وكان من بينها ١٦ مدرسة فى قوص وحدها - ابن دقماق : الانتصار ق ٢ ص ٢٨ ،

Ibrahim Salama : op. cit. p. 58-60.

(٤) الفلشندى : صبح الاعشى ج ٢ ص ٣٦٤

(٥) أنظر أيضا ما ذكره ابن بطوطة عن مدارس الاقاليم فى مصر فى منية ابنه

خصيب وقوص ، واسنا ، ابن بطوطة : الرحلة (ط - القاهرة) ص ٢٣

والامراء على الظهور في صورة حماة العقيدة الاسلامية السنية ، العاملين على نشرها وذلك لينسى لهم رعاياهم ما ضيهم الذي ارتبط بالرق فضلا عن اغتصابهم الحكم من سادتهم بنى أيوب . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى حرص المماليك وهم الغرباء بالنسبة للثقافة الاسلامية واللغة العربية ، على أن يظهروا بمظهر المتصلين والمشجعين للثقافة الاسلامية واللغة العربية ، ولاسيما بعد انتهاء الاخطار الخارجية الكبرى التي تمثلت في الصليبيين والمغول ، والتي أتاحت الفرصة لسلطين المماليك الاوائل أن ينتزعوا من رعاياهم ومن العالم الاسلامي أجمع اعترافا بأنهم حماة الاسلام . وعندما خفت حدة هذه الاخطار نسبيا لم يجد سلطين المماليك وأمرأؤهم ، ولاسيما في عهد الجراكسة بدا من الاكثار من انشاء المدارس والتقرب الى العلماء ليموضوا شعورهم بالنقص من ناحية ، وليحفظوا في الازهان بأنهم حماة الاسلام (١) .

ولما كان الفقهاء قد أجازوا الوقف على طلبة العلم ، واعتبروا ذلك من وجوه البر (٢) ، وأن هذا الانفاق يعادل الجهاد في سبيل الله استنادا الى الاحاديث النبوية التي تضع مرتبة العلم والعلماء أعلى من مرتبة الجهاد والشهداء وقد جاء عن الرسول عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد ، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسول ، أما أهل الجهاد فجاهدوا بأسياقهم على ما جاءت به الرسول » ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء » ، أي أن المداد الذي ينفقه العالم في تأليف الكتب لنفع الناس يعادل دم شهيد بل يرجح عليه في بعض الروايات (٣) ، وبالتالي فإن انشاء المدارس ، والنفقة على العلماء ، تعادل أو ترجح النفقة في الجهاد في سبيل الله .

Ibrahim Salama : op. cit. p. 64. 66.

(١)

(٢) ابن عابدين : رد المحتار ج ٣ ص ٢٨٧

(٣) الفزالي : أحياء علوم الدين ص ٥

ويؤكد هذا القول ما ظهر من القاب في اواخر عصر دولة المماليك البحرية ، وأعني به لقب « باني المدارس والمساجد » ، الذي أطلق على الامير صرغتمش^(١) ، في نص انشاء مدرسته بالقاهرة بتاريخ ربيع الاخر سنة ٧٥٧هـ / ١٣٥٦م^(٢) .

وقد انشئت المدرسة في العصر المملوكي لتؤدي وظيفة تعليمية ، وبالرغم من ذلك فقد اقيمت بها الشمامسة الدينية ، واتخذت كمسجد تقام فيه الصلوات المفروضة ، وصلاة الجمعة والعيدان أيضا ، ويذكر المقرئ أنه في سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠ م « يوم الجمعة ١١ ربيع الاول سنة ٧٣٠ هـ رتب الامير جمال الدين أقوش - المعروف بنائب الكرك - جمال الدين الغزاوي خطيبا ببايوان الشافعية من هذه المدرسة (المدرسة الصالحية) ، ووقف عليه وعلى مؤذنين وقفًا جاريا ، فاستمرت الخطبة هناك الى يومنا هذا (عصر المقرئ)^(٣) » ، كذلك اتخذ منبرا في المدرسة صاحبية^(٤) سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٧ م ، « فصار يصلح بها الجمعة الى يومنا هذا ، ولم يكن قبل ذلك بها منبر ولا تصلى فيها الجمعة^(٥) » ، وفي سنة ٧٩٧هـ / ١٣٩٤م انشئت المدرسة الزمامية^(٦) « وجعل بها منبرا يخطب عليه في كل جمعة ، وبينها وبين المدرسة صاحبية دون مدى الصوت ، فيسمع كل من صلى بالموضعين تكبير الآخر » .

(١) هو الامير سيف الدين صرغتمش بن عبد الله الناصر ، من ممالك الناصر محمد ، وترقى في الخدم السلطانية حتى أصبح الشخصية الاولى في مصر في عهد السلطان حسن حتى وفاته في ذي الحجة سنة ٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م - المقرئ : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٠٥ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٠٦ .

(٢) د. الباشا (حسن) : الالقاب الاسلامية ص ٢٢٢ .

(٣) المقرئ : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٧٤ .

(٤) انشأها صاحب صفى الدين عبد الله بن علي بن شكر وجعلها وقفًا على المالكية ، وبها درس نحو وخزانة كتب ، ثم جدد صارتها القاضي علم الدين ابن ابراهيم بن عبد اللطيف المعروف بابن الزبير ناظر الدولة في أيام الناصر حسين بن قلاوون - المقرئ : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٧١ .

(٥) المقرئ : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٩٤ .

(٦) انشأها الامير الطواشي زين الدين مقبل الرومي زمام الادب الشريف للسلطان

برقوق - المقرئ : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٩٤ .

وهذا وأنظاره بالقاهرة من شنيع ما حدث في غير موضع ، ولا حول ولا قوة
الا بالله (١) .

ومكذا أصبحت المدارس كالمساجد تقام بها التسمائر الدينية ، كما
خلت تلقى الدروس بالمساجد ، ومن الدروس التي استجدت بالمساجد تلك التي
رتبها السلطان حسام الدين لاجين بالمسجد الطولوني (٢) .

وكان تصميم المدرسة في العصر المملوكي يمثل في الغالب أربعة ايوانات
متعامدة متقابلة أكبرها ايوان المحراب ، وأصغرهما الايوانان الجانبيان ،
ويتوسطها في الغالب صحن مكشوف به قبة الفسقية ، وألحق بالمدرسة مدفن
للمنشي ، وسبيل يعلوه مكتب لتعليم الايتام ، عدا مساكن للطلبة
والمدرسين (٣) ، ولم يلبث أن عم هذا التصميم المساجد أيضا ، وأصبح
لا يوجد ثمة فرق بين طراز المدرسة وطراز المسجد ، بل اننا نجد
الظاهر برقوق بنى بناء واحدا جعله مسجدا ومدرسة وخانقاة أيضا ، كما
جعل بهذا المبنى قبة نقل اليها رفات والده وابنه (٤) .

وبذلك أصبحت المدرسة مكان عبادة ودرس ، كما كان المسجد من قبل
انشاء المدارس ، ولم تتميز المدرسة عن المسجد الا بمساكن الطلبة التي كانت
تلتحق عادة بالمدارس ليعيش بها الطلاب ، والمدرسون فأصبحت المدرسة
أقرب ما تكون الى الخانقاه ، وفي بعض الحالات خانقاه بالفعل (٥) ، ففي
بعض الاحيان كان الطلبة هم أنفسهم الصوفية المنزليين بالخانقاه ، من ذلك
ما تذكره وثيقة وقف السلطان برسباي « الصوفية خمس وستين : ويصرف

(١) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٩٤

(٢) وثيقة وقف السلطان حسام الدين لاجين رقم ١٧ ، ١٨ محفوظة ٣ بالمحكمة .

(٣) مثال ذلك مدرسة السلطان حسن : وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١
أوقاف . حسن ميد الوهاب : تاريخ المساجد الاثرية ج ١ ص ١٦٨ ، المقرئى : المواقظ
والاعتبار ج ٢ ص ٣٩٩ ، ابن دقماق : الانتصار ج ١ ص ٩٧

(٤) حسن ميد الوهاب : المرجع السابق ج ١ ص ١٩٢ - ١٩٧

(٥) مثل خانقاه مغلطاي الجمالي التي رتبت بها دروس للصوفية ، ومثل مدرسة
برقوق التي أطلق عليها اسم « المدرسة الخانقاه » انظر وثيقة وقف مغلطاي الجمالي
١٦٦٦ أوقاف ، وثيقة وقف برقوق ٩/٥١ محكمة .

لخمس وستين نفرا من طلبة العلم الشريف من ذوى المذاهب الاربعه
موصوفين بالخير والدين والفقر من الفلوس الموصوفه سبعة آلاف درهم
وخمسمائيه درهم ومن الفضة المذكورة أربعمائة درهم وزنا وفي كل يوم من
الخبز القرصه^(١) الموصوف فيه مائة وخمس وتسعون رطلا بالمصري^(٢) ،
فالحنفيون المذهب خمس وعشرون نفرا ٥٥٥ والشافعيون عشرون نفرا منهم
والمالكيون والحنابلة عشرون نفرا بالسوية ٥٥٥ على أنهم يجتمعون
وشيخهم من كل مذهب في كل يوم بعد صلاة العصر بالجامع المذكور ويفرق
عليهم الربعات الشريفة ويوضع المصحف الشريف أمام الشيخ الحنفي المبتدأ
به فيه ويقرأ كل منهم حزبا من القرآن العظيم من تجزيه (كذا) ستين جزءا
فاذا فرغ من القراءة يقرأ قراء الصفة الآتى ذكرهم ٥٥٥ ويذكر شيئا من كلام
أهل الحقيقة (أقطاب التصوف) على العادة في كل يوم ٥٥٥ «^(٣) .

ويتضح لنا من دراسة هذا النص ما وجد في عصر المماليك الجراكسة
من خلط بين كل من المسجد أو الجامع ، والمدرسة والخانقاه ، ففي هذه
الوثيقة نجد أن المسجد هو مقر للدرس ومقر اجتماع الصوفية في نفس
الوقت ، كما نجد أن الصوفية هم أنفسهم طلبة العلم الشريف ، وأن شيخ
التصوف هو نفسه المدرس ، وكان عليهم حضور وظيفة التصوف كل يوم بعد
صلاة العصر^(٤) .

(١) الخبز القرصه أو الخبز الخانقي أى المنسوب الى الخانقاه من الدقيق البر
الابيض يفرق على الصالحين أو الصوفية بالغوانق . د. عبد اللطيف ابراهيم : دراسات
تاريخية تحقيق رقم ٦٩٨

(٢) الرطل بالوزن المصري = ١٢ أوقية = ١٤٤ درهم القلشندي : صبح
الاعشى ج ٣ ص ٤٤١ ، وكان في الغالب وزن الرغيف رطلا - أنظر وثائق وقف
السلطان برسبای ٨٨٠ أوقاف ص ١٨٣ ، وثيقة وقف السلطان قايتباي ٨٨٦ أوقاف
ص ١٢٢ ، د. عبد اللطيف ابراهيم دراسات تاريخية تحقيق رقم ٧٠٠

(٣) وثيقة وقف السلطان برسبای رقم ٨٨٠ أوقاف ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ،
وأنظر أيضا وثائق وقف كل من منلطای الجمال ١٦٦٦ أوقاف ، وبرقوق ٩/٥١ محكمة .

(٤) أنظر أيضا وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف التي نصت على أن مدرس
الحنيفة هو شيخ الصوفية ، بينما نصت وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦
محفظه ١٧ بالمعكة على أن مدرس الشافعية هو شيخ الصوفية - أنظر ما سبق عن الاوقاف
وانتشار التصوف .

ويؤكد هذا أيضا ما ذكره المقرئزي عن المدرسة المهندارية (١)، من أن مؤسسها « جعلها مدرسة وخانقاة » (٢) .

وبالرغم من زيادة عدد المدارس في العصر المملوكي ، فإنه لم توجد سياسة تعليمية للدولة أو للسلطين ، وكانت الدوافع الدينية والسياسية ، هي الدافع لانشاء المدارس والمكاتب ، ولذلك كان للأوقاف أهمية خاصة بالنسبة للتعليم سواء كان بالمدارس أو بالمكاتب التي عرفت باسم « كتائب السبيل » ، فالأوقاف هي التي ثبتت أركان المدرسة ، ودعمت نظامها ، ومكنتها من القيام برسالتها في العصر المملوكي (٣) ، وكان الريع الذي تغله الأعيان الموقوفة على المدرسة شهريا أو سنويا ، نقدا أو عينا ، هو ضمان استمرار العمل بالمدرسة ، حيث تدفع منه مرتبات أرباب الوظائف بالمدرسة والطلبة حسب شرط الواقف .

وبدون الأوقاف كان لا يمكن أن تقوم قائمة للمدرسة في ذلك العصر فيحدثنا المقرئزي عن ثلاثة مدارس مملوكية أنشئت ، ولكن لم يكن بأى منها مدرس ولا طلبة ، وأولى هذه المدارس وهي المدرسة الخروبية مات مؤسسها « قبل استيفاء ما أراد أن يجعل فيها ، فليس لها مدرس ولا طلبة » (٤) والثانية وهي مدرسة اينال ، لم يعمل بها سوى قراء يتناولون قراءة القرآن على قبره (٥) ، والثالثة مدرسة المحلى « لم يجعل بها مدرسا ولا طلبة » (٦) .

(١) أنشأها الأمير شهاب الدين أحمد بن أقوش المقرئزي المهندار ونقيب الجيوش سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م - المقرئزي : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٩٩

(٢) المقرئزي : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٩٩

(٣) Ibrahim Salama : op-cit . P. 67

(٤) أنشأها عز الدين محمد بن صلاح الدين الخروبي (ت ٧٧٦ هـ) بخط الشون قبل دار النحاس من ظاهر مصر ، وهي غير مدرسة أخيه تاج الدين محمد التي أنشأها على شاطئ النيل من مدينة مصر . وغير المدرسة الخروبية التي أنشأها كبير الخرابية تجاه المقياس بخط كرمي الجسر - المقرئزي : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠

(٥) أنشأها الأمير الكبير سيف الدين اينال اليوسفي أحمد المالِك اليلبغاوية سنة ٧٩٥ هـ - المقرئزي : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٠١

(٦) أنشأها رئيس التجار برهان الدين ابراهيم بن عمر بن علي المحلى (ت ٨٠٦ هـ) ويبدو أن السبب في عدم وقفه على المدرسة أن الناصر فرج بن برقوق أخذ منه مائة ألف دينار - المقرئزي : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٦٨ ، ٣٦٩

وتؤكد أهمية الاوقاف بالنسبة لتثبيت أركان المدرسة والعمل على استمرار آدائها رسالتها : تلك المبارات التي ذكرها المقرئزي ، عند كلامه عن المدارس ، اذ يقول مثلا عن المدرسة الناصرية « ولولا ما يتناوله الفقهاء من المعلوم بها لخربت : فان الكيمان ملاصقة لها بعد ما كان حولها أعمر موضع في الدنيا » (١) ، ويقول كذلك عن المدرسة انقمحية : « وقد أحاط بها الخراب ولولا ما يتحصل منها للفقهاء لدرث » (٢) ، ويشير الى المدرسة صاحبية البهائية التي انهارت بعد وفاة شمس الدين محمد بن المصاحب سنة ٨١٣هـ / ١٤١٠م الذي كان يلى نظرها والتدريس بها ، ويعطى المقرئزي سبب ذلك فيقول : « فوضع بعض نواب القضاة يده على ما بقى لها من وقف فأقامت هذه المدرسة مدة أعوام معطلة من ذكر الله وأقام الصلاة ، ولا يأويها أحد فاستولى على عمد الرخام انثى كانت بها الناصر فرج ابن برقوق في سنة ٨١٢هـ ، ولم تلبث أن هدمت في أواخر سنة ٨١٧هـ ، بعد أن كانت « من أجل مدارس الدنيا ، وأعظم مدرسة بمصر » (٣) .

وتتضح أهمية الاوقاف بالنسبة لاداء المدرسة رسالتها مما يذكره المقرئزي عن جامع آق سنقر (٤) الذي أنشأه بالقرب من القلعة ، وأنشأ بجانبه مكتبا لأقراء أيتام المسلمين ، وحانوتا أسقى الماء العذب ، ورتب بالجامع درسا فيه عدة فقهاء ، وأوقف عليه ضيعة من حلب « تمثل في السنة مائة وخمسين ألف درهم فضة ثمنها سبعة آلاف دينار ، الا انه لما حدثت الفتن ببلاد الشام ، وخرجت النواب عن طاعة سلطان مصر ، منذ مات الملك الظاهر برقوق امتنع حضور مغل وقف هذا الجامع لكونه في بلاد حلب ، فتعطل الجامع من أرباب وظائفه ، الا الاذان والصلاة واقامة الخطبة في

(١) هي اول مدرسة أنشأها صلاح الدين سنة ٥٦٦ هـ - المقرئزي : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٦٣

(٢) أنشأها صلاح الدين سنة ٥٦٦ هـ للفقهاء المالكية - المقرئزي : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٦٣

(٣) أنشأها الوزير المصاحب بهاء الدين بن حنا سنة ٦٥٤ هـ وتولى اولاده نظرها والتدريس بها - المقرئزي - المواعظ والامتناع ج ٢ ص ٣٧٠/٣٧١

(٤) أنشأه الأمير آق سنقر السلاوي ترقى في الخدمة حتى تولى نيابة السلطنة في عهد المصالح اسماعيل بن الناصر محمد قلاوون - المقرئزي : المرجع السابق ج ٢ ص ٣١٠

الجمع والاعیاد^(١) : أى أن الذى تعطل فعلا هو الدرس . ومكتب الايتام .
والسبيل ، وذلك نتيجة لعدم ورود ريع الوقف المخصص له من حلب .

وهذا يؤكد لنا أن ريع الاوقاف هو المصدر المالى الاساسى والوحيد
لغالبية مدارس ومكاتب الايتام فى العصر المملوكى . وبالتالي فإن الحركة
العلمية الواسعة التى شهدتها مصر فى ذلك العصر ، والتى تدين بوجودها
الى انشاء المدارس واستمرار التعليم بها ، انما هى فى الحقيقة نتاج
طبيعى لازدهار الاوقاف وانتشارها فى العصر المملوكى .

ولم يقتصر أثر الاوقاف على التعليم على أنها المورد المالى للمؤسسة
التعليمية سواء كانت مدرسة أم مكتبا لتعليم الايتام . بل تعدى الامر ذاك
الى كافة جوانب العملية التعليمية حتى أنه يمكننا القول أن وثيقة الوقف ،
أو كتاب الوقف كان بمثابة اللائحة الاساسية للمؤسسة التعليمية والتى تضم
الاسس التربوية للتعليم ، والشروط التى يجب أن تتوافر فى القائمين بالتدريس
ومواعيد الدراسة ، وما الى ذلك من التنظيمات الادارية والمالية .

فبالنسبة لمقر الدراسة : نجد أن الواقف يحدد دائما المكان الذى تلقى
فيه الدروس ، ومن المعروف أنه منذ أواخر العصر الايوبى بدأ انشاء
المدرسة الرباعية ، أو ما يمكن أن نسميه كلية جامعية ذات أقسام أربع .
وأعنى بذلك انشاء المدرسة الصالحة التى أنشأها السلطان الصالح أيوب ،
وجعل فيها لأول مرة فى مصر دروسا للمذاهب الاربعة ، فقد أنشأها على هيئة
أربعة أواوين متعامدة فى وسطها صحن مكشوف ، وخصص كل ايوان لمذهب
من المذاهب السنية الاربعة^(٢) ، وهذا الطراز من المدارس هو الذى انتشر فى
العصر المملوكى ، وجرت العادة أن يحدد الواقف مكان لكل درس ، مثال
ذلك ماجاء فى وثيقة وقف السلطان حسن « والايوان القبلى جعله فيه أيضا
لاقامة الخطبة : ولقراءة المصحف الكريم ولجلوس الشافعية مع مدرسههم ٠٠٠

(١) المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٢) المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٧٤ . وأنظر أيضا محمد محمد

أمين : السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ١٢٤٠ - ١٢٤٩ م (رسالة ماجستير
بجامعة القاهرة) ص ١٨٦ وما بعدها

وجعل الايوان البحرى أيضا لجلوس احنفية مع مدرسمهم ٠٠٠ وجعل الايوان الشرقى أيضا لجلوس المالكية مع مدرسمهم ٠٠٠ وجعل الايوان الغربى لجلوس الحنابلة مع مدرسمهم «^(١)» .

وتأكيدا لهذا التقسيم الوارد بوثيقة الوقف نجد أن الطواشى بشرح الجمدار الذى قام بالاعمال التكميلية فى المدرسة بعد وفاة السلطان حسن كتب على جدار كل ايوان ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر حسن ابن مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك فى شهر سنة أربع وستين وسبعمائة » مع ذكر اسم المذهب المخصصة له المدرسة «^(٢)» .

أما المدرسون على اختلاف تخصصاتهم فقد اشترط كثير من الواقفين صفات خاصة يجب أن تتوافر فى المدرس ، ومن أمثلة هذه الصفات ما تشترطه وثيقة وقف جمال الدين الاستادار فى مدرس الشافعية ، ففى رأى الواقف يجب أن يكون « من أهل العلم والصلاح ، شافعى المذهب ، عالما بمذهب الامام الشافعى رضى الله عنه^(٣) » . له قدم عال فى شروط طريق السادة الصوفية^(٤) ، حسن الهيئة ، سنى الاعتقاد ، حافظا لنقول الفقهاء ، وأقاويل العلماء ، واختلاف المذاهب ونصوص الامام الشافعى ، ومن بعده من الصحابة ، عارفا بكل كتب السادة الشافعية ، ويتبين مسائلها ، وايضاح مشكلها بالاحكام بدالاتها الشرعية ، والفقهية . تسهيل عسيرها ، أهلا للتدريس والفتوى^(٥) .

(١) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف ص ٤٣٥ . ٤٣٦ . ويوجد مثل هذا التقسيم فى كثير من مدارس العصر المملوكى انظر أيضا وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفظة ١٧ بالحكمة .

(٢) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الاثرية ج ١ ص ١٦٩

(٣) اختلف هذا الشرط تبعا لاختلاف المذهب المطلوب التدريس له ان كان مالكية او حنفيا او حنبليا ، مع بقاء الشروط العامة والغير متعلقة بالمذهب - وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفظة ١٧ بالحكمة .

(٤) اشترط الواقف هذا الشرط بالنسبة للمدرس الشافعى لانه جعله شيخا للصوفية بمدرسته (الوثيقة السابقة) ، فى حين أننا نجد أن المؤيد شيخ اشترط نفس الشرط بالنسبة للمدرس الحنفى الذى جعله شيخا للصوفية بجامعة - وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف .

(٥) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفظة ١٧ بالحكمة

وفى وثيقة أخرى اشترطت فى مدرس الحنفية أن تكون « فيه أهلية الاشتغال بمذهبه : ويكون أفقه الحنفية بالديار المصرية ، على أن يكون مدرسا بالمدرسة المذكورة » (١) .

ومن دراسة هذه النصوص يتضح لنا كيف أن الواقع اشترط شروطا فى المدرس ، أصبحت على مر السنين ، مع الحرص على تنفيذ شرط الواقع تقليدا معمولاً به ، حتى ولو لم ينص على ذلك ، كما يتضح لنا أن المدرس فى مصطلح ذلك العصر ، هو أستاذ المادة ، فالوثيقة تنص على أن المدرس يكون « أفقه الحنفية بالديار المصرية » اذ المعروف أن مكانة المدرسة ارتبطت عندئذ بمكانة المدرس القائم بالتدريس فيها . فسمعة المدرس هى التى تضى على المدرسة السمعة الحسنة ، وسمعة المدرس هى التى تجذب اليه الطلبة من مختلف الانحاء ، ولذلك حرص الواقفون على أن يكون المدرس على درجة عالية من الثقافة والتخصص فى مادته (٢) .

ولا يمكن أن نغفل ما جاء بالنص الاول من أن المدرس يجب أن يكون « حسن الهيئة » . لما لهيئة المدرس من تأثير كبير على شخصيته فى نظر طلبته ، وهو ما تعنى به التنظيمات الحديثة . فتتص على اجراء كشف هيئة للمتقدمين لبعض الوظائف ، والتى يجب أن يكون منها وظائف التدريس .

لم يكتف الواقفون بتحديد شروط خاصة للمدرس ، فهناك من الواقفين من اشترط كتباً معينة للدراسة ، وهو بذلك يضع الحد الأدنى من التعليم الذى يجب أن يلقنه المدرس لطلابه ، فنمت احدى الوثائق على أن يكون المدرس « قادرا على القاء الدروس على الطلبة من الكشاف

(١) وثيقة وقف الأمير صرفتمش رقم ٣١٩٥ اوقاف ص ٢٦ نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٢٧

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٤٦٤ ، السبكي : معيد النعم ص ١٠٥ ، القاسمى (أبو الحسن علي بن محمد بن خلف) الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين دراسة ونشر د. الاهوانى (أحمد فؤاد) ص ٢٩٤ وما بعدها . ابن سحنون : آداب المعلمين ، نشر د. الاهوانى ص ٣٥٩ ، د. عبد اللطيف ابراهيم : نصان جديدان من وثيقة الأمير صرفتمش تحقيق رقم ٤٩ ص ٥٥

للمختبري (١) ومن المفتاح للسكاكي (٢) : ومن الهداية في فقه مذهب الامام
أبي حنيفة (٣) ، ومن البردوني في أصول الفقه (٤) .

كذلك اشترطت وثائق وقف السلطان حسن (٥) على مدرس الحديث
أن يقوم بالتدريس من كتب الحديث المعتمدة ومن كتب الرقائق (٦) .

ونجد ايضا ان السلطان المؤيد شيخ ينص في وثيقة وقفه على ترتيب
اثنين من مدرسي الحديث على أن يختص احدهما بتدريس كتاب «الطحاوي» (٧)
ورتب عنده عشرة من الطلاب . بالاضافة الى مدرس الحديث الاخر
وخلبته (٨) .

ولما كان وقت المدرس لا يتسع لاعادة شرح بعض الدروس لمن يحتاج
الى ذلك من الطلبة ، فقد حرص الواقفون على ترتيب معيد أو أكثر بالمدرسة.
وظيفة المعيد في العصر المملوكي تشبه الى حد كبير وظيفة المعيد في
الكليات الجامعية في العصر الحديث ، فلم يكن المعيد سوى طالب علم متقدم ،
أو مساعد مدرس ، فكان عليه أن يساعد المدرس انذى يتبعه في المذهب ومادة
التخصص في أعماله ، ويحضر الدروس التي يكلفه بها المدرس ليقراها
أثناء الدرس « لكل معيد يقرأ درسا واحدا من كتاب يعينه له المدرس ...
والطلبة يسمعون ذلك » (٩) ، كما كان على المعيد أن يجلس مع الطلبة قبل الدرس
أو بعده ، لمساعدتهم على استيعاب دروسهم « وكل واحد من المعيدين

(١) كتاب في تفسير القرآن الكريم .

(٢) كتاب في البلاغة .

(٣) كتاب في الفقه الحنفي للمرخنياني .

(٤) رثيقة وقف السلطان برسياني رقم ٨٨٠ أوقاف ص ١٧١

(٥) وثائق وقف السلطان حسن رقم ٤٢ محفوظة ٦ بالمحكمة ، ٨٨١ أوقاف ص ٤٤٤

(٦) رقائق الحديث النبوي باب خاص من أبواب الحديث النبوي ، وسميت كذلك
لان فيها من الوصف والرحمة والتنبيه ما يجعل القلب رقيقا - السلوك ج ١ ق ٢
ص ٥٥٧ حاشية ١

(٧) هو أبو جعفر الطحاوي أحمد بن محمد الازدي العجري المصري شيخ الحنيفة
صنف التمسانيات وبرع في الفقه والحديث توفي في ذي القعدة سنة ٣٢١ هـ - أنظر
الذهبي : المعبر وقف المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف .

(٨) وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف .

(٩) وثيقة وقف الأمير صرغتمش ٣١٩٥ أوقاف ص ٢٧ نشر ودراسة د. عبد اللطيف

ابراهيم ص ٢٧

المذكورين يحضر قبل المدرس أو يتأخر بعده . ويشغل من يحضر اليه من الطلبة المذكورين في العلوم الشرعية خاصة وبينهم لهم ما يشكل عليهم فيما يشتغلون فيه عليه من العلوم الشرعية خاصة من حل مشكل . وكشف غامض . وما عبر عليهم فهمه . ويحثهم على الاشتغال . ويسلك معهم مسلك الاساءه والتعليم « (١) فيشرح لمن احتاج الشرح . ولا يمنع فقيها او مستفيدا ما يطلب من زيادة وتكرار وتفهم معنى . ولا يقدم أحدا من الطلبة في غير نوبته الا لمصلحة ظاهرة (٢) » .

ومن المجالات التي يظهر فيها اثر الاوقاف بوضوح الشروط التي يضعها الواقفون . والخاصة بعملية التعلم أو ما يمكن أن سمي طرق التدريس . ومن أوضح الامثلة على ذلك ما تذكره احدى الوثائق خاصا بدرس التفسير « فيفسر الشيخ المذكور فيه ما تيسر له تفسيره من آيات القرآن الكريم . وان أتى بالتفسير مرتبا من أول القرآن العظيم الى آخره فهو أحسن . ويأتى بذلك على مقدار ما يبلغه طاقته من الايام والشهور والاعوام الى آخر الختم . يتداول فعل ذلك . ويفيد طلبته ما يجهلون من الافادة . ويرشدهم الى ما يحتاجون الى ارشاده . ويبحث معهم فيما يعرض لاحد منهم من المباحث ويفهمهم ما أشكل عليهم . وبين لهم ما خفى عليهم . ويحثهم على الاشتغال ويرشدهم الى أحسن الاحوال . ويفعل في ذلك ما جرت به عادة المدرسين » (٣) .

وتوضح لنا وثيقة أخرى الطريقة التي يتم به تدريس الفقه في إحدى المدارس « على أن المدرس المذكور يجلس بالايوان القبلى المذكور والمعيدون والطلبة حوله ويقرءون ما تيسر لهم قراءته من القرآن العظيم من ربعة شريفة يطاف عليهم بأجزائها ويدعون عقيب ذلك للواقف المذكور ولذريته ولجميع المسلمين : ثم يقرأ المعيدون المذكورون على المدرس المذكور ثلاث دروس من الفقه على مذهب الامام أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه ، فكل

(١) الوثيقة السابقة ص ٢٧

(٢) النويرى : نهاية الارب ج ٣٠ ورقة ١٥ . وانظر ايضا وثيقتى وقف السلطان حسام الدين لاجين ١٧ ، ١٨ معظلة ٣ بدار الوثائق مجموعة المحكمة .

(٣) وثيقة وقف الامير جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ معظلة ١٧ بالمحكمة .

معيد يقرأ درسا واحدا من كتاب يعينه له المدرس المذكور في الفقه على مذهب الامام ابي حنيفة رضى الله تعالى عنه . يقرأ المعيدون المذكورون مما يعينه لهم المدرس المذكور واحدا بعد واحد والطلبة يسمعون ذلك ويبحث من فيه اهلية البحث من الطلبة المذكورين . ويبين المدرس المذكور للطلبة المذكورين ما يشكل عليهم من ذلك من كشف غامض أو حل مشكل « (١) » .

ولما كانت الموارد المالية للمدرسة محدودة بربع الوقف . فقد حدد الواقفون أعداد الطلبة الذين يتلقون العلم في المدرسة . كما حددوا كذلك طلبة كل مذهب من المذاهب الاربعة . وطلبة التفسير ، وطلبة الحديث . فقد كانت هذه هي الدراسات الست الشائعة في غالبية مدارس العصر المملوكي ولا اعتقد أن تحديد الواقف لعدد الطلبة له علاقة بالعملية التعليمية من حيث كفاءة المدرس بالنسبة لعدد الطلبة . إذ أن هذه العلوم الدينية علوم نظرية ، وطريقة تدريسها تعتمد كما رأينا من النصوص السابقة على طريقة الالتقاء والتلقين والحفظ . وعلى كل فلم يزد عدد طلبة المذهب الواحد عن « ستين نفسا » في مدرسة الامير صرغتمش التي لم يدرس بها سوى المذهب الحنفي لستين طالبا . ودراسة الحديث الشريف لخمسة عشر طالبا (٢) ، أما مدرسة السلطان حسن والتي تعد أكبر مدرسة أنشئت في العصر المملوكي والتي قيل « ان متحصل وقفها في كل سنة ينيف عن متحصل مملكة ضخمة » (٣) ، فكان عدد الطلبة الذين قررههم الواقف لكل مذهب مائة طالب نصفهم من المجتدين ، والنصف الثاني من المنتهين ، أى ما يمكن أن نطلق عليه فرقتين دراسيتين لكل مذهب : وأقصى عدد تضمنه الفرقة الواحدة خمسين طالبا ، يقيم نصفهم في المدرسة ، والنصف الاخر يتردد عليها ، وهناك من المدارس ما قل بها العدد من ذلك بكثير ، كما أن غالبية المدارس لم يتساو بها عدد الطلبة

(١) وثيقة وقف الامير صرغتمش ٢١٩٥ أوقاف ص ٢٦ ، ٢٧ نشر ودراسة

د . عبد اللطيف ابراهيم ص ٢٧

(٢) الوثيقة السابقة ص ٢٦ . ٢٩ نشر ودراسة د . عبد اللطيف ابراهيم

ص ٢٧ . ٢٩

(٣) ابن شاهين : زبدة كشف المالك ص ٢١

المخصصين لكل مذهب ، فكان الواقف في الغالب يزيد في عدد طلبية المذهب الذي يتبعه هو ، طبقا لميوله الشخصية ، ويقلل من عدد طلبية المذاهب الاخرى . وهذه التفرقة بين طلبية المذاهب لم تقتصر على الاعداد بل تعدت ذلك الى المرتب أو المعلوم الذي كان الطالب يتقاضاه أيضا . مثال ذلك ما رتبته السلطان المؤيد شيخ في وثيقة وقفه ، فقد رتب خمسين طالبا لدراسة المذهب الحنفى ، وأربعين طالبا لدراسة المذهب الشافعى ، وخمسة عشر طالبا للمذهب المالكي وعشرة طلاب لدراسة المذهب الحنبلى ، وعشرين طالبا لكل من درسى التفسير والحديث ، وعشرة طلاب لدرس القراءات (١) ، ومثال ذلك أيضا ما رتبته السلطان برسباى في وثيقة وقفه فقد رتب خمسة وعشرين طالبا للمذهب الحنفى ، وعشرين طالبا للمذهب الشافعى ، وعشرة طلاب لكل من المذهب المالكي والمذهب الحنبلى (٢) .

وبالنسبة لاختلاف معلوم الطلبة فإوضح مثال لذلك ما قرره السلطان برسباى : فقد خص الطلبة الحنفية بمبلغ سبعة آلاف درهم وخمسمائة درهم ، أى لكل طالب ثلاثمائة درهم فلوسا كل في شهر ، وهو ما يعادل ستين درهم فضة وزنا (٣) : أما باقى الطلبة من المذاهب الاخرى فقد خصص لهم أربعمائة درهم فضة وزنا ، أى لكل طالب منهم عشرة دراهم فضة وزنا (٤) . وبذلك يتقاضى الطالب الحنفى المذهب ما يتقاضاه ست طلبية من المذاهب الاخرى .

ومن الطبيعى أن يكون لهذه الشروط الخاصة بأعداد الطلبة ، وبالمعلوم؛ أثرها في اجتذاب الطلبة نحو دراسة مذهب معين دون آخر ، ويؤكد هذا القول ما ذكره المقرئى من أن الأمير يلبنغا الخاصكى جدد درسا بجامع

(١) وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف .

(٢) وثيقة وقف السلطان برسباى رقم ٨٨٠ أوقاف ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٣) يذكر المقرئى أن بعد وفاة الظاهر بقوق أصبحت « الفضة كل زنة درهم من المضروب منها بخمسة دراهم من الفلوس » اهانة الامة ص ٧٢ ، ثم عاد يؤكد ذلك ثانية بقوله « وبلغت دراهم المعاملة كل زنة درهم منها خمسة دراهم فلوسا » - نفس المرجع ص ٧٢ .

(٤) وثيقة وقف السلطان برسباى ٨٨٠ أوقاف ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

أحمد بن حنبلون رتب فيه سبعة مدرسين للحنفية : وقرر لكل فقيه من الطلبة في الشهر أربعين درهما وأردب قمح : ولما كان هذا القدر يرتفع نسبيا عما هو مقرر للمذاهب الاخرى « فانتقل جماعة من الشافعية الى مذهب الحنفية »^(١) .

أما مواعيد الدراسة فقد حددتها وثائق الوقف بدقة تامة ، حتى أصبحت تقليدا معمولاً به : فكان اليوم الدراسي ممتدا من طلوع الشمس الى آذان العصر ، وكان على المدرس أن يختار الوقت المناسب حسب امكانيات المكان ، وحسب ظروفه ، خلال اليوم الدراسي ، على أن تقتصر فترة الدراسة الفعلية على ما يقرب من ثلاث ساعات ، فنصت احدى الوثائق : على أن « الشيخ المذكور يجلس وطلبته المذكورين ٠٠٠ من وقت صلاة الظهر الى آذان العصر ، أو مقدار ذلك مما بين طلوع الشمس الى آذان العصر ٠٠٠٠٠ بحيث لا يزاحمهم الصوفية وقت حضور وظيفة التصوف ٠٠ »^(٢) .

أما أيام الدراسة فكانت تتراوح بين ثلاثة أيام وخمسة من كل أسبوع حسب شرط الواقف ، فقد حدد جوهر اللالا أيام الدراسة في ثلاثة أيام من كل أسبوع هي السبت والاحد والاربعاء « كما نصت احدى الوثائق على أنها أربعة أيام ، وهي السبت والاحد والثلاثاء والاربعاء من كل أسبوع »^(٣) ، ونصت وثيقة أخرى على أن أيام الدراسة « كل يوم من أيام الاسبوع خلا يوم

(٢) المقرري : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٦٨

(١) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ - محفظة ١٧ - انظر أيضا وثيقة وقف الامير صرغتمش ٣١٩٥ أوقاف التي حددت مواعيد درس الحديث بين صلاة الظهر وصلاة العصر - ص ٢٩ - نشر ودراسة د- عبد اللطيف ابراهيم ص ٢٩ ، وأنظر أيضا وثيقة وقف برقوق ٩/٥١ مجموعة المحكمة التي حددت ساعات الدراسة ثلاث ساعات ونصف .

(٢) وثيقة وقف جوهر اللالا ٨٦ محفظة ١٤ مجموعة - المحكمة بدار الوثائق .

(٣) وثيقة وقف الامير صرغتمش السابقة ص ٢٧ ، في الدراسة ص ٢٨

الجمعة ويوم الثلاثاء من كل أسبوع. وخلال أيام الأعياد : وأيام التشريق» (١) .
وأيام شهر رمضان وغير ذلك من أيام البطالة على العادة الجارية (٢) .

أما الاجازات السنوية فكانت « شهر رجب وشهر شعبان و شهر رمضان والعشرين من شوال من كل سنة فانهم ييطلون حضور الدرس في هذه المدة ثم يشروعون في حضور الدرس ويحضرون في الحادى والعشرين من شوال الى سلخ ذى القعدة وييطلون الدرس من مستهل ذى الحجة الى آخر الخامس عشر منه ثم يحضرون للدرس في سادس عشر ذى الحجة وييطلون يوم تاسوعا ويوم عاشورا (٣) من كل سنة يجرى ذلك كذلك في كل سنة (٤) :
أما وثيقة وقف السلطان حسن فقد زادت خمسة أيام أخرى على ما جاء بالنص السابق من وثيقة وقف الامير صرغتمش ، فجعلت الاجازة في شهر ذى الحجة عشرين يوما بدلا من خمسة عشر يوما (٥) : في حين أن وثيقة وقف السلطان

المخلص وذلك الخليفة هو فرعه المولى سابع الدين

والمدون والطلب والمصدر ان المطامع الحارى بالامان

من رجب وشعبان وشهر ربيع اول وشهر ربيع ثان

وهما من ذى الحجة الى على من صدر من ايام البطائف

(من وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف من ٤٧٧ - الاجازات السنوية للطلبة)

(١) أيام التشريق هي الايام التي تقام فيها صلاة العيد لانها تكون عقب الشروق ، كما تطلق أيضا على الثلاثة أيام التالية لأول يوم في عيد الاضحي - المنجد : قاموس في اللغة والأدب والعلوم ص ٣٨٤

(٢) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفظة ١٧ بالمحكمة ، وانظر أيضا وثيقة وقف زين الدين صدقة رقم ٥٩ محفظة ١٠ مجموعة المحكمة ، ووثيقة وقف بركات رقم ٥١ محفظة ٩ مجموعة المحكمة .

(٣) يوم التاسع والعاشر من شهر المحرم .

(٤) وثيقة وقف الامير صرغتمش رقم ٣١٩٥ أوقاف من ٢٧ . نشر ودراسة : د . عبد اللطيف ابراهيم ص ٢٧

(٥) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف من ٤٧٧

برقوق قصرت الاجازات على شهرى شعبين ورمضان وعشرة أيام من شوال وعشرة أيام من ذى الحجة (١) .

ونلاحظ من هذا ان الاجازات السنوية تتفق والمناسبات الدينية التي تقام فيها شعائر دينية معينة سواء كانت فرض أم سنة ، كما نلاحظ أيضا أن غالبية وثائق الوقف قد نصت على السماح لأرباب الوظائف والطلبة بتأدية فريضة الحج على أن يحصلوا على مرتباتهم إذا كان الحج لتأدية الفريضة . أما إذا كان أحج تطوعا فيلزم الموظف بأن يستنيب عنه : أو يقطع معلومه حتى عودته (٢) : مثال ذلك ما نصت عليه وثيقة وقف الأمير صرغتمش « ومن قصد من أرباب الوظائف بالمدرسة المذكورة السفر الى الحجاز الشريف فان كان سفره لاداء حجة الاسلام فيمكن من ذلك ويجرى عليه معلومه الى حين عوده فيستقر في وظيفته على عادته وان كان حجه تطوع فيمكن من ذلك ويقطع معلومه ولا يصرف اليه شيء منه فاذا حضر استقر في وظيفته وأجرى عليه معلومه على عادته يجرى ذلك كذلك » (٣) كما جاء في وثيقة وقف السلطان حسن « وأن يمكن من قصد من أرباب الوظائف المذكورين بأعاليه التوجه الى سفر الحج من السفر المذكور وان كان من شهر رجب فان كان الحج لفرض فلا يكلف الاستئابة ويصرف اليه المعلوم المقرر له وان كان لحج التطوع فيستنيب عنه من يقوم بوظيفته (٤) » .

(١) وثيقة وقف برقوق رقم ٩/٥١ مجموعة المحكة .

(٢) انظر ما سبق بالفصل الرابع ص ٢١٧ ، ص ٢١٨

(٣) وثيقة وقف الأمير صرغتمش ٣١٩٥ أوقاف ص ٢٨ نشر ودراسة د. عبد اللطيف

ابراهيم ص ٢٨

(٤) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف ص ٤٧٧ ، وانظر أيضا وثائق كل من : جمال الدين الامتداد ١٧/١٠٦ محكة ، برقوق ٩/٥١ محكة ، جواهر اللالا ١٤/٨٦ محكة ، السيفي قلسطاي ١١/٦٨ محكة ، وزين الدين صدقة ١/٥٩ محكة .

وياسى ذلك كله طوى على من صدر من إرادة الطالب
 المدعى على حاله بالحق والعدل إلى حد ما
 كان من سهر رحت فان كان الحق لا يظلم إلا
 وصرف السالم له المهر له وإن كان الحق الطبع عند
 عنه من مقرر وطعمه وصرف له ماله المهر له وإن كان

(من وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف - ص ٤٧٧ - شرط السفر لتأدية
 فريضة الحج)

وحرص الواقفون على جدية الدراسة بالمدارس فنجد أن السلطان حسن
 يشترط في وثيقة وقفه تعيين طالب من كل مجموعة دراسية ليكون نقيبا لهذه
 المجموعة يتولى ضبط حضور مجموعته وغيابها ، وفي مقابل ذلك رتب له زيادة
 في معلومه عشرين درهما ، « وشرط الواقف أن بعض ما يتحصل من متوفر
 غيبة الطلبة المذكورين بأعاليه (يفرق) (١) على المترددين الى الدروس يقسم
 بين المبتدئين والمتفهمين على حكم المعلوم المعين لكل من المذكورين بأعاليه » (٢) .

سرحه اعلاه في الواجب من ان يحصل من

٢٧٧

عنه الطلبة المذكورين بأعاليه على المترددين الى الدروس
 يسمون المسددين والمسهين على حاله المعلوم والمترددين
 المذكورين بأعاليه فان لم يوجد به دأا احصاف المتوفر المذكور الى

(من وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف ص ٤٧٦ . ٤٧٧ - متوفر غيبة
 الطلبة يفرق على الطلبة المترددين)

(١) زيادة عن الاصل تتفق وسياق المعنى خاصة وأن الطلبة المترددين كان معلومهم
 اقل من الطلبة المقيمين .

(٢) وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف ص ٤٧٦ . ٤٧٧

كما نصت احدى الوثائق على أن « يرتب من جماعة كل دروس الفقه الأربعة ودرس الحديث المذكور والتفسير وقراءة السبع رجالا يقظا أميناً يضبط حال جماعة درسه وغية من تغيب منهم بالدرس وليقطع من معلومه من الفلوس مع الخبز الذى يأتى ذكره كل ذلك فى أيام الاشتغال على العادة ، ويزاد كل نصيب من بهذه الوظيفة ذلك عدا ما له من معلوم التصوف فى كل شهر عشرة دراهم فلوسا جددًا أو يسمح لكل واحد منهم فى غيبة ثلاثة أيام من كل شهر » (١) : الا أن الامير صرغتمش كان أكثر حزمًا فشرط أن « من انقطع منهم ثلاثة أيام من كل أسبوع بغير عذر قطع ونزل مكانه » (٢) .

ولما كان الطلبة فى ذلك العصر يأتون الى المدارس من جميع الأنحاء ، فقد وفرت لهم الاوقاف المساكن التى يبيتون بها حتى تهى لهم سبل الراحة ، وتساعدهم على الانقطاع للعبادة وطلب العلم : فكان من سمات المدرسة فى العصر المملوكى انشاء بيوت خاصة للطلبة ملحقة بالمدرسة ، واعتقد أن هذا الوضع بالذات : هو الذى جعل بعض الواقفين يخلطون بين المدرسة والخانقاه : فاعتبروا بيوت الطلبة خانقاه أى بيت للصوفية ، واعتبروا الطلبة أنفسهم صوفية يقومون بوظيفة التصوف مع طلب العلم بنفس المدرسة ، واشتهرت عدة مدارس فى العصر المملوكى بجودة مساكنها ، وتنافس الطلاب على سكنها ، مثال ذلك المدرسة الظاهرية التى أنشأها الظاهر بيبرس بالقاهرة سنة ٥٩٦٢/١٢٦٣م ، وكان « للناس فى سكنها رغبة عظيمة ويتنافسون فيها تنافسًا يرتفعون فيه الى الحكام » (٣) ، وكذلك المدرسة صاحبية البهائية التى أسسها الوزير صاحب بهاء الدين على بن حنا سنة ٦٥٤/١٢٥٥م ، فكان « يتنافس الناس من طلبة العلم فى النزول بها ، ويتشاحنون فى سكنى بيوتها حتى يصير البيت الواحد من بيوتها يسكن فيه الاثنان من طلبة العلم والثلاثة » (٤) .

(١) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفوظة ١٧ بالمحكمة .

(٢) وثيقة وقف الامير صرغتمش رقم ٣١٩٥ أوقاف ص ٢٨ ، نشر ودراسة

د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٢٨

(٣) المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٧٩

(٤) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٧١

وقد اشترط الأمير صرغتمش « أن الطلبة المذكورين يبيتون بالمدرسة المذكورة ، ويفسخ لسته أنفس منهم (يعينهم المدرس المذكور) في المبيت خارج المدرسة المذكورة ، ومتى شغرت وظيفه أحد من الستة المذكورين يرتب الناظر عوضه في الوظيفة المذكورة ؛ ويشترط عليه المبيت بالمدرسة المذكورة » (١) .

وجاء في وثيقة وقف عمائر السلطان قلاوون عن بيوت المدرسة المنصورية « البيوت العلوية المرسومة لسكنى الفقهاء أيضاً وعدتها سبعة وعشرون بيتاً ؛ وبكل دور من أدوار بيوت الفقهاء ثلاثة مراحيض » (٢) .

أما السلطان حسن فقد جعل نصف الطلبة سواء من المبتدئين أو من المنتهين يقيمون بالمدرسة والنصف الآخر يتردد عليها (٣) .

وأعتقد أن اقامة الطلبة بالمدارس هي التي دعت ابن ظهيرة — أحد علماء القرن التاسع للهجرة — الى القول عن مصر والقاهرة « وغالب مدارسها والله الحمد معمورة بعبادة الله تعالى من اقامة الصلوات والاذكار وقراءة القرآن والحديث والاستئصال بالعلوم الشرعية وغيرها أثناء الليل وأطراف النهار » (٤) .

(١) وثيقة وقف الأمير صرغتمش ٢١٩٥ أوقاف من ٢٨ . نشر د- عبد اللطيف ابراهيم من ٢٨
 (٢) وثيقة وقف عمائر السلطان قلاوون رقم ٦ ج ٧ أوقاف .
 (٣) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف من ٤٣٦
 (٤) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة (تحقيق مصطفى السقا وكمال المهندس - القاهرة ١٩٦٩) من ١٩٠

الأوقاف ومكتبات المدارس :

حرص الواقفون في العصر المملوكي على أن يلحقوا بكل مدرسة « خزانة كتب » (١) ؛ يرجع اليها المدرسون والطلاب ؛ ولاسيما الفقراء منهم . مثال ذلك ما نصت عليه وثيقة وقف السلطان النوري « وبها خلوة كبرى معدة لخزن الكتب بها جنبات خشب نقى يمتدة وبسرة وصدرها مثبتة معدة لحفظ ما فيها من كتب العلم الشريف الموقوفة على طلبة العلم الشريف لانتفاعهم بها في المدرسة المذكورة » (٢) ؛ ومن ذلك أيضا ما نصت عليه وثيقة وقف الابشادي أن الواقف وقف كتبه « على الفقراء والمساكين بالجامع الازهر الذين لا يملكون من الكتب الا اليسير جدا ينتفعون بذلك الانتفاع الشرعي » (٣) .

وأشرف على خزانة الكتب من أطلق عليه في ذلك العصر اسم « خازن الكتب » (٤) ؛ أو « شاهد خزانة الكتب » أو « خازن الكتب والربعات الشريفة » (٥) ؛ وكان يشترط فيه أن يكون « ثقة خيرا أميناً يقطعا ذكيا فطنا عاقلا

(١) لم يقتصر وجود المكتبات في العصر المملوكي على المدارس . بل وجدت في المساجد والجوامع والغنائق والزوايا . وفي المدافن أيضا ، مثال ذلك خزانة الكتب التي اقامها المؤرخ ابن تغري بردي في مدفنه ورتب لها خازنا أميناً وجعل له سكتا خاصا به - انظر د . عبد اللطيف ابراهيم : المكتبة المملوكية ص ١١ ، ٢٩ ، وثيقة وقف ابن تغري بردي رقم ١٤٧ محفوظة ٢٣ بالمحكمة ، ووثيقة وقف الملاي مغلطاي الجمال رقم ١٦٦٦ أوقاف .

(٢) وثيقة وقف السلطان النوري ٨٨٣ أوقاف سطر ١٣٢ ، ١٣٣ ، دراسة د . عبد اللطيف ابراهيم - انظر أيضا وثائق وقف كل من السلطان برمباي رقم ٨٨٠ أوقاف ص ١٩١ ، حسام الدين لاجين رقم ١٧ ، ١٨ محفوظة ٣ بالمحكمة ، السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف ص ٤٣٧ ، ٤٥١ ، وغيرها من وثائق الوقف .

(٣) وثيقة وقف علي بن سليمان الابشادي رقم ٢٧٨ محفوظة ٤٣ بالمحكمة سطر ٨٧ ، ٨٨ ، نشر د . عبد اللطيف ابراهيم - انظر مكتبة في وثيقة ص ٥١ ، ٥٢ .
(٤) كان القاضي العارث بن مسكين الذي تولى قضاء مصر في الفترة من ٢٣٧هـ / ٣٤٥هـ أول القضاة الذين عينوا أميناً على المصاحف بالمساجد - الكندي : الولاة والقضاة ص ٤٦٩

(٥) وثيقة وقف السلطان فرج بن برقوق رقم ٦٦ محفوظة ١١ بالمحكمة ، وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفوظة ١٧ بالمحكمة . النويري : نهاية الارب ج ٣٠ ورقة ١٦

مأمونا ، بالغاً في الامانة ، والتفنه . ونزاهة النفس . وقلة الطمع ، قادرا على القيام بخدمة الكتب عارفا بترتيبها » (١) .

وحرص الواقفون على أن يتولى هذه الوظيفة أحد العلماء أو الادباء ليكون عوناً للطلبة والباحثين في ارشادهم الى ما يحتاجون اليه من مراجع (٢) . ومن أمثلة ذلك ما نص عليه السلطان المؤيد شيخ في وثيقة وقفه من أن يتولى هذه الوظيفة مع وظيفة الخطابة أبو عبد الله محمد بن البارزى (٣) : ومن بعده لمن يصلح من ذريته (٤) .

وقد حددت وثائق الوقف مهمة أمين المكتبة في العصر المملوكي بالتفصيل وتبدأ هذه المهمة بأن يقوم الناظر بتسليم الكتب الى أمين المكتبة « ويشهد عليه بتسلمها » (٥) ، فجاء في وثيقة وقف السلطان الغورى « ويسلمه جميع ما فيها من الكتب من تفسير وحديث وفقه ولغة ومعان وبيان وبديع وأصول فقه وأصول دين ومنطق وغير ذلك من نحو وصرف وغيرها » (٦) : ثم يتولى خازن الكتب بعد ذلك حسب ما جاء بوثائق الوقف « احراز الكتب

(١) وثائق وقف كل من المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف . السلطان قايتباي ٨٨٦ أوقاف . ص ١٢٩ . ١٣٠ . قاني باي الرماح ١٠١٩ أوقاف ، صرغتمش ٣١٩٥ أوقاف ص ٣٣ . ٣٤ ، دراسة د . عبد اللطيف ابراهيم ص ٣٢ . جمال الدين الاستادار ١٠٦ محفظة ١٧ بالمعركة ، د . عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية تحقيق رقم ٦٢٨ . (٢) د . سيد عاشور : المجتمع المصرى ص ١٤٦ ، د . عبد اللطيف ابراهيم : المكتبة المملوكية ص ٢٩

(٣) هو القاضي ناصر الدين أبو المعالي محمد ابن القاضي كمال الدين محمد ابن عز الدين بن عثمان بن كمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن هبة الله الجهنى المسمى الشافعى المعروف بابن البارزى ، كاتب السر الشريف ، وعظيم الدولة المؤيدية ، راعى في الفقه والعربية والادب والانشاء ، تولى قضاء حماه ، ثم ولى كتابة سرها ثم صعب الملك المؤيد في أيام نيابته دمشق ، ولزم خدمته ثم قدم معه الى مصر ، ثم تولى كتابة سر الديار المصرية ، وصار ابن البارزى صاحب الحل والمقد فى المملكة ، توفى فى ٨ شوال ٨٢٣ هـ ابن تفرى بردى : النجوم ج ١٤ ص ١٦١ ، ١٦٢ ، السقاوى : الضوء اللامع ج ٩ ص ١٣٧ - ١٣٩ ترجمة رقم ٣٥٠ ، ابن حجر : أنباء الفرس ج ٣ ص ٢٣٣

(٤) وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف .

(٥) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفظة ١٧ بالمعركة .

(٦) وثيقة وقف السلطان الغورى ٨٨٣ أوقاف سطر ١٤٤٥ وما بعده

دراسة د . عبد اللطيف ابراهيم .

المذكورة بالخزانة المذكورة ونفصها من الغبار وتمهدها على العادة» (١) ،
أو كما جاء في وثيقة وقف السلطان فرج « حفظها ونفصها ، ويتنقد أحوالها
بالاصلاح ووضعها بمواضعها بالخزانة المرصدة لها » (٢) .

أما نظام الاطلاع والاستعارة ، فقد حددته الواقفون بدقة تامة ،
محافظه على الكتب من الضياع ، فمن الواقفين من حرم خروج الكتب نهائيا
خارج مؤسسته ، بل حرم الاطلاع الداخلي على من يعرف عنه التفريط ، فمنعت
وثيقة وقف الابشادي على أن « لا يخرج من ذلك شيئا من الاشياء عن الجامع
الازهر برهن ولا بغيره ولا يعطى من ذلك شيئا لمن يعرف فيه التفريط » (٣)
ورغم ذلك شرط نفس الواقف ، زيادة في الحرص على الكتب ، وخوفا عليها من
الضياع ، أن يقوم الخازن بكتابة « أسماء من يطلب منه كراسا ويأخذ منه ،
ثم اذا أعاده مسح اسمه » (٤) ، كما نص على ذلك أيضا السلطان الغوري في
وثيقة وقفه « ومن طلب منه كتابا في علم من العلوم أو فن من الفنون يدفعه
إليه لينتفع به في المدرسة ولا يمكنه من الخروج من المدرسة ولو دفع إليه شيئا
يساوي أضعاف قيمته ، فاذا انتفع كل منهم بما طلبه في نسخ منه أو مطالعة
فيه أو مقابلة عليه بالمدرسة رده الخازن الى الخزانة » (٥) .

ومن الواقفين من سمح لطلبة العلم من أهل الخانقاه استعارة الكتب لمدة
شهر على الأكثر للانتفاع بها ، وسمح لهم أن يأخذوها معهم الى مساكنهم
بالخانقاه ، وبشرط أن يكونوا ثقة ، وألا يخرجوا الكتب الى خارج الخانقاه ،
فجاء في وثيقة وقف جمال الدين الاستاد دار « ومن حضر اليه من طلبة العلم
الشريف من أهل الخانقاه المذكورة لاستعارة شيء من الكتب المذكورة يشترط

(١) وثيقة وقف أزيلك رقم ١٩٨ محفوظه ٣١ بالمحكمة .

(٢) وثيقة وقف فرج بن برقوق رقم ٦٦ محفوظه ١١ بالمحكمة ، انظر أيضا وثيقة
وقف السلطان الغوري ٨٨٣ أوقاف سطر ١٤٤٧، ١٤٤٨ ، دراسة د. عبد اللطيف ابراهيم .

(٣) وثيقة وقف الابشادي رقم ٢٧٨ محفوظه ٤٣ بالمحكمة سطر ٨٩ ، ٩٠ دراسة
ونشر د. عبد اللطيف ابراهيم .

(٤) وثيقة وقف الابشادي رقم ٢٧٨ محفوظه ٤٣ بالمحكمة سطر ٨٩ ، ٩٠ دراسة
ونشر د. عبد اللطيف ابراهيم .

(٥) وثيقة وقف الغوري ٨٨٣ أوقاف سطر ١٤٤٨ وما بعده دراسة د. عبد اللطيف

ابراهيم .

فيه سلم اليه ان كان ثقة وان كان ممن يخشى منه منعه الا أن يضمه نفر من أهل الخانقاه المذكورة ولا يعر شيئاً من الكتب المستعارة بيد المستعير أكثر من شهر واحد من حين استعارته بل يأخذه منه عند مضي الشهر ، ولا يمكن أحد من اخراج شيء من الكتب لخارج الخانقاه المذكورة ، وإذا كان المستعير من غير أهل الخانقاه المذكورة سلم اليه ما يريد استعارته يطالع فيه نهارة بالخانقاه المذكورة فيه ثم يبيتها عند الخازن ثم يستعيرها منه نهارة « (١) » .

كذلك جاء بوثيقة وقف السلطان فرج « على أن من حضر اليه يطلب شيئاً من ذلك فان كان أهلاً لمطالعة ذلك والاستغفال وكان من أهل المكان وممن يوثق به دفعه اليه وأخذ خطه منه فاذا أعاده اليه دفع اليه خطه ولا يمكنه من التأخير مدة بعيدة يخشا (كذا) منها حصول النسيان بل يتعاهده بالسؤال وأخذ ما أخذه منه فاذا طلب غيره أجابه لذلك وفعل كما فعل أولاً وان كان الطالب من خارج المكان لا يعطيه شيئاً من ذلك ولا يمكنه من اخراج شيء الى خارج المكان ويفعل الخازن في ذلك على ما يفعله أمثاله من الخزنة « (٢) » .

وزيادة في الحرص على الكتب الموقوفة نجد من الواقفين من ينص على ضرورة عزل « خازن الكتب » ، « ان بدا من الخازن المذكور تقصير أو خيانة في الكتب استبدل الناظر غيره « (٣) » .

أما مواعيد فتح المكتبة أو خزانة الكتب للاطلاع فكانت في الغالب في الاوقات المخصصة للدروس طبقاً لشرط الواقف ، من ذلك ما تشير اليه وثيقة وقف السلطان النورى : « ويفتح الخزانة في أيام الدروس يومين في الجمعة لطلبة العلم « (٤) » .

(١) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفوظة ١٧ بالمحكمة .

(٢) وثيقة وقف السلطان فرج بن بريقوق رقم ٦٦ محفوظة ١١ بالمحكمة .

(٣) وثيقة وقف الأمير مرغتمش ٣١٩٥ أوقاف ص ٣٤ ، نشر ودراسة عبد اللطيف إبراهيم .

(٤) وثيقة وقف السلطان النورى رقم ٨٨٣ أوقاف سطر ١٤٤٨ ، دراسة د. عبد اللطيف إبراهيم .

ومن هذه الدراسة يبدو لنا مدى ادراك الواقفين في ذلك العصر لاهمية المكتبات ولاسيما لطلبة العلم في وقت لم تعرف فيه الطباعة الحديثة ، وكانت الوسيلة الوحيدة للحصول على نسخة من كتاب هي اعادة نسخه بخط اليد ، مما جعل الكتاب نادر الوجود : واذا وجد فانه يكون باهظ الثمن ، ومن هذا تبدو أهمية الاوقاف في تيسير الحصول على الكتاب سواء للاطلاع ، أو النسخ ، أو المقابلة (١) : وهذا ما يفسر أيضا حرص الواقفين الشديد على هذه الكتب : لضمان دوام استمرار منفعتها ، فضلا عن أن ريع الاوقاف كان هو المصدر الرئيسي للمصرف على خزائن الكتب الملحقة بالمدارس وغيرها من المنشآت الدينية .

وبذلك تكون الاوقاف قد ساهمت مساهمة كاملة في خلق أجيال من العلماء في العصر المملوكي سواء عن طريق توفير المدارس والمدرسين أو عن طريق توفير الكتب والمراجع الاساسية .

الاقواق وزوايا العلم بالمساجد :

بدأت الحياة العلمية في مصر — بعد تحريرها من السيطرة البيزنطية — في مسجد عمرو بن العاص (٢)، ولم تلبث أن أصبت مساجد مصر الكبرى مثل جامع أحمد بن طولون (٣) ، والجامع الأزهر من أشهر مراكز الحركة العلمية ليس في مصر وحدها بل في أنحاء الدولة الإسلامية ، واذا كان الجامع الأزهر قد قلت أهميته في العصر الايوبي بسبب قطع الخطبة به ، فانه استعاد هذه الاهمية في أوائل العصر المملوكي في عهد الظاهر بيبرس (٤) ، ومما هو جدير بالملاحظة أنه بالرغم من انشاء المدارس بمصر منذ أواخر العصر الفاطمي ، وتوالى انشاؤها خلال العصرين الايوبي والمملوكي ، وتوالى ترتيب المدارس — ولاسيما

(١) الوثيقة السابقة .

(٢) د. سيده كاشف : مصر في مصر الزلافة ص ١٧٣ وما بعدها .

(٣) د. سيده كاشف : أحمد بن طولون ص ٢٣٢ وما بعدها .

(٤) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر (مخطوطة بمكتبة فائق كتيخانتي) ورقة

في العصر المملوكي — في كثير من المساجد الاخرى والخانقاوات ، فقد احتفظت مساجد عمرو وأحمد بن طولون والازهر بشهرتها العلمية .

وللاوقاف الفضل الاول في احتفاظ هذه المساجد الكبرى بشهرتها العلمية من ناحية ، وفي استمرار هذه المساجد كمركز للحركة العلمية ليس في مصر فقط بل في أنحاء العالم الاسلامي من ناحية أخرى ، فيرجع ذلك أساسا الى ترتيب الدروس بها من قبل السلاطين والامراء والوقف عليها ، ومن أمثلة هذه الدروس والوقف عليها ، الدروس التي رتبها السلطان حسام الدين لاجين بالمسجد الطولوني ، فبعد أن أعاد تعميره وتعمير أوقافه ، أوقف الكثير من أملاكه على عدة دروس بالجامع الطولوني ، فضلا عن الصرف على عدد من الطلبة مع كل مدرس (١) .

كذلك أدت الاوقاف الى استمرار زوايا العلم في هذه المساجد الكبيرة ، ومثال ذلك زوايا العلم التي وجدت في جامع عمرو بن العاص ، ومن أشهرها ثمانى زوايا كانت تدرس فيها شتى العلوم ، ومن أكبرها ثلاث هي زاوية الامام الشافعى ، التي يقال أن الامام الشافعى درس بها فعرفت به ، « وعليها أرض بناحية سندبيس ، وقفها السلطان الملك العزيز عثمان بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين » ولذلك ظلت هذه الزاوية حتى عهد المقرئى « يتولى تدريسها أعيان الفقهاء وجلة العلماء » (٢) . ثم الزاوية المجدية التي رتبها مجد الدين أبو الاشبال (ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م) وزير الاشرف موسى « وعمل على هذا الزاوية عدة أوقاف بمصر والقاهرة » ، فاستمر التدريس بها الى عهد المقرئى الذى قال عنها ' ويعد تدريسها من المناصب

(١) وثيقة وقف السلطان حسام الدين لاجين ١٧ ، ١٨ ، محفوظة ٣ بالمعكة .
المقرئى : المواقف والاعتبار ج ٢ ص ٢٦٨

(٢) المقرئى : المواقف والاعتبار ج ٢ ص ٥٥ ، رمزى : القاموس الجغرافى ج ٢ ص ٥٦

الجليلة» (١)، والزاوية الصابيه التي رتبها صاحب محمد بن فخر الدين ، ورتب لها مدرسين : أحدهما ملكي والآخر شافعي « ويجعل عليها وقفًا بظاهر القاهرة» (٢) .

وهكذا نرى أن الأوقاف قامت بدور كبير في استمرار زوايا العلم بجامع عمرو ، في أداء رسالتها التعليمية : ويؤكد هذا القول ما ذكره المقرئى نقلا عن شمس الدين بن الصائغ الحنفى (١) « أنه أدرك بجامع عمرو بن العاص بمصر قبل النوباء الكائن في سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، بضعا وأربعين حلقة لاقراء العلم لا تكاد تبرح مكانه » (٢) .

كذلك رتبت الدروس في العصر المملوكى في الجامع الأزهر ، هشال ذلك الدروس التي رتبها به الأمير الطواشى سعد الدين بشير الجامدار الناصرى في عهد السلطان حسن ، فقد رتب فيه درسا للفقهاء من الحنفية ، ووقف على ذلك أوقافا جليلة ، ويذكر المقرئى أن هذه الأوقاف ظلت باقية الى عصره (٣) ،

الأوقاف ومكاتب الايتام :

ارتبط التعليم بالمساجد في مصر منذ بداية العصر الاسلامى ، ولكن تعليم الاولاد أو الصبيان بالمساجد كان مكروها ، فقد سئل الامام مالك عن تعليم الصبيان في المسجد فقال : « لا أرى ذلك يجوز لانهم لا يتحفظون من النجاسة» (١) .

(١) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٥٦

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٥٦

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن على بن أبى الحسن: الزمردى الحنفى النحوى توفى سنة ٧٧٦ هـ - ابن حجر : انباء الفجر ج ١ ص ٩٥

(٤) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٥٦ ، ويذكر ابن حجر نقلا عن ابن الصائغ أيضا ، أنه شاهد بمصر بجامع عمرو أكثر من خمسين متصدرا يقرأ عليهم الناس . لعلوم ، ، وسواء أخذنا بما ذكره المقرئى أو بما ذكره ابن حجر . فإنه يدل دلالة قاطعة على كثرة دروس العلم فى جامع عمرو فى العصر المملوكى - انباء الفجر ج ١ ص ٩٥ ، ٩٦

(٥) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٧٦

(٦) القابسى : الرسالة المفصلة ص ٢٢٤

كما ورد في كتب الحسبة أنه « لايجوز تعليم الاطفال في المسجد لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتزنيه المساجد من الصبيان والمجانين لانهم يسودون حيطانها ولا يتحرزون من النجاسات ، بل يتخذون للتعليم حوانيت في الدروب وأطراف الاسواق » (١) ، ويبدو أن ذلك كان الاساس في انشاء الكتاب أو المكاتب التي نهضت بالمرحلة الاولى من مراحل التعليم (٢) .

وكان صلاح الدين الايوبي أول من أوقف الاوقاف من أجل الاطفال الفقراء والايتام (٣) ، وتابع المالك اهتمام الايوبيين بتعليم هؤلاء الاطفال فأنشئت في العصر المملوكي الكثير من المكاتب ، واهتم منشئوها بحبس الاوقاف عليها للنفاية بأمر الايتام وتعليمهم وتوزيع الغذاء والكساء عليهم ، مثال ذلك مكتب السبيل الذي أنشأه الظاهر بيبرس بجوار مدرسته « وقرر لمن فيه من أيتام المسلمين الخبز في كل يوم ، والكسوة في فصلى الشتاء والصيف » (٤) .

ومن دراستنا لوثائق الوقف من العصر المملوكي يتضح لنا أن المادة جرت ببناء مكتب لتعليم الايتام بجوار المسجد أو المدرسة (٥) فوق السبيل ولذلك عرف باسم « مكتب السبيل » أو « كتاب السبيل » (٦) ، مثال ذلك ما جاء في وثيقة وقف جوهر اللالا « مكتب علو السبيل » (٧) ، وما جاء أيضا بوثيقة وقف السلطان قايتباي « بمكتب السبيل الذي أنشأه الواقف المنوه باسمه الشريف أعلاه بالجامع الذي بالصحراء علو سبيل ! الماء المذكور أعلاه » (٨) .

(١) د. أحمد شلبي : تاريخ التربية الاسلامية (بيروت ١٩٥٤) ص ٣١

(٢) د. د. سعيد عاشور : المجتمع المصري ص ١٥٠

(٣) انظر ما جاء بالفصل الاول من الاوقاف في العصر الايوبي ،

Ibrahim Salama : op. cit. P. 101.

Rabie : The Financial op. cit. P. 88.

(٤) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٥٠٤ ، المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٧٩

(٥) من أمثلة ذلك ما ذكره المقرئى في المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٨ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٤٠١

(٦) انظر وثائق وقف السلطان قايتباي ٨٨٦ أوقاف ص ١٣٤ ، السلطان حبن

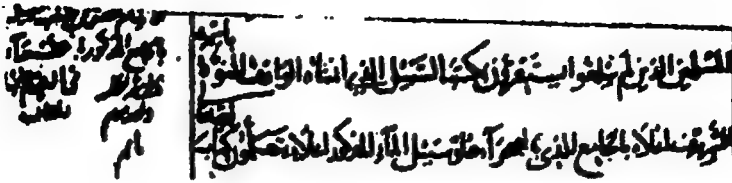
٨٨١ أوقاف ص ١٥٦ ، السلطان برسباي ٨٨٠ أوقاف ص ١١٦ ، ١١٧ ، ١٩٢ ،

Ibrahim Salama : op. cit. P. 101.

(٧) وثيقة وقف جوهر اللالا رقم ١٠٢١ أوقاف .

(٨) وثيقة وقف السلطان قايتباي رقم ٨٨٦ أوقاف ص ١٣٤ . انظر أيضا ما جاء

في وثيقة وقف الأمير قراقبا العسنى ٩٢ أوقاف سطر ١٥٣ نشر ودراسة د. عبد اللطيف إبراهيم ص ٢١٢



(من وثيقة وقف السلطان قايتباي ٨٨٦ أوقاف - من ١٢٤ - المكتب ملو السبيل)

ولم يمنع هذا من انشاء مكاتب لتعليم الايتام منفصلة عن السبيل (١)؛ ورغم ذلك أطلق عليها أيضا اسم « مكتب السبيل » ، مثال ذلك ما جاء في وثيقة وقف الامير صرغتمش « وأما المكان الذي بدلهيز هذه المدرسة المذكورة الذي ذكر أنه برسم مكتب السبيل فان الواقف المسمى أحسن الله تعالى اليه وقف ذلك على أن يستقر فيه الايتام ومؤدبهم للقرأة على الوجه الاتي ذكره فيه » (٢) ، ومثال ذلك أيضا مكتب الايتام الذي أنشأه السلطان حسام الدين لاجين في زيادة الجامع الطولوني القبلية (٣) ، ويتضح لنا من ذلك حرص الواقفين على عزل مكتب الايتام عن عمارة المدرسة أو المسجد لاسباب مختلفة (٤) .

وإذا كانت الاوقاف هي أساس المدرسة في العصر المملوكي ، فان الاوقاف كانت أكثر أهمية بالنسبة للمكاتب الخاصة بتعليم الاطفال ، وبالتالي للمرحلة الاولى من التعليم بصفة عامة (٥) ، ذلك أن انشاء مدرسة والوقف عليها يتطلب قدرا معيناً من الثروة ، ومن الاعيان الموقوفة التي يكفي ريعها للمصرف

(١) وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٢٨ أوقاف .

(٢) وثيقة وقف الامير صرغتمش ٢١٩٥ أوقاف ص ٢٤ ، ٢٥ ، نشر ودراسة

د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٢٦

(٣) وثيقة وقف السلطان حسام الدين لاجين رقم ١٧ ، ١٨ محفوظة ٣ بالمحكمة ،

المقريزي : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٦٨ ، السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٢٧

(٤) انظر ما سبق ص ٢٦١ ، ٢٦٢ ، وأنظر أيضا دراسة د. عبد اللطيف ابراهيم :

نصان جديدان من وثيقة الامير صرغتمش تحقيق رقم ٤٤ ص ٥١

(٥) Ibrahim Salama : op. cit. p. 101, 110. (٤)

(٢) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفوظة ١٧ بالحكمة ، وعندما ذكر النويرى مكتب السبيل الذى أنشاء السلطان قلاوون ذكر النويرى أن السلطان رتب فيه ٢ فقهاء ، - النويرى : نهاية الارب ج ٢٩ ورقة ٣٠ ، ٣١ ، وانظر وثيقة وقف السلطان قايتباى رقم ٨٨٩ اوقات التى اعتبرت المؤدب من بين فقهاء المكاتب .

المسلمين ، صحيح العقيدة (١) ، مثال ذلك ما جاء بوثيقة وقف السلطان قايتباى
 « ... ويصرف لرجل من أهل الخير والدين والامانة والعفة والصيانة حافظا
 لكتاب الله العزيز يكون مؤدبا للايتام المذكورين أعلاه بمكتب السبيل بالجامع
 المذكور ... » (٢) .

وقد يكون المؤدب أو الفقيه من بين الصوفية ، من ذلك ما أشارت اليه
 وثيقة وقف جمال الدين الاستادار « ويرتب الناظر أيضا من عدة الصوفية
 المذكورين أعلاه من غيره طائفة المجردين (٣) رجلا حافظا لكتاب الله العزيز
 ذا عقل وعفة وصيانة وأمانة متزوجا زوجة تعفه صالحا لتعليم القرآن والخط
 والادب يجعله معلما للايتام بمكتب السبيل المذكور أعلاه » (٤) .

وكان يساعد المؤدب العريف ، ومثله في ذلك مثل المعيد في المدرسة (٥) ،
 فلم يكن سوى طالبا متقدما ، فقد نصت وثيقة وقف السلطان قايتباى على
 ترتيب ثلاثين يتيما « لم يبلغوا الا عريفهم فانه يكون من المسدد ولو كان
 بالغاً » ، كما أن معلوم العريف في هذه الوثيقة كان يماثل معلوم باقى
 الايتام (٦) ، ويؤيد هذا القول ما نصت عليه بعض وثائق الوقف من أن

(١) د. عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية تحقيق رقم ٦٦٠ ، السبكي : معيد
 النعم من ١٣٠ ، وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف من ٤٥٥ ، وثيقة وقف منطلاى
 الجمال ١٦٦٦ أوقاف ، وثيقة وقف جومر اللالا ١٠٢١ أوقاف ، وثيقة وقف السلطان
 برسباى ٨٨٠ أوقاف من ١٩٢ ، وثيقة وقف قراقبا العنسى ٩٢ أوقاف سطر ١٥٤ نشر
 ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم من ٢١٢ ، وثيقة وقف الامير صرغتمش ٣١٩٥ أوقاف
 من ٢٤ نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم من ٣٣

(٢) وثيقة وقف السلطان قايتباى رقم ٨٨٦ أوقاف من ١٣٥ ، انظر ما جاء من
 المؤدب أيضا فى : Ibrahim Salama : op. cit. p. 107.

(٣) يقصد بالمجرد الذى لازوجة له سواء لم يسبق له الزواج أو مطلق أو أرمل .
 (٤) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفوظة ١٧ بالمعكمة - انظر نفس
 الشروط والواردة فى وثيقة وقف السلطان فرج بن برقوق رقم ٦٦ محفوظة ١١ بالمعكمة ،
 ووثيقة وقف السلطان قايتباى ٨٨٦ أوقاف من ١٣٥

(٥) انظر ما سبق من ٢٤٥

(٦) وثيقة وقف السلطان قايتباى ٨٨٦ أوقاف من ١٤٩ ، ١٥٠

الصين عندما يبلغ الحلم ينزل بأحدى الوظائف الشاغرة بالمدرسة أو المكتب
عريف مثلا ، على أن يصلح لسد هذه الوظيفة (١) .

وكان العريف يقوم بمساعدة المؤدب ، فقد جاء في وثيقة وقف الأمير
صرغتمش « ويرتب الناظر شخصا يكون عريفا لهم مساعدا للمؤدب المذكور » (٢)
كما جاء في وثيقة وقف السلطان قايتباي « ويصرف لرجل يكون عريفا للايتام
المذكورين فيه مينا لمؤدبهم على تأديبهم ويعلمهم القرآن العظيم والخط
العربي على عادة العرفاء في ذلك » (٣) .

عند الشرف في كل يوم من المشيئة المؤدب لطلاب الأوقاف العريفي وش
الرجل يكون عريفا للأيتام المذكورين من قبل المؤدب على تأديبهم وتعليمهم
العظيم والخط العربي على عادة العرفاء في ذلك على ما هو معمول به

(من وثيقة وقف السلطان قايتباي ٨٨٦ أوقاف - ص ١٣٥ - عريف الايتام)

وكانت تشترط في العريف نفس الشروط التي يجب توافرها في المؤدب ،
فنصت وثيقة وقف السلطان النورى : « ومن ذلك مايتا دراهم تصرف لرجل
متصف بصفات المؤدب المذكورة فيه يقرر الناظر هذا الرجل عريفا بالمكتب
المذكور » (٤) .

ويبدو أن وظيفة العريف لم تكن ضرورية في المكاتب الصغيرة حيث
يقال عدد الاطفال النازلين بالمكتب فيكتفى بالمؤدب ، مثال ذلك ما نصت

- (١) وثيقة وقف السلطان النورى رقم ٨٨٣ أوقاف سطر ١٦٩٧ دراسة
د. عبد اللطيف إبراهيم .
(٢) وثيقة وقف الأمير صرغتمش ٣١٩٥ أوقاف ص ٢٥ نشر ودراسة د. عبد اللطيف
إبراهيم ص ٣٣
(٣) وثيقة وقف السلطان قايتباي رقم ٨٨٦ أوقاف ص ١٣٥
(٤) وثيقة وقف السلطان النورى ٨٨٣ أوقاف سطر ١٥٣٨ دراسة د. عبد اللطيف
إبراهيم .

حافظين لكتاب الله تعالى أهلين لتعليمه وعريفين حافظين لكتاب الله تعالى ومائة يتيم فيجلس كل مؤدب ومعه عريف وخمسون نفرا من الايتام بالمكان المعد لهم في كل من الايام التي جرت العادة بتعليم الايتام بمكاتب السبيل بها فيقرئهم المؤدب ما يطبقون قراءته من القرآن العظيم ويعلمهم ما يحتملون تعلمه من الخط العربي وهجائه ويساعده العريف المذكور في ذلك على العادة ويصرف لكل من المؤدبين المذكورين في كل شهر مستون درهما نقرة ولكل من العريفين أربعون درهما نقرة وللإيتام المذكورين في نفقتهم وكسوتهم في كل شهر ثلاثة آلاف درهم نقرة بينهم بالسوية لكل منهم ثلاثين درهما نقرة «(١)».

عسى لكل من لا يجد درهما من ريس مؤدب حافظ
 للإمام لحاشا له مثل أهل العلم وعريس حافظ
 ومودع لحاشا له مثل ريس مؤدب وعريس
 وعريس مؤدب ريس الإمام حافظ العدل في كل شيء
 عز

الوجع العاد على الإمام مطر السبل بالمدبر
 المودع والطوبى من الله الطوبى والطوبى

(١) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٠١ أوقاف من ٤٥٥ ، ٤٥٦

يحملون علمه من الخط العربي وفهامه وساعده العرف
 المدبر وحل على العادى وسرف لطف من المؤبد والمؤبد
 في فن من سرف وفهامه وفهامه من العرف من العرف
 والاسام المدبر من العرف من العرف من العرف
 دهر من العرف من العرف من العرف من العرف

(من وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف - ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ - مؤدب وعريف
 لكل خمسين يتيما)

أما المناهج وطرق التدريس والتربية في المكاتب ، فقد حرص الواقفون
 على تحديدها بدقة بالغة ، وعلى مر السنين أصبح ما حدده الواقفون
 تقليدا متبعا ، فنصت وثيقة وقف السلطان النورى على أن المؤدب يعلم
 الاطفال « الادب أولا ، ثم ما يطبقون تعلمه من كتاب الله عز وجل والخط
 العربى » (١) ، كما نصت وثيقة وقف جمال الدين الاستادار « ويعلمهم الفقيه
 المذكور ما تيسر لكل منهم تعلمه من القرآن والخط والهجاء والاستخراج اسوة
 أمثالهم على العادة » أما عن طريق التربية فقد نصت نفس الوثيقة « ٥٥٠
 ويعاملهم المؤدب بالاحسان والتلطف والاستعطاف فيما يرغبهم به في الاشتغال
 ومن أتى منهم بما لا يليق أدبه بفعل ما أباحه له الشرع الشريف ، ولا يضرب
 الضرب المبرح » (٢)

كذلك نصت وثيقة وقف الامير صرغتمش على أن المؤدب « يقرئ الايتام
 ما يطبقون قراته من القرآن العظيم ويعلمهم ما يحتملون تعلمه من الخط العربى

(١) وثيقة وقف السلطان النورى رقم ٨٨٣ أوقاف سطر ١٥٣٧ ، ١٥٣٨ دراسة
 د. عبد اللطيف ابراهيم .
 (٢) وثيقة وقف الامير جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفظة ١٧ ويذكر المقرئ
 أن من مهام المحتسب ونوابه أن يندروا على الكتائب بأن لا يضربوا الصبيان ضربا
 مبرحا ولا في مقتل - أنظر المواظ والاعتبار ج ١ ص ٤٦٤ ، أنظر ابن الاخوة : معالم
 القرية في أحكام الحسبة ص ٢٦٠ - ٢٦٣

والاستخراج في كل يوم على العادة في مثل ذلك (١) « نولاشك في أن ما نصت عليه هذه الوثيقة من عبارات « ما يطيقون قراته » و « يعلمهم ما يحتملون تعلمه » تتفق مع أساليب التربية الحديثة من حيث مراعاة أعمار هؤلاء الاطفال من الناحية الزمنية والعقلية فضلا عن مراعاة قدراتهم الخاصة ومدى استعدادهم لما يقبلونه من العلوم والمعارف (٢) . أما وثيقة السلطان فرج بن برقوق فقد حرصت على أن يراعى المؤدب الفروق الفردية بين الاطفال فنصت على أن « يعلم كل منهم ما يحتمل تعلمه من القرآن والخط والهجا والاستخراج والآداب » (٣) .

ويلاحظ أن « الخط العربى » كان من المواد الاساسية التى تدرس للاطفال في المكاتب ، وذلك طبقا لما جاء في غالبية وثائق الوقف ، باعتباره لونا من ألوان التربية الجمالية ، وله أهمية في تربية الذوق السليم وتكوين الاحساس الفنى عند هؤلاء الاطفال ، وكثيرا ما كان المؤدب يقوم بهذه المهمة ، ولكن ونجد في بعض الاحيان من تولى وظيفة « التكتيب » لتعليم الخط (٤) ، مثال ذلك ما تنص عليه وثيقة وقف السلطان النورى « ومن ذلك ثلاثمائة درهم تحرف لرجل كاتب دين خير مأمون عالم بعلم الكتابة مجازا بالاقلام السبعة يقرره الناظر في وظيفة التكتيب بهذا الوقف على أن يتردد للمكتب المذكور أو الموضع الذى يعينه له الناظر يومين في كل أسبوع ، ويعلم الناس فنون كتابته ما يرغبون في تعلمه منه على جارى عادة أمثاله في ذلك » (٥) .

(١) وثيقة وقف الامير صرفتمش ٣١٩٥ أوقاف ص ٢٤ نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٢٢ ، انظر ايضا وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٢٨ أوقاف .
(٢) د. عبد اللطيف ابراهيم ، دراسة وثيقة وقف الامير صرفتمش تحقيق رقم ٧٨ ص ٧٠ .

(٣) وثيقة وقف السلطان فرج بن برقوق رقم ٦٦ محفظة ١١ بالمعكة .
(٤) وثيقة وقف جوهر اللا رقم ١٠٢١ أوقاف . وثيقة السلطان برسباي رقم ٨٨٠ أوقاف ص ٢٢٦ . وثيقة وقف السلطان النورى ٨٨٣ أوقاف سطر ١٥٤٤ دراسة د. عبد اللطيف ابراهيم . وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف . د. عبد اللطيف ابراهيم : نصاب جديداً تحقيق رقم ٧٩ ص ٧٠ ، ٧١ .
(٥) وثيقة وقف السلطان النورى ٨٨٣ أوقاف سطر ١٥٤٤ وما بعده ، دراسة د. عبد اللطيف ابراهيم .

ويقتصر دور العريف في هذه العملية التعليمية على مساعدة المؤدب في « تكتيب الايتام وعرض الواحهم مع قراءة الماضى وتكريره ومن أتقن منهم حفظ القرآن العظيم علمه من عقايد دينه وكتب العلم الشريف ما يمود نفعه عليه » (١) ، كما كان العريف يقوم مقام المؤدب أثناء غيبته في تعليم الاطفال (٢) .

أما مواعيد الدراسة في مكاتب الايتام فقد حرص الواقفون على تحديدها بكل دقة ، فنصت وثيقة وقف السلطان الغورى على أن - المؤدب « يجلس بالمكتب المذكور في كل يوم من الايام خلا يوم الجمعة وأيام المواسم والاعياد التى جرت العادة بالبطالة فيها ويمكث به لتعليم الايتام الاتى ذكرهم فيه وتأديبهم من أول النهار الى وقت العصر سوى يوم الثلاثاء ويوم الخميس فيمكث الى وقت الظهر خاصة » (٣) أما وثيقة وقف السلطان قايتباى فقد جعلت الدراسة نصف اليوم يوم الخميس فقط ، فنصت على أن « الايتام المذكورين يستمرون أيام حضورهم بالمكتب المذكور من طلوع الشمس الى وقت العصر فينصرفون حينئذ وقبل انصرفهم يقرؤن سورة الاخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ويدعون كالدعاء المذكور أعلاه ما عدا يوم الخميس من كل أسبوع فانهم يستمرون بالمكتب الى الظهر ويوم الجمعة بطلاتهم وكذلك أيام الاعياد والمواسم والاعذار الشرعية على العادة في ذلك » (٤) .

(١) وثيقة وقف السلطان الغورى ٨٨٣ أوقاف سطر ١٥٣٦ وما بعده دراسة د. عبد اللطيف ابراهيم .

(٢) وثيقة وقف قانى باى الرماح ١٠١٩ أوقاف .

(٣) وثيقة وقف السلطان النورى ٨٨٣ أوقاف سطر ١٥٣٥ وما بعده دراسة د. عبد اللطيف ابراهيم .

(٤) وثيقة وقف السلطان قايتباى رقم ٨٨٦ أوقاف ص ١٣٦

أو يلقون مقام ذلك من النود عند الثوب على أن لا يتام المذكور من غير ذلك
 بالكتب المذكور من طواعية التيسير للوقت المصروف من حيث ذلك قبل أن يتم
 سورة الاحكام في العودتين وانه الكتب والامانة على النسيان في العودتين
 ويغنون كل وقت بالذكور لا سيما يوم الخميس من كل جمعة فانه يوم من الكتب
 العظمى يوم الجمعة بالذكور ولا سيما يوم الاحد والواحد والاربعاء والجمعة
 في ذلك ويصرون لا يرفعون ولا يتركون لهم من الكتب والامانة

خاتمة
 الزاوية لادبته

(من وثيقة وقف السلطان قايتباي ٨٨٦ أوقاف - ص ١٢٦ - مواعيد دراسة الايتام)

أما وثيقة وقف الامير قراقجا الحسنى فلم تكف بتحديد أوقات الدراسة بالمكتب المذكور ، بل حددت أيضا ما يدرس في أوقات الدراسة فجاء بها « على أن المؤدب المذكور يجلس بالايتمام المذكورين بمكتب السبيل المذكور في كل يوم من بكرة النهار والى آذان العصر ليعلمهم ما تيسر له تعليمهم من القرآن العظيم والخط العربي خلا يوم الثلاثاء (كذا) من كل أسبوع فانه يجلس بهم من بكرة النهار والى آذان الظهر ليعلمهم الهجاية والخط العربي ، وفعلة ما جرت العادة بفعلة في مثل ذلك على الوجه الشرعى وخلا يوم الجمعة من كل أسبوع فانه بظالة » (١) .

ومن الواقفين من راعى سن هؤلاء الاطفال الايتام ، وسمح لهم بالغياب عن المكتب بعذر لمرض أو رياح عاصفة أو مطر شديد أو برد قارس (٢) ، وهو ما عبرت عنه وثيقة وقف السلطان قايتباي بـ « الاعذار الشرعية » (٣) ، ومثال

(١) وثيقة وقف الاسير قراقجا الحسنى رقم ٩٢ أوقاف سطر ١٥٥ - ١٥٧ دراسة ونشر د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٢١٢

(٢) وثيقة وقف فرج بن برفوق رقم ٦٦ محفظة ١١ بالمعكة ، وثيقة وقف جمال الدين الاستادار ١٠٦ محفظة ١٧ بالمعكة .

(٣) وثيقة وقف السلطان قايتباي رقم ٨٨٦ أوقاف ص ١٢٦

يزور المكتب طبيب كل شهر « عند تنزِيل الايتام ويكشف من يظن به البلوغ منهم فمن وجده بلغ أخبر بحاله فيقرر الناظر غيره في مكانه » (١) ، ولم يستثن من ذلك الا حالات قليلة كان يظهر أحدهم نبوغا وميلا للدرس مما يبشر بفلاحه فعندئذ كان يستمر بالمكتب ويسمح له بالاشتغال بالعلم (٢) ، مثال ذلك ما نصت عليه وثيقة وقف السلطان قايتباي « ومن بلغ منهم أخرجه الناظر واستخلف يتيما غيره وأجرى عليه ما كان من قبله من المعلوم الا أن يكون قد بقى عليه شيء يسير من ختم القرآن العظيم فيستقر في المكتب الى أن يستكمل حفظ القرآن العظيم ان كان يرجى فلاحه وخيره ثم يستبدل به غيره » (٣) .

ومن ذلك أيضا ما نصت عليه وثيقة وقف السلطان حسن « ومن بلغ من الايتام استبدل الناظر به غيره الا أن يكون قد قارب حفظ القرآن العظيم وهو ممن يرجى فلاحه فيستقر به الناظر الى حين ختمه القرآن العظيم » (٤)

من مرسوم السلطان حسن من ايام ايامه

من مرسوم السلطان حسن من ايامه

من مرسوم السلطان حسن من ايامه

(من وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف - ص ٤٥٧ - استبدال من بلغ من الايتام)

كذلك كان يستبدل اليتيم بآخر في حالة سفره سفر اقامة ، أو تعذر حضوره للاشتغال بالعلم مدة طويلة ، من ذلك ما نصت عليه وثيقة وقف جمال الدين الاستادار « ومن بلغ منهم استبدل بغيره الا أن يكون بقى عليه شيء

(١) وثيقة وقف السلطان النوري ٨٨٢ أوقاف سطر ١٥١٣ ، ١٥١٤ ، دراسة د. عبد اللطيف ابراهيم .

(٢) د. عاشور : المجتمع المصري ص ١٥٢ ، د. عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية ج ١ ص ٥٤ ، تحقيق رقم ٦٥٦ ، أنظر أيضا وثائق وقف كل من قاني باي الرماح ١٠١٩ أوقاف ، جوهر اللا لا ١٠٢١ ، أوقاف ، السيفي قرقياس ٩٠١ أوقاف ص ٦٨

(٣) وثيقة وقف السلطان قايتباي ٨٨٦ أوقاف ١٣٤ ، ١٣٥

(٤) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف ص ٤٥٧

يسير من تكملة حفظ القرآن العظيم ويرجى حفظه لذلك في زمن يسير فيبقى الى حين حفظه ، ومن مات منهم أو سافر سافر اقامة أو تعذر حضوره للاستغال مدة طويلة لغیر ضرورة شرعية بدل غيره ، ويجرى الحال في ذلك على عادة مكاتب السبيل بالقاهرة وظواهرها « (١) » .

وبلغ من عناية الواقفين بأمر تعليم الايتام أنهم لم يكتفوا بإنشاء المكاتب وترتيب المؤدبين والعرفين بها : كما أنهم لم يكتفوا بتوفير الطعام والكساء فضلا عن معلوم شهري للايتام ، ولكن فوق كل ذلك حرص الواقفون على توفير أدوات الكتابة للايتام من ذلك ما تنص عليه وثيقة وقف الامير صرغتمش « ويصرف ثمن ما يحتاج اليه الايتام المذكورين من أقلام وممداد وألواح ودوى وحجر يجلسون عليها » (٢) .

وهكذا كانت الاوقاف هي أساس التعليم بمراحله المختلفة في العصر المملوكي .

(١) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفظة ١٧ بالمحكمة .

(٢) وثيقة وقف الامير صرغتمش رقم ٣١٩٥ أوقاف ص ٣٥ نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٣٣ ، انظر أيضا وثائق وقف كل من السلطان حسن رقم ٤٠ محفظة ٦ بالمحكمة ، فرج بن برقوق رقم ٦٦ محفظة ١١ بالمحكمة ، جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفظة ١٧ بالمحكمة .

الفصل السادس

للأوقاف والحياة الاجتماعية

— الأوقاف وأحوال مصر الاقتصادية — وقف حوالى نصف أراضى مصر الزراعية وأثر ذلك على إيرادات بيت المال — حبس الاموال عن التداول — شروط تأجير الاوقاف — التحايل على شرط الايجار — تحكير الاوقاف وأثر ذلك فى تبديد الثروات — أثر الاوقاف فى البطالة — تحكم الواقف فى ثروته حيا وميتا وأثر ذلك فى تبديد ثروة المجتمع — المنازعات على الاوقاف — تفتيت الملكيات — الاوقاف مصدر ثروة المعممين — تأثر الاوقاف بسوء الاحوال الاقتصادية — تغير العملات وأثره على أرباب الوظائف •

— الاوقاف ونظام الاقطاع — تحول الاقطاعات الى أوقاف عن طريق : بيع أملاك بيت المال — وقف أراضى بيت المال — أثر ذلك على ضعف الجيش •

— الاوقاف والعمالة الادارية والفنية : الناظر — المباشرون — الكاتب أو العامل — الشاد — المشارف — الجابى — الصيرفى — الشاهد — البرددار — المهندس أو المعلم — شاهدا العمارة — المرخم •

الاقواق واحوال مصر الاقتصادية :

شرعت الاوقاف فى الاسلام لتؤدى دورا فى حياة المجتمع الاسلامى لاغنى عنه ، ولتقدم للمسلمين خدمات اجتماعية معينة ، على أساس صفتها الدينية التى تمثلت فى أنها « صدقة محرمة » ، حكمها فى ذلك حكم سائر الصدقات ، والمعروف أن تصرفات الافراد فى المسائل المتصلة بالدين تعتمد أساسا على النوايا الصادقة « وانما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى » (١) ، ولما كانت تنظيمات الاوقاف لم نوضع لها قواعد ثابتة الا بعد تدوين الفقه الاسلامى فى القرن الثانى والثالث للهجرة (٢) ، فاننا نجد أن هناك من الافراد من خرج بالاوقاف عن أصل معناها الدقيق فى الاسلام ، وهو الصدقة المحرمة ، فمنذ أواخر عهد الصحابة وجد من استغل نظام الاوقاف فى تحقيق مآربه الشخصية مثل حرمان بعض الورثة ، وخاصة الاناث عن طريق الوقف على الذكور دون الاناث ، ويؤكد هذا استنكار السيدة عائشة رضى الله عنها لهذا الفعل (٣) ، فضلا عن عزم عمر بن عبد العزيز إلغاء الاوقاف التى أخرجت منها النساء الا أن المنية عاجلته (٤) .

والخروج بالاوقاف عما شرعت من أجله كانت له آثار سيئة بالنسبة للأحوال الاقتصادية ، ولذلك نجد الامام أبى حنيفة لم ير وقفا لازما الا ما كان مسجدا ، أو متصلا بقضاء القاضى ، أو كان بوصية بوقف تخرج من الثلث (٥) ، مطبقا على الوقف أحكام الهبة والوصية ، ومتتبعا آثار الرسول عليه الصلاة والسلام بالنهى عن تصدق الفرد بكل ماله (٦) ، ولكن توسعة الفقهاء فى الوقف فى العصور التالية أدت الى وقف الافراد لكامل ممتلكاتهم

(١) الفزائى : احياء علوم الدين ج ٤ ص ٢٥٩

(٢) Schacht : op. cit. p. 443

(٣) الامام مالك : المدونة الكبرى ج ٤ ص ٣٤٥ ، انظر أيضا ما جاء بالفصل الاول ٢٣ وما بعدها .

(٤) الامام مالك : المرجع السابق ج ٤ ص ٣٤٥

(٥) ابن الهمام العنقى : فتح القدير ج ٥ ص ٣٩ ، السرخسى : المبسوط ج ١٢

ص ٢٧

(٦) الجزيرى (عبد الرحمن) كتاب الفقه على المذاهب الاربعة - المعاملات -

ج ٣ ص ٢٩٩ ، ٣٢٠

سواء كانت أراضي زراعية أم مبان أو غير ذلك ، فقد اتسع نطاق الوقف الى درجة كبيرة حتى شمل أيضا « الدراهم والنانير » (١) ، وحتى أصبحت معظم مباني « مصر والقاهرة » في العصر المملوكي موقوفة ، كما أن عشرة قراريط من أرض مصر كانت وقفا عند بداية الفتح العثماني لمصر (٢) ، ويؤكد هذا ما جاء في وثائق الوقف من النص على وقف بلاد بأكملها تبلغ الواحدة منها آلاف الافدنة ، والامثلة على ذلك كثيرة ، فمن أوقاف مدرسة السلطان حسن بلدة قها التي تبلغ مساحتها ٢٧٤٣ فداناً (٣) ، ومن الأراضي الجارية في أوقاف الاشرف برسباي أراضي بلدة الكريون من اقليم البحيرة ، وتبلغ مساحة الأراضي الموقوفة بها ٢٧٠٠ فداناً (٤) ، وبلدة طما من الاعمال الفيومية، والتي تبلغ مساحتها ٧٦١ فداناً (٥) ، وقد نصت على ذلك وثيقة وقف السلطان برسباي فجاء بها « ٠٠٠ وجميع أراضي ناحية طما من أعمال الفيوم ٠٠٠٠ وجميع أراضي ناحية الكريون من اقليم البحيرة ومساحة هذا الموقوف ألفا فدان وسبع مائة فدان (٦) » .

وانظر فيها البركة للامانة والحقه وحسن اراضي

بج

نجية طما من اعمال الفيوم وشاهد وذابفة التسلي الاراضي

قلت والتم بالانوار الاخوة وفيما السيل الشرقي الى المحدث

الاعظم والينديا الجبلد حجب اراضي ناحية للدر

بج

من اقليم الفيوم وشاهد هذا الوقف الفادان وح ناية فدان

(من وثيقة وقف السلطان برسباي رقم ٨٨٠ أوقاف ص ١٦٣ - وقف بلاد بأكملها)

(١) انظر ما جاء بالفصل الثاني عن طبيعة الوقف ٩٩ وما بعدها .

(٢) الاسحاقى : لطائف اخبار الدول ص ١٢٨

(٣) ابن الجيعان : التحفة السنية ص ١٢ ، رمزي : القاموس الجغرافى ق ٢ ج ١ ص ٤٧ ، انظر أيضاً وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف .

(٤) ابن الجيعان : التحفة السنية ص ١٢١ ، رمزي : القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٢ ص ٣١٨

(٥) ابن الجيعان : المرجع السابق ص ١٥٦ ، رمزي : المرجع السابق ق ٢ ج ٢ ص ١٦٣

(٦) وثيقة وقف السلطان برسباي ٨٨٠ أوقاف ص ١٦٣ .

وأدى اتساع الوقف الى هذا الحد في انعصر المملوكى مع اعفاء هذه الاوقاف من الضرائب المختلفة الى قلة إيرادات بيت المال (١) ، فضلا عن أن بعض السلاطين كان يعطى امتيازاً خاصاً للمناطق الموجودة بها أوقافه ، أو مستأجريها ، مثال ذلك أن السلطان الناصر محمد عندما أنشأ خانقاه سرياقوس أمر بإعفاء منطقة الخانقاة من المكوس التى تفرض على غيرها من المناطق « فرغب الناس فى السكنى حول الخانقاة ٥٥٥٠ وهى الى اليوم بلدة عامرة لا يؤخذ بها مكس البتة مما يباع من سائر الاصناف احتراماً لمكان الخانقاة » (٢) ، كذلك نص السلطان برسباى فى وثيقة وقفه أن « لا يؤخذ من فلاحي أوقاف مولانا السلطان الواقف ولا مستأجريها دستور ولا ضيافة ولا يحدث عليهم حادثة ولا مظلمة » (٣) ، ومن الطبيعى أن أمثال هذه الامتيازات تؤثر على إيرادات بيت المال .

هذا الى أن طبيعة الوقف تقوم أساساً على حبس الاموال ، سواء كانت أراضى زراعية ، أو منقولات ، حبسها عن التداول بأى نوع من أنواع التصرف ، مما يجعل الاموال الموقوفة بمنأى عن حركة التداول المالية العامة ، وبالتالي يمنحها من أن تكون دعامة من دعائم الثقة المالية والاستثمار الاقتصادى ، ويبيدها عن وضعها الطبيعى كعامل اقتصادى له أثره فى حركة الاسواق المالية مما يؤدي الى نمو الثروة العامة ، فالاموال الموقوفة تصبح كالعضو الاثقل فى الجسم العامل ، يضعفه ويمنعه من حركته الطبيعية ، اذ أنها بحكم تحبيسها تظل راكدة لاتسمح للايدى المجربة المختلفة بالعمل فيها ، ولا للارادات الناضجة المتطورة مع الزمن بحسن استغلالها ، فكما رأينا فى وثائق الوقف المختلفة أن الواقف يحرص على أن يقيد كل شئ ، ويضع خطأ مرسوماً ، وليس لاحد أن يعدل فيه أو يطرده ، ولو الى أحسن ، أو — طبقاً

(١) أنظر الفصل الثانى — العوامل الاقتصادية التى ساعدت على انتشار الاوقاف وازدهارها ص ٩٠ وما بعدها .

(٢) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٢٢

(٣) وثيقة وقف السلطان برسباى رقم ٨٨٠ أوقاف ص ٢١٢

لقطروف العصر ، ومن ذلك يمكن القول أن شروط الواقفين حجرت — على الاجيال التالية ، وهرمتها من حقها الطبيعي في التصرف في هذه الاموال^(١) . وما جاء بوثائق الوقف من شروط خاصة بالبدء بعمارة الاعيان الموقوفة. وتأجيرها ، يعكس ما حاوله الواقفون من تلافي العيوب الاقتصادية للاوقاف السابقة على عهدهم ، فقد تطرق الفساد الى الاوقاف في العصر الايوبي؛ نتيجة لتحكير الاوقاف^(٢) وعدم عمارتها ، ولذلك نصت كافة وثائق الوقف في العصر المملوكي على البدء بالصرف من الربيع على عمارة الاعيان الموقوفة^(٣) . كما وضع بعض الواقفين شروطا خاصة لتأجير أوقافه بغرض المحافظة عليها. وضمن استمرار ريعها ، وبالتالي دوام مصارفها للمستحقين وأرباب الوظائف^(٤) .

ومن القواعد الفقهية العامة في تأجير الاوقاف أن الاجارة لاتصح في الاراضى أكثر من ثلاث سنوات ، وفي المساكن والحوانيت ونحوها أكثر من سنة ، الا اذا كانت مصلحة الوقف تقتضى تأجير الوقف أكثر من ذلك ، على أن يكون الايجار في هذه الحالة باذن القاضي ، أو طبقا لشروط الواقف^(٥) . ورغم هذه القاعدة الفقهية ، فقد وجدنا شروطا مختلفة للايجار في وثائق الوقف المملوكية ، ويبدو أن هذه الشروط كانت تختلف من وثيقة لآخرى تبعا للحالة الاقتصادية السائدة في مصر يومئذ ، وظروف الوقف المالية^(٦) ، ومن أمثلة ذلك ما تنص عليه وثيقة وقف السلطان بيبرس الجاشنكير من أن مدة الايجار سنة واحدة فما دونها ، بأجرة المثل فما فوقها . والا يؤجر الوقف لمشرر ولا متعزر يخشى على الوقف منه ، وأكثر من ذلك نجد أن الواقف

(١) د . عبد الحكيم الرفاعي : الاقتصاد السياسي ج ٢ ص ٦٤٢

(٢) ابن ماتي : قوانين الدواوين ص ٣٥٦ ، انظر ما جاء بالفصل الاول عن الاوقاف في العصر الايوبي .

(٣) انظر ما جاء بالفصل الثاني ص ٨٦ وما بعدها .

(٤) توجد بعض الوثائق التي لم تتعرض لهذا الموضوع ، مثال ذلك وثيقة وقف مسرور بن عبد الله الشبلي رقم ٣٩ محفوظة بـ ٦ بالحكمة نشر ودراسة د . عبد اللطيف ابراهيم .

(٥) الجزيري : الفقه على المذاهب الاربعية - الماملات ج ٢ ص ١٠٣

(٦) د . عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية تحقيق رقم ٧٣٧

اشتراط شرطاً خاصاً على من يؤجر أراضى الوقف الزراعية ، وهو أن يزرع نصفها ما يجب وأن يزرع النصف الآخر برسيماً ومقائياً وفولاً ، وذلك لصالح الأرض ، فقد جاء في هذه الوثيقة : « على أن الناظر في هذا الوقف المتولى عليه يؤجر ذلك وما شاء منه / بنفسه أو بمن يستنيبه عنه في ذلك أو يفوضه لمدة سنة واحدة / فما دونها بأجرة المثل فما فوقها ولا يزيد على ذلك إلا أن تدعوا (كذا) الضرورة أو الحاجة / أو المصلحة أو الغبطة الى زيادة على هذه المدة فيؤجر ذلك وما شاء منه المدة التي / تدعو الحاجة اليها أو ما عين فيه ولا يؤجر ذلك ولا يضعه لمشرر ولا لتخثر / يخشى على الوقف من تغلبه وشرطاً هذا الواقف أن الاراضى التى تزرع مما عين أعلاه / يشترط الناظر على من يؤجره ثم شرعت (كذا) في زرع ذلك أن يزرع النصف من الارض ما أحب / واختار والنصف الثانى برسيماً ومقائياً وفولاً مراعاة لمصلحة الاراضى المذكورة ٠٠٠٠ » (١) .

مفلاً تمسنا على السلطان بغير التواضع عليه ولا بد من
 بنفسه لا يستفيد من ذلك أو يفوضه لغيره
 فهدونا بل هو المشرف فاقوها ولا بد من ذلك إلا أن تدعوا الخدم أو الكاهن
 أو المصلح أو الغبطة الزيادة على ذلك فزرع ذلك ما شاء المدة التي
 تدعو الحاجة لها أو ما عين فيه ولا يضعه لمشرر ولا لتخثر
 على التمتع وتغلبه وشرطاً هذا الواقف أن الاراضى التى تزرع مما عين أعلاه
 يشترط للمتولى زرع ما عين في ذلك من زرع نثار أو زرع المدد ولا أن يختار
 واختار الصدق الذي برسم مقائياً وفولاً برسيماً ولا بد من ذلك

(من وثيقة وقف السلطان بيبرس الجاشنكير رقم ٢٢ محفوظة ٤ بالمحكمة - شرط الايجار والزراعة) .

(١) وثيقة وقف السلطان بيبرس الجاشنكير رقم ٢٢ محفوظة ٤ بالمحكمة .

كذلك نصت وثيقة وقف جمال الدين الاستادار ألا تؤجر أعيان الوقف لمن يتصف بصفات محددة . ويخشى منه على الوقف ، كما حرص الواقف على تحديد الطريقة التي تؤجر بها بيوت الوقف للمحافظة عليها ، فجاء بها « وشرط الواقف المذكور أن لا يؤجر هذا الموقوف المذكور بأعاليه لمتنفر ولا لمتجوه ولا لذى شوكة ولا من يعسر الخلاص منه ولا من يخشى على الوقف وأهله منه وأن لا يؤجر ولا شيء منه الا لسنة واحدة فما دونها بأجرة المثل فما فوقها ولا يدخل عقدا على عقد حتى تنتقض مدة العقد الاول وتعود العين الى الناظر وأنه اذا سكن أحد في بيت من الموقوف المذكور يدخل الجابي والمباشر الى المكان ان كان فيه رخام يقيس (كذا) ويضبطون ذلك بالصفة والكيفية والمقدار والجنس ضبطا شافيا واضحا بينا ويسلم للسكان ويشهد عليه بذلك قبل سكنه ويتسلم منه عند خلوه بحيث يكون الموقوف سالما من الضياع والابدال » (١) .

ومن الواقفين من شرط أن تؤجر أراضي الوقف لفلاحيهما ، فهم أحق بها . مثال ذلك ما جاء في وثيقة تغرى بردى « لا تؤجر الارض الا لفلاحيهما فان تعذر لفلاح مشكور السيرة حسن المعاملة » (٢) .

أما طريقة دفع الايجار فقد نصت وثيقة وقف المؤرخ ابن تغرى بردى على وجوب دفع ايجار الاراضي « قسطا بقسط ، والاماكن شهرا بشهر » (٣)

أما مدة الايجار فقد اختلفت من واقف لآخر فقد تكون في الاراضي الزراعية سنتين (٤) : أو ثلاث سنوات (٥) ، وفي النادر كانت خمس سنوات (٦) أما العقارات المبنية فقد نصت غالبية وثائق الوقف على أن تؤجر لسنة

(١) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفظة ١٧ بالمحكمة ، انظر أيضا وثيقة وقف السلطان نرجس بن برقوق ٦٦ محفظة ١١ بالمحكمة حيث جاءت بها شروط مشابهة الا انها اجازت الايجار لثلاث سنوات كحد أقصى لمصلحة الوقف أو أهله .

(٢) وثيقة وقف تغرى بردى بن عبد الله البكلمش رقم ٩٨ محفظة ١٦ بالمحكمة .

(٣) وثيقة وقف ابن تغرى بردى (المؤرخ) رقم ١٤٧ محفظة ٢٣ بالمحكمة .

(٤) وثيقة وقف المزيدي شيخ ٩٣٨ أوقاف . وثيقة وقف جوهر اللالا ١٠٢١ أوقاف .

(٥) وثيقة وقف فرج بن برقوق ٦٦ محفظة ١١ بالمحكمة ، وثيقة وقف الامير

صرغتمش ٣١٩٥ أوقاف ص ٢٥ نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٢٧

(٦) وثيقة وقف الشهابي أحمد على يوسف ٢٦٤ محفظة ٤١ بالمحكمة .

واحد فما دونها . مثال ذلك ما جاء في وثيقة وقف الامير قراقبا الحسنى « ومنها أن يؤجر العقار الموصوف المحدود فيه سوى سنة واحدة فما دونها بأجرة المثل فما فوقها ولا يدخل عقد على عقد حتى تنقضى مدة العقد الاول وأن لا تؤجر الاراضى الموصوفة المحدودة فيه الا لسنتين فما دون ذلك بأجرة المثل فما فوق ذلك ولا يدخل عقد على عقد حتى تنقضى مدة العقد الاول » (١) .

أما السلطان برسباى فقد شرط في بعض أوقافه أن تؤجر لسنتين فأقل (٢) ، ولكنه عاد في أوقاف أخرى له وجعل الحد الأقصى لمدة الايجار سنة واحدة فما دونها من ذلك ما نص عليه « ومنها أن لا يؤجر هذا الوقف ولا شئ منه أكثر من سنة واحدة فما دونها ولا يدخل الناظر عقدا على عقد حتى ينقضى مدة العقد الاول » (٣) .

النظر من فرك ومن أن لا يؤجر هذا الوقف ولا يترمه أكثر

من سنة واحدة فما دونها ولا يدخل الناظر عند اعلى منه حتى ينقضى

من العقد الاول وبنايه اذا قصد اح من النظر على الوقف

(من وثيقة وقف السلطان برسباى رقم ٨٨٠ اوقاف من ٢٥٧ - شرط الايجار لسنة واحدة) .

وهناك من الواقفين من فضل زراعة الارض على ايجارها الا عند الضرورة ، فقد نصت وثيقة وقف السلطان حسام الدين لاجين « اذا أمكن استغلال الارض بالزراعة كان ذلك وان تعذر تؤجر لمدة سنة واحدة » (٤) .

-
- (١) وثيقة وقف الامير قراقبا الحسنى رقم ٩٢ اوقاف سطر ٢٢٨ - ٢٣١ - نشر ودراسة د. عبد اللطيف ابراهيم ص ٢١٨
 (٢) وثيقة وقف السلطان برسباى رقم ٨٨٠ اوقاف ص ٢١٢
 (٣) الوثيقة السابقة ص ٢٥٧
 (٤) وثيقة وقف حسام الدين لاجين رقم ١٧ ، ١٨ محفوظة ٣ بالمحكمة .

ويبدو من هذه الشروط المتعددة أنها وضعت لصالح الاعيان الموقوفة ، ولكن طبيعة الوقف أدت الى سوء استثماره وضعف استغلاله وعدم رعايته رعاية كاملة كما ترعى الاملاك الخاصة ، ذلك أن الولاية على الاعيان الموقوفة تكون لمن تشترط له سواء كان أجنبيا أم مستحقا وله وحده حق مباشرتها ، ويكون عمله حينئذ لغيره لا لنفسه ، فليس له الا ما حددته له الواقف مقابل نظره عليها ، ومن الطبيعي أن عمل الانسان لغيره ليس كعمله لنفسه ، حتى ولو كان هذا الغير وجوه البر المختلفة ، هذا فضلا عن أن الناظر والمستحقين ليس لهم من الاعيان الموقوفة الا ريعها ، ولذلك لا يهتمهم الا الحصول على الثمرة العاجلة ، وان قلت ، لاتمنيههم عمارة الاعيان وحسن الاحتفاظ بها ، لأن عمارة الاعيان الموقوفة سوف تكون على حساب مستحقاتهم من الوقف^(١) .

واعتقد أن هذه الامور الطبيعية والمتعلقة بطبيعة البشر ، فضلا عن طبيعة الوقف التي تحجر على تصرف الغير الا طبقا لشروط الواقف ، هي السبب الرئيسي في خراب الاوقاف ، وقلة ريعها ، فاذا كان هذا هو حال حوالى نصف اراضى مصر الزراعية ، وغالبية مباني القاهرة والفسطاط في العصر المملوكى ، فان هذا الوضع انعكس بدوره وبآثاره السيئة على اقتصاديات البلاد .

ومما يؤكد هذا المعنى أن الفقهاء أنفسهم هم الذين وضعوا الحيل للخروج عن نص شرط الواقف بشأن الايجار ، والذي وضع من أجل مصلحة الاعيان الموقوفة ، ولكن الناظر والمستحقين وجدوا أن هذه الشروط لاتتفق مع اطماعهم الشخصية ، وحرصهم على الحصول على الثمرة العاجلة من ريع الاوقاف ، فأوجد لهم الفقهاء — وغالبيتهم مستحقين في الاوقاف — الحيلة على ذلك ، فجعلوا الايجارة عقودا متعددة مترادفة ، كل عقد سنة في تخير الاراضى ، وثلاث سنين في الاراضى الزراعية . على أن يكون بعضها شرطا

(١) نصت كافة وثائق الوقف المملوكية على البدء بمسألة الاوقاف من الريع — انظر ما سبق ص ٨٦ ، ص ٢٨٠ ، الجزيرى : الفقه على المذاهب الاربعة — المعاملات ج ٢ ص ١٠٤

في بعض (١) ، بالرغم من أن وثائق الوقف التي تعرضت لشروط الايجار نصت على أنه لا يدخل عقد على عقد حتى تنتقضى مدة العقد الاول (٢) .
واعتقد أن هذه الحيلة هي التي جعلت بعض الواقفين يشترط عودة العين الموقوفة الى الناظر بعد انتهاء مدة العقد ، ثم يعاد تأجيرها .
وهكذا (٣) .

ومن الحيل التي وضعها الفقهاء للحصول على الثمرة العاجلة من الاوقاف . في حالة التأجير بعدة عقود مترادفة لمدد متتالية أن جعلوا قيمة الايجار في العقد الاول مرتفعة ارتفاعا كبيرا ، أما باقى المدة فجعلوها بأجرة يسيرة (٤) .
وهذه الحيل تشبه الى حد ما نظام التحكير الذي يعطى حق استغلال الاراضى أو المباني لمدد طويلة قد تصل الى ثلاثين سنة ، وهو نظام لا تقره القوانين الاقتصادية لانه يؤدي الى انخفاض قيمة الاراضى المحكرة ، وما عليها من مباني ، فتباع بأبخس الاثمان ، فضلا عن أن المستأجر في هذه الحالة يعمل على استغلال العين الموقوفة الى أقصى حد لصالحه دون الاهتمام برعاية الارض أو تعمير المباني (٥) ، مما أدى الى انخفاض ما يمكن أن نطلق عليه « الدخل القومي » ، فضلا عن خفض القيمة الحقيقية لهذه الثروات .

- (١) الجزيري : الفقه على المذاهب الاربعة - المعاملات ج ٣ ص ١٠٤
(٢) وثيقة وقف السلطان برسبائى ٨٨٠ أوقاف ص ٢٥٧ ، وثيقة وقف جمال الدين . الاستادار ١٠٦ محفظة ١٧ ، وثيقة وقف فرج بن برقوق رقم ٦٦ محفظة ١١ - أنظر ما سبق ص ٢٨٢
(٣) أنظر ما جاء بشروط الايجار في وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفظة ١٧ فيما سبق ٢٨٢
(٤) يدافع الفقهاء عن أنفسهم في هذه الحيل بأنهم يحملون لصالح الوقف ، ولكن من المعروف أن ريع الوقف للمستحقين ولا سيما وأن بعض الوثائق لم تعدد مرتبات أو مبالغ معينة لأرباب الوظائف والمستحقين وجعلت ذلك لتقدير الناظر ، وهناك من الوثائق ما حددت نصيب المستحقين بنسبة من ريع الوقف مثال ذلك وثيقتى وقف السلطان قلاوون رقم ١٠١٠ ، ١٠١١ أوقاف ، ومن الطبيعي أن المستأجر الذى سيدفع مقدما مبالغ كبيرة مقابل ايجار لمدة طويلة سوف يشترط أن يكون اجمالى الايجار أقل من مثله والا فلما الدافع الذى يجعله يقبل هذا الوضع - أنظر : الجزيري : الفقه على المذاهب الاربعة - المعاملات ج ٣ ص ١٠٤

- (٥) ابن مباتى : قوانين الدواوين ص ٣٥٧ ، المقرئى : السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٥١٨ حاشية ٣ ، د. عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية تحقيق رقم ٢٦٩ - أبو زهرة : الحكر ص ٩٥ ، أنظر ما سبق بالفصل الاول ص ٥٩

يضاف الى هذه الآثار الاقتصادية السيئة التى نجمت عن كثرة الأوقاف مع انحرافها عما شرعت من أجله ، بعض الآثار الاجتماعية الاقتصادية السيئة ، ذلك أن نظام الوقف بأوضاعه وظروفه فى العصر المملوكى كان مدعاة للبطالة والبعد عن الحياة الجادة العاملة . والانصراف الى الحياة اللاهية الخاملة ، وترتب على ذلك نتائج اقتصادية سيئة نتجت عن اعتماد الكثيرين على الأوقاف سواء كانوا مستحقين فيها أو من أرباب الوظائف ؛ ولاسيما المقيمين منهم بالخانقاوات والربط والقبات (الترب) ؛ إذ كان تقرير الوظائف طبقا لشرط الواقف ، والنص على توارث هذه الوظائف ؛ قاضيا على الدوافع الشخصية الكامنة فى نفوس أولاد هؤلاء العلماء والفقهاء للاتجاه الى العمل والانتاج ، فقد ضمنوا وهم ما زالوا أطفالا وظائف ، محددة بمرتبات مغرية حصلوا عليها بحكم مولدهم ، والامثلة على ذلك كثيرة فى غالبية وثائق الوقف . ومنها على سبيل المثال ما جاء فى وثيقة وقف السيئى قرقماس : فقد نصت على أن الواقف « عين وظيفة مشيخة التصوف المذكور أعلاه لسيدنا الفقير الى الله تعالى الشيخ الامام العالم العلامة شرف الدين شرف العلماء أوجد الفضلا مفتى المسلمين أبو زكريا يحيى البردينى الشافعى المشار اليه بأعاليه أيد الله تعالى أحكامه وأحسن اليه ووظيفة المباشرة المذكورة فيه للبعد الفقير الى الله تعالى الجنب العالى القضامى الرئيس الفاضلى الكاملى الشمس شمس الدين أبى عبد الله محمد الدنو سرى أعز الله تعالى جنبه ووظيفة الشهادة المذكورة فيه للجنب العالى القضاى غتج الدين أبى الفتح محمد بن الجنب العالى الشهابى أحمد الشهير بابن جلال أعزه الله تعالى ثم من بعد الجنب المسمى الدنوسرى المشار اليه أعلاه لولده الشهابى أحمد ثم لأولاده وذريته ومن بعد كل من الشيخ شرف الدين البردينى والقاضى فتح الدين المشار اليه أعلاه لأولادهما وذريتهما « (١) .

في الاستحقاق والنظر ومنها انه عين وظيفة مشيخة
 الشرف المذكور اعلاه لسيدنا القدير الى الله تعالى الشيخ
 الامام العالم العلامة شرف الدين شرف العلماء اوجده العفلا
 مفتي المسلمين ابو بكر باجي البردي في الشافعي المشار اليه
 باعاليه ابو الله تعالى احكامه واحسن اليه ووظيفة
 المباشرة المذكورة فيه للعبد القدير الى الله تعالى للجناب
 العالي القضاي الرئيس الفاضل الكامل السمي شرف الدين
 ابي عبد الله محمد الدونوشي اعز الله تعالى جنابه ووظيفة
 الشجادة المذكورة فيه للجناب العالي القضاي فليح الدين
 ابي الفتح محمد بن للجناب العالي الشهابي احمد الشهير بان
 جلال اعز الله تعالى ثم من بعد للجناب الشهابي الدونوشي
 المشار اليه اعلاه لولده الشهابي احمد ثم الاولاد وذريته
 ومن بعد كل من الشيخ شرف الدين البردي والفاضل في
 الدين المشار اليه اعلاه لاولادها وذريتها بحيث يكون

(من وثيقة وقف السيدي قرقماس ٩٠١ أوقاف ص ٣٤ - توارث الوظائف)

ومن الواقفين أيضا من جعلوا بعض ريع أوقافهم كمكافآت لبعض
 عتقائهم ، فشرطوا تنزيلهم في وظائف معينة ، وقرروا لهم المرتبات الكبيرة
 نسبيا عما يتقاضاه أمثالهم لدرجة أننا نجد أن السلطان قايتباي حدد
 مرتبا معيناً إذا كان متولى الوظيفة شخصا معينا ، أما إذا تولاه غيره
 فيصرف له نصف المعلوم ، فقد نصت وثيقة وقف السلطان قايتباي على أن

[illegible][illegible]

(من وثيقة وقف السلطان قايتباي رقم ٩٩٦ أوقاف ص ١٣٢ - مضاعفة مرتب الوظيفة لمعتيق السلطان) •

(۱) وثیقة وقف السلطان قايتباي رقم ۸۸۶ اوقاف ص ۱۳۲

أما طلبة العلم فإن غالبيتهم اتخذ من صفته كطالب علم وسيلة للحصول على المعلوم من الاوقاف ، فاطمان الى ما يصل ليديه سنويا من ريع الاوقاف ، ولم يجد في نفسه حاجة تدعوه الى العمل وبذل الجهد^(١) .

أما أقارب الواقف وذريته فكانوا أكثر اعتمادا على ريع الاوقاف ، وخاصة أن معظم وثائق الوقف المملوكية اهتمت بالوقف على الذرية^(٢) ، مثال ذلك ما جاء في وثيقة وقف السيفى قرقماس للوقف على أقاربه غباء بها « ويصرف للسيفى درويش بن عبد الله بن حاتم بن أخت الواقف المشار اليه في كل شهر يمضى من شهور الاهلة ما مبلغه من الفلوس الموصوفة أعلاه ستمائة درهم نصفها ثلاثمائة درهم أو ما يقوم مقام ذلك من النقود عند الصرف مدت (كذا) حياته ويصرف للجناب العالى السيفى فلاقى ابن عبد الله السيفى قرقماس الاتابكى دوا دار الواقف المشار اليه في كل شهر يمضى من شهور الاهلة من الفلوس الموصوفة أعلاه تسع مائة درهم نصفها أربعمائة درهم وخمسون درهما مدة حياته ثم من بعد كل منهما الآخر من بعده لأولاده وأولاد أولاده وذريته ونسله وعقبه ثم من بعدهم يعود لجهة الوقف للتربة المذكورة أعلاه »^(٣) .

(١) ابن حجر : أنباء النمر ج ١ ص ٩٥ ، ٩٦

(٢) أنظر ما سبق ص ٧٢ وما بعدها .

(٣) وثيقة وقف السيفى قرقماس رقم ٩٠١ أوقاف ص ٢٧ ، ٢٨

الواقف المشار اليه اعلاه واولاده ويصرف للسيفي درويش
 بن عبد الله بن حاتم بن لخت الواقف المشار اليه في كل شهر
 بمخبر من شهور الاهلة ما مبلغه من الفلوس الموصوفة ^{عليه}
 ستماية درهم نصفها ثلثا ثمانية درهم او ما يقوم مقام
 ذلك من النقود عند الصرف مدون حياته ويصرف للجناب
 العالي السيفي فلا قاب ابن عبد الله السيفي قرقماس اذ ابكي

دوادار

دوادار الواقف المشار اليه في كل شهر بمخبر من شهور الاهلة
 من الفلوس الموصوفة اعلاه تسع مائة درهم نصفها اربع مائة
 درهم وخمسون درهما مدة حياته ثم من بعد كل منى الاخر
 من بعده لاولاده واولاد اولاده وذريته وطله وعقبه ثم
 من بعدهم يعود لجنه الوقف ويصرف للقربة المذكورة ^{عليه}

(من وثيقة وقف السيفي قرقماس رقم ٩٠١ أوقاف من ٢٧ - ٢٨ - الوقف على
 اقارب الواقف وذريتهم) .

واذا أمعنا النظر في كثير من وثائق الوقف المملوكية لوجدنا الواقفين
 قد حرصوا على صرف الكثير من ريع أوقافهم شيئا يعتقدون أنه يخفف عنهم
 عذاب الآخرة : فأنشأوا القباب أو التراب ، ورتبوا لها الاموال لدفع مرتبات
 القراء والخدام والطواشيية : كما حددوا مبالغ من ريع الاوقاف لازاءة

القبعة، وفي ثمن ريحان وبقولات وجريد ليوضع على قبر الواقف، مثال ذلك ما جاء في وثيقة وقف الأمير قرقماس فقد نصت على أن « يصرف في كل شهر من شهور الالهة ما مبلغه من الفلوس الموصوفة أعلاه أربعون درهما نصفها عشرون درهما في ثمن ريحان وبقولات رطبة توضع على قبر الواقف المشار اليه وأولاده وذريته على العادة في مثل ذلك ويصرف في كل شهر من شهور الالهة ما مبلغه من الفلوس الموصوفة أعلاه ستون درهما نصفها ثلاثون درهما أو ما يقوم مقام ذلك من النقود عند الصرف في ثمن زيت طيب يستصبح به على صريح الواقف المشار اليه أعلاه وأولاده ٠٠٠ » (١) .

درهم او ما يقوم مقام ذلك من النقود عند الصرف ويصرف
في كل شهر بمضي من شهر ربيع الاول ما مبلغه من الفلوس الموصوفة
اعلاه اربعون درهما نصفها عشرون درهما في ثمن ريحان
وبقولات رطبة توضع على قبر الواقف المشار اليه وأولاده
وذريته على العادة في مثل ذلك ويصرف في كل شهر من
شهور الالهة ما مبلغه من الفلوس الموصوفة أعلاه ستون
درهما نصفها ثلاثون درهما او ما يقوم مقام ذلك من
النقود عند الصرف في ثمن زيت طيب يستصبح به على صريح
الواقف المشار اليه أعلاه وأولاده ويصرف للسيفي رويش

(من وثيقة وقف السيبي قرقماس ٩٠١ اوقاف ص ٢٧ - صرف ثمن ريحان
وجريد وتكاليف اضاءة قبر الواقف) .

(١) وثيقة السيبي قرقماس رقم ٩٠١ اوقاف ص ٢٧

وجاء بنفس الوثيقة أيضا ، وكان الواقف استقل ما قرره في كتاب وقفه الاول الذي جاء بأول الوثيقة ، فقرر مرة ثانية أن يصرف « مائة درهم وثمانية وأربعون درهم ثمن ريحان وبقولات رطبة وجريد يوضع على قبر الواقف المشار اليه أعلاه وقبر أولاده بتربة الامير قائم طاز على مايفضل فيه برسم قبر الواقف مائة درهم وما هو برسم قبر أولاده ثمانية وأربعون درهما ٠٠٠ » (١)

المذكورة مائة درهم وثمانية وأربعون درهم ثمن ريحان
وبقولات رطبة وجريد يوضع على قبر الواقف المشار اليه
اعلاه وقبر أولاده بتربة الامير قائم طاز على مايفضل فيه
ما هو برسم قبر الواقف مائة درهم وما هو برسم قبر
أولاده ثمانية وأربعون درهما ويصرف في كل شهر من

(من وثيقة وقف السيدي قرقماس ٩٠١ اوقاف - ص ٨٠ - تحديد مبالغ
للمرة الثانية للمصرف على بقولات وجريد توضع على قبر الواقف) .

ومن ذلك أيضا ما جاء في وثيقة وقف السلطان حسن عن ترتيب عشرة من الخدام للاقامة في قبتة من أجل حفظها ، وصيانتها ، فقد نصت الوثيقة على أن « يرتب عشرة من الخدام اللازمة الثقات الامنا يقيمون بالقبة المذكورة لحفظها وصيانتها ممن يتطرق اليها من أهل التهم والفساد على جارى عادة أمثالهم في مثل ذلك ويصرف اليهم في كل شهر ألف درهم نقرة فيصرف لخمسة منهم ألف درهم واحدة بالسوية ويصرف الى الخدمة الباقين خمس مائة درهم نقرة بينهم بالسوية وشرط مولانا السلطان الواقف المسمى فيه نخلد الله ملكه أن يكون الخدام المذكورة من عتقائه فان تمذر فمن عتقاء أولاده » (٢) .

(١) وثيقة وقف السيدي قرقماس رقم ٩٠١ اوقاف ص ٨٠

(٢) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ اوقاف ص ٤٥٢

صهر طين في ما بعد ورع عس من الحرام الان بيلد
 الاما صمون بالصدقات وخطها وصاها من
 مطرف اليها من قبل النهر والساد على اى علاه
 اصابه حتى قبل ذلك وصرف اليها من قبل النهر
 وعين ما في من صرف كحده من المال من واحد
 بالسود وصرف اليها كحده الثاني من ما في من قبل
 وسرطامولا بالسلطان الوادى المسمى جليله بلده
 او طوا الحرام المدينه من عماره فان من عماره الاولاد

(من وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف من ٤٥٢ ، ترتيب عشرة من
 الخدام بالقبة) .

ويبدو لى من ذلك ، ومما جاء فى وثائق الوقف من هذا القبيل ،
 أن الواقف انما أراد أن يستأثر بثروته حيا وميتا ، حتى أن السيفى قرقماس
 بعد أن وقف على أقربائه وذريتهم ، وكان به لا يريد أن يؤول ريع الوقف بعد
 انقراض ذرية أقربائه الى جهات البر حسب قواعد الاوقاف ، فينص على انه
 بعد انقراضهم .. « يعود الزيع لجهة الوقف ويصرف للتربة المذكورة » (١) .

وهكذا خرجت الاوقاف عما شرعت له بمعناها الاسلامى الدقيق —
 « صدقة محرمة » ، وحسب ما جاء بقول الرسول عليه الصلاة والسلام
 لعمر بن الخطاب « حبس أصلها وسبك ثمرتها » ، وبعد أن كانت الاوقاف

(١) وثيقة وقف السيفى قرقماس رقم ٩٠١ أوقاف من ٢٨ — انظر ما سبق
 من ٢٨٩ ، ٢٩٠

أحدى الوسائل من أجل تحقيق التضامن الاجتماعى بين أفراد المجتمع الإسلامى ، أصبحت الأوقاف عالة على المجتمع نبتد ثرواته فى أمور أقل ما توصف به أنها ليست من الدين فى شىء .

وبمرور الزمن وانتقال استحقاق ريع الوقف الى الذرية طبقة بعد أخرى ، طبقا بشرط الواقف ، كثر المستحقون وزاد عددهم ، فقل نصيب ما يستحقه كل واحد من المستحقين الى درجة جعلت كل منهم يهمل ما يستحقه ولم يجد أى منهم من الدوافع الذاتية ما تجعله يهتم بعمارة الأوقاف أو العمل على استمرار ريعها ، والأوقاف ثروات طائلة أدنى اهمالها الى اهمال جانب كبير من ثروات البلاد .

هذا بالإضافة الى المنازعات الكثيرة التى نجمت على شروط الواقف استحقاقا وحرمانا ، والتى تحكم بمقتضاها فى أجيال تفصله عنها مئات السنين مما أدى الى تمزيق الأسر واثارة العدواة والبغضاء بين أفرادها ، فكثر القضايا بين المستحقين بعضهم وبعض من ناحية ، وبين المستحقين والنظار من ناحية أخرى(١) ، وفى كافة هذه الأحوال كان اهمال هذه الثروات هو النتيجة الحتمية لتلك المنازعات .

ورغم هذه الآثار الاقتصادية السيئة بالنسبة لمالية البلاد بصفة عامة فإن الأوقاف من ناحية أخرى كانت هى المصدر الرئيسى للثروة التى تمتع بها المعمون ، وهم أرباب الوظائف الحيوانية والفقهاء والعلماء والادباء والكتاب ، والذين كانوا يمثلون الفئة الثانية - بعد الممالك ، فى بناء المجتمع المصرى فى العصر المملوكى(٢) ، والادلة على ذلك كثرة ثروة المتعممين وغناهم ، وليس أدل عليها مما يذكره ابن تغرى بردى من أن ممالك العالم الزينى وقفوا فى ٤ صفر ٨٥٧ هـ للسلطان عثمان بن جقمق « وهم زيادة على ثمانين غير الكتابية

(١) بن آدم المنازعات حول الأوقاف بسبب اخراج أولاد البنات من الاستحقاق القضية التى دارت بشأن دار القيل والتى استمرت أكثر من ١٣٠ سنة حكم فيها عدة قضاة تباينت آراؤهم واختلفت أحكامهم وذلك فى الفترة من سنة ١١٥ هـ الى سنة ٢٤٥ هـ - أنظر الكندى : الولاة والقضاة ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، وما سبق ص ٦ .
(٢) د . سعيد عاشور : المجتمع المصرى ص ٢٨

الصغار ، وذلك شيء لم نعهده لتعمم » (١) ، ويؤكد ذلك المعنى أيضا ما يروى عن العارف بالله سيدي أبو السعود الجارحي (٢) أنه قال لاحد فقهاء الجامع الازهر « متى تصير هاء الفقيه راء » أى متى يصبح الفقيه فقيرا (٣) .

ذلك أن كثيرا من الفقهاء والعلماء شغلوا أكثر من وظيفة ، وانتسبوا لأكثر من وقف ، ومن أمثله ذلك الشيخ أمين الدين الاقصرائى الذى كان يشغل وظيفة شيخ الشيوخ بالاشرفية برسباى ، وتولى مشيخة التدخوف فى مدرسة البدر العينى وعلى أن يكون « حضوره بعد العصر بعد الفراغ من حضور الاشرفية » (٤) .

ومن الطبيعى أن يرى كثير من الواقفين أن هذا الوضع يجعل من الصعب تأدية الوظائف على الوجه الاكمل حسب شروطهم ، ولذلك اشترط بعضهم ألا يجمع أحد بين وظيفتين ، فيما عدا الائمة ونقباء الدروس والدعاة ، مثال ذلك ما جاء فى وثيقة وقف السلطان حسن : « وانه لا يجمع لشخص بين وظيفتين من وظائف هذا المتان خلا الائمة فانه يجمع لهم بين وظيفتى الامامة والطلب خاصة وخلا النقباء بالدروس والداعين بها فانه يجمع لكل منهم بين وظيفتين على ما تقدم شرجه أعلاه » (٥) .

(١) ابن تفرى بردى : منتخبات من حوادث الدهور ص ١٦٧ ، انظر تفصيل ذلك فى د . سميد مافور : المجتمع ص ٣٣

(٢) هو العارف بالله سيدي أبو السعود الجارحي ، كانت له فى مصر كرامات وتلاميذه والقبول التام عند الملوك والوزراء ، توفى سنة نيف وثلاثين وتسعمائة للهجرة - على مبارك : الغطل الجديدة ج ٤ ص ٥٠

(٣) على مبارك : المرجع السابق ج ٤ ص ٥٠

(٤) انظر ما سبق فى الفصل الثانى ص ٨٥ وما بعدها عن لجوء بعض الواقفين ترتيب من له وجاعة فى مؤسسته ، وانظر أيضا ما يلى فى الفصل السابع عن موقف الشيخ أمين من محاولات حل الاوقاف - ابن تفرى بردى : منتخبات من حوادث الدهور ص ٥١٧ ، ٥١٨

(٥) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف ص ٤٧٦

طاسه لمن صدق السر والعلانيه لا يجمع لسمع من
وطاسه من وطاسه هذا المادح خلا الامه مانه يجمع
لمن وطاسه الامامه والطلب خاصه وخلا الامه والبر
والاعين مانه يجمع لكل من وطاسه على اسم
سرجه اعلاه وبسبب الراعي من انحصار من

(من وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف ص ٤٧٦ - عدم الجمع بين وظيفتين)

أما المؤرخ ابن تفرى بردى فأكد عدم الجمع بين وظيفتين في وقفه الا لمن
قرره هو بنفسه في وظيفتين ، وعلى أن يستمر هذا الامتياز لاولادهم من
بعدهم ، فجاء في وثيقة وقفه : « وليس لاحد من أرباب الوظائف
ولا لمستحقى ريع الوقف المذكور بالتربة المذكورة أن يجمع بين وظيفتين فأكثر
الا من قرره الواقف ... وليس لاحد من النظار الجمع بيد أحد من أرباب
الوظائف بين وظيفتين كائنا من كان ومن توفي من كل من زين الدين المسمى
أعلاه وأخيه بدر الدين أبى البركات المذكورين أعلاه وكان له ولد فأكثر استقر
في وظائف والده من شهادة وغيرها هذا في حقهما خاصة وان لم يكن منهم
أهلية استناب عنهم » (١) .

واذا كان الانحراف بالاوقاف عما شرعت من أجله ، مع كثرتها ، أدى
الى سوء الاحوال الاقتصادية بصفة عامة ، فان الاوقاف ذاتها تأثرت الى حد
كبير بسوء الاحوال الاقتصادية ، وبالتالي تأثر المستحقون بذلك ، كما تأثر أيضا
أرباب الوظائف ، وخاصة الفقهاء والعلماء ولا سيما في أوقات الازمات .

(١) وثيقة وقف ابن تفرى بردى رقم ١٤٧ محفوظة ٢٣ بالمحكمة .

فمن دراستنا لوثائق الوقف وجدنا أن كل واقف حدد المرتبات والاستحقاقات بالعملة الموجودة في عصره سواء ما كان منها « درهم نقرة »^(١) أو « الفلوس الجدد »^(٢) أو « الانصاف الفضة »^(٣) ، أو غيرها من العملات التي ضربت في العصر المملوكي ، وفي جميع الاحوال كان الواقف ينص على أن تصرف هذه العملة أو « ما يقوم مقامها من النقود عند الصرف » ، وكان من نتيجة تغير العملات من عصر الى آخر وانتشار استعمال الفلوس بسبب قلة الذهب والفضة في عهد السلطان برقوق لعدم ضربها البتة ولاتخاذها حلياً حتى عز وجود الذهب في نهاية العصر المملوكي ، فيذكر المقرئ أنه بعد وفاة الظاهر برقوق (٨٠١ هـ / ١٣٩٩ م) كان للناس ثلاثة نقود « أكثرها الفلوس وهي النقد الرايح الغالب »^(٤) ، فالعملة

(١) مثال ذلك وثيقة وقف الأمير صرغتمش رقم ٢١٩٥ أوقاف والتي يرجع تاريخها الى ٢٧ رمضان ٧٥٧ هـ ، ووثيقة وقف مسرور بن عبد الله الشبلي رقم ٢٩ محفظة ٦ بالحكمة ، والتي يرجع تاريخها الى ١٤ شوال سنة ٧٦٠ هـ ، والدرهم النقرة ، كما يذكر القلقشندي كان على عهد الظاهر بيبرس كان عياره الثلثان من فضة والثلث من النحاس (صبح الاحشى ج ٣ ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ - الكرمل : النقود العربية النميات ص ٢٣ حاشية ٤ ، ابن مساتي : قوانين الدواوين ص ٢٢٣ ، المقرئ : اغانى الامة ص ٦٥ ، Rabie : The Financial. p. 88.

(٢) ظهرت هذه العملة في عهد السلطان الناصر حسن سنة ٧٥٩ هـ ، وكانت تساوى $\frac{1}{3}$ من الدرهم ، وكانت من النحاس الاحمر ، القلقشندي - صبح الاحشى ج ٣ ص ٤٦٣) وكانت قبل ذلك تساوى $\frac{1}{3}$ من الدرهم ، ويذكر المقرئ في فتل ذلك على الناس ٥٠٠ لانه صار ما يشتري بدرهم هو ما كان قبل يشتري بنصف درهم ، اغانى الامة ص ٧٠ ، ومما هو جدير بالملاحظة أن السلطان حسن نفسه لم يقدر ريع اوقافه ومصروفها بهذه العملة الجديدة ، ولكن بالدرهم النقرة - انظر وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف ، فلم ينتشر استخدام هذه العملة الرديئة الا فيما بعد ، وبدأ الواقفون يقدرون ريع اوقافهم ومصروفها بهذه العملة ، مثال ذلك وثيقة وقف الأمير قراقبا الحسنى ٩٢ أوقاف ، والسينى قرقماس ٩٠-٩١ أوقاف ، ويشبك من مهدى ١٨٨ محفظة ٢٨ بالحكمة ، ورغم ذلك نجد من الواقفين من يصر على استخدام الدرهم النقرة من ذلك ما جاء في وثيقة وقف الجمال عبد الله (٥٣١ ج أوقاف) والتي يرجع تاريخها الى اول جماد اول ٧٨٤ هـ ، وان تصدر المعاملة من الوقف بالدرهم النقرة يصرف ما يقابلها بالفلوس معاملة الديار المصرية كل درهم منها أربعة وعشرون فلوساً .

(٣) ضرب السلطان المؤيد شيخ الى جانب الدراهم الفضة المؤيدية ، انصافاً وأرباباً وهي مسكوكات صغيرة الوزن من الفضة - المقرئ : شذور المعقود نشر الكرمل ص ٦٣ - ٦٦ ، السلوك ج ٤ ق ١ ص ٣٠٧ - انظر أيضاً وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف .

(٤) المقرئ : اغانى الامة ص ٧٩ ، ٧٢

الرديئة تطرد العملة الجيدة من التداول طبقا لقانون جريشام^(١)، وكان من نتيجة ذلك « أن فسدت أحوال أرباب الجوامك من الفقهاء وأمثالهم الذين رزقهم على الاوقاف » ويوضح لنا المقریزی هذا القول بمثال من عهد الناصر فرج بن برقوق ، فعند ذكر حوادث سنة ٨٠٩ هـ فسر ذلك بقوله « وارتفعت أسعار جميع المبيعات حتى بلغت أضعاف قيمتها المعتادة بالفضة ، فصار من معلومه مثلا مائة درهم في الشهر ، وكان قبل هذه الحوادث والمحن يأخذها فضة ، عنها خمسة مثاقيل ذهباً ، فانه الان يأخذ عن المائة سبعة عشر رطلا وثلاثي رطل من الفلوس يقال لهم مائة درهم ، ولا تبلغ دينارا واحدا ، فيشتري بهذه المائة ما كان قبل هذا يشتريه بأقل من عشرين بكثير وأما الاجراء وأصحاب الصنائع فان أجورهم تزايدت ، فكل من كانت أجرته درهما لا يأخذ الا خمسة فما فوقها ، وكذلك التجار ضاعفوا ربحهم ، وأما أرباب الاقطاعات فانهم جعلوا كل فدان بستة أمثال ماكان ، فلم يختل من حالهم شيء »^(٢) .

ويصف لنا المقریزی حال العلماء نتيجة لهذه التطورات النقدية فيقول « فهم ما بين ميت أو مهتلى الموت لسوء ما حل بهم »^(٣) .
كذلك تأثرت الاوقاف ذاتها بالازمات الاقتصادية ، فيذكر المقریزی في حديثه عن المدرسة الفاضلية^(٤) ، وما حل بمكبتها فيقول « انها كانت مائة ألف مجلد ، وذهبت كلها ، وكان أصل ذهابها أن الطلبة التي كانت بها

(١) د. عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية تحقيق ٦٠٧ ، د. عبد الحكيم الرفاعي : الاقتصاد السياسي ج ١ ص ٤٩٤

(٢) المقریزی : السلوك ج ٤ ق ١ ص ٢٧ ، ٢٨

(٣) المقریزی : اغانة الامة ص ٧٥ ، انظر تفصيل سوء أحوال العلماء في : الدلبي (أحمد بن علي - علماء القرن ٩ هـ / ١٥ م) : الفلاكة والفلوكون - (أي الفقر والفسراء) ط . القاهرة ١٣٢٢ هـ ص ٣٦ وما بعدها ، ص ٦١ وما بعدها حيث توجد تراجم العلماء الذين تقلصت عنهم دنياهم - انظر أيضا د. محمد صالح : الفكر الاقتصادي العربي في القرن ١٥ م - مجلة القانون والاقتصاد : السنة الثانية العدد الثالث ١٣٥١ هـ / مايو ١٩٣٢ - ص ٣٨٦ وما بعدها .

(٤) أنشأها القاضي الفاضل سنة ٥٨٠ هـ ووقفها على الفقهاء الشافعية والمالكية - المقریزی : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٦

لما وقع الغلاء بمصر في سنة ٦٩٤ هـ ، والسلطان يومئذ الملك المعادل كتب إلى المنصوري مسهم الضر : فصاروا يبيعون كل مجلد برغيف خبز حتى ذهب معظم ما كان فيها من الكتب « (١) » .

الاقواف ونظام الاقطاع :

عرفت مصر نظام الاقطاع الحربى منذ عصر الدولة الايوبية ، فقد أخذ الايوبيون نظام الاقطاع عن أساتذتهم السلاجقة والزنكيين ، ويذكر المقرئى أنه « منذ كانت أيام صلاح الدين يوسف بن أيوب الى يومنا هذا ، فإن أراضى مصر كلها ، صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده » (٢) وما أن قامت دولة المماليك حتى كانت دولة اقطاعية بكل معانى الكلمة فقسمت أراضى مصر الى أربعة وعشرين قيراطا ، اختص السلطان منها بأربعة قراريط للكلف والرواتب ، واختص الامراء بعشرة ، والعشرة الباقية للتوزيع بين الاجناد (٣) ولم يتبق من أرض مصر خارجا عن الاقطاع ، كما يقول القلقشندي « الا النذر اليسير مما يجرى في وقف من سلف من ملوك الديار المصرية ونحوهم على الجوامع والمدارس والخوانق ونحوها » ويعقب القلقشندي على ذلك بقوله : « مما لا يعتد به لقلته » (٤) .

وبمقارنة ما ذكره القلقشندي في بداية القرن التاسع للهجرة / الخامس عشر للميلاد ، بما ذكره الاسحاقى في بداية القرن العاشر للهجرة / السادس عشر للميلاد ، عند بداية الفتح العثمانى لمصر ، من أن الاوقاف بلغت في مصر « عشرة قراريط » من أصل أربعة وعشرين قيراطا ، أى ما يقرب من نصف مساحة

(١) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٦٦ ، أنظر ما جاء عن الغلاء فى ذلك الوقت : اغانة الامة ص ٣٢ وما بعدها .

(٢) المقرئى : المواظ والاعتبار ج ١ ص ٩٧ ، أنظر أيضا : Rabie (H. M.) : The size and value of the Iqta in Egypt 564 — 741 A. H. / 1169 — 134 I. A. D. (Cook ; Studies in the Economic History of Middle East, London 1970) P. 129.

(٣) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٤١ ، ٨٤٢ ، د : سيد عاشور العصر الممالكى ص ٣٤٨

(٤) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٣ ص ٤٥٥

الأراضي الزراعية ، من هذه المقارنة يتضح لنا أن كثيرا من أراضي الأقطاعات تحولت الى أوقاف عن طريق سلاطين المماليك وأمرائهم . وذلك بعدة طرق منها بيع الأراضي من بيت المال ، فقد أجاز الفقهاء لولى الأمر أن يبيع ممتلكات بيت المال لمصلحة يراها (١) .

كذلك كثر بيع أراضي بيت المال في عهد المماليك الجراكسة بصفة خاصة زيادة كبيرة . وقد وصلت إلينا مجموعة كبيرة من وثائق ذلك العصر تنص صراحة على بيع أراضي بيت المال باسم السلطان - باعتباره ولى الأمر - عن طريق وكيله : وهو في الغالب وكيل بيت المال (٢) . وكان من الطبيعي أن يقوم مشتروا هذه الأراضي بالتصرف فيها بكافة أنواع التصرفات الجائزة في الملك ، ومنها الوقف ، ومن وثائق الوقف التي وصلتنا ما تنص صراحة على أن أصل ملكية العين الموقوفة مشتراه من بيت المال المعمور (٣) . ومثال ذلك ما جاء في وثيقة وقف الأمير قراقبا الحسنى فقد نصت على « الجارى ذلك بيد الواقف المشار اليه أعز الله تعالى أنصاره يشهد له بابتياعه ذلك من بيت المال المعمور بشروطه الشرعية الكتاب الرق المؤرخ بالثالث عشرين جمادى الاولى عام أربعة وأربعين وثمان مائة » (٤) .

ومع كثرة الوثائق التي وصلتنا من عهد السلطان النورى تتضح لنا ضخامة الاملاك المباعة من بيت المال ، وكان ينص في هذه الوثائق على أن سبب البيع هو « في ثمن كلفة الغزاة والمجاهدين وانعساكر المنصورة » (٥) ،

(١) ابن نجيم : التحفة المرضية ورقة ٢٨ ب ، ابن عبد الفتى : النور البادى : ورقة ١٢ - أنظر ما سبق ص ٤٦

(٢) من أمثلة هذه الوثائق من عهد السلطان فرج بن برقوق وثيقة بيع رقم ٥٥ ج أوقاف ، ومن عهد السلطان إيتال وثيقة بيع رقم ٦٤٣ ج أوقاف ، ومن عهد السلطان خشقدم وثيقة بيع رقم ٦٢١ ج ، ٦٢٢ ج أوقاف ، وأنظر ما يل عن وثائق البيع من بيت المال من عصر السلطان النورى ، وللدراسة التفصيلية أنظر : زينب محمد محفوظ هنا : وثائق البيع في مصر خلال العصر المملوكي (رسالة دكتوراه غير منشورة بجامعة القاهرة ١٩٧٧)

(٣) مثال ذلك وثيقة وقف الشهابى أحمد رقم ٢٥١ محفظة ٤٠ بالحكمة وهي بتاريخ ١٧ شوال ٩٠٩ هـ ، ١١ رجب ٩١١ هـ ، ووثيقة وقف أركماس بن عبد الله ابن ططخ رقم ١٣٨ محفظة ٢٢ بالحكمة وهي بتاريخ أول المحرم ٨٦٨ هـ .

(٤) وثيقة وقف الأمير قراقبا الحسنى رقم ٩٢ أوقاف سطر ٧٤-٧٦ . دراسة ونشر د. عبد اللطيف إبراهيم ص ٢٠٥ ، التعليقات العلمية على الوثيقة - تحقيق رقم ٦٠ .

(٥) وثيقة وقف بيع وانتقال ووقف للسلطان النورى رقم ٤٤٠ ج أوقاف .

أو « ليصرف ثمنها في كلفة الغزاة والمجاهدين وحفظ ثغور الاسلام »^(١) ، وقد يضاف الى هذه العبارة « والمتوجهين لحفظ ثغور الاسلام الشريف وجهات المملكة الاسلامية »^(٢) ، أو « لحفظ ثغور الاسلام وسواحل وجهات المملكة الشريف الاسلامية بالديار المصرية »^(٣) .

ورغم حقيقة تعرض مصر للاخطار الخارجية في أواخر عصر دولة المماليك الجراكسة ، ولاسيما في عهد السلطان الغوري ، فإنه لا يسعني الا أن أتشكك في حقيقة هذا البيع ، والهدف الحقيقي منه ، وأرى أن ما تم من بيع أملاك بيت المال المعمور ، ولا سيما ما تم منها في عهد السلطان الغوري ، كان الغرض منه أن تؤل هذه الاملاك للسلطان نفسه ، ولما كان البيع من بيت المال يتم باسم السلطان فكان المشتري عادة من يوكله السلطان لذلك من الامراء ، ثم يتم نقل الملكية من المشتري الى السلطان بعد ذلك والذي يقوم بوقفها : وجميع الوثائق التي وصلتنا من عهد السلطان الغوري ، والتي تم بمقتضاها بيع أملاك من بيت المال ، ثم انتقل هذه الاملاك ووقفها باسم السلطان الغوري^(٤) ، وأوضح مثال يؤيد هذا القول ويثير الشك في حقيقة البيع والهدف منه ما جاء في إحدى الوثائق من بيع أراضي من بيت المال بجهات مختلفة^(٥) ، وكان البائع هو السلطان الغوري — باعتباره ولي الامر — ، وكان وكيله في البيع علاء الدين أبو الحسن علي بن الامام ناظر الخواص ووكيل بيت المال ، الذي قام بدوره بتوكيل الزيني أبو النقاش

(١) وثائق السلطان الغوري رقم ١١٧ ج ، ١٧٦ ج ، ٤٤٤ ج ، أوقاف .

(٢) وثيقة وقف الأمير جاني بك ٦٤٦ ج أوقاف ، وثائق وقف السلطان الغوري

رقم ٢٠٣ ج ، ٣٥٠ ج ، ٣٩٠ ج ، ٣٤٠ ج ، أوقاف .

(٣) وثيقة بيع وانتقال ووقف السلطان الغوري رقم ٣٩٣ ج أوقاف .

(٤) انظر وثائق وقف السلطان الغوري في: محمد محمد أمين : فهرست وثائق

القاهرة .

(٥) من بين هذه الجهات حسب ما جاء بالوثيقة ديا الكبرى وهي من أعمال الغربية من القرى القديمة وتتبع حاليا مركز قويسنا بالمنوفية وكانت مساحتها ٧٤٠ فدان كان معظمها للمتطين — ابن الجيمان التحفة السنية ص ٧٩ ، رمزي : القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٢ ص ٢٠٢ ومنها أيضا قلنا وهي من الاعمال المنوفية ثم قسمت حديثا الى قسمين قلتي الكبرى وقلتي الصغرى وكانت مساحتها ٤٤٩٤ فداناً ، وكانت اقطاعا وبلغت عبرتها ٨٤٠٠ ديناراً — ابن الجيمان — التحفة السنية ص ١٠٨ رمزي : القاموس الجغرافي ق ٢ ج ٢ ص ١٦٥

شعبان ، وكان المشتري هو الصفوى جوهر أحد أعيان السقا الخاص بالخدم الشريفة ، وكان وكيله الحاج جوهر بن عبد الله وتم البيع من بيت المال حسب ما جاء بالوثيقة - في ١٣ ربيع آخر ٩٢٢ هـ ، وتم انتقال هذه الاراضى الى السلطان النورى في ١٧ ربيع آخر ٩٢٢ هـ ، ثم أوقفها السلطان النورى في اليوم التالى في ١٨ ربيع آخر ٩٢٢ هـ ، ومن المعروف أن هذه الايام الخمسة التى تمت فيها هذه العمليات كانت أخرج أيام مصر في ذلك العصر^(١) ، وقام السلطن بهذا الفعل وأمثاله بحجة الصرف على نفقة المساكين في الوقت الذى حاول فيه الاستيلاء على الاموال والاوقاف^(٢) .

ولم يكن بيع اراضى بيت المال ثم وقفها هو الطريق الوحيد لوقف الاراضى التى كانت اقطاعات في العصور السابقة : فقد نصت بعض وثائق الوقف على وقف اراضى واملاك بيت المال مباشرة دون المرور بعملية البيع السابقة ، ولو صوريا ، مثال ذلك ما نصت عليه بعض وثائق وقف السلطان قايتباى التى نصت صراحة على أن الاملاك الموقوفة جارية في ملك بيت المال المعمور^(٣) .

يضاف الى ذلك أيضا كثرة الرزق التى أخرجها السلاطين من بيت المال وأوقفوها على بعض المساجد والمدارس وغيرها من المؤسسات الدينية أو على بعض الافراد سواء كانوا من العلماء أو كانوا من الجند الباطلين^(٤) .

ومن الطبيعي أن تكون هذه الاراضى الخارجة من بيت المال على حساب

(١) من قبل هذا التاريخ بدأت القوات المصرية في الخروج الى الشام لملاقاة العثمانيين وكان السلطان نفسه يستعد للخروج ، وخرج فعلا في ١٥ ربيع آخر الى الريدانية وفي معسكره بالريدانية قام بتغيير بعض وفتياته وأوقف أملاكا جديدة في يومى ١٧ ، ١٨ ربيع آخر ٩٢٢ هـ ، وكان السلطان أحسن بدنو أجله وأجل دولته - ابن اياس : بدائع الزهور ج ٥ ص ٣٤ ، ٣٨ ، الوثيقة رقم ٣٩٣ ج أوقاف ، انظر ما سبق بالفصل الثانى ص ٩٨

(٢) انظر ما يلى فى الفصل السابع

(٣) انظر وثائق وقف السلطان قايتباى ٨٨٦ أوقاف ص ٨ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، وثيقة وقف رقم ٨٨٩ أوقاف وما سبق عن الوقف من بيت المال ص ٩٥ وما بعدها .

(٤) انظر ما سبق عن الرزق وأنواعها ص ١٠٨ وما بعدها .

الاقتطاعات . وبالتالي على حساب قوة الجيش في العصر المملوكي ، ذلك أن النظام الحربي في العصر المملوكي قائم أساسا على نظام الاقتطاع (١) ، وقد أشار إلى هذه الحقيقة السلطان برقوق عندما أراد الاستيلاء على أراضي الأوقاف فقال « أن كثيرا من الأراضي الزراعية تم وقفها : مما أدى إلى إضعاف جيش المسلمين » (٢) ، ويقال أن من بين ما قاله برقوق في هذا المجلس عن الأوقاف « أنها أخذت من بيت المال وانها استغرقت نصف أراضيها » (٣) .

الأوقاف والعمالة الإدارية والفنية :

ازدهرت الأوقاف في العصر المملوكي ازدهارا كبيرا لأسباب مختلفة (٤)، وحرص السلاطين والأمراء والأثرياء على وقف كافة ممتلكاتهم ، وبلغت الأوقاف التي يوقفها السلاطين والأمراء حدا كبيرا حتى قيل عن أوقاف السلطان حسن على مدرسته « أن متحصل وقفها في كل سنة نيف عن متحصل مملكة ضخمة » (٥) ، وأصبح من الصعب على ناظر الوقف حتى ولو كان الواقف نفسه ، أن يرقى شؤون وقفه . ولذلك كان لابد وأن يقرر الواقف مجموعة من الموظفين لإدارة هذه الأوقاف واستخراج ريعها وصرفه في جهاته طبقا لشرط الوقف ، وتولى هؤلاء الموظفون ما يمكن أن نطلق عليه اسم « مجموعة الوظائف الإدارية » : ونظرا لتعدد الأعيان الموقوفة واتساعها ، فإن صيانتها والعمل على دوام عمارتها تتطلب إيجاد مجموعة أخرى من الوظائف تقوم بهذه المهمة على مدار السنة ، وهي ما يمكن أن نطلق عليها اسم « مجموعة الوظائف الفنية » .

(١) د. سعيد عاشور : العصر المملوكي ص ٣٥١

(٢) المقرئ : السلوك ج ٣ ق ١ ص ٣٤٥ ، وما بعدها - أنظر ما يلي في الفصل السابع من محاولات حل الأوقاف .

(٣) المقدسي (الشيخ رمي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد المقدسي الحنبلي) : نزعة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من السلاطين - مخطوطة بدار الكتب رقم ٢٠٧٦ تاريخ - ورقة ٥١

(٤) أنظر العوامل لثاني ساعدت على ازدهار الأوقاف في العصر المملوكي بالفصل الثاني .

(٥) ابن شامين : زبدة كشف المالك ص ٣١

وكان المسئول الاول عن الوقف هو « الناظر » ، وعليه أن يقوم برعايته ، والعمل على انمائه ، وحسن استغلاله طبقا لشرط الواقف ، وجرت العادة في العصر المملوكي أن يتولى الواقف النظر على أوقافه اثناء حياته ، ثم يعهد بذلك من بعده لاولاده وذريته ، أو أن يعينهم من الامراء الذين يخلفونه في وظيفته ، أو الشيوخ والقضاة ، أو يعهد بالنظر على أوقافه الى عتقائه وذريتهم ، كما قد يكون النظر مشاركة بين أحد الامراء — بحكم منصبه — وأبناء الواقف أو عتقائه^(١) .

وتشمل مجموعة الوظائف الادارية عدة وظائف من أهمها :

وظائف المباشرين : وهم الموظفون الاداريون بالوقف ، ويتولون وظيفة المباشرة ، ويشترط فيمن يقوم بها أن يكون عارفا بصناعة الكتابة ، وتنظيم الحسابات ، ويتولى ضبط ما يتحصل من ريع الاوقاف أصلا وخصما وكتابة قوائمها وتسليمها مع شاد الوقف بخطهما ، وعمل حساب الاوقاف متحصلا ومنصفا ، ورفع ذلك للناظر ليشمله بخطه أى بامضائه بعد تحرير ما يجب تحريره^(٢) ، ومثال ذلك ما نصت عليه وثيقة وقف الأمير قراقجا الحسنى « ويصرف لرجل من أهل الخير والدين له معرفة بعمل الحساب ونظمه وكتابته يكون مباشرا بالوقف المذكور في كل شهر من شهور الالهة ما مبلغه من الفلوس الموصوفة خمس مائة درهم نصفها مائتا درهم وخمسون درهما على أن يعمل مصالح الوقف المذكور من كتابة ما يتحصل من ريعه وما يصرف منه لاربابه وعمل المحاسبات المتعلقة لذلك ونظمها وفعل ما جرت العادة بقعله في مثل ذلك على الوجه الشرعى^(٣) » .

(١) انظر ما سبق في الفصل الثاني من ادارة الاوقاف الاملية و:ور الناظر فيها ص ١١٦ وما بعدها .

(٢) وثائق وقف كل من قانى باى الرماح ١٠١٩ أوقاف ، قرقماس ٩٠١ أوقاف ص ٢٩ ، النورى ٨٨٢ أوقاف ص ٥٠٧ ، طومان باى ٨٨٢ أوقاف ص ٥٦٣ ، قايتباى ٨٨٦ أوقاف ص ١٤٢ ، النورى ٨٨٣ أوقاف ، د عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية تحقيق رقم ٦٧٤

(٣) وثيقة وقف الأمير قراقجا الحسنى ٩٢ أوقاف سطر ١٦٧ - ١٧١ نشر ودراسة د عبد اللطيف ابراهيم ٢١٣

أما وثيقة وقف السلطان حسن فجاء بها عن العامل « ويصرف في كل شهر لمعامل يتولى كتابة الحساب ونظمه على عادة أمثاله في مثل ذلك مائة درهم واحدة وخمسون درهما نقرة » (١) .

سنة ما ردمه واحد و تسعين درهما و مائة درهم
عالم
سهر لعامل سهر في حساب الحساب و على ان الله
في بل ذلك ما ردمه واحد و تسعين درهما و مائة درهم

(١) من وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف من ٤٥٩ - العامل .

أما وظيفة « الشادية » . فيتولاها موظف يطلق عليه « الشاد » أو « المشد » . وقد عرفت هذه الوظيفة في الداواوين . كما عرفت في الأوقاف في العصر المملوكي : وكان يستترط فيمن يتولاها أن يكون « ثقة أمين » (٢) ، من « أهل الخير والدين له همة ونهضة » (٣) . واشترطت فيه بعض الوثائق أن يكون « آمينا جدا ذا عفة ونهضة وقوة عزم وبقظة » (٤) : أو أن يكون « نهضا سيوسا ودينا ذا عفة وأمانة » (٥) .

والشاد بمثابة الملاحظ المشرف أو المفتش على القومة وأرباب الوظائف فهو بمنزلة ما فيه مصلحة الوقف المعائد نفعها على مستحقيه (٦) ، ولذلك نجد

(١) وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف من ٤٥٩

(٢) وثيقة وقف السلطان النوري ٨٨٢ أوقاف سطر ١٤٧٣ ، دراسة د. عبد اللطيف ابراهيم .

(٣) وثيقة وقف الأمير قراقبا العسني ٩٢ أوقاف سطر ١٧١ دراسة ونشر د. عبد اللطيف ابراهيم من ٢١٣

(٤) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفظة ١٧ بالمعركة .

(٥) وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف .

(٦) د. عبد اللطيف ابراهيم دراسات تاريخية تحقيق رقم ٦٤٠ ، ٦٧٥ . انظر ايضا وثائق وقف كل من قرقماس ٩٠١ أوقاف من ٢٩ ، قاييتاي ٨٨٦ - أوقاف من ١٤١ ، وبرسياب ٨٨٠ أوقاف من ١٩٦ ، قاني باب الرماح ١٠١٩ أوقاف ، بيبرس الجاشنكير ٢٢ ، ٢٣ محفظة ٤ بالمعركة . السبكي : معيد النعم من ٢٨ ، ١٢٩ . السلوك ج ١ ق ١ من ١٠٥ حاشية ٢ .

أن السلطان الغورى يقرر فى وقفه شاد للمدرسة لملاحظة أرباب الوظائف بها . كما يرتب أيضا شادين فى الوقف للعمل على ما فيه مصلحة الوقف ، فجاء فى وثيقة وقف السلطان الغورى عن شاد المدرسة « ومن ذلك ألفا درهم تصرف لخدام ثقة أمين يقرره الناظر فى وظيفة الشادية بالمدرسة يجعل أرباب الوظائف بها دابة فيحرضهم فى كل وقت على العمل ويحرر عليهم فيه ويحضر تعمير القناديل بالزيت المرتب اليومى وغيره وكل من حصلت منه خيانة أو تقصير فى عمله قابله على ذلك أو رفع أمره للناظر غيرى رأيه من تأديب وعزل وغير ذلك» (١) : وجاء فى نفس الوثيقة عن شاد الوقف « فمن ذلك أربعة آلاف درهم تصرف لرجلين دينين خيرين عفيفين من أمثلة عتقا الواقف المنوه باسمه الشريف يقررهما الناظر شادين بهذا الوقف يجتهدان فى خلاص مال الوقف من جهاته ويقفان على ما يحتاج الى العمارة منه مع مراعاة الحق والاجتهاد فى فعل ما فيه المصلحة لجهة الوقف والعفة عن أخذ ما ليس لهما أخذه : ويقسم المبلغ المذكور بينهما نصفين بالسوية وكل واحد منهما نصفه وهو ألفا درهم » (٢) .

ومن أمثلة ما جاء عن وظيفة الشادية بوثائق الوقف ما تنص عليه وثيقة وقف جمال الدين الاستادار فجاء بها : « ويرتب الناظر رجلا أميناً جداً ذا عفة ونهضة وقوة عزم ويقظة يكون شادا بالوقف المذكور ليستخلص أجرة الاماكن الموقوفة ويعين الجابى على تخليص الريع والمباشرين على عمارة الاماكن وعمل مصالحها ومصالح أهل الوقف والزام العمالين بالساقيتين والفراشين وأرباب الخدمة فى الوظائف المتعلقة بذلك بالعمل ويعمل فى ذلك ما يعمل أمثاله من الشادين على العادة ، ويصرف له على ذلك فى كل شهر من الفلوس الجدد مائتى درهم » (٣) .

(١) وثيقة وقف السلطان الغورى ٨٨٢ أوقاف سطر ١٤٧٣ دراسة د. عبد اللطيف ابراهيم .

(٢) وثيقة وقف السلطان الغورى ٨٨٣ أوقاف سطر ١٥٧١ وما بعده ، دراسة عبد اللطيف ابراهيم .

(٣) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ معظفة ١٧ بالمعكة .

كذلك جاء في وثيقة وقف المؤيد شيخ عن شاد « ويرتب رجلا نهضا سيوسا ودينا ذا عفة وأمانة يقرر شادا بالاوقاف، المذكورة يتولى استخراج ريعها ويستخلصها ويعين جابياها على تخليصها ويفعل ما عادة المشدين فعله ويصرف له في كل شهر من الشهور المذكورة مبلغه من الفضة الانصاف المذكورة مايتا نصف نصف ذلك ما ية نصف واحدة (١) » .

من وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٢٨ أوقاف - الشاد

(من وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٢٨ أوقاف - الشاد)

كذلك جاء بوثيقة وقف السلطان حسن عن الشاد : « ويصرف في كل شهر مائتا درهم نقرة لشاد بهذا الوقف يتولى تحصيل مصلحه واستخراج ما يحتاج الى استخراج » (٢) .

في بلدك ما درهم واحد ودرهم واحد ودرهم واحد
 هذا هو ما درهم واحد ودرهم واحد ودرهم واحد
 صاحبها واسمها صاحبها واسمها واسمها

(من وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف - ص ٤٥٩ - الشاد)

واختلف مرتب شاد الاوقاف من وقف الى آخر حسب اتساع الوقف وأهميته ، فبينما يصل في وقف السلطان حسن الى مائتى درهم نقرة (٣) ، نجده يصل الى تسعين درهم نقرة في وقف السلطان بيبرس

(١) وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٢٨ أوقاف .

(٢) وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف ص ٤٥٩

(٣) الوثيقة السابقة (مؤرخة في ١٥ ربيع الآخر ٧٦٠ هـ) .

الجاشنكير^(١)، وتبعاً لتغير العملات فإن هذا المرتب يصل في وقف السلطان برسبای الى سبعين درهم من الفضة^(٢)، أما من الفلوس فقد تراوح المرتب ما بين أربعمئة درهم فلوسا^(٣) . وألفى درهم فلوسا^(٤) .

أما وظيفة « المشاركة » ، فتسبب وظيفة « الشادية » وقد وجدت وظيفة المشاركة في بعض الاوقاف الكبرى ، وكان يتولاها « مشارف » أو « مشرف » ، وقد يتولى هذه الوظيفة شخص واحد^(٥) ، أو أكثر من ذلك^(٦) ، ويقوم الموظفون المتولون لهذه الوظيفة بالاشراف أو المراقبة على الامور المالية العامة في الوقف^(٧) ، كما كان المشارف يقوم أيضا بحث أرباب الوظائف بالوقف على العمل ويدفعهم الى ذلك^(٨) ، فقد جاء في وثيقة وقف السلطان الغوري « ومن ذلك أربعة آلاف درهم تصرف لاربعة من عتقا مولانا الواقف المنوه باسمه الشريف قمع الله بصولة عدله كل جبار عنيف يقرهم الناظر على هذا الوقف في وظيفة المشاركة به ينفقدون أحواله وأحوال أرباب الوظائف به وينبهون النظار الى ازالة ضرره وعمل مصالحه ومصالح جماعته ويقسم بينهم هذا المقدار أرباعا كل واحد منهم ربعه وهو ألف درهم »^(٩) .

كذلك نصت وثيقة وقف السلطان قايتباي « ويصرف لرجل يكون مشرفا بالوقف المذكور وبالجامع المذكور على أن يتولى حث أرباب الوظائف التي بهذا الوقف على العمل بها وتنهيزهم في ذلك وعمل مصالح الوقف المذكور

(١) وثيقة وقف بيبرس الجاشنكير ٢٢ ، ٢٣ محفوظة ٤ بالمحكمة (٢ شوال ٧٠٧ هـ)

(٢) وثيقة وقف السلطان برسبای ٨٨٠ أوقاف ص ١٩٦ . (٢٤ رجب ٨٤١ هـ) .

(٣) وثيقة وقف قراقبا الحسنی ٩٢ أوقاف (أول شعبان ٨٤٥ هـ) .

(٤) وثيقة وقف السلطان قايتباي ٨٨٦ أوقاف ص ١٤١ (٢٨ جماد آخر ٨٧٩ هـ) .

(٥) وثيقة وقف السلطان قايتباي ٨٨٦ أوقاف ص ١٣٤

(٦) وثيقة وقف السلطان الغوري ٨٨٣ أوقاف سطر ١٥٧٥ دراسة د. عبد اللطيف

ابراهيم .

(٧) د. عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية تحقيق ٦٧٦ ، السلوك ، ج ١

ق ١ ص ١٢٧ حاشية ١

(٨) أنظر ما سبق عن وظيفة الشاد ص ٣٠٦

(٩) وثيقة وقف السلطان الغوري ٨٨٣ أوقاف سطر ١٥٧٥ وما بعده دراسة

د. عبد اللطيف ابراهيم .

فيه على عادة من يتولى مشاريعه الأوقاف في مثل ذلك ما مبلغه من الفلوس الموصوفة أعلاه في كل شهر يمضى من شهور الأهلة ثلاث مائة درهم نصفها مائة درهم وخمسون درهما أو ما يقوم مقام ذلك من النقود عند الصرف وفي كل يوم من الخبز الموصوف أعلاه ثلاثة أرتال بالمصرى «(١)» .

وَبَصْرَةٌ رَجُلٌ كَوْنٌ شَرَفًا بِأَوْقَافٍ لَدُنْهُ دَرَاهِمُ الْجَمِيعِ الْمَذْكُورَةِ
وَعَلَى رَأْسِهَا خَاتَمٌ فِيهِ هَذِهِ الْوَقْفَةُ عَلَى الْعَلَاءِ وَتُؤَدَّى مِنْ ذَلِكَ
مَتَاعُ الْوَقْفِ لَدُنْهُ نَبِيْ عَلَى عَادَةِ مَرْبُوعٍ لِمَنْهُ الْأَهْلُ مِنْ أَهْلِ الْوَقْفِ
مِنْ الْفُلُوسِ الْمَوْصُوفَةِ لَهَا فِي كُلِّ شَهْرٍ مِائَتُ رُبْعٍ مِنْ شُحُورِ الْأَهْلِ ثَلَاثَ مِائَةِ دَرَاهِمٍ
وَحَمْدُ اللَّهِ مَا أَوْفَى بِمَقَامِ ذَلِكَ مِنْ الْقَوْمِ هَذَا الشَّرْحُ فِي كُلِّ عَامٍ
الْمَوْصُوفِ لَهَا لَوَاطِئُ الْبَصْرَةِ وَبَصْرَةٌ لَوْ شِئْنَا

عَلَيْهِ
الْمَرْبُوعُ الْمَوْصُوفُ
لَهَا
عَلَيْهِ
الْمَرْبُوعُ الْمَوْصُوفُ
لَهَا

(من وثيقة وقف السلطان قايتباي ٨٨٦ أوقاف ص ١٢٤ - وظيفة المشاركة)

أما وظيفة « الجبابة » فتولاها « الجابى » . وكان يشترط فيه أن يكون « من أهل الخير والدين له همة وأمانة »(٢) ، « ناهضا حسن السيرة أمينا »(٣) ، « صدوقا عارفا »(٤) له قدرة على استخراج الربيع ، وألا يترك قسطا الى أن يستحق قسط آخر(٥) ، وكان الجابى يتولى استخلاص وجبابة

(١) وثيقة وقف السلطان قايتباي رقم ٨٨٦ أوقاف ص ١٣٤ ، أنظر أيضا وثائق وقف حسام الدين لاجين ١٧ ، ١٨ محفظة ٣ بالمعكة ، وقانى باى الرماح ١٠١٩ أوقاف . جواهر اللالا ١٠٢١ أوقاف .
(٢) وثيقة وقف قراقبا العسنى ٩٢ أوقاف سطر ١٧٤ نشر ودراسة د . عبد اللطيف ابراهيم ص ٢١٣

(٣) وثيقة وقف المزيد شيخ ٩٣٨ أوقاف .
(٤) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار ١٠٦ محفظة ١٧ بالمعكة .
(٥) أنظر وثائق وقف قانى باى الرماح ١٠١٩ أوقاف ، السيفى ملقطباي ١٠٢٠ أوقاف ، قايتباي ٨٨٦ أوقاف ص ١٢٥ ، الجبلى يوسف ١٠٥ محفظة ١٦ بالمعكة وازدر من على باى ٢٤١ محفظة ٣٨ بالمعكة ، والزينى عبد اللطيف ٢٢٢ محفظة ٣٥ بالمعكة ، وأزبك من طرخ ١٩٨ محفظة ٣١ د . عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية تحقيق ٦٨٩ ، نسان جديدان تحقيق رقم ٩٠ ص ٧٦

أما وثيقة وقف السلطان فرج بن برقوق فتذكر لنا عن الجابي : « ويرتب الناظر رجلا ذا ضبط وديانة وحماية يعين جابيا للمسقطات والامانن الموقوفة بإعليه ليسكنها عند الخلو ويستخرج الاجر عنها عند الحاجة ويتمهد أحوال الوقف ويراجع المباشرين والناظرين في ذلك أسوة بأمثاله من الجباة ويصرف له على مستخرجه ما جرت العادة به أسوة أمثاله وأن يصرف المصارف المذكورة أعلاه على الحكم المذكور » (١) .

ويرتبط بوظيفة الجباية وظيفة « الصرف » . ويتولاها « الصيرفي » ، واختلفت ونائق الوقف في شروطها بالنسبة لمن يتولى هذه الوظيفة ، فبينما تنص وثيقة وقف السلطان قلاوون الا يتولى آية وظيفة من الوظائف في البيمارستان يهوديا أو نصرانيا بل لابد أن يكون مسلما ظاهر الامانة موثوقا بدينه ودرايته فقد جاء بها « وليس للناظر في هذا الوقف أن ينزل بهذا المارستان من المرضى ولا من المختلين ولا من الاطباء ولا من المباشرين ولا من أرباب الوظائف بهذا المارستان يهوديا ولا نصرانيا فان فعل شيئا من ذلك أو اذن فيه ففعله مردود واذنه فيه غير معمول به وقد باء بسخطه واثمه » (٢) ، وينطبق هذا الشرط على خليفة الصيرفي أيضا ، اذ نصت عليه صراحة وثيقة وقف السلطان حسن ، في الوقت الذي اشترطت فيه وثيقة وقف السلطان النورى أن يكون الصيرفي « مليا » (٣) .

محمود حسن شيخ الإسلام في مصر
الوقف انزل من الماسارم للصي والاعمال والامانن والامانن
والأرباب للوظائف مسال الماسارم ولان الامانن والامانن
معلم في عمله وعزمه . وقد آسخطه وحمل الماسارم والامانن

(من وثيقة وقف السلطان قلاوون ١٠١٠ أوقاف - شرط تولي الوظائف)

- (١) وثيقة وقف السلطان فرج بن برقوق رقم ٦٦ محفظة ١١ بالمعكة .
(٢) وثيقة وقف السلطان قلاوون ١٠١٠ أوقاف ، ٢/١٥ محكمة سطر ٢٩٤ - ٢٩٧ نشر ومراجعة د . محمد محمد أمين .
(٣) وثيقة وقف السلطان النورى رقم ٨٨٣ أوقاف سطر ١٥٩٩ دراسة د . عبد اللطيف ابراهيم .

ويبدو أن ما جاء في وثائق وقف السلطان قلاوون والسلطان حسن يعكس موقف المسلمين من أهل الذمة في ذلك العهد الذي تزايدت فيه شكوى المسلمين من تعاضل النصارى والاضرار بالمسلمين لتمكنهم من أمراء الدولة « وخروجهم عن الحد في الجراءة والسلطة » (١) .

وتولى الصيرفي قبض جميع أموال الوقف « من هلالى وخراجى ويحفظها تحت يده ويصرف منها ما ياذن له الناظر في صرفه في جوامك المستحقين والعمارة والجراية والزيوت اليومية وما يحتاج اليه في كل سنة من التوسعة وكسوة الايتام وثمان الحصر وملى الصهرج وغير ذلك مما يذكر فيه » (٢)، أما وثيقة وقف السلطان فرج بن برقوق فقد ذكرت أن « يرتب الناظر للوقف المذكور صيرفيا يتولى قبض الربيع والمتحصل وصرفه واعتبار النقود وتحرير أوزانها على عادة أمثاله من الصيارفة يكون خبيرا دينيا أميناً كافيا في ذلك مشهورا في حسن المعاملة » (٣) .

وحرصت وثيقة وقف السلطان حسن على النص على أن الصيرفي ليس له أن يتدخل في استحقاقات أرباب الوظائف ، فجاء بها « ويصرف في كل شهر مائة درهم واحدة لرجل مسلم أصيل في الاسلام يرتب صيرفيا يفعل ما جرت عادة أمثاله بفعله بحيث لا يتعرض الى أرباب الوظائف والطلبة وغيرهم ممن يصرف اليه شيء من ريع هذا الوقف في تنقيص شيء مما يصرف اليهم » (٤) .

(١) المقرئى : المراعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٩٩ ، السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٩٢١

(٢) وثيقة وقف السلطان القورى ٨٨٣ أوقاف سطر ١٦٠٠ وما بعده ، دراسة

د. عبد اللطيف ابراهيم .

(٣) وثيقة وقف السلطان فرج بن برقوق رقم ٦٦ محفوظة ١١ بالمكة .

(٤) وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف ص ٤٦٠

وصرف على من سهر ما عظمى واحدا من اجل صلاحه في
 الاسلام برصفه فاسفلط حرره عاله انما له معله
 في صلح ذلك من حله بحسب ما سهر من الجليل الوطاني والظله
 وعمره من رصفه الذي من رصف هذا الوقف في مصر
 سي ما صرف اليه من المال من سطح الخط الاستطد من

(من وثيقة وقف السلطان حسن رقم ٨٨١ أوقاف من ٤٦٠ - الميرلي)

أما وظيفة الشهادة فيقولانها « الشاهد » ومن لوازمه أن يضبط كل شيء هو شاهد فيه : وأن يكون له تعلق بخدمته ، ويكتب على الحساب الموافق لتعلقه ، ولا يلزمه شيء مما يلزم الناظر والمشارف والعامل والجهيد : إلا أن يظهر أنه واطأهم على خيانه فيكون كأحدهم^(١) ، فكان عمله أن يشهد بمتعلقات الديوان المستخدم به نفيا وإثباتا^(٢) : ومن ثم وجدت هذه الوظيفة في الأوقاف . كما وجدت في الدواوين : ويبدو أن الأصل في هذه الوظيفة مأخوذ عن قوله تعالى (وأشهدوا شهيدين من رجالكم)^(٣) ، ولذلك حرصت غالبية وثائق الوقف على ترتيب شاهدين يشترط فيهما أن يكونا « رجلين من أهل الخير والدين والعفة والامانة واليقظة متصفين بصفة العدالة والضبط »^(٤) ، كما اشترطت بعض الوثائق في الشاهد المعرفة بصناعة الحساب ونظامه وترتيبه وأن يكون عدلا ثقة أمينا مقبول الشهادة^(٥) .

(١) ابن ماضي : قوانين الدواوين ص ٩ ، السلوك ج ٢ ق ١ ص ٢٤٢ حاشية ٤

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى : ج ٥ ص ٤٦٦

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٢

(٤) وثيقة وقف جمال الدين الاستاد رقم ١٠٦ محفوظ ١٧ بالمعكة .

(٥) وثائق وقف طومان باي ٨٨٢ أوقاف ص ٥٦٣ . قاضي باي الرماح ١٠١٩ أوقاف . المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف . السلطان حسن ٨٨١ أوقاف . ص ٤٥٩ ، الأمير صرغتمش ٣١٩٥ أوقاف ص ٢٧ دراسة ونشر د . عبد اللطيف إبراهيم ص ٣٤ ، عبد اللطيف إبراهيم : دراسات تاريخية تحقيق رقم ٦٨٣

ومن أمثلة ما جاء عن هذه الوظيفة بوثائق الوقف ما تذكره وثيقة وقف الأمير جمال الدين الاستادار : « ويرتب الناظر رجلين من أهل الخير والديانة والعفة والامانة واليقظة متصفين بصفة العدالة والضبط يقرهما شاهدين لهذا الوقف يباثبران أحواله وعمارته ويتفقدان ارتفاعه ومتحصله ويضبطان ما يتحصل من ريمه ويصرف في مصالحه ولأرباب الوظائف والكلف به ويبعثان عن حقائق أحواله ويحرران أموره من دخل وخرج ويحرصان على عمارته وعمل مصالحه ومصالح أهله ويفعلان ما يفعل أمثالهما من الشهود الامنا وذوى الهمم الاكفة ويصرف لهما على ذلك في كل شهر من شهور الالهة ثلثمائة درهم فلو ساء جدا بالسوية بينهما لكل واحد منهما مائة وخمسون درهما » (٦) .

وجاء بوثيقة وقف السلطان المؤيد شيخ عن وظيفة شاعدا الوقف «ويرتب رجلين عدلين يقررا شاعدي ديوان الوقف يتوليان ضبط متحصل ريع الاوقاف المذكورة وصرفه على ما جرت به عاد (ة) شهود الاوقاف ويصرف لكل واحد منهما في كل شهر من الشهور المذكورة ما مبلغه من الفضلة الانصاف المذكورة ستون نصفاً نصف ذلك ثلاثون نصفاً (٦) .

[illegible]

(من وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف - شاهدا الوقف)

(۱) وثیقة وقف قایمبای ۸۸۶ اوقاف ص ۱۴۴ ، برسمای ۸۸۰ اوقاف ص ۱۹۴ ،

140

(٢) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفظة ١٧ بالمحكمة .

(٣) وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف

أما وثيقة وقف السلطان حسن فجاء بها عن الشاهدين : « ويصرف في كل شهر ثلثمائة درهم نقرة لشاهدين يتوليان ضبط ما يحضر من ريع الأماكن المذكورة على عادة أمثالهما مائة درهم واحدة وخمسون درهما نقرة »^(١).

وامرؤس من مملوك السلطان حسن
ماحصر من ريع الأقاليم على إمام المال
سهر
سها مائة درهم واحد وخمسون درهما نقرة

(من وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف من ٤٥٩ - الشاهدان)

ومن الوظائف التي استحدثت في الأوقاف في أوائل القرن التاسع للهجرة / الخامس عشر للميلاد وظيفة « البرددارية » ، والتي يتولاها البرددار ، فيقول ابن أبياس أن هذه الوظيفة استحدثت في عهد السلطان قايتباي : « فهي وظيفة حادثة لم تعهد في الدولة الماضية وإنما حدثت في دولة الأشرف قايتباي »^(٢) ، ولكن من دراستي لوثائق الأوقاف وجدت أن هذه الوظيفة كانت موجودة في عهد السلطان المؤيد شيخ (٨١٥ - ٨٢٤ / ١٤١٢ - ١٤٢١ م) ، فقد ورد ذكرها في وثيقة وقف السلطان المؤيد شيخ التي نصت على : « ويرتب رجلا جيدا مشهورا بالنهضة يقرر برددارا يتولى ما عادة مثله يتولاه من طلب غريم وغيره على العاد »^(٣) ، ويؤكد هذا النص أن الوظيفة كانت موجودة حتى قبل عهد المؤيد شيخ ، فلم تفصل لنا الوثيقة طبيعة عمله واكتفت بالنص على أنه يتولى « ما عادة مثله أن يتولاه » ، ففي رأي كاتب الوثيقة أنها ليست في حاجة إلى توضيح .

(١) وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف من ٤٥٩

(٢) ابن أبياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٩ ، انظر أيضا ما جاء من هذه الوظيفة في : د. عبد اللطيف إبراهيم : دراسات تاريخية تحقيق ٦٨٧

(٣) وثيقة وقف المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف .

فجاء في وثيقة وقف السلطان الغورى « فمن ذلك أربعمائة درهم تصرف لرجلين مهندسين عارفين بالابنية ماهرين في صناعتهم وقطع فرط عيوبها يقررها الناظر على هذا الوقف في وظيفة المعمارية بهذا الوقف يتفقدان أبنيته ويحصران ما تحتاج اليه العمارة من مون وبنائين وغير ذلك مما تدعو الضرورة اليه ويقفان على الشد والهدم والبنا على عادة أمثالهما في ذلك »^(١).

كما جاء أيضا بوثيقة وقف جمال الدين الاستادار : « ويرتب أيضا رجلا عارفا بوظيفة المعمارية ذا جودة وأمانة وعفة يكون معمارا بالخانقاه المذكورة وما هو منسوب اليها من الاوقاف على أن المعمار المذكور يتفقد الاماكن الموصوفة كل حين وينظر اليها وينبه على العمارة والاصلاح ويحث المتحدث على فعل ذلك ويفعل ما يفعله أمثاله من المعمارية على العادة بالاوقاف في مثل ذلك ويصرف له من الفلوس المذكورة في كل شهر ستون درهما »^(٢).

كما نصت على ذلك أيضا وثيقة السلطان قايتباى فجاء بها « ويصرف لرجل من أهل الخير والامانة يكون معمارا بالاوقاف المذكورة أعلاه يحضر يوم العمارة في الوقف المذكور لتعهد الصانع في العمل ويحثهم عليه ويمنهم من البطالة وغير ذلك مما جرت العادة في ذلك »^(٣).

ومن الوظائف المتعلقة بعمارة الاوقاف وظيفة « شاهد العمارة » ، وكان يشترط فيمن يتولاها أن يكون ثقة عدل أمين^(٤) ، من ذلك ما نصت عليه وثيقة

(١) وثيقة وقف السلطان الغورى ٨٨٣ أوقاف سطر ١٦٠٣ وما بعده دراسة د. عبد اللطيف ابراهيم .

(٢) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محظنة ١٧ بالحكمة .

(٣) وثيقة وقف السلطان قايتباى ٨٨٦ أوقاف ص ١٣٣

(٤) د. عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية تحقيق رقم ٦٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل في كل شيء دليلا على قدرته وقوته
وآياته وبراهينه على خلقه وقدرته على كل شيء
وآياته وبراهينه على خلقه وقدرته على كل شيء
وآياته وبراهينه على خلقه وقدرته على كل شيء

ومن الوظائف الفنية أيضا وظيفة « الترخيم » والتي كان يعهد بها عادة الى أشهر المرخين على أن يكون « رجلا خيرا بنسوحا عارفا بصناعة الترخيم والتنميم قادرا على الصناعة » (٣) ، وفي بعض الاحيان كان يرتب مرخين من ذلك ما جاء في وثيقة وقف السلطان الغوري « ومن ذلك أربع مائة درهم تصرف لرجلين مرخين يقرران في وظيفة الترخيم بهذا الوقف على أن يتفقدا في كل حين بالمدسة والقبّة من الرخام بالارض والوزرة فما كان منها نافضا أو سقط أو قارب السقوط أصلحاه وأعاداه الى محله أولا فأولا باتقان واحكام ومعرفة بحيث يصير على صفته التي وضع عليها أولا » (٣) .

د. عبد اللطيف ابراهيم .

كما جاء عن هذه الوظيفة أيضا بوثيقة وقف جمال الدين الاستادار :
 « ويرتب رجلا خيرا نصوحا عارفا بصناعة الترخيم والتنعيم قادرا على الصناعة
 لعمل ما لعله يفسد ويقطع من الرخام واصلاح ما يحصل من الخلل في الفسقية
 والخانقاه وأن يتفقد الاماكن الموقوفة كل قليل ويصلح من ذلك ما يحتاج الى
 الاصلاح وتصرف له على ذلك في كل شهر من شهور الالهة من الفلوس المذكورة
 ستون درهما « (١) » .

ومن ذلك يتضح لنا مدى أهمية هذه الوظائف الفنية في المحافظة على
 جمال وروعة الآثار الاسلامية من العصر المملوكي ، فقد حافظت على هذه
 المؤسسات في أحسن حالاتها لفترات طويلة حتى وصلت الينا بكامل روعتها
 وجمالها .

كذلك وجدت في الاوقاف والمؤسسات الدينية الكثير من الوظائف الصغرى
 التى تخدم أغراضا مختلفة مثل السباك ، ونجار السواقى ، وسواق الساقية،
 والفراشين والخدم والبوابين وما الى ذلك من الاعمال التى تحتاج لها المؤسسات
 المختلفة والتى أنشأها الواقفون .

(١) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفوظة ١٧ بالحكمة .

الفصل السابع

تدهور الاوقاف في العصر المملوكي

- محاولات حل الاوقاف (أخذ رأى الفقهاء والقضاة — المحاولات التي احترم فيها رأى الفقهاء — المحاولات التي نفذ فيها السلاطين والامراء رأيهم — اقطاع اوقاف السلاطين السابقين والرزق الاحباسية) •
- اغتصاب الاوقاف عن طريق الاستبدال (رأى الفقهاء فى الاستبدال — تخرج القضاة من الحكم بالاستبدال — اغتصاب الاوقاف تحت ستار الاستبدال) •
- اغتصاب الاوقاف عن طريق : الاعتراف بأن الاوقاف من مال السلطان — جعل ريع الوقف لاولاد السلطان — الاستيلاء على الاوقاف القديمة بحجة تعميرها بالمشاركة — تأجير الاوقاف بأجر زهيد — — الاستيلاء على أموال الاوقاف والايثار — فرض الاموال على الاوقاف والرزق — بيع الاوقاف — وضع اليد على الاوقاف — اغتصاب الرخام والاعمدة من العقارات الموقوفة — حل الاوقاف الذمية •
- دور القضاة والمباشرين فى تدهور الاوقاف، — التقرب الى الامراء بالزيادات فى الاوقاف — اغتصاب أموال الحرمین — الرشوة بالاقواق — عدم تعمير الاوقاف — اغتصاب القضاة للاوقاف وأموالها لانفسهم — ترك الاوقاف فى أيدي أولاد القضاة — عدم احترام شرط الواقف •
- موقف الشعب والعلماء — معارضة العلماء لمحاولات حل الاوقاف — ثورات المعامة ضد فرض الاموال على الاملاك والاقواق فى عهد كل من قايتباى والغورى •

محاولات حل الاوقاف :

ازدهرت الاوقاف في مصر في العصر المملوكي ازدهارا كبيرا حتى تغلغلت الاوقاف في معظم الأنشطة : وأصبح الوقف على كل شيء تقريبا^(١) ، ولكن هذا الازدهار ، وهذا التنوع حمل في طياته عوامل الانهيار والتدهور ، لان كثرة الاوقاف ، وضخامة ريعها . وتنوع مصاريفها جعلها مطمع السلاطين والامراء ، ولا سيما في وقت الازمات . فقتلوا الى حلها واقطاعها أو استبدلوا بها ، كما تطلعو الى اغتصابها واستغلالها ، كذلك تطلع أصحاب النفوس الضعيفة من القضاة والمباشرين الى أموال الاوقاف ، مما أدى الى فسادها وخرابها .

وهكذا لم تلبث الاوقاف في العصر المملوكي أن تعرضت الى الحل والاقطاع ، رغم أنه كان من عوامل ازدهارها في ذلك العصر ، العمل على تحصين الاموال ضد المصادرات : وكان أن استغل بعض سلاطين المماليك والامراء ضعف نفوس جماعة من العلماء والقضاة ، وحصلوا منهم على فتاوى وأحكام بحل أوقاف السلاطين السابقين ، وفي كثير من الاحوال لم يكن الحكام في حاجة الى مثل هذه الفتاوى والاحكام ، فنفذوا مشيئتهم دون الرجوع الى الفقهاء والقضاة .

واذا كنت قد ذكرت في الفصل الاول أن سلاطين مصر من الايوبيين والمماليك أخذوا نظام الوقف من أملاك بيت المال عن السلطان نور الدين محمود ، فاني أعتقد أنهم أخذوا أيضا فكرة حل الاوقاف ، مستندين الى رأى القضاة والفقهاء في ذلك ، عن السلطان نور الدين محمود أيضا ، فيذكر ابن قاضي شعبة أن نور الدين محمود عقد اجتماعا بقلمه دمشق في ١٩ صفر ٨٥٥٤/١١٥٩م حضره القضاة والفقهاء ، والاعيان ، وفي هذا الاجتماع ذكر نور الدين « أن أهم المصالح سد ثغور المسلمين ، وبناء السور المحيط بدمشق والخنديق لصيانة المسلمين وحریمهم وأموالهم ، فصبوا ما أشار اليه وشكروه ، ثم سألهم عن فواضل الاوقاف هل يجوز صرفها في عمارة الاسوار ، وعمل الخندق

(١) انظر ما جاء بهذا الخصوص في الفصل الثاني .

للمصلحة المتوجهة للمسلمين بغافتي شرف الدين بن عبد الوهاب المالكي بجواز ذلك: ومنهم من توقف ليتروى ، فقال الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون الشافعي لا يجوز أن يصرف وقف مسجد الى غيره ، ولا وقف معين الى جهة غير تلك الجهة، واذا لم يكن بد من ذلك ، فليس طريقة الا أن يقرضه من اليه الامر في بيت المال للمسلمين ، فيصرفه في المصالح ويكون القضاء واجبا من بيت المال . فوافقته الائمة الحاضرون على ذلك « (١) » .

وعلى هذا المنوال ، وفي مثل تلك الظروف ، وهي ظروف الحرب ، سواء ضد عدو خارجي ، أو ضد فتنة داخلية ، حاول بعض سلاطين المماليك أن يستغل ظروف الازمات ، ليحصل من القضاء والفقهاء على فتوى بحل الاوقاف ، أو الاستيلاء على فائض ريعها ، وعلى أموال العامة ، ولكن في جميع الحالات رفض القضاء والفقهاء اصدار مثل هذه الفتوى (٢) .

ويمكن تقسيم هذه المحاولات من جانب المماليك الحكام الى قسمين ، القسم الاول يضم المحاولات التي احترم فيها سلاطين المماليك وأمرأؤهم رأى القضاء والفقهاء ، ومعظمها في عصر دولة المماليك البحرية ، والقسم الثاني يضم المحاولات التي لم يهتم فيها سلاطين المماليك وأمرأؤهم برأى القضاء والفقهاء ، وذلك تحت تهديد العدو وشدة الحاجة الى الاموال ووقع معظمها في عصر دولة المماليك الجراكسة .

أما محاولات القسم الاول التي احترم فيها سلاطين المماليك وأمرأؤهم رأى القضاء والفقهاء ، فكانت أولها في عهد الملك المنصور على بن أيك سنة ٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م ، وذلك عقب وصول صاحب كمال الدين عمر بن المديم رسولا من الملك الناصر صاحب حلب والشام — لطلب النجدة لقتال المغول ، فجمع الأمير قطز القضاء والفقهاء والاعيان لمشاورتهم فيما يعتمد عليه في أمر المغول ، وأن يؤخذ من الناس ما يستعان به على جهادهم (٣) ،

(١) ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية ص ٢٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، أبو شامة : ج ١ ص ١ وما بعدها .

(٢) أنظر ما يلي .

(٣) ابن تفرى بردى : النجوم ج ٧ ص ٧٢ ، المقرئى : السلوك ج ١ ص ٤١٦ ،

د . عاشور : العصر المالكي ص ٢٩

ويذكر المقرئى أنه « عقد مجلس بالقلعة عند الملك المنصور ، وحضر قاضى القضاة بدر الدين حسن السنجارى ، والشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وسئلا فى أخذ أموال العامة ، ونفقتها فى العساكر ، فقال ابن عبد السلام (١) «أذا لم يبق فى بيت المال شيء ، وانفقتم الحوائص الذهب (٢) ونحوها من الزينة وساو يتم العمامة فى الملابس سوى آلات الحرب ، ولم يبق للجندى الا فرسه التى يركبها ساغ أخذ شيء من أموال الناس فى دفع الأعداء ، الا أنه اذا دهم العدو وجب على الناس كافة دفعه بأموالهم وأنفسهم » . ولم يترتب على هذا المجلس شيء بالنسبة لأموال العمامة ، ومنها الأوقاف ، ولكن ترتب عليه خلع المنصور وتولية قطز سلطنة مصر (٣) .

أما الظاهر بيبرس فقد حاول تطبيق نظرية امتلاك الدولة لاراضى مصر ، على أساس « أنها فتحت عنوة ، وصارت لبيت المال ، فلا يصح وقفها » ، وذلك فى محاولة للاستيلاء على الاراضى كلها ، ومن بينها الأوقاف ، وفى سبيل ذلك أراد مطالبة ذوى العقارات بمستندات تشهد لهم بالملك ، والا انتزعها من أيديهم ، فاذا كان المستند مثبتا تركها ، وان لم يجد مستندا ، وذلك هو السائد ، استولى عليها ، ولكن الامام النووى (٤) وقف فى وجهه ، وذكر له أن ذلك « غاية الجهل والعناد ، وأنه لا يحل عند أحد من علماء المسلمين ،

(١) هو شيخ الاسلام عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحسن بن محمد بن المذهب السلى الدمشقى الشافعى المعروف بابن عبد السلام ولد سنة ٥٧٧ هـ أو ٥٧٨ هـ ، وتوفى فى ٧ جمادى الاول سنة ٦٦٠ هـ . ابن تفرى بردى - النجوم ج ٧ ص ٢٠٨ ، ٢١٠

(٢) كان من عادة السلطان اذا ركب للعب الكرة بالميدان فرق حوائص من ذهب على بعض الامراء المقدمين ، والحوائص جمع حياصة ، وهى الحزام أو المنطقة - القلقشندى : صبح الامشى ج ٤ ص ٥٢ - ٥٥ - النجوم ج ٧ ص ٧٣ حاشية ١ ، د. عاشور : العصر المالكي ص ٤١٠ ، ١٤٧ - ١٤٦ : Dozy : Dict. Vet. Ar. pp. 146 — 147.

(٣) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٤١٦ ، ٤١٧ ، ابن تفرى بردى : النجوم ج ٧ ص ٧٢ ، ٧٣ ، د. عاشور : العصر المالكي ص ٢٥ ، ودولة الماليك البحرية ص ٣١ ، ٣٢

(٤) هو الشيخ يحيى بن شرف النووى أبو زكريا محى الدين ولد سنة ٦٣١ هـ - وتوفى فى ٢٤ رجب سنة ٦٧٦ هـ - ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك / المجلد السابع - تحقيق قسطنطين زريق ص ١٠٨ - ١١١ ، الذهبى : المعبر ج ٥ ص ١٣٢ ، ١٣٣

ومن في يده شيء فهو ملكه لا يحل لأحد الاعتراض عليه ، ولا يكلف اثباته ،
فاليعد دليل الملك ظاهرا » ، وما زال النووى يعظه حتى كف عن ذلك (١) .

وفي عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون جرت محاولتان ،
الاولى في ولايته الثانية عندما ثبرع في التجهيز للمسير إلى الشام للشار
من جيوش التتار بقيادة غازان في ربيع الآخر سنة ٦٩٩ هـ / ١٣٠٠ م ،
فاستدعى مجد الدين عيسى بن الخشاب ونائب الحسبة - لياخذ فتوى
الفقهاء بأخذ الاموال من الرعية للنفقة على العساكر ، فاحضر فتوى الشيخ
عز الدين بن عبد السلام للملك قطز بأن يؤخذ من كل انسان دينار فرسم
له سائر بأخذ خط الشيخ تقى الدين محمد بن دقيق العيد ، فأبى أن يكتب
بذلك ، فشق هذا على سائر ، واستدعاه ، وقد حضر عنده الامراء ، وشكا
اليه قلة المال « وأن الضرورة دعت الى أخذ مال الرعية لاجل دفع العدو » ،
وأراد منه أن يكتب على الفتوى بجواز ذلك فامتنع ابن دقيق العيد ، فاحتج
عليه بن الخشاب بفتوى ابن عبد السلام فقال : « لم يكتب ابن عبد السلام
للملك المظفر قطز حتى أحضر سائر الامراء ما في ملكهم من ذهب وفضة
وحلى نسائهم وأولادهم ، ورآه ، وحلف كلا منهم أنه لا يملك سوى هذا ،
وكان ذلك غير كاف ، فعند ذلك كتب بأخذ الدينار من كل واحد ، وأما الآن
فيلغني أن كلا من الامراء له مال جزيل ، وفيهم من يجهز بناته بالجواهر
واللالي ، ويعمل الاناء الذى يستنجى منه في الخلاء من فضة ، ويرصع مداس
زوجته بأصناف الجواهر ، وقام عنهم » ، فاكتمى بالنظر في أموال التجار
ومياسير الناس (٢) .

أما المحاولة الثانية في عهد الناصر محمد ، فكانت في ولايته الثالثة على
مصر ، عندما حاول النشو (عبد الوهاب شرف الدين) - ناظر الخاص - ضم
الرزق الاحباسية الى الديوان الخاص ، الا ما كان منها على مسجد عامر

(١) ابن عابدين : رد المحتار ج ٢ ص ٢٦٥
(٢) المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٩٧ . ٨٩٨

فنيقني له النصف ، ويستولي على النصف الآخر ، مع مطالبة المزارعين بخراج هذه الرزق لمدة ثلاث سنين بواقع مائة درهم عن الفدان^(١) .

ويبدو أن النشو هذا كان شرها في أموال الاوقاف ، فقد سبق أن استولى على الفين وخمسمائة دينار واردة من الشام من ريع وقف الاشرفية^(٢) . وذلك في شعبان ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م على أن يعوض عنها جهة الوقف فيما بعد . وعندما عرف الناصر محمد بذلك ، أخذها منه^(٣) .

وحاول السلطان برسباي الحصول على فتوى من القضاة والعلماء بأخذ أموال الناس بما فيها أموال الاوقاف للاستعداد لقتال شاه رخ بن تيمورلنك، فجمع قضاة القضاة بين يديه في ١٣ ربيع الآخر ٨٣٩ هـ / ١٤٣٦ م وسألهم في أخذ الاموال « فكثر الكلام ، وانفض المجلس من غير أن يفتوه بذلك ، وقيل أن بعض الفقهاء قال : كيف نفتيه بأخذ أموال المسلمين » وكان لبس زوجته يوم ظهور ولدها الملك العزيز يوسف ما قيمته ثلاثون ألف دينار ، وهي بدلة واحدة واحدى نسائه « ، ولم يعرف القائل ، ولكن أشيع في أمواه الناس أنه أحد الفقهاء^(٤) .

ومن محاولات هذا القسم أيضا حدثت محاولتان في عهد السلطان قايتباي : الاولى كانت أثناء حرب السلطان مع شاه سوار أمير ذو الغادر فعندما وصلت الى السلطان استغاثته ازبك نائب الشام « بعد هزيمة المسكر .. ودخلهم حلب في أسوأ حال » ، فأمر السلطان بمقعد مجلس السلطان بالقلمة بالحوش السلطاني في ١٤ ذى القعدة سنة ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م^(٥) ، وأمر أن

(١) أنظر ما سبق عن الرزق في الفصل الثاني .

(٢) وقف الاشرفية هي أوقاف السلطان الاشرف خليل بن قلاوون - القرهيزي المواقف والاعتبار ج ٢ ص ٢١١ ، ٢٨٠ .

(٣) القرهيزي : السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٤٤٣ .

(٤) ابن تفرى بردى : النجوم (ط . كالفورنيا) ج ٦ ص ٧٢٨ ، ٧٢٩ .

(٥) يذكر ابن الصيرفي (علي بن داود الجوهري) في كتابه أنباء الهمر بأبنام الهمر ، أن هذا الاجتماع كان في ١٦ ربيع الآخر سنة ٨٧٢ هـ . ويذكر أن السبب في محاولة السلطان الاستيلاء على أموال الاوقاف هي عجز ديوانه عن سد حاجة الممالك ، ورغم أن ابن الصيرفي يذكر أنه كان حاضرا هذا المجلس مع قاضي العنيفة فإن الاسباب التي ذكرها ابن تفرى بردى ، وهو معاصر أيضا - وابن اياس كانت أقرب الى الحقيقة ، وما ذكرناه كان أكثر تفصيلا - أنظر ابن الصيرفي : أنباء الهمر ص ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .

يحضره الخليفة ، والقضاة ، والعلماء ، ليستفتيهم في أخذ أموال التجار ، ومتحصل الاوقاف ، وارباب الاقطاعات ، ويعلق ابن تغرى بردى على ذلك بقوله « فعمل كل أحد أن ماله مأخوذ اذ لا شفيع له ولا ناصر الا الله تعالى ، ومعلوم عند كل أحد أن ارباب الوظائف والقضاة ، لا يميلون الا حيث مال السلطان ، فما بقى بعد ذلك الا الاذعان » (١) ، وحضر الاجتماع الخليفة العباسي المستنجد بالله يوسف ، وقضاة مصر الاربعة : ولى الدين الاسيوطي الشافعي ، ومحب الدين بن الشحنة الحنفي ، وحسام الدين بن خريز المالكي ، وعز الدين الحنبلي ، ومشايخ العلماء وسائر الامراء ، فلما تكامل المجلس ، قام كاتب السر - أبو بكر بن مزهر - فتكلم على لسان السلطان موجهاً الحديث الى الخليفة والقضاة ومشايخ العلم ، وشرح لهم خلو بيت المال من الاموال ، وأن سوار الباغي قد استطال على البلاد وقتل العباد ، وأنه لابد من خروج عسكر ليحمي بلاد السلطان ، وان كثيرا من الناس لديهم زيادات في أرزاقهم ووظائفهم وأن الاوقاف قد كثرت على الجوامع والمساجد ، وأن قصد السلطان أن يبقى لهم ما يقوم بالشعائر فقط ، ويدخل الفائض الى الذخيرة ، فأجابه الخليفة والقضاة بكلام معناه الرضى بمقالة السلطان ، وبينما هم على ذلك حضر شيخ الاسلام أمين الدين الاقصرائي الحنفي - بناء على استدعاء السلطان له - عندما تأخر في الحضور ، فأعاد عليه كاتب السر ما دار في أول الاجتماع ، فلما سمع هذا الكلام أنكره غاية الانكار ، وقال في الملا العام من ذلك المجلس « لا يحل للسلطان أخذ أموال الناس الا بوجه شرعى ، واذا نفذ جميع ما في بيت المال ينظر الى ما في أيدي الامراء والجند وحلى النساء ، فيأخذ منه ما يحتاج اليه ، واذا لم يوف بالحاجة ففي ذلك ينظر في المهم ، وان كان من الضروري في الدفع عن المسلمين هل ذلك بشرايط متعددة » ، وأضاف الى قوله : « وهذا هو دين الله تعالى ، ان سمعت أورك الله على ذلك ، وان لم تسمع فافعل ما شئت ، فانا نخشى من الله تعالى أن يسأئنا يوم القيامة ، ويقول لنا لم لا نهيتموه عن ذلك ، وأوضحتموه له

(١) ابن تغرى بردى : منتخبات من حوادث الدهور ص ٦٢٥ ، ٦٢٦

الحق ؟ ولكن السلطان اذا أراد أن يفعل شيئاً يخالف الشرع ليش يجمعنا ؟ ولكن بدعوة فقير صادق يكفيكم الله مؤنة هذا الامر كله » (١) .

ويوضح ابن تغرى بردى كيف أن الخليفة والقضاة والعلماء الذين مالوا في بادىء الامر الى رأى السلطان . انما مالوا عن ضعف ونفاق فيقول : « وطال الكلام بين الشيخ أمين الدين وكاتب السر . فكاتب السر يظهر مساعدة الملك في الظاهر ، وفي الباطن مساعدة الشيخ أمين الدين . وكذلك الخليفة والقضاة وجميع المسلمين » : وانتهى هذا الاجتماع على غير رضا السلطان (٢) .

ويعلق ابن اياس على موقف السلطان قايتباى من الشيخ أمين الدين فيقول : « فانجبه منه السلطان ، وانفض المجلس من غير طائل » (٣) .

والمحاولة الثانية للسلطان قايتباى كانت في ذى القعدة ٨٧٧ هـ / ١٤٧٢ م ، اذ حدث عندما طلع للخليفة والقضاة الاربعة لتهنئة السلطان بالشهر على العادة أن انتهز السلطان الفرصة ، وتكلم مع قاضى القضاة الحنفى شمس الدين الامشاطى في اقامة قاض برسم حل الاوقاف والاستبدالات فرد عليه قاضى القضاة الحنفى بأن السلطان « له ولاية التفويض الى من يشاء من النواب ، وأما أنا فلا ألقى الله تعالى بحل وقف ولا بعمل استبدال » . وقام القاضى غاضبا ، كما تغير عليه السلطان في الباطن (٤) .

أما محاولات القسم الثانى التى استشار فيها سلاطين المالك وأمرأؤهم القضاة والفقهاء : ثم صرفوا النظر عن رأيهم ، واستباحوا لانفسهم الاوقاف وأموالها ، فقد بدأ بها السلطان برقوق ، مرة أثناء أتاكيتة للسلطان المنصور على بن شعبان سنة ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م ، ومرة ثانية أثناء سلطنته

(١) ابن تغرى بردى : منتخبات من حوادث الدهور ص ٦٢٦ . ٦٢٧ . ابن اياس : بدائع الزهور (نشر محمد مصطفى) ج ٣ ص ١٤

(٢) ابن تغرى بردى : منتخبات من حوادث الدهور ص ٣٦٧ . ابن اياس : بدائع الزهور (نشر محمد مصطفى) ج ٣ ص ١٥

(٣) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ١٥

(٤) نفس المرجع ج ٣ ص ٨٥ . ٨٦

سنة ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م ، وفي المرة الاولى لم يكن هناك عدو يتربص بالبلاد ، ولكن يبدو ان برقوق كان يعد المدة لتولى السلطنة ، فبذل جهده ليحصل أعوانه على اقطاعات وامرد ، ولم يجد أمامه الا الاوقاف ، والرزق الاحباسية ، وقد حفظ لنا المقرئى تفاصيل هذه المحاولة ، فذكر أنه في ١٦ ذى الحجة سنة ٧٨٠ هـ استدعى الامير برقوق القضاة والفقهاء ، وتحدث معهم في حل وقف الاراضى الزراعية . سواء ما كان منها موقوفا على مصالح المساجد والمدارس والخوانك ، والزوايا والربط ، أو كان موقوفا على أولاد الملوك والامراء وغيرهم ، وكان من رأيه أن يدخل ضمن الحل الرزق الاحباسية ، وتساهل كيف يجوز بيع أراضى مصر والشام الخراجية والموقوفة أصلا لصالح بيت المال ؟ مشيرا بذلك الى الاقوال التى ترى أن أراضى مصر والشام فى الاصل ملك لبيت المال ، وأضاف الامير برقوق الى حجته هذه أن كثيرا من الاراضى الزراعية تم وقفها ، مما أدى الى اضعاف جيش المسلمين ، على أساس أن أراضى الوقف والرزق الاحباسية كانت تستثنى من الاقطاع^(١) ، فرد عليه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء : « هما جيتان جيش الليل ، وجيش النهار » ، أما شيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقينى فقال : « ان أوقاف الجوامع والمساجد والمدارس والخوانك التى هى على علماء الشريعة ، وفقهاء الاسلام ، وعلى المؤذنين ، وأئمة الصلوات ، ونحو ذلك لا يحل لاحد أن يتعرض بحلها بوجه من الوجوه ، فان للمسلمين حق لم يدفع اليهم ، والا فانصبوا لنا ديوانا نحاسبه على حقنا ، حتى يظهر لكم أن ما نستحقه أكثر مما هو موقوف علينا ، أما ما وقف على عويشة وفطيمة واشترى من بيت المال بحيلة ، فانه يحتاج أن ينظر فى ذلك ، فان كان قد أخذ بطريق شرعى ، فلا سبيل الى نقضه ، وان كان غير ذلك نقض »^(٢) .

وبالرغم من الموقف المتشدد لشيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقينى ، فقد وجد من القضاة من نافق الامراء ، ففى هذا الاجتماع ، عقب قاضى

(١) انظر ما جاء عن الروك العسائى والروك الناصرى - المقرئى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٤١ - ٨٤٥ ، ج ٢ ق ١ ص ١٤٦ وما بعدها ، النويرى : نهاية الارب ج ٢٩ ورقة ٣١٨ ، ج ٣٠ ورقة ١٩١ / ب ٥ د . عاشور : العصر المساليكى ص ٢٧٣/٢٧٤ . انظر أيضا ما جاء بالفصل السادس عن الاوقاف ونظام الاقطاع .

(٢) المقرئى : السلوك ج ٣ (تحقيق د . سميد عاشور) ق ١ ص ٣٤٥ وما بعدها .

القضاة ابن أبي البققاء على قول شيخ الاسلام بقوله : « يا أمراء أنتم أصحاب الثبيرة ، والامر لكم » ، فثار عليه شيخ الاسلام ، وأغلظ له بقوله « أسكت ما أنت وهذا ؟ » ، فسأل الأمير بركة والأمير برقوق ابن أبي البققاء « من أين يشتري السلطان هذا ؟ » فقال : « الأرض كلها للسلطان » فمقب عليه قاضى العسكر : البدر محمد البلقينى بقوله : « كيف تقول هذا ؟ من أين للسلطان ذلك ؟ » ، وإنما هو كأكحاد الناس » ، فقال قاضى القضاة : « أنتم تأمرون القضاة ، فإن لم يفعلوا ما ترسموا به عزلتموهم ، كما جرى لشرف الدين ابن منصور مع الملك الأشرف لما لم يفعل ما أراد عزله » (١) .

واعتقد ان اختلاف رأى كل من شيخ الاسلام ، وقاضى القضاة شجع الأمراء على اخراج عدة أوقاف وأقطعوها أقطاعات (٢) .

ويبدو أن ما دار في هذا المجلس ، وما آثاره الأمير برقوق عن الوقف من بيت المال ، والرزق والاحباسيه ، وما رد به شيخ الاسلام البلقينى بجواز نقض هذه الاوقاف اذا كانت على أشخاص ، أى على غير مصاريق بيت المال ، مع لزوم ما كان منها على مصارف بيت المال ، يبدو أن هذه القضية أثارت جدلا كبيرا بين العلماء في هذا العصر ، ولذا نجد السيوطى - أحد تلاميذ شيخ الاسلام البلقينى يقوم بتأليف رساله يسميها : « كتاب الانصاف في تمييز الاوقاف » ، يدعم فيها رأى أستاذه ، فقسم فيها الاوقاف الى قسمين : « قسم ليس مأخذه من بيت المال ، ولا مرجعه اليه ، فهذا الوقف مبناه على التشديد والتحريم ، لا يجوز تناول ذرة منه الا مع استيفاء ما شرطه الواقف ، لانه مال أصيل لم يخرج عن ملكه الا على وجه مخصوص بالشرط المذكور ، وقسم مأخذه من بيت المال بأن يكون واقفه خليفة أو ملكا من الملوك السابقة كصلاح الدين بن أيوب وأقاربه (٣) ، أو

(١) يشير بذلك ابن أبي البققاء الى رفض قاضى القضاة شرف الدين بن منصور الحكم باستبدال بعض الدور الموقوفة لمصالح بعض الأمراء ، المقرئى : السلوك ج ٢ ق ١ ص ٢٦٩

(٢) المقرئى : السلوك ج ٢ ق ١ ص ٣٤٧ ، ابن تفرى بردى : النجوم ج ١١ ص ١٦٦

(٣) أنظر ما سبق بالفصل الاول عن أوقاف صلاح الدين الأيوبي .

مرجعه الى بيت المال كأوقاف أمراء الدولة القلاوونية ومن بعدهم الى زماننا هذا ، وانما قلنا أن مرجعه الى بيت المال لأن واقفيه ارقاء بيت المال وفي ثبوت عقبتهم نظرياً^(١) . وإن مرجع ما يأيديهم الى بيت المال . هذا القسم من الاوقاف ميثاء على المسامحة والترخيص لأن لكل من العلماء وطلبة العلم من الاستحقاق في بيت المال أضعاف ما يأخذون منهم^(٢) . وبذلك يضيف السيوطي ابعداً جديدة لمسألة « الوقف من بيت المال » . فلم يكتب بأن يعتبره ارساداً على مصارف بيت المال ، ولكنه اعتبر سلاطين الماليك وأمراءهم وما يملكون من حقوق بيت المال ، وإذا كان السيوطي يرى ضرورة استمرار الاوقاف على الفقهاء وطلبة العلم ، فمن باب أولى أنه يرى رأى استاذه يحل الاوقاف الاهلية الخاصة بهؤلاء السلاطين والأمراء لانها من أملاك بيت المال^(٣) .

أما محاولة برقوق الثانية . فكانت أثناء سلطنته ، وكان الغرض منها هو تحصيل الاموال للاستعداد للقاء قوات تيمورلنك ، فقد عاد الى القاهرة في آخر جمادى الآخرة سنة ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م الأمير طغاي الذي كان قد توجه الى بلاد الشبرق لمعرفة أخبار زحف تيمورلنك - وأخبر السلطان أن قوات تيمورلنك وصلت الى الرها ، وهزمت قوات أمير التركمان ، وأن طلائع جيش تيمورلنك وصلت الى ملطية ، فلما تحقق السلطان برقوق من ذلك أمر بعقد مجلس بالقصر الكبير ، واستدعى اليه الخليفة والقضاة الاربعة ، وشيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقيني ، وأعيان المشايخ المفتين ، كما حضر سائر الأمراء ، ولما تكامل المجلس تكلم السلطان مع الخليفة والقضاة الاربعة في أمر تيمورلنك ، ثم أشار السلطان الى ضرورة « أخذ الاوقاف من الاراضي الخراجية »^(٤) ، فلم يوافق شيخ الاسلام على ذلك ، ولا القضاة الاربعة ، فاعتذر السلطان بأن الخزانة خاوية من

(١) يشير السيوطي بذلك الى القضية المشهورة التي اثارها الشيخ عز الدين ابن عبد السلام بشأن بيع السلاطين على أنهم ارقاء لبيت المال .

(٢) السيوطي : الانصاف في تمييز الاوقاف ورقة ٣٦١ ، ٣٦١ ب .

(٣) أنظر ما سبق بالفصل الثاني عن الوقف من بيت المال .

(٤) القرينى : السلوك ج ٣ ق ٢ ص ٥٦٣

الاموال ، والعدو زاحف على البلاد » وان لم تخرج العسكر بسرعة والا وصل الى حلب والشام . والعساكر لا تنسافو بلا نفقة « (١) ، فثار في المجلس الجدل ، ويقول ابن آياس « ودافعوا السلطان ، وأغلظوا عليه في القول » (٢) وانتهى الامر بالاتفاق على أخذ مال الاوقاف من أجرة الاماكن وخراج الاراضى سنة كاملة ، وأن تظل الاوقاف على حالها (٣) .

وفي هذه المرة أيضا يبدو واضحا أن الاوقاف التى كان يريد أخذها برقوق هى « الاوقاف من الاراضى الخراجية » والمقصود بها الاراضى الزراعية ، فما زال برقوق يعتقد أن أراضى مصر الزراعية من أملاك بيت المال (٤) .

وكان فشل برقوق في استرداد جميع الاراضى الزراعية الموقوفة في المرتين دافعا له على التفكير في طريقة أخرى لاستغلال هذه الاوقاف لصالحه وصالح أمرائه (٥) ، ورغم تعصبه لفكرة أن أراضى مصر الزراعية ملك لبيت المال ، وأنه لا يجوز وقفها ، فاننا نجده يقف ناحية بهيب (٦) على سحابة (٧) تسير مع الركب الى مكة في كل عام ، ومعها جمال تحمل المشاء من الحاج ، وتصرف لهم ما يحتاجون اليه من الماء والزاد ذهابا وايابا (٨) ،

(١) ابن آياس : بدائع الزهور (ط . بولاق) ج ١ ص ٢٦٧

(٢) نفس المرجع ج ١ ص ٢٦٧

(٣) المقرئى : السلوك ج ٣ ق ٢ ص ٥٦٣ . ابن تفرى بردى : النجوم ج ١١

ص ٢٤٧ ، ابن الفرات تاريخ الدول والملوك - المجلد التاسع ج ١ (نشر د . قسطنطين زريق) ص ١٠ ، ١١

(٤) أنظر ما سبق عن محاولته الاولى ص ٣٢٩ . ورأى كل من شيخ الاسلام البلقينى والسيوطى .

(٥) أنظر ما يلى عن اغتصاب الاوقاف واستغلالها .

(٦) احدى قرى الجيزة القديمة أنظر : السلوك تحقيق د . عاشور ج ٣ ق ٢

ص ٩٤٤ حاشية ١

(٧) السحابة هى الطائفة ممن يرافقون الحاج للمحافظة عليه - أنظر ما جاء بالفصل الرابع فى تأدية فريضة الحج .

(٨) المقرئى : السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٩٤٤ . ابن تفرى بردى : النجوم ج ١٢ ص ١٠٨ .

١٠٩ . ابن دقماق : الانتصار : القسم الاول ص ١٣١

كذلك وقف أرضا على قبور أخوة يوسف عليه السلام بالقرافة ، كما أنشأ المدرسة المنسوبة اليه ومكتبا للايتام وسبيلا ، ووقف على منشآته الكثير من الاراضى والدور ، كما أوصى بتعمير تربة له بثمانين ألف دينار ، وشراء عقار ليوقف عليها بعشرين ألف دينار (١) .

ويمكن تفسير أوقاف برقوق في ضوء محاولاته لحل الاوقاف ، ثم العمل على استغلالها ، بأن السلطان برقوق رأى أن يساير الاوضاع السائدة في عصره ، وأن يستغل المشاعر الدينية لدى أفراد الشعب لاسترضائهم ، ويدعم هذا الرأي ما يذكره المقرئى عن سياسة برقوق بالنسبة للفقهاء والصلحاء فيقول : « انه كان يقوم للفقهاء والصلحاء اذا دخل أحد منهم عليه ، ولم يكن يعمد ذلك من ملوك مصر قبله ، وتذكر للفقهاء في سلطنته الثانية من أجل أنهم أفتوا بقتله ، فلم يترك أكرامهم قط مع شدة حنقه عليهم » (٢)

وجرت محاولة مماثلة في عهد الملك الناصر فرج بن برقوق ، لمواجهة أخطار تيمورلنك بعد أن ورد البريد بنزول قوات تيمورلنك على سيواس ، إذ استدعى السلطان الخليفة وقضاة القضاة والامراء وأعيان الدولة في ٢٨ محرم سنة ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م ، واخبرهم باستيلاء تيمورلنك على سيواس ووصول مقدمة جيشه الى مرعش وعينتاب ، وأن « القصد أخذ مال التجار اعانة على النفقة في المساكر » . فقال القضاة : « أنتم أصحاب اليد ، وليس لكم معارض ، وإن كان القصد الفتوى ، فلا يجوز أخذ مال أحد ، ويضاف من الدعا على المساكر ان أخذ مال التجار » . فقيس لهم : « نأخذ نصف الاوقاف نقطعها للاجناد البطالين ، فإن الاجناد قلت لكثرة الاوقاف » ، فقال القضاة : « وما قدر ذلك ! ومتى اعتمد في الحرب على البطالين من الاجناد ! خيف أن يأخذوا المال ، ويميلون عند اللقاء

(١) المقرئى : المرجع السابق ج ٣ ق ٢ ص ٩٣٧ ، ٩٤٤ ، ٩٤٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم ج ١٢ ص ١٠٩ ، ١١٣ ، ابن اياس : بدائع الزهور (ط ٠ بولاق) ج ١ ص ٣١٤

(٢) المقرئى : السلوك ج ٣ ق ٢ ص ٩٤٤

مع من غلب»^(١) . ولم يسفر هذا الاجتماع عن شيء ، ولكن في شهر رجب من نفس السنة ، فوضى السلطان الأمير يلغيا أنسالى أمور الدولة ، ليجهز القوات اللازمة الى دمشق لقتال تيمورلنك ، ولذلك شرع الأمير يلغيا في تحصيل الاموال ، وفي سبيل ذلك فرض على سائر أراضي مصر فرائض ، فيجبى من اقطاعات الامراء ، وبلاد السلطان وأخباز الاجناد ، وبلاد الاوقاف ، عن عبيرة كل ألف دينار خمسمائة درهم ثمن فرس ، وجبى عن سائر املاك القاهرة ومصر وظواهرها أجرته عن شهر « وعم ذلك حتى في أموال الأيتام والاقواق»^(٢) ، ، كما شمل « أوقاف الجوامع والمساجد حتى من أوقاف البيمارستان المنصوري»^(٣) . وجبى من الرزق — وهى الاراضى التى يأخذ منها قوم من الناس على سبيل البر^(٤) عن كل فدان من زراعة القمح ، أو الفول ، أو الشعير ، عشرة دراهم ، وعن الفدان من القصب ، أو القلقاس ، أو النيلة — ونحو ذلك من القطانى ، مائة درهم ، وجبى من البساتين عن كل فدان مائة درهم ٠٠٠ وأخذ ما وجد من حواصل الاوقاف ٠٠٠ «^(٥) ومثال ذلك الاموال التى أخذت من خاتناه شيخو ، وكان بها مبلغ كبير من المال فائض عن مصروفها ^(٦) .

وتكررت مسألة فرض ثمن الخيول على القرى بدون استثناء بما فيها أراضي الاوقاف والرزق ، فى عهد السلطان برسباي ، فى سنة ٨٣٧ هـ / ١٤٣٣ م ، فرض السلطان على جميع بلاد الشرقية والغربية والمنوفية والبحيرة ، وسائر الوجه القبلى خيولا تؤخذ من أهل النواحي ، فكان يؤخذ من كل قرية — بلا استثناء — خمسة آلاف درهم فلوساً عن ثمن الفرس المقرر عليها ، وكان يؤخذ من بعض النواحي عشرة آلاف درهم ثمن فرسين^(٧) .

-
- (١) المقرئى : السلوك ج ٣ ق ٣ ص ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ . ابن تنرى بردى : النجوم ج ١٢ ص ١٢٨ .
 (٢) المعنى : عقد الجمان حوادث سنة ٨٠٣ هـ .
 (٣) ابن ياس : بدائع الزهور (ط . بولاق) ج ١ ص ٣٣٠ .
 (٤) أنظر ما سبق من الرزق بالفصل الثانى .
 (٥) المقرئى : السلوك ج ٣ ق ٣ ص ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٢ ، ابن ياس : بدائع الزهور (ط . بولاق) ج ١ ص ٣٣٠ .
 (٦) المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٢١ .
 (٧) ابن تنرى بردى : النجوم (ط . كاليفورنيا) ج ٦ ص ٧١٧ .

كذلك جرت محاولات في عهد السلطان قايتباي ، لم يأخذ فيها برأى القضاة والفقهاء^(١) ، وفرض الاموال على الاوقاف ، وذلك في سنتي ٨٩٤ هـ / ١٤٨٩ م ، ٨٩٦ هـ / ١٤٩١ م .

أما أولى هاتين المحاولتين فلم تكن بسبب ضغط عدو خارجي ، ولكن خشية قيام فتنة داخلية ، ذلك أن السلطان بلغه عزم المماليك الذين انتصروا بقيادة الاتابكي أزبك على العثمانيين ، والذين عادوا من التجريده على أن يقوموا بفتنة ان لم يحصلوا على نفقة بمناسبة انتصارهم ، وبلغ السلطان أنهم قالوا : « ان كان السلطان ما يعطينا نفقة قتلنا الامراء المماليك الذين كانوا بمصر لم يسافروا » ، ولذلك عمل السلطان على تحصيل الاموال اللازمة ، فاجتمع بالقضاة الاربعة ، وذكر لهم أن الخزائن خالية « وأن المماليك ينوون اثارة فتنة كبيرة ، وانتهى الامر بالاتفاق على تحصيل أجرة شهرين من أصحاب الاملاك والاقواف التي بمصر والقاهرة ، مساعدة للسلطان على النفقة^(٢) .

أما محاولة السلطان قايتباي الثانية فكانت في ربيع الاول سنة ٨٩٦ هـ / ١٤٩١ م ، عندما عقد السلطان مجلسا في قبة يشبك الدوادر حضره قضاة القضاة الاربعة : القاضي الشافعي زين الدين زكي ، والقاضي الحنفي ناصر الدين بن الاخميمي ، والقاضي المالكي عبد الغني بن تقي ، والقاضي الحنبلي بدر الدين محمد السعدي ، وفي هذا الاجتماع شرح السلطان بالتفصيل الاسباب التي أدت الى خلو الخزائن من الاموال ، وأرجع ذلك الى أسباب سياسية واقتصادية ، كما أشار صراحة الى العيب الاساسي في نظام المماليك العسكري ، فذكر لهم « أن ابن عثمان ليس براجع عن محاربة عسكر مصر ، وأن أحوال البلاد الحلبية قد فسدت وآلت اثنى الخراب ، وأن التجار منعوا ما كان يجلب الى مصر من الاصناف ، وأن المماليك الجلبان يرومون منى نفقة ، وان لم أنفق عليهم شيئا فينبهون مصر والقاهرة ، ويحرثون

(١) أنظر محاولات السلطان قايتباي السابقة والتي التزم فيها برأى القضاة والفقهاء ص ٣٢٦ وما بعدها .

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور (نشر محمد مصطفى) ج ٣ ص ٢٦١

البيوت ، ومتى رجع عسكر ابن عثمان الى البلاد الطلبية ، فما يخرج العسكر من مصر حتى أنفق عليهم» (١) ، ثم أقسم السلطان أنه ليس في الخزائن من مال كثير ولا قليل ، وأن القصد « أن يفرض على الاوقاف والاملاك التي بمصر والقاهرة من أماكن وغيطان وحمامات وطواحين ومراكب وغير ذلك أجرة سنة كاملة » يستعين بها على خروج قواته ، واقترح القاضي المالكي الاكتفاء بأجرة خمسة أشهر ، ولا سيما أنه سبق أن فرض على الناس أجرة شهرين وقال : « وما يطبق الحال أكثر من ذلك» (٢) ، وانتهى الامر بالموافقة على اقتراح قاضي القضاة المالكي .

ويبدو أن فشل المحاولتين الاوليتين للسلطان قايتباي بحل الاوقاف (٣) ، جعلته يسلك طريقا آخر للاستفادة من الاوقاف ، ويدل هذا دلالة واضحة على أن الاوقاف في ذلك العصر كانت شيئا كثيرا يستثير أطماع السلاطين والامراء ، كما أنها كانت في نظرهم تفوق حاجة المؤسسات الدينية والخيرية ورغم مواقف السلطان قايتباي هذه من الاوقاف ، فإن ذلك لم يمنعه هو شخصا من اقامة المنشآت الدينية والخيرية والوقف عليها من أملكه ومن أملك بيت المال الشيء الكثير ، كما أن كثيرا من هذه الاوقاف جعلها قايتباي لصالح منشآته ولاعمال البر ، ووقفها على نفسه وأفراد أسرته وبعض أمرائه وعتقائه (٤) .

ولعله رأى في ذلك تقربا الى الله ليغفر الله سياسته التمسكية في جمع الاموال من رعاياه ، فضلا عن الظهور أمام شعبه في صورة الورع التقى .

وما حدث في عهد السلطان قايتباي بالنسبة للاوقاف جرى مثله في عهد السلطان قانصوه الغوري ، فمن أوائل المشاكل التي واجهت السلطان حاجته للمال لنفقة البيعة ، حتى أن طائفة من الممالك ثارت بعد حوالى شهر

(١) ابن ايماس : المرجع السابق ج ٣ ص ٢٧٨

(٢) نفس المرجع والمصنعة

(٣) انظر ما سبق من محاولات السلطان قايتباي ص ٣٢٦ وما بعدها .

(٤) انظر ما جاء بالفصل الثاني ، وانظر أيضا وثيقة وقف السلطان قايتباي

رقم ٨٨٦ أوقاف ، ٨٨٩ أوقاف

من تولية الغورى « ولبست آلة السلاح » : وطلبت من السلطان نفقة البيعة . فاستمهلهم السلطان حتى يجمع المال^(١) فانتظروا لمدة تزيد على الشهر . وثاروا ثانية . ويقول ابن اياس فى ذلك « وفى يوم الخميس ثانى عشرين (ذى الحجة) سنة ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م ٠٠٠ » اضطربت الاحوال : وارتجه الامر على السلطان من قبل الممالك بسبب نفقة البيعة « فشكا السلطان بأن الخزائن خالية من المال : وأن طوائف العسكر كثيرة « ما بين ظاهرية وأثرية وأينالية وخشقدمية وقايتبايية وناصرية . وممالك الظاهر قانصوة ، وممالك الاشراف جنبلات ، وممالك المعادل طومان باى : وممالك النواب والامراء الذين قتلوا . وأن كل منهم يريد رزقا . وأن الملك الناصر بن الاشراف قايتباى « فرق الاقاطيع التى كانت فى الذخيرة جميعا فمن أين أسد هؤلاء الممالك »^(٢) .

وازاء هذا الوضع اجتمع الامراء بالسلطان فى الدهيشة : وعندما نزلوا من القلعة أتيهم بين الناس أن السلطان سوف يستولى على أوقاف المساجد والمدارس ولا يبقى الا ما يقوم بالشعائر فقط : وأنه سوف يوزع الاوقاف « بمشالات على الامراء والممالك »^(٣) .

ويبدو أن ما أتيهم بين الناس كان له أساس من الصحة ، فعندما طلع الخليفة المستمك بالله أبو الصبر يعقوب والقضاة الثلاثة برهان الدين ابن أبى شريف الشافعى : وعبد الغنى بن تقي المالكى ، والشهاب أحمد الشيشينى الحنبلى ليهنئوا السلطان بأول شهر المحرم سنة ٩٠٧ هـ / ١٥٠٠ م كالعادة ، انتهز السلطان الفرصة ، وكلمهم فى شأن الاوقاف ، فلم يوافق أى من القضاة الثلاثة على ذلك ، حتى أن القاضى الحنبلى أغلظ على السلطان فى القول ، فرد عليه السلطان « اذا ركب الممالك وطلبوا منى نفقة أنا أبعتهم لك فى بيتك كلمهم مثل ما تعرف »^(٤) .

(١) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ٨

(٢) ابن اياس : المرجع السابق ج ٤ ص ١٤

(٣) نفس المرجع السابق والصنعة .

(٤) نفس المرجع والصنعة .

وفي آخر النهار طلع القاضي الحنفى عبد البر بن الشحنة الى السلطان .
 موافق على ما يريد السلطان ، وعقد الامراء عند السلطان اجتماع ثان .
 وتم الاتفاق على أن تبقى أوقاف الاراضى الزراعية على حالها ، ويؤخذ
 من ريعها سنة كاملة ، ومن أجرة أملاك القاهرة « من بيوت وريوع وحوانيت
 وحمامات وغيظان ومراكب وغير ذلك يؤخذ منهم أجرة عشرة أشهر كاملة ، حتى
 من وقف البيمارستان المنصوري وسائر الاوقاف من عال الى دون . وكتبت
 المراسيم بمعنى ذلك الى ثغر الاسكندرية ، ودسياط ، حتى الى دمشق وأعمالها
 وسائر البلاد الشامية والحبشية (١) . ولكن ازاء ثورات جموع الشعب اضطر
 السلطان المنورى الى تخفيض المطلوب الى أجرة سبعة أشهر فقط . أسوة
 بما فعله السلطان قايتباى (٢) .



حل أوقاف السلاطين والامراء السابقين واقطاعها :

كذلك عمد بعض سلاطين المماليك — دون الرجوع الى مسوغ شرعى .
 الى حل الاوقاف ، واسترداد الرزق الاحباسية من ورثة السلاطين والامراء
 السابقين ، وذلك فى حالات فردية خاصة (٣) ، من ذلك ما قام به السلطان
 الملك الناصر محمد من حل أوقاف بيبرس الجاشنكير ، وسائر نائب السلطنة .
 واسترداد ما كان بأيديهما من الرزق الاحباسية ، وازافة ذلك كله الى الخاص
 السلطانى (٤) . كذلك استولى السلطان فرج بن برقوق على أوقاف الطواشى
 فيروز الخازندار الرومى بعد وفاته فى ٩ رجب ٨١٤ هـ / ١٤١١ م ، وقرر
 السلطان ما قرره الطواشى من الوقف على الفقهاء والايام وغيرهم ، الا أن

(١) ابن اياس : المرجع السابق ج ٤ ص ١٥ ، د . عاشور : المعر المالىكى
 ص ١٧٧

(٢) ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ١٧ ، انظر ما يلى عن موقف الشعب من
 محاولات حل الاوقاف واغتصابها .

(٣) Lapidus : op. cit. p. 40.

(٤) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ١ ص ٨٩ . ابن تفرى بردى : النجوم
 ج ٩ ص ٥٣

السلطان أضاف باقى الريع لصالح القربة الظاهرية التى أنتسأها على قبر أبيه^(١) .

وقد نجأ بعض سلاطين المائيك الى اخراج بعض القرى والرزق الاحباسية من أوقاف السلاطين السابقين واقطاعها لامرائهم ، من ذلك ما قام به الامير شيخ^(٢) - قبل سلطنته - فى ١٨ ربيع الثانى سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م بأخراج عدة بلاد من أوقاف الناصر فرج بن برقوق منها ناحية منبابة (امبابة)^(٣) وناحية دنديل^(٤) من أوقاف الخانقاة الظاهرية برقوق ، كما أخرج أيضا عدة أراضى من الرزق التى أوقفها الناصر فرج على المدارس ونحوها^(٥) كذلك أخرج السلطان برسبى ناحيتى الاعلام والحنوبشية باقليم الفيوم من وقف السلطان صلاح الدين الايوبى على المدرسة القمحية ، وأنعم بها على مملوكين من مماليكه ، ليكونا اقطاعا لهما^(٦) *

وفى بداية عهد الملك المنصور أبو السعادات فخر الدين عثمان بن جقمق ، الزم السلطان الاستادار زين الدين يحيى الاثقر بأربعمائة ألف دينار ، وذلك للقيام بنفقة المماليك ، حيث لا يوجد « فى الخزانة ولا الدرهم الفرد » ، وفى سبيل ذلك استولى السلطان على أوقاف الاستادار الزينى ، وفرق كثيرا منها

(١) المقرئى السلوك ج ٤ ق ١ ص ٢٠٢ ، ابن حجر : انباء الفمر ج ٢ ص ٥٠١

(٢) قام الامير شيخ أثناء نيابته بالشام باقطاع الاوقاف والاملاك لاموانه ، كما فرض على أهل دمشق جبرة شهر ، ثم حاول الاستيلاء على أوقاف دمشق وانتهى الامر بمصالحته على ثلث متحصلها - المقرئى : السلوك ج ٤ ص ١٦ ، ٢٩ ، ٩٢ ابن حجر انباء الفمر ج ٢ ص ٤٢١

(٣) المقصود بناحية منبابة بلدة امبابة الحالية بمعافطة الجيزة - النجوم ج ٦ ص ٢٨٠

(٤) دنديل من القرى القديمة بكورة البوصيرية د - عاشور : تحقيق كتاب السلوك ج ٤ ص ٢٣٧ حاشية (٢) *

(٥) المقرئى : السلوك ج ٤ ق ١ ص ٢٣٧

(٦) أنظر ما سبق فى الفصل الاول - المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٤

على الممالك السلطانية ، وقد حكم القضاة بطل هذه الاوقاف بعد أن شهد لديهم جماعة بأن الزينى لما أوقف هذه الاملاك كانت ذمته مشغولة بأكثر من مائة ألف دينار ، وعلى هذا فالوقف غير صحيح^(١) . وازاء هذا الوضع ألح الممالك على السلطان فى طلب رزق الفقهاء والمتعممين ، فان ما أخذ من الزينى كان كثيرا^(٢) .

واستولى السلطان الظاهر أبو سعيد خشقدم على اقطاع الامير جانبك وأوقفه بعد وفاته فى سنة ٨٦٨ هـ / ١٤٦٤ م^(٣) ، فغد خلع السلطان على القاضى علم الدين بن جلود - كاتب الممالك السلطانية - . وعلى أبى الفتاح - موقع الامير جانبك - ، وعلى ابن المزاويلى - صاحب ديوان جانبك - باستقرارهم فى التكلم على اقطاع جانبك وأوقفه ، وتعلقاته وكذلك اقطاع تنم رصاص : على أن يضاف متحصل ذلك كله الى الذخيرة السلطانية . على ألا يقل عن أربعة آلاف دينار فى الشهر ، تجمل الى الاستادار ليستعين بها على جوامك الممالك السلطانية^(٤) .

كذلك أقطع السلطان الغورى بعض الرزق الاحباسية والاقواق . ويقول ابن أياس « فأخرج نحواً من ثلاثمائة اقطاع ورزق من غير جنحة ولا سبب وصار ينعم بها على الممالك بمكاتبات ٥٠٠ وأنا مما وقع له ذلك . وخرج اقطاعى لاربعة من الممالك . ولكن أعان الله تعالى ورجع الى اقطاعى والله الحمد »^(٥) : كما قام الغورى بنزع ملكية أراضى جزيرة الروضة . ووقفها بعد أن عوض أصحابها^(٦) .

(١) ابن تفرى بردى : منتخبات من حوادث الدهور ص ١٦٨ . النجوم (ط ٥ كاليفورنيا) ج ٧ ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٧٥ ، ٣٩٠ ، ٣٩١

(٢) ابن تفرى بردى : منتخبات من حوادث الدهور ص ١٦٧

(٣) ابن تفرى بردى : المرجع السابق ص ٥٧١ ، ٥٧٢

(٤) ابن تفرى بردى : منتخبات من حوادث الدهور ص ٧٧٠

(٥) ابن أياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ١٣٦ ، ج ٥ ص ٩٠

(٦) جزيرة الروضة اشترها الملك المظفر تقي الدين عمر سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م وأوقفها على المدرسة التقوية (منازل المز) حتى استأجرها الصالح أيوب من مدرس المدرسة التقوية لمدة ستين سنة ، ثم قرر النشو ناظر الخاص فى عهد الناصر محمد أن يضمها الى أراضى الخاص . القرينى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، السلوك ج ٢ ص ٤٧٤ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ج ٣ ص ٢٥ ، ابن دساق ق ١ ص ١١٠ ، وثيقة وقف الغورى على المقياس ٨٨٢ أوقاف . د . عبد اللطيف ابراهيم : دراسات تاريخية ص ٩٠ - ٩٣

أما أمراء السلطان المغوري فقد تعدوا بدورهم على الرزق الاحباسية والاقواف ، ومن هؤلاء الامراء الامير طراباي الشريفى - رأس نوبة النوب الذى يذكر عنه ابن اياس « وحصل منه الضرر الشامل لجماعة كثيرة من الناس : من مصادرات - وأخذ بيوت : ورزق : وحل أوقاف وغير ذلك (١) » .



اغتصاب الاوقاف عن طريق الاستبدال :

فشل سلاطين الممالك وأمرأؤهم فى حل الاوقاف بطرين شرعى باستفتاء القضاة والفقهاء ، فلم يجدوا أمامهم الا أموال الاوقاف وريمها فتحكموا فيها كيف شاءوا ، وحصلوا على ريمها مددا تراوحت بين شهر وسنة سواء وافق القضاة والفقهاء على ذلك أم لم يوافقوا ، وسواء كانت الحاجة ملحة أم لا .

ولم يعدم سلاطين الممالك وأمرأؤهم وسيلة شرعية للاستيلاء على ما يرغبون فيه من الاوقاف ، لتحقيق أغراضهم الشخصية ، وعاونهم فى ذلك بعض القضاة والفقهاء ، وذلك عن طريق الاستبدال ، فأجاز بعض الفقهاء للواقف أن يشترط لنفسه أو لمن يراه الحق فى استبدال الموقوف بوقف آخر بنفس الشروط ، على أن ينص ذلك صراحة فى كتاب وقفه ، والا فليس لاحد الحق فى استبدال الاوقاف سوى القاضى ، اذا رأى المصلحة فى ذلك ، فاذا

(١) وفى ذلك يقول ابن اياس :

ويبطل حق الناس من كل واجب

ويقتضى خلاف الشرع فى الندب والفرض

ابن اياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ٢٠٨ ، ٢٠٩

صار الوقف بحيث لا ينتفع به . فنلتاضى أن يادب ببيعه على أن يتسرى
بثمنه عقار يوقف بنفس شروط الوقف المستبدل^(١) .

ورغم أن الفقهاء أجازوا للقضاة استبدال الأوقاف منذ النصف الثاني
من القرن الثاني للهجرة ، فإن القضاة تخرجوا من الحكم باستبدال الأوقاف ،
حتى لا يتخذ من الاستبدال طريقا للتلاعب بالأوقاف . فضلا عن اختلاف
المذاهب السنية في جواز الاستبدال ، ويدعم هذا الرأي ما حدث في عهد
أحمد بن طولون ، إذا مات أحد الأفراد وعليه مال للدولة ، وله دار حبس ،
فأوعز عامل الخراج إلى أحمد بن طولون أن القاضى بكار بن قتيبة^(٢) ،
يرى بيع الحبس ، فلما ثبت الدين على هذا الشخص ، وثبت أن داره موقوفة ،
قال ابن طولون لبكار : « مر ببيعه على مذهبك ، فسكت ساعة ، فعاوده ، فقال :
أيها الأمير انك قد بنيت المسجد الجامع والمارستان والسقاية والصهرج
وجبست على ذلك ما شاء الله فلا تجعل لغيرك على أحباسك سبيلا »^(٣) .

ويذكر المقرئى أنه حدث في سنة ٧٧٨ هـ / ١٣٧٦م أن الزم بعض أمراء
الدولة قاضى القضاة شرف الدين بن منصور الحنفى أن يحكم له باستبدال
بعض الدور الموقوفة بملك أحسن منه على مقتضى مذهب أبى حنيفة « وكان
الاستبدال حينئذ غير معمول به في مصر والشام^(٤) » يتركه قضاة الحنفية تنزعا
وتخرجوا لما فيه من الخلاف » ، فامتنع ابن منصور عن الحكم بالاستبدال
للأمير ، فلما ألح عليه في ذلك عزز نفسه^(٥) .

(١) ابن نجيم : رسالة في صورة بيع الوقف لأوجه الاستبدال (مخطوطة بدار -
الكتب المصرية رقم ٥٤ م فقه حنفى) ورقة ١٥٤ ، تحرير المقال في مسألة الاستبدال
(مخطوطة بدار الكتب رقم ٥٤ م فقه حنفى) ورقة ب ، ٤٦ آ الشرنبلوى : حسام
الحكام (مخطوطة بدار الكتب رقم ٥٣ م) ورقة ٣٠٩ ب .

(٢) ولي قضاء مصر سنة ٢٤٦ - أنظر ما جاء منه بالفصل الأول ، ابن عبد الحكم
فتوح مصر ص ٢٤٧

(٣) ابن حجر : رفع الأصـر ج ١ ص ١٥٦ - أنظر ما يلى من بيع الأوقاف لتسديد
ديون للديوان السلطاني .

(٤) من الثابت أنه تم استبدال بعض العقارات الموقوفة على يد القضاة قبل هذا
التاريخ إلا أن ذلك كان نادرا ، أنظر ما يلى عما فعله الأمير قوصون ، المقرئى :
المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٦٩ ، ٨٥

(٥) المقرئى . السلوك ج ٣ ق ١ ص ٢٦٩

والواقع أن العصر المملوكي في مصر شهد الكثير من اغتصاب الأوقاف تحت ستار الاستبدال ، من ذلك ما قام به الأمير قوصون^(١) سنة ٨٧٣٠م / ١٣٣٠م عندما شرع في تدمير جامع خارج باب زويلة إذ تآقت نفسه إلى شراء حمام قتال السبع ، وكان الحمام المذكور من أوقاف الأمير جمال الدين أقوش المنصوري المعروف بقتال السبع ، فاتفق الأمير قوصون مع قاضي القضاة تقي الدين أحمد بن عمر الحنبلي^(٢) ، حتى يحكم ببيعه بمقتضى مذهبه ، واحتالوا لذلك بأن هدموا جانباً من الحمام وأحضروا شهوداً « قد بيتوا معهم ذلك » ليكتبوا محضراً بأن الحمام خراب لا ينتفع به ، وهو يضر بالجار والمار ، والمصلحة في بيعه أنقاضه ، وليؤدوا هذه الشهادة عند قاضي قضاة الحنابلة ليحكم ببيع الوقف واستبداله ، ومما يؤكد أن هذا حدث اغتصاباً وتحاللاً للاستيلاء على الأوقاف ، أن أحد الشهود استيقظ ضميره ، وامتنع عن التوقيع على المحضر وقال : « والله ما يسعني من الله أن أدخل باكر النهار في هذا الحمام ، وأن أتظهر فيه وأخرج وهو عامر ، ثم أشهد بعد ضحوة نهار أنه خراب » ، وانصراف : فاستدعى غيره ، فكتب وأثبت المحضر ، فابتاع الأمير قوصون الحمام المذكور ، وجدد عمارته^(٣) .

ولم تمض على ذلك ثلاث سنوات حتى شرعت نفس الأمير قوصون في الاستيلاء على الدار البيسرية ، وكانت وقفاً بيد ورثة الأمير بدر الدين الشمسي الصالحى النجمي الذي عمر هذه الدار ووقفها ، وأشهد على كتاب وقفها

(١) هو الأمير الكبير سيف الدين قوصون كان أثراً لدى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون حتى أنه تزوج ابنة السلطان وتزوج السلطان اخته ، ولما احتضر السلطان جعله وصياً على أولاده ، حتى أنه تطلع إلى السلطنة فقبض عليه وقتل سنة ٧٤٦ هـ . المقيزي : الواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٧٢ ، ٣٠٨

(٢) هذا ما ذكره المقيزي في السلوك ج ٢ ص ٣٢١ ، ونحن جاء في الواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٦٩ ، ٨٥ ، أن قاضي القضاة الذي أمر ببيع هذه الأوقاف هو شرف الدين الحراني الحنبلي ، والأرجح ما جاء في السلوك إذ أن تقي الدين أحمد كان قاضي قضاة الحنابلة في الفترة من ١١ ربيع الأول ٧٩٢ هـ رستى ١٨ ربيع آخر ٧٣٨ ، أنظر السلوك ج ٢ ق ١ ص ١١٧ ، ق ٢ ص ٤٤٣ ، أما شرف الدين الحراني فكان أحد القضاة الحنابلة . أنظر مايلي عن شراء الأمير قوصون الدار البيسرية ، والسلوك ج ٢ ق ٣٦٢

(٣) المقيزي : السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٣٢١ ، الواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٨٥ ، Lapidus : op. cit. p. 60-61.

اثنى وتسعين عدلا^(١) . ولكن لم يحل هذا دون أنصاع الأمير قوصون الذى استعان هذه المرة بنفوذ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون . ويذكر المقرئ أن الأمير قوصون سأل السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فى أخذها . فأذن له فى التحدث مع ورثته بيسرى . فأرسل اليهم ووعدهم . ومناهم : وأرضاهم . حتى أذعنوا له . وعندئذ أرسل السلطان الى القاضى شرف الدين الحرانى الحنبلى يلتمس منه الحكم باستبدالها . فأجاب الى ذلك^(٢) . ويعلق المقرئ على ذلك بقوله : « فكان هذا مما شنع ذكره . فانها دار يجل وصفها . ويتعذر وجود مثلها »^(٣) . وكانت هذه البداية . « فقد اقتدى القضاة بعضهم ببعض فى الحكم باستبدالها . وآخر ما حكم به من استبدالها فى أعوام بضع وثمانين وسبعمائة . فصارت من جملة الاوقاف الظاهرية برقوق »^(٤) .

على أن ما حدث على يد الأمير قوصون مما وصفه المقرئ بالشناعة كان مقدمة لما حدث فى العصر المملوكى الثانى من ازدياد المبت بالاوقاف والاعتداء عليها . والمعروف عن عصر المماليك انجراكة أنه شهد ضعف الدولة واختلال أمورها واضطراب أوضاعها الداخلية والخارجية . وظهر هذا الخلل بصورة واضحة فى نظام الاوقاف . فيقول المقرئ عن الاوقاف فى ذلك العصر « الا أنها اختلفت . وتلاشت . فى زماننا هذا . وعما قليل أن دام ما نحن فيه لم يبق لها أثر البتة .. »^(٥) .

ويرجع السبب الرئيسى فى اختلال الاوقاف إلى جشع بعض الأمراء فى الاستيلاء عليها عن طريق الاستبدال . فقد حدث أن ولى القضاء فى مصر كمال الدين عمر بن جمال الدين ابراهيم بن المديم . قاضى حلب الحنفى

(١) ذكر المقرئ فى السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٣٦٢ أنهم ٧٢ عدلا فقط . انظر أيضا المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٦٩ . انظر ما جاء بالفصل الثانى من كثرة الشهود على كتاب الوقف .

(٢) المقرئ : السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٣٦٢ . المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٦٩

(٣) المقرئ : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٦٩

(٤) المقرئ : السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٣٦٢

(٥) المقرئ : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٦

قضاء قضاء الحنفية بمصر^(١) . كما وصل الى منصب استاذارية السلطان الامير جمال الدين يوسف^(٢)، فمظاهرا معا على اطلاق الاوقاف . فكان جمال الدين اذا أعجبه وقف من الاوقاف . وأراد أخذه ، أقام شاهدين يشهدان بأن هذا المكان يضر بالجار والمار . وأن الحظ فيه أن يستبدل به غيره . فيحكم له قاضي النقضاة ابن العديم باستبدال ذلك . واستسلم الامير جمال الدين هذا العمل ، فشره فيه ، وحكم له ابن العديم باستبدال القصور النعمانية ، والدور الجليلة « بشىء من الطين من الجيزة وغيره »^(٣) ، ويعقب المقرئى على ذلك بقوله : « والناس على دين ملوكهم . فصار كل من يريد بيع وقف . أو شراء وقف ، سعى عند القاضي المذكور بجاءه أو مال فيحكم له بما يريد من ذلك »^(٤) .

واستغل الامراء وعامة الشعب هذا الوضع : كما استغلوا الاختلافات القائمة بين المذاهب في موضوع الاستبدال ، مع ضعف نفوس القضاة في ذلك العصر . حتى استدرج بعض القضاة الى نوع آخر من الاستبدال ، وهو أن يقام شهود القيمة فيشهدون أن هذا الوقف أو ذاك ضار بالجار والمار . وأن الحظ والمصلحة في بيعه أنقاضا ، فيحكم قاضى شافعى المذهب ببيع تلك الانقاض^(٥) .

وهكذا سارت الامور في الاوقاف من سيء الى أسوأ ، فيقول المقرئى (ت ٨٤٥ / ١٤٤٥ م) « واستمر الامر على هذا الى وقتنا

(١) دلى قضاء قضاء الحنفية بمصر فى ٢٦ رجب سنة ٨٠٥ هـ وتوفى فى ١٢ جمادى آخر ٨١١ هـ - المقرئى : السلوك ج ٣ ق ٣ ص ١١٠١ . ويقول عنه السخاوى : « جمع المال من غير حله وتظاهر بالربا وافرط فى استبدال الاوقاف » انظر السخاوى : الضوء اللامع ج ٦ ص ٦٦ ترجمة رقم ٢٢١

(٢) هو جمال الدين يوسف بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن قاسم البيرى العلبي البجاسى ، استقر استاذارا عوضا عن سعد الدين بن غراب فى ٤ رجب سنة ٨٠٧ هـ ، ثم صار حاكم الدولة ومدبرها الى أن قتل فى ليلة العادى عشر جمادى الآخرة سنة ٨١٢ هـ المقرئى : السلوك ج ٣ ق ٣ ص ١١٤٣ ، المعنى : السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد ص ٢٥٢ ، حاشية ٢

(٣) ابن حجر أنباء الفخر ج ٢ ص ٤٤٦ ، ٤٤٧

(٤) المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٦

(٥) نفس المرجع والصفحة .

هذا . ثم زاد بعض سفهاء قضاة زماننا في المعنى . وحكم ببيع المساجد الجامعة إذ خرب ما حولها . وأخذ ذرية واقفها ثمن انقاضها . وحكم آخر منهم ببيع الوقف ودفع الثمن لمستحقه من غير شراء بدل : فامتدت الأيدي لبيع الأوقاف حتى تلف بذلك سائر ما كان في قرافتى مصر من الثرب وجميع ما كان من الدور الجليلة والمساكن الانيقة بمصر والقسطاط « (١) » .

ومن دراسة بعض ما استولى عليه الأمير جمال الدين من أوقاف يتضح لنا مدى الفساد الذى استشرى في البلاد في ذلك العصر . فمعظم هذه الأوقاف عبارة عن قصور ودور وعمائر وحمامات . وكانت جميعا في حالة جيدة رغم شهادة الشهود : ورغم حكم القضاة بخرابها ، وليس أدل على ذلك من أن جمال الدين نفسه بعد أن استولى على هذه الأوقاف أعاد وقفها مرة ثانية على مدرسته ومن هذه الأوقاف التى استولى عليها جمال الدين قصر بشتاك « أعظم مباني القاهرة » ، وكان في وقف السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون (٢) ، وقصر الحجازية (٣) ، وهو من جملة ما هو موقوف على المدرسة الحجازية ، ويقول المقرئى : « ثم لما فحش كلب جمال الدين ، وشنع شره في اغتصاب الأوقاف ، أخذ هذا القصر بتشتت شئ من زخارفه ، وحكم له قاضى القضاة كمال الدين عمر بن المديم الحنفى باستبداله » (٤) ، كذلك استولى جمال الدين على عمارة أم السلطان (٥) ، وتشمل قيسارية يعلوها « ربع جليل » يشتمل على عدة طبقات ، وكان من أوقاف مدرسة أم السلطان (٦) ، كما استولى جمال الدين على حمام أنخراطين

(١) أربع السابق : نفس الصفحة .

(٢) إنشاء الأمير سيف الدين بشتاك الناصر سنة ٧٢٨ هـ . الذى اشتراه من ورثة أمير سلاج ، ثم إضاف اليه قلعة أوش من حقوق بيت المال ، وهدم دار نظوان الساقى ، وأحد عشر مسجدا ، وأربعة معابد وأدخل بشتاك كل ذلك في البناء الا مسجدا فانه عهده - المقرئى : أنواعه والاعتبار ج ٢ ص ٣٤ ، ٧٠ .

(٣) عمرته خوند تتر الحجازية ابنة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، زوج الأمير منكمتر الحجازى « عمارة ملوكية » - المقرئى : أنواعه والاعتبار ج ٢ ص ٧١ .

(٤) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٧١ .

(٥) خوند بركة أم الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون - المقرئى :

المرجع السابق ج ٢ ص ٧٩ .

(٦) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٧٩ . السنوك ج ٢ ق ١ ص ٢١٠ .

وكانت في وقف الأمير عيم الدين سنجر السروري (ت ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م) : أما الدور التي اغتصبها جمال الدين ، منها دار تقليجي ، ودار القاضي أوحد الدين عبد الواحد ، ودار أمير أحمد — قريب الملك الناصر محمد بن قلاوون — ودار الأمير شمس الدين قراسنقر ، ودار أبر رجب ، وحواسين تعرف بوقف نمرقاش (١) .

ولم يقنع جمال الدين بمساعدة قاضي القضاة الحنفي له في الاستيلاء على الاوقاف ، بل عمل على اجبار المستحقين على استبدال أوقافهم حتى يتسنى له الاستيلاء عليها ، فمن رفض أن يبيع وقفه ، قام جمال الدين بدس بعض الفعلة — في الليل — الى المكان الذي يريده ، فيفسدوا أساسه حتى يكاد يسقط جانب منه ، وفي اليوم التالي يرسل جمال الدين من يحذر السكان ، فإذا اشتهر ذلك بادر المستحق الى الاستبدال « ومن غفل منهم أو تمنع سقط فينقص من قيمته ما كان يدفعه له لو كان قائما » (٢) .

وأسوة بجمال الدين واغتصابه للأوقاف ، قام ابن اخته وزوج ابنته ، الأمير شهاب الدين أحمد — الحاجب — باغتصاب بعض الاوقاف ، مثل حمام ابن عبود ، ودار ابن فضل الله ، وشرع في الازدياد من العمارة — فأخذ دورا كانت بجوار مستوقد حمام ابن عبود ، وهدم عدة دور . وكثيرا من الترب بالقرافة ، منها تربة الشيخ عز الدين عبد السلام . وأدخل ذلك كله في عمارته (٣) .

ولم يكف الأمير جمال الدين بالاستيلاء على الاوقاف عن طريق الاستبدال لانشاء مدرسته ، والوقف عليها ، بل أننا نجد يشتري المصاحف والكتب التي أوقفها الأشرف نعمان بمبلغ ستمائة دينار ، ويذكر المقرئ أن قيمتها كانت عشرات أمثال ذلك : ويقول « ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال جميعها مكتوب في أوله الأشهاد على الملك الأشرف بوقف ذلك ومقره في

(١) المقرئ : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٥٢ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨١

(٢) ابن حجر : انباء الفخر ج ٢ ص ٤٩٧

(٣) المقرئ : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٥٨ ، ٨١

مدرسته»^(١) . كذلك أخذ جمال الدين من مدرسة الأشرف شعبان النسبانيك والابواب والبوابة وكثيرا من الحجارة التي استعان بها في بناء مدرسته^(٢) . ويقول المقرئى عن مدرسة جمال الدين التي تم انشاؤها في رجب سنة ٨١١ هـ / ١٤٠٨ م فجاءت في أحسن هندام . واتم قناب . وأفخر رى . وأبدع نظام الا أنها وما فيها من الالات . وما وقف عليها أخذ من الناس غصبا ، وعمل فيها الصناعات بأبخص أجره مع العسف الشديد^(٣) .

ومما يؤكد اصرار القاضي ابن المديم على خراب الاوقاف ما يذكره ابن حجر من أنه سمع القاضي كريم الدين بن عبد العزيز يقول : « كنت في جنازة فتوجهت للمقبرة : فرأيت ابن المديم فقبحته له انتهاك حرمة الاوقاف بكثرة الاستبدالات فقال : ان عشت أنا والقاضي مجد الدين - وأشار الى سالم الحنبلى - لا يبقى في بلدكم وقف »^(٤) .

وان كان الامير جمال الدين بمعاونة قاضى القضاة الحنفى قد وضع أسس الاستيلاء على الاوقاف واغتصابها : فان ذلك كان له أسوأ الاثر على أوقافه . فحدث عندما قبض عليه السلطان فرج بن برقوق وقتله في جمادى الاولى ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م^(٥) : أن حسن أعداؤه للسلطان أن يهدم مدرسة جمال الدين . وليأخذ رخامها . فانه في غاية الحسن . وأن يسترجع الاملاك والاراضى الموقوفة عليها : حيث أنها تغل جملة كبيرة : غمال السلطان الى ذلك : وعزم عليه . ولكن الرئيس فتح الدين فتح الله - كاتب السر - استشنع أن يهدم بيت بنى على اسم الله ، وما زال بالسلطان يرغبه في ابقائها على أن يزال منها اسم جمال الدين : وتنسب الى السلطان فرج ، فاقنع السلطان برأيه . وفوض اليه أمر تدبير ذلك : فوجد فتح الدين أن موضع مدرسة جمال الدين كان وقفاً على بعض القرب استبدله جمال الدين بقطعة أرض خراجية بالجيزة

(١) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٠١

(٢) ابن حجر : أنباء الفهر ج ٢ ص ٤٩٢

(٣) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٠٢

(٤) ابن حجر : أنباء الفهر ج ٢ ص ٤٤٧

(٥) ابن تفرى بردى : النجوم ج ١٢ ص ٩٥

فادعى السلطان أن جمال الدين أخذ هذه الأرض دون إذن السلطان ببيعها من بيت المال . فافتى محمد شمس الدين المدنى المالكى ، بأن بناء هذه المدرسة الذى وقفه جمال الدين على الأرض التى لم يملكها بوجه صحيح لا يصح . وأنه باق على ملكه الى حين موته . وندب السلطان شهود القيمة : فقوموا ببناء المدرسة باثنى عشر ألف ديناراً ذهباً ، فحمل المبلغ الى أولاد جمال الدين حتى تسلموه . وباعوا بناء المدرسة للسلطان : ثم استرد السلطان منهم المبلغ المذكور . وأشهد السلطان فرج أنه وقف أرض هذه المدرسة ، بعد ما استبدل بها وحكم حاكم حنفى بصحة الاستبدال : ثم وقف البناء الذى اشتراه : وحكم بصحته أيضاً : ثم أمر السلطان بتزويق كتاب وقف جمال الدين . وجدد كتاب وقف يتضمن جميع ما قرره جمال الدين فى كتاب وقفه من أرباب الوظائف ، وأبطل ما كان لأولاد جمال الدين من فائض ريع الوقف . وأفرد لهذه المدرسة بعض مما وقفه جمال الدين عليها ، مما يسد حاجة مصروفها . أما باقى أوقاف جمال الدين فيجعلها السلطان أما وقفاً على أولاده . أو وقفاً على التربة التى أنشأها فى قبة أبيه الملك الظاهر برقوق . وحكم القضاة الاربعة بصحة هذا الكتاب : بعد ما حكموا بصحة كتاب وقف جمال الدين : ثم حكموا ببطلانه (١) .

ولم يلبث أن قتل السلطان فرج بن برقوق . وأصبحت أمور البلاد فى يد الأمير شيخ الذى لم يلبث أن تولى السلطنة سنة ٨١٥/١٤١٢م وكانت لجمال الدين الاستادار مكانة كبيرة عنده (٢) ، كما خدم شرف الدين أبو بكر ابن العجمى - زوج ابنة أخى جمال الدين - موقعا لدى بدر الدين حسن ابن مجد الدين الطرابلسى - استادار السلطان (٣) : فأغراه بكاتب السر فتح الدين فتح الله حتى نكبه المؤيد شيخ : كما استعان شرف الدين أبو بكر

(١) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٥٢ . ٧٥ . ٤٠٢ ، السلوك ج ٤ ق ١ ص ٢٠٢ ، وأنظر ما سبق ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ .
 (٢) المقرئى : السلوك : ج ٤ ق ١ ص ٢٤١ . ٢٤٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم ج ١٣ ص ٢٢ ، المعنى (بدر الدين محمود) : السيف الهند فى سيرة الملك المؤيد ص ٣٠٣ .
 (٣) المعنى : السيف الهند ص ٣١٨ ، ٣١٩ .

بقاضى القضاة: انحنى صدر الدين بن الادمي^(١) فانه كان صديقه مسد أيام جمال الدين ، كما استمال ناصر الدين محمد البارزى موقع الامير الكبير شيخ ، وقام الثلاثة مع شمس الدين أخى جمال الدين حتى أعيد الى وظائفه التى أخذت منه ، عندما قبض عليه الملك الناصر فرج وعاقبه ، ولم تلبث أن تكلمت هذه الدائرية مع المؤيد شيخ فى رد أوقاف جمال الدين الى أخيه وأولاده ، على أساس أن الناصر اغتصبها منهم ، حتى حركوا منه حقدا كانت على الناصر ، وعلموا منه عصبية لجمال الدين هذا^(٢) ، وانتهى الامر بإقامة دعوى على فتح الله ، فحكم قاضى القضاة صدر الدين على بن الادمي انحنى ، بعودة أوقاف جمال الدين ومدرسته الى مئذنى عليه جمال الدين . ونفذ بقية القضاة حكمه : « وكان حكما كله تهور ومجازفة »^(٣) ، ويمعقب المقرئى على ذلك بقوله : « حتى كتبوا كتابا اخترعوه من عند أنفسهم ، جعلوه كتاب وقف المدرسة زادوا فيه أن جمال الدين اشترط النظر على المدرسة لأخيه شمس الدين وذريته الى غير ذلك مما لفقوه بشهادة قوم استمالوهم فمالوا^(٤) ، ثم أثبتوا هذا الكتاب على قاضى القضاة صدر الدين بن الادمي . ونفذ بقية القضاة . . . وكانت قصة هذه المدرسة من أعجب ما سمع به فى تناقض القضاة ، وحكمهم بإبطال ما صحوه : ثم حكمهم بتصحيح ما أبطلوه . كل ذلك ميلا مع الجاه وحرما على بقاء رئاستهم ، ستكتب شهادتهم ويسألون »^(٥) .

ويؤكد ما ذكره المقرئى أن وثيقة وقف جمال الدين الاستادار التى

(١) الميلى : المرجع السابق ص ٣١٢

(٢) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٠٣ ، السلوك : ج ٤ ق ١ ص ٢٤٢

(٣) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٧٠ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٥٢ ، ٧٥ السلوك : ج ٤ ق ١ ص ٢٤٢ ، ابن حجر : أنباء الخضر ج ٢ ص ٥١٦ ، الميلى السيف المهند ص ٣١٣

(٤) أنظر ما يؤيد هذا القول فى الوثيقة التى وصلتنا من وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفوظ ١٧ بالمحكمة .

(٥) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٠٣ ، السلوك : ج ٤ ق ١ ص ٢٤٢

وحسبنا^(١) ليست الوثيفة الاصلية - انما هي كتاب الوقف الذى وضع فى عهد المؤيد شيخ والذى قال عنه المقرئى « حتى كتبوا كتابا اخترعوه من عند انفسهم » فقد جاء بهذه الوثيقة « وأن المقر الجمالى الواقف المشار اليه بأعليه كان حال حيوته بعد صدور الوقف المذكور ٥٠٠٠ وضع يد ولايته ونظره على ذلك جميعه ورفع عنه يد ملكه وخاصته حال معرفته بـ (لك المعرفة)^(٢) الشرعية وأن ذلك جميعه ثبت فى الشرع الشريف حال حيوته وحكم بصحته الحكم الشرعى ونفـ (بـ) التنفيذ الممن الرضى بعد ثبوت ملكه لفلك وحيارته له عند السادة الموالى قضاة القضاء ٥٠٠ واستمر ذلك بيد اواقف المشار اليه فيه وتحت نظره وأنه صرف من ريعه فى حجته فيما رتبته من تكساب وفقه المذكور على الحكم المشرع فيه الى ان توفى الواقف المشار اليه رحمه الله تعالى وأحكام وقفه المذكور باقية على حكمها والمعينة بأعليه وأن السلطان الناصر فرجا (كذا) بن السلطان الملك الظاهر برقوق كان حال حيويته بعد وفاة المقر الجمالى المشار اليه قد أمر بأحضار كتاب الوقف المذكور بأعليه فأحضر بين يديه فأمر بتقطيعه فقطع بالسكين ومزق وأتلف وعدم عدما لا يقدر على وجوده معه واستولى على ذلك كله ونسبه الى نفسه وادعى الملكية فيه وأكره من شهد له بملك ذلك »^(٣) .

وفى عهد المؤيد شيخ استطاع بعض المستحقين فى الاوقاف التى سبق أن اغتصبها جمال الدين الاستادار ، استطاعوا استرداد اوقافهم ومن هؤلاء اولاد أوحـد الدين الذين استردوا دار أبيهم ، وأولاد علاء الدين على بن كلفت ، وذلك أن هؤلاء المستحقين قدموا للقضاة كتب وقف آبائهم ، فى حين أن اولاد جمال الدين لم يستطيعوا تقديم مستند بأحقيتهم فى هذه الاوقاف^(٤) كذلك استولى السلطان الاشرف برسباى على بعض الاوقاف التى استردها اولاد جمال الدين ، منها عمارة أم السلطان التى حولها الاشرف برسباى

(١) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفوظة ١٧ بالمحكمة .

(٢) ناقصة من الاصل لتزويق الوثيقة .

(٣) وثيقة وقف جمال الدين الاستادار رقم ١٠٦ محفوظة ١٧ بالمحكمة .

(٤) المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٧٥ ، ٧٧ .

الى وكالة في شوال ٨٢٥ هـ / ١٤٣٢ م^(١) ، ومنها وقف تمرتاش الذى عمره زين الدين عبد الباسط بن خليل في أيام المؤيد شيخ قيسارية عرفت باسمه . ثم أخذ بقية حوانيت وقف تمرتاش السلطان برسباى ، وجدد عمارته ووقفه سنة ٨٢٧ هـ / ١٤٣٤ م^(٢) ، ومنها دار قراسنقر التى وضع الامير طوغان الدوادار يده عليها ، ودار ابن فضل الله التى وضع الامير تغرى بردى يده عليها ، ولما علم أنها وقف « لم يزل بقضاة العصر حتى حكموا له بهذه الدار ، وجعلوها له بطريق من طرقهم »^(٣) فكانوا كما يقول المقرئى « كسارق من سارق ، وما من قتيل يقتل الا وعلى ابن آدم الاول كفل منه لانه اول من سن القتال »^(٤) .

وتوالى بعد ذلك استيلاء السلاطين والامراء على الاوقاف عن طريق الاستبدال ، فعندما أنشئ الجامع المؤيدى جاءت نسبائه الغربية من جهة دار التفاح « فعمل فيها كما صار يعمل فى الاوقاف ، وحكم باستبدالها »^(٥) ومن عبارات المقرئى فى هذا الشأن ما يذكره عن استبدال دار الميمونى^(٦) التى طمع فيها الرئيس فتح الله كاتب السر^(٧) - « فعمل له طرق فى جواز الاستبدال بها ، على ما صار القضاة يعتمدونه منذ كانت الحوادث بعد سنة ٨٠١ هـ »^(٨) .

كذلك استولى السلطان الأشرف برسباى على كثير من العقارات الموقوفة

(١) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٧٥

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٩١

(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ٥٩

(٤) المرجع السابق ج ٢ ص ٥٢

(٥) المرجع السابق ج ٢ ص ٩٤

(٦) كانت وقفاً على أولاد سمس الدين ابراهيم بن عبد الوهاب بن النجيب ابو الفضائل الميمونى ت ٧٩٥ هـ - المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٦٢ .

(٧) أنظر ما سبق من دور فتح الله فى قضية مدرسة جمال الدين ، وهو فتح الله ابن معتمد بن نفيس الدوادارى رئيس الاطباء زمن السلطان برقوق ، ثم تولى كتابة السر فى عهده وفى عهد ابنه فرج ، ثم فى عهد شيخ الممردى الذى اعتقله ثم خنقه سنة ٨١٥ هـ ، ابن اياس : بدائع الزهور (ط - بولاق) ج ٢ ص ٣ ، العيتى : السيفى المهند ص ٣١١

(٨) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٦٢

عن طريق الاستبدال ، وأعاد تعميرها ووقفها على منشأته ، من ذلك الحوانيت والفنادق التي فيما بين المدرسة السيوفية بسوق العنبريين والتي أقام موضعها المدرسة الاثرية^(١) ، والحوانيت التي تجاء شبابيك المدرسة الصالحة التي بجوار قبة الملك الصالح^(٢) ، وربع الطزون تجاء قبو الخرنقش^(٣) ، وخان الحجر^(٤) ، وفي عهده أيضا هدمت الحوانيت المعروفة بالسيارف^(٥) وبالسيفيين ، وأخذت باسم ولد الأمير جانبك الدوادر لتعمر له مما ورثه من أبيه^(٦) .

ويذكر المقرئى عند كلامه عن بعض هذه الاستبدالات التي جرت في عهد السلطان برسبای أنها كانت من غير اجبار المستحقين ، وأنه جعل لهم الاختيار فيما يستبدل به حتى تراضوا « ولم يشق عليهم »^(١) ، ولكنه في موضع آخر يقول « وقد أخذهُ السلطان ، وألزم سكانه بالنقلة منه ، وكانوا أمة كبيرة قد مرت بهم وبآبائهم فيه عدة سنين فنزل بهم مكاره كبيرة لتمذر وجود مساكن يسكنون بها »^(٢) . مما يجعلنا نرجح في هذا المجال رواية ابن حجر عن هذه الاوقاف أن السلطان « تحيل في ابطالها بوجوه الحيل »^(٣) .

كذلك رسم السلطان الفورى في ذى الحجة ٩٠٨هـ / ١٥٠٢ م باستبدال

-
- (١) كانت وقفا على المدرسة القطبية وغيرها - المقرئى : السلوك ج ٤ ق ٢ ص ٦٣٦
 (٢) كانت وقف الجوكندار - المقرئى : السلوك المرجع السابق ق ٢ ص ٧٨٠
 (٣) كان وقفا على تلك الاسرى ببلاد الفرنج ، وعلى الحرمين ، فأصبح من جملة الاملاك السلطانية - المقرئى : السلوك ج ٤ ق ٢ ص ٦٦٥
 (٤) وقف الشهابى - المقرئى : المرجع السابق ج ٤ ق ٢ ص ٧٦٥
 (٥) كانت فى اوقاف المدارس الصالحة ، المقرئى : السلوك ج ٤ ق ٢ ص ٧٦٨
 (٦) المقرئى : السلوك ج ٤ ق ٢ ص ٦٣٦ ، ٦٣٧
 (٧) المرجع السابق ج ٤ ق ٢ ص ٧٦٥
 (٨) ابن حجر : انباء الفمر ج ٣ ص ٣٠٥

قيسارية الأمير على التي تجاه جامعہ ، وكانت جارية في أوقاف المدرسة الناصرية التي بين القصرين ، وبني مكانها القبة : والمدفن : والصهرنج : والسبيل ، وغير ذلك من الأماكن التي استجدها (١) .



اغتصاب الاوقاف بطرق أخرى غير الاستبدال :

لم يكن الاستبدال هو الطريق الوحيد لاغتصاب الاوقاف والاستيلاء عليها في العصر المملوكي ، فقد وجدت طرق أخرى أقرها أيضا قضاة ذلك العصر ، من ذلك ارغام الواقف على الاشهاد على نفسه أن أملاكه وأوقافه من مال السلطان : أو ارغامه على جعل ريع أوقافه لاولاد السلطان ومثال ذلك ما حدث أيام السلطان الناصر محمد عندما قبض على كريم الدين (٢) فقد أمر السلطان القضاة بحل أوقاف كريم الدين ، فامتنع القضاة عن ذلك الا بمستند شرعي ، فغضب السلطان عليهم ، ولتجنب غضبه اجتمع رأي القضاة على أن كريم الدين يشهد على نفسه ان كل ما اشتراه : وأوقفه ، كان من مال السلطان ، ولم يكن له ولا لذريته فيه مطن ، فأشهد كريم الدين بذلك على نفسه ، فحل القضاة جميع ما كان أوقفه ، وبلغت جملة أوقافه في مصر والثمام ستة آلاف ألف درهم ، ثم أعاد السلطان أوقاف كريم الدين على ما كانت عليه ، وسماه الوقف الناصري (٣) .

كذلك حدث عندما قبض السلطان المؤيد شيخ على كاتب السر ، فتح الله ابن معتمم ، واحتاط على موجوده « من صامت وناطق » أن اكتشف

(١) وفي ذلك يقول ابن اياس :

بنى الاشرف الفوري للناس جامعا فضاع ثواب الله فيه لطالبه
كمثل حمام جمعت في شباكها متى ألق منها طار كل لصاحبه

ابن اياس : بدائع الزهور (نشر محمد مصطفى) ج ٤ ص ٥٣

(٢) القاضي كريم الدين عبد الكريم بن العلم بن هبة الله بن السديد ناظر الخاص ووكيل السلطان الملك الناصر محمد ، قبض عليه في ١٤ ربيع الآخر سنة ٧٢٣ هـ المقيزي : السلوك ج ٢ ق ١ ص ٢٤٣ ، ٢٤٤

(٣) المقيزي : السلوك ج ٢ ق ١ ص ٥٤٨ ، المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٥٩ .
المعنى : عقد الجان (مغلوطة بدار الكتب) حوادث سنة ٧٢٣ هـ .

أنه وقف أملاكاً كثيرة له على تربته التي أنشأها خارج باب البرقية ، وعلى عدة جهات من البر ، فأرغم فتح الله على تعديل كتاب وقفه ، بحيث جعل أملاكه وقفاً على أولاد السلطان الملك المؤيد شيخ وذريته ، وأثبت ذلك وحكم به قاضي القضاة الحنفى صدر الدين بن الادمى ، وذلك أثناء اعتقال فتح الله ، وقبل ليلة واحدة من خنقه في ربيع الاول سنة ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م (١) .

وترتب على ذلك إعادة وقف المقارنات الموقوفة أكثر من مرة ، ومن ذلك ما يذكره المقرئى من قيسارية الفاضل التي عرفت بالقاضى الفاضل ، ثم أصبحت في عهد المقرئى من أوقاف الليمارستان المنصوري ، فيذكر المقرئى نقلاً عن ابن الخشاب « أن قيسارية الفاضل وقفت بضع عشرة مرة منها مرتين أو أكثر زف كتاب وقفها بالاغانى في شارع القاهرة » (٢) .

وسمح القضاة لسلطين المالك بطريقة أخرى للاستيلاء على الاوقاف وذلك عن طريق السماح للسلطين بإعادة تعمير الاوقاف القديمة مقابل أن يكون للوقف الاصلى نصيب في العمارة الجديدة ، فسمحوا للسلطان برسباي بالاستيلاء على خان مسرور والرباع التي تعلوه (٣) ، بعد أن قامت أنقاضه بمبلغ ١٢ ألف دينار ، رصد منها تحت يد مباشرى السلطان تسعة آلاف دينار لعمارة الربيع ، وقبض باقى ثمن الانقاض قاضى القضاة ، على أنه بعد أن تكتمل عمارة ، يصرف ربيع ريع العمارة الجديدة فيما كان يصرف ثمة ربيع الوقت الاصلى (٤) ، ويطلق على ذلك ابن حجر قيقول « وصارت أجرة الربيع أزيد من أجرة الكل بالنسبة لما كان يفضل بعد الصرف على ترميمه » (٥) ،

(١) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٦٢ ، العيني : السيف المهند ص ٢١٣ ابن حجر : أنباء الفرس ج ٣ ص ٨ ، ابن اياس : بدائع الزهور (ط ٠ بولاق) ج ٢ ص ٣ ، ثم عادت هذه الاوقاف الى ورثة فتح الله بعد تسعة أعوام - انظر العيني : عقد الجمان حوادث سنة ٨١٦ هـ .

(٢) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٨٩

(٣) عن خان مسرور انظر المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٩٢

(٤) المقرئى : السلوك ج ٤ ق ٢ ص ٧٧٦ ، ابن حجر : أنباء الفرس ج ٣ ص ٤٠٢

(٥) ابن حجر : المرجع السابق ج ٣ ص ٤٠٢

كذلك سمحوا للسلطان الأشرف أبو النصر سيف الدين اينسال العلاني (٨٥٧ - ٨٦٥ هـ / ١٤٥٣ - ١٤٦١ م) بالاستيلاء على أوقاف تشمل ربميين وحوانيت بسوق الدجاجين استبدالاً بمبلغ معين ، وهذا المبلغ لا يدفعه السلطان لمستحقي الوقف ، بل يستثمره في البناء الجديد الذي يرغب في إقامته بدلاً من الربميين والحوانيت ، ويكون لمستحقي الوقف القديم الربيع في ريع العمارة الجديدة^(١) .

ومن ناحية أخرى فإن بعض سلاطين المماليك وأمراؤهم استغلوا الأوقاف بطريقة أخرى ، فعندما فشل السلطان برقوق في حل الأوقاف في محاولتيه^(٢) عمد إلى استغلال هذه الأوقاف بحيث يستفيد منها هو وأمراؤه أكبر فائدة ، فصار أمراؤه يستأجرون بأمره الأوقاف بأقل من أجر مثلها ، ثم يؤجرونها للناس بأكثر مما استأجروها ، فيربح هو وهم الفرق بين الاجرتين ، وربما كان هذا الفرق كبيراً ، وزاد الأمر سوءاً بمد وفاة برقوق ، فيقول المقرئى : « واستولى أهل الدولة على جميع الاراضى الموقوفة بمصر والشامات وصار أجودهم من يدفع فيها لأن يستحق ريعها عشر ما يحصل له » ، والا فكثير منهم لا يدفع شيئاً البتة^(٣) . وكان من جراء هذا أن لجأ بعض مباشرى الأوقاف إلى هدم المقارنات الموقوفة بدلاً من ترميمها ، دون الحصول على أجرتها ، من ذلك ما قام به المباشرون من هدم علو بيت الأمير منجك بالموقف علم صهريج منجك حيث كانت تسكنه الامراء « ولا تعطى له أجرة » ، وإذا تهدم موضع ألزموا مباشرى الوقف بعمارته^(٤) .

ومن مظاهر استغلال أموال الأوقاف أيضاً ما حدث أثناء الفتنة بين الأمير منطاش والظاهر برقوق فعندما خلت الخزائن من المال استدعى منطاش في ١٧ ذى القعدة ٧٩١ هـ / ١٣٨٩ هـ قاضي القضاة صدر الدين محمد بن

(١) ابن تفرى بردى : منتخبات من حوادث الدهور ص ٢٥٥

(٢) أنظر ما سبق ص ٣٢٨ وما بعدها .

(٣) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢٩٦

(٤) المقرئى : السلوك ج ٤ ق ٢ ص ٧٩٧

ابراهيم المناوي ، وطلب منه أن يقرضه مال الايتام ، فامتنع عن ذلك قاضي
العضاء . واحد في وعظ منطاس ، ورعى ذلك استولى منطاس على « موادح
الايتام » وكانت ادراك عامره بالاموال « المخصصة للايتام والموقوفه
عليهم »^(١) وبعد جوالى شهر أعفى القاضي المناوي ، وعين بدلا منه قاضي
القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء على أن يعرض أموال الايتام^(٢) .

وعندما عاد برقوق الى السلطنة مرة ثانية اعاد قاضي القضاة المناوي
الى منصبه ، ولكنه صرف عنه مرة ثانية في ١٤ رجب سنة ٧٩٦ هـ / ١٣٩٤ م
عندما رفض أن يقرض السلطان برقوق من الاموال الموقوفة على الايتام ،
ووجد ابن أبى البقاء الفرصة ليعود الى منصبه ثانية ، فوعده على عوده
الى القضاء بمال يقوم به هو ، وأن يقرض السلطان ٥٦٠ ألف درهم من
مال الايتام ، فأعيد الى منصبه^(٣) .

وقام بعض سلاطين المماليك بفرض الاموال على الرزق بكافة أنواعها ،
ومنها الرزق الاحباسية^(٤) ، من ذلك ما قام به الملك الكامل شمسبان بن
الناصر محمد سنة ٧٩٦ هـ / ١٣٤٥ م ، من فرض مائة وخمسين درهما ،
عليه كل من يبيده رزقه من أرض مصر^(٥) . كذلك هم السلطان جقمق باخراج
الرزق الاحباسية عن مبيد هم بيدهم ، تحت الحاح وطلب زين الدين يحيى الاشقر
ناظر الديوان المفرد ، والامير قزطوغان الملائى الاستادار ، ولكن جماعة من
الاعيان كلموا السلطان في ذلك ، وبغضوا اليه « هذه الفعلة القبيحة » ، فانتهى
الامر بأن تجبى من الرزق المذكورة في كل سنة عن كل فسدان مائة درهم
واستمرت الى يومنا هذا في صحيفة زين الدين المذكور ، لانه هو الدال
عليها ، والدال على الخير كفاعله ، وكذلك الشر^(٦) .

(١) المقرئى : المرجع السابق ج ٣ ق ٢ ص ٦٦٨ ، ٦٦٩

(٢) المرجع السابق ج ٣ ق ٢ ص ٦٧٨

(٣) المرجع السابق ج ٣ ق ٢ ص ٨٠٨ ، ٨١٠

(٤) أنظر ما جاء عن الرزق وأنواعها بالفصل الثانى .

(٥) المقرئى : السلوك ج ٢ ق ٣ ص ٦٨٩

(٦) ابن تفرى بردى : النجوم ج ٩ ص ١٣١ ، ١٣٢ ، (ط كالفورنيا) ج ٧

أما في عهد السلطان الأشرف قانصوة الغوري . فقد حدثت الكثير من أمثال هذه المظالم بالنسبة للأوقاف والرزق الإحياسية . فقد كان السلطان الغوري يفرض على الكشاف ومشايخ العريان أموالا . وبالتالي يفرضها الكشاف ومشايخ العريان على بلاد المقطمين ، والأوقاف . فيأخذ كل منهم المثل أمثال « (١) » .

وقام الأمير طومان باي الدوادار الكبير في عهد السلطان الغوري في المحرم سنة ٩١٧ هـ / ١٥١١ م بزيارة لأقليمي الشرقية والغربية فاهلك الحرث والنسل . وأفرد على سائر البلاد التي بالترقية والغربية الأموال الجزيلة ، حتى أفرد على بلاد الأوقاف التي على الجوامع والمدارس « (٢) » .

ومن وسائل اغتصاب الأوقاف واستغلالها أيضا . عدم اكتفاء القضاة بالحكم باستبدال الأوقاف ، فقد توسعوا في ذلك ، وحكموا ببيع كثير من الأوقاف على أن يسلم الثمن للمستحقين دون التثبت من شراء عقار بدل الوقف المباع ، ومن أمثلة الأوقاف التي حكموا ببيعها دار ابن عنان سنة ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م ، ودار تنكر - نائب الشام - التي بيعت سنة ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م على أنها ملك . ودار بييرس الجاشنكير التي بيعت نقضا سنة ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م . ودار الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب التي بيعت سنة ٨٢٨ هـ / ١٤٢٥ م (٣) . ويعقب المقرئ على ذلك بقوله : « وبيعت كما بيع غيرها من الأوقاف » (٤) ، أو يقول : « اشتراها نقضا كما اشترى غيرها من الأوقاف » (٥) .

كما عمد مندوبو السلطان المؤيد شيخ سنة ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م إلى

(١) ابن أبياس : بدائع الزهور ج ٥ ص ٩٠
 (٢) ابن أبياس : بدائع الزهور ج ٤ ص ٢١٠
 (٣) المقرئ : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٥٤ ، ٥٩ ، ٧٤
 (٤) المقرئ : المرجع السابق ج ٢ ص ٥٤
 (٥) المرجع السابق ج ٢ ص ٥٩

شراء الخانقاه المستجدة بالجيزة : وكانت وقفاً على الذرية ، ثم على الزاوية المجاورة لها ، وذلك بعد أن أخفى كتاب الوقف ، وفرض على الورثة بيعها ، « وغالبهم أشهد عليه ولم يقبض الثمن » (١) .

وعمد بعض السلاطين لبيع الاوقاف لتسديد ديون الواقف لصالح الدولة (٢) من ذلك ما أمر به السلطان برسباى من هدم وبيع أنقاض دار عيد الرحمن سمسار الخلال لتسديد دين عليه لديوان السلطان ، رغم أن هذه الدار يقف . وان الواقف قام يحفر صورة كتاب وقفه في الختيب . ورغم أن التهود افروا عند نواب قاضي القضاة الحنفى بإنهاء وقف (٣) .

كذلك تلاشت كثير من الاوقاف عن طريق وضع اليد نظراً لتفاسدهم السنين . أو لانقراض المستحقين ، أو فقدان كتاب الوقف ، مع أهمال القضاة في متابعة الاوقاف والإشراف عليها ، وربما ساعد القضاة في وضع اليد على مثل هذه الاوقاف . فنجد أن جماعة بنو الكويك أسهموا قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة — يضعون أيديهم على كثير من الاوقاف . من ذلك حمام الجبوشى ، الذى كان من أوقاف الملك المعتادل أبو بكر ابن أيوب على رباطه ، ومن ذلك أيضاً حمام الرومى واصطبله (٤) ، حتى أصبح الاصطبل يعرف باسم اصطبل ابن الكويك . وصار الاصطبل والحمام تحت يد بنى الكويك أعواماً حتى صاروا ملوكاً لهم ، يورثان ولم يكتف بنو الكويك بذلك ، بل إن أحدهم وهو شرف الدين بن محمد بن الكويك جعل ما يخصه من حمام الرومى وقفاً على نفسه ، ثم على أناس من بعده (٥) .

(١) ابن حجر : أنباء الفجر ج ٢ ص ٢١٣ — انظر ما جاء عن هذه الخانقاه بوثيقة وقف السلطان المؤيد شيخ ٩٣٨ أوقاف .

(٢) انظر ما سبق من موقف القاضى بكار بن قتيبة فى عهد أحمد بن طولون من قضية مماثلة ص ٣٤٢

(٣) ابن حجر : أنباء الفجر ج ٣ ص ٢٧٢

(٤) الأمير سنقر الرومى الصالحى أحد الاسراء فى أيام الملك الظاهر بيبرس أوقف الاصطبل والحمام سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٤ م — المقرئى : المواعظ والأعتبار

ج ٢ ص ٨٢

(٥) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٨٢

ومن امثلة اغتصاب الاوقاف عن طريق وضع أييد اغتصاب مطبخ وفندق
بني ارماس الذي اغتصبه الأمير عز الدين ايدمر الحلبي نائب السلطنة في عهد
الملك الظاهر بيبرس^(١) : واغتصاب قيساريته ابن ميسر الكبرى والصغرى
اللتين أصبحتا جارييتين في الديوان السلطاني في عهد الاشراف خليل بن قلاوون .
رغم أن « هذه القيسارية وقف ، والوقف مكتوب مسمر على بابها »^(٢) .

ومن مظاهر اغتصاب الاوقاف واستغلالها الاستيلاء على الاعمده
والرخام من المقارنات الموقوفة حتي ولو كانت مدرسة أو جامع . ومن امثله
ذلك ما قام به الملك الناصر فرج بن برقوق سنة ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م من اخذه
لمعد الرخام التي كانت بالمدرسة صاحبيه البهائية^(٣) . « وكانت كثيرة العدد
جلیلة القدر . وعمل بدلها دعائم تحمل السقوف »^(٤) . ولم تلبث أن هدمت
هذه المدرسة في أيام المؤيد شيخ في أواخر سنة ٨١٧ هـ . وأوائل سنة ٨١٨ هـ ،
وبالرغم من أنها كانت « من أجل مدارس الدنيا : وأعظم مدرسة بمصر
يتنافس الناس من طلبة العلم في النزول بها »^(٥) ، وقام بمثل ذلك أيضا
السلطان المؤيد شيخ عندما بنى جامعہ . فقد أخذ باب مدرسة السلطان
حسن ، والتنور النحاسي المكنت الكبير ، وجعلها في جامعہ ، وأعطى لغيرهما
أبخس الاثمان ، كما أخذ العمودين المساق للذين في المحراب من جامع
قوصون^(٦) .

ولم تسلم الاوقاف الذمية هي الاخرى من انحط والاقطاع في ذلك العصر
ولا سيما في الفترات التي كان يثور فيها الناس ضد أهل الذمة لمسبب أو لآخر .

(١) ابن دقاق : الانتصار ق ١ ص ٤١

(٢) ابن دقاق : المرجع السابق ق ١ ص ٣٨ ، ٣٩ . المقرئى : المواظ والاعتبار
ج ٢ ص ٩١

(٣) أنشأها الوزير صاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا
سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م - المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٧٠

(٤) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٧١

(٥) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٧١

(٦) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٢٩ ، السلوك ج ٤ ق ١ ص ٣٦٨
ابن تغرى بردى : النجوم (ط . كالمفورنيا) ج ٦ ص ٣٦٠ (ط . القاهرة) ج ١٤
ص ٤٣

وكان أول من استولى على الاراضى الموقوفة على الكنائس هو الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ، وذلك فى ١٩ ذى الحجة سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م^(١) ، أما فى العصر المملوكى فقد زادت الرزق الاحباسية على الكنائس عن (٢٥) خمسة وعشرين ألف فدان ، فأمر السلطان صلاح الدين صالح بن صالح بن الناصر محمد فى سنة ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م بالانعام بها على كل أمير بما فى اقطاعه من هذه الرزق ، كما أنعم على جماعة من الفقهاء بجزء منها ، وذلك أن الشكوى قد زادت من تعاطف النصارى والاضرار بالمسلمين لتمكنهم من أمراء الدولة « وخرجهم عن الصد فى الجراءة والسلطة »^(٢) .



دور القضاة والمباشرين فى تدهور الاوقاف :

وإذا كان بعض سلاطين الممالك وأمرائهم قد استباحوا حل الاوقاف ، واغتصابها ، واستغلالها ، ووجدوا مساعدة على ذلك من بعض القضاة والعلماء الذين مالوا مع الجاه والسلطان ، فقد وجد من القضاة والفقهاء من قاموا بدور مباشر فى تدهور الاوقاف^(٣) ، من ذلك أنه حدث فى سنة ٩٨٧ هـ / ١٢٨٨ م أن شكا قاضى القضاة تقى الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الوهاب ابن بنت الاعز للسلطان المنصور قلاوون من سوء حال الاحباس ، وذكر له أن مجد الدين بن الخشاب^(٤) مسئولاً عن ذلك ، فعندما كان يتحدث فى الاحباس تقرب بجزيرة الفيل - الوقف الصلاحى على المدرسة الشافعية - الى الأمير علم الدين الشجاعى ، وذكر له بأن فى أطيافها زيادة ، مما تجدد بها من الرمال ، فأمر بقياس ما تجدد من الرمال ، وجعلها لجهة الوقف الصلاحى ،

(١) المقرئى : المواقظ والاعتبار ج ٢ ص ٥٠٧

(٢) المقرئى : المواقظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٩٩ ، السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٩٢١ ، ويذكر ابن اياس ، بدائع الزهور (ط ٠ بولاق) ج ١ ص ٢٠٦ أن ذلك الحدث كان فى سنة ٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م .

(٣) Lapidus : op. cit. p. 60.

(٤) هو مجد الدين أبو الروح عيسى بن عمر بن خالد بن عبد الحسن بن الخشاب ت سنة ٧١١ هـ / ١٣١١ م - المقرئى : السلوك ج ٢ ق ١ ص ١١٣

وأقطع الاطيان القديمة التي كانت في الوقف ، « وجعلها هي التي زادت »^(١) .
كما تقرب اليه أيضا بان ذكر له أن بالاحباس زيادة ، ومن جعلتها ما هو
بالاعمال الغربية ومقدارها ثلاثون الف درهم في السنة ، وأنهما من الاوقاف
علي جامع عمرو بن العاص ، فأقطعها أيضا^(٢) .

ومن هؤلاء القضاة الذين ساهموا في تخريب الاوقاف قاضي القضاة
الحنفى يوسف بن موسى بن عبد الله الملطي الذي ولّى قضاء الحنفية في عهد
السلطان برقوق سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م ، والذي قال عنه ابن حجر « باشر
مباشرة عجيبة . فانه قريب الفساق . واستحضر من استبدال الاوقاف »^(٣) .

وتصدى القاضي شمس الدين الهروي - قاضي قضاء الشافعية . للاوقاف
سنة ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م ، سواء كان مما يشمله نظره أم لا . ففرض علي من
هي بيده شيئا معلوما ، وصار يطلب من الناظر كتاب الوقف . فيحضره له .
فيحبسه عنه . حتى يحضر له ما يريد^(٤) .

ومن القضاة الذين قاموا بدور كبير في تخريب الاوقاف القاضي علم الدين
البلقيني الشافعي^(٥) . حيث استغل فرصة انتشار وباء الطاعون في ولايته
الثانية : وتسلط في تحصيل الاموال من التركات ، والاوقاف . وكتب مرسوما
« استكتب فيه خطوط جميع شهود المراكز » أن لا يشهد أحد منهم في الوصية
حتى يوصى الوصى فيها للحرمين بشئ^(٦) : فكان الرجل يوصى بما تسمح به
نفسه : ويموت من يومه غالبا فيرسل نقيب فيقبض ما أوصى به : « ولم يحصل

(١) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ١٨٥ . ٢٥٢ . ابن دقماق : الانتصار

ق ١ ص ٧٠

(٢) ابن دقماق : المرجع السابق ق ١ ص ٧٠

(٣) ابن حجر : أنباء الفهر ج ٢ ص ١٩٦ . ١٩٧ . السخاوى : الضوء اللامع

ج ١٠ ترجمة رقم ١٢٧١

(٤) ابن حجر : أنباء الفهر ج ٣ ص ١٥٩

(٥) تولى قضاء الشافعية ثلاث مرات في ذو الحجة سنة ٨٢٦ هـ . ثم صرف بعد
اقل من سنة ، ثم أعيد في صفر ٨٣٢ هـ . ثم صرف بعد سنة وثلاثة أشهر . ثم أعيد في
شوال ٨٤١ هـ ثم صرف بعد سنة - ابن حجر : رفع الامر ج ٢ ص ٢٥٦ . ٢٥٨

(٦) أنظر ما سبق بالفصل الثانى عن مسئولية القاضي الشافعى عن صدقات واوقاف

الحرمين الشريفين .

لاهل الحرمين من ذلك الدرهم الفرد » : ويؤكد ابن حجر ذلك فيقول : « ولا وجدنا في حساب السنة التي ياشربها أنه ورد للحرمين شيء الا من جهة واحدة من بلدة بالريف بمبلغ تافه ، مبلغه فضة أربعمئة درهم ، ولعله حصل من الجهة المذكورة وحدها عشرة أضعافها ذهباً ، وأما أوقاف الحرمين والصدقات فتحيل على الانفراد بها بكل حيلة ، وأما المدارس ومتحصلها فلم يصرف للطلبة الا اليسير » (١) .

ويلنح من فساد ساسة بعض القضاة تجاه الاوقاف أن القاضي كمال الدين ابن المديم (ت ٨١١ هـ / ١٤٠٨ م) لم يكتف بما خرب من أوقاف في عهد جمال الدين الاستادار (٢) ، وانما تنازل لابنه ناصر الدين محمد (ت ٨١٩ هـ / ١٤١٦ م) عن تدريس المنصورية والشيخونية ، وأوصاه أن لا يفتقر عن السعي في القضاء ، فامتثل أمره ، ورشى على الحكم حتى استقر بعد أبيه ، وصار يرشى الامراء بأوقاف الحنفية يؤجرها لمن لم يخطر له منهم ببال بأبخس أجرة ، ليكون عوناً على مقاصده الي أن يخربها « ولو دام قليلاً لخربت كلها » (٣) .

ومما يؤكد مسئولية قضاة ذلك العصر عن خراب الاوقاف ، وانهيار نظامها ما حدث في الحرم سنة ٨٤٩ هـ / ١٤٤٥ م فقد سقطت مئذنة المدرسة الفخرية (٤) ، على الفندق المجاور لها : وعلى عدة أماكن ، فقتل

(١) ابن حجر : رفع الاصر ج ٢ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩

(٢) أنظر ما سبق عن اقتصاب الاوقاف من طريق الاستبدال ص ٢٤١ وما بعدها .

(٣) ابن حجر : أنباء الفجر ج ٢ ص ٤١١ ، ٤١٢ ، ج ٣ ص ١١٨ ، ١١٩ ، السخاوي : الدليل على رفع الاصر ص ٣٩٧ ، د : عاشور : المجتمع المصري ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ويذكر ابن تفرى بردى أن ناصر الدين محمد كان متزوجاً إحدى أخواته ، وأن المقرئ قد ثلثه « بأمور هو يرى منها لاسر كان بينهما » ويبدو أن ابن تفرى بردى هو المتعصب لناصر الدين لصلته بالنسب بينهما ، فقد أجمع المؤرخون المعاصرون على مساوئه - أنظر المقرئ : السلوك ج ٤ ق ١ ص ٣٧٧ ، السخاوي : الضوء اللاع ج ٦ ص ٦٦ ترجمة رقم ٢٢١ ، ابن تفرى بردى : النجوم ج ١٣ ص ١٧١

(٤) أنشأها الأمير الكبير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل الباروسي استادار الملك الكامل الايوبي سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م ، المقرئ : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٦٧

فيها عانم كثير ، فلما بلغ ذلك السلطان جقمق سأل عن ناظرها ، فقيل له ، نور الدين القليوبى أحد نواب الشافعى ، وأمين الحكيم ، فطلبه في الحال ، ورسم بتوسيطه ، فشفع فيه الدوادار الكبير اينال الملايى بعد أن سبه ولعنسه ، والزمه بممارتها ، ثم التفت السلطان للقاضى الشافعى وخاطبه بمخاطبات « منكية يستحى من ذكرها » وعزله عن القضاء ، وولى عوضه القيايتى ، ويعقب على ذلك ابن تغرى بردى فيقول : « ولا يعاب على السلطان ما ومع منه في حق القاضى ومستنبيه ، فان من شأن القضاة عدم الالتفات لعمارة الاوقاف والمدارس التى يلون أنظارها ، وما أدرى ما الذى يمتدرون به عن ذلك بين يدي الله عز وجل ، وما حجتهم عند الله ، وهذا الامر مما يقبح على المصامى الجاهل ، فكيف الفقهاء والقضاة ، وقد شاع ذلك في الاقطار عن قضاة زماننا ، وصار غالب الناس اذا وقف وقفا على مدرسه أو رباط أو ذرية أو غير ذلك يجعل النظر فيه للحاجب أو الدوادار أو الزمام ، ولا يجمعه للمتعمم لما ثبت عندهم من عدم التفاتهم الى مصالح الانظار ، فلا حول ولا قوة الا بالله » (١) .

كذلك استغل بعض القضاة وظائفهم وعملوا على الاستيلاء على الاوقاف لانفسهم ، ومن هؤلاء قاضى القضاة الشافعى ولى الدين السفلى (٢) الذى اشتري أيام سطوته حمام الزينى قاسم بالرغم من أنه وقف ، ولكنه أرغم الواقف على بيعه له ، كما استولى على حمامين وفرن ودكاكين من وقف المدرسة الطيرسية ، وانتهى الامر بمصالحته لمستحقى الوقف بألف دينار (٣) . وكان علاء الدين بن محمد بن آقبرسى الذى نظر الاوقاف في عهد السلطان جقمق كان من مبغضى السفلى « ومن يعيب عليه أفعاله القبيحة من البلص والطلب من الناس وسماه — الهلب — » ويعقب ابن تغرى بردى على ذلك بقوله : « على

(١) ابن تغرى بردى : منتخبات من حوادث الدهور ص ١٦ ، ١٧

(٢) تولى ولى الدين السفلى القضاء في عهد السلطان جقمق في ١٥ ربيع الآخر سنة ٨٥١ هـ ، وعزل في ربيع الآخر ٨٥٢ هـ — ابن تغرى بردى : النجوم (ط . كاليفورنيا) ج ٧ ص ١٥٠ ، ١٦٠ ، ١٦١ .

(٣) ابن تغرى بردى : المرجع السابق ج ٧ ص ١٦١

أن ابن آقبرسى أيضا كان من مقولة السفطى وزيادة»^(١) ، مما يؤكد تدهور الاوقاف بسبب القائلين على أمرها •

ويبلغ من اهمال القضاة للاوقاف أن ترك أحد القضاة ، وهو تقى الدين أحمد بن عز الدين عمر بن محمد المقدسى^(٢) ، أوقاف الايتام فى أيدي ابنه ، فقام ببيعها ، وانفاق ثمنها على المحرمات ، ولما سئل القاضى عن أموال الاوقاف التى باعها « اعتذر بما لا يقبل ، وسأل المهلة » ، فعزله السلطان الناصر محمد عن القضاء وذلك سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م^(٣) •

هذا الى أن بعض القضاة عملوا على اقتراض أموال الاوقاف لانفسهم مثال ذلك أنه لما عزل قاضى القضاة الشافعى جلال الدين القزوينى سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م ، كان عليه لجهة وقف التربة الاشرفية (الاشرف خليل) المجاورة لمشهد السيدة نفيسة مبلغ مائتى ألف درهم ، وثلاثين ألف درهم ، كان ينفقها ابنه على لهوه وفجوره ، فاضطر الى بيع أملاكه ليسدد ما عليه من دين للايتام^(٤) • ولم يحترم القضاة أيضا شروط الواقفين ، فيذكر ابن تغرى بردى أن الشيخ على المحتسب تولى نظر التربة الناصرية حيث دفن الملك الظاهر برقوق ، بوضع اليد ، رغم أن شرط الواقف كان لكاتب السر^(٥) •

ويبلغ من الكلام عن خراب الاوقاف وفساد القضاة أن الشيخ لاجين الجرجسى^(٦) ، وعد اذا ولى أمر مصر أن يبطل الاوقاف التى أوقفت على

(١) ابن تغرى بردى : النجوم (ط • كالمفردنيا) ج ٢ ص ١٦٤ ، ١٦٥

(٢) ولى قضاء قضاة العنابلة فى مصر فى ١١ ربيع الاول ٧١٢ هـ حتى عزل فى ١٨ ربيع الاول ٧٣٨ هـ - أنظر ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر) : درة الاسلاك (مخطوطة بجامعة القاهرة رقم ٢٢٩٦١) ورقة ١٩٤ - المقرئى : السلوك ج ٢ ص ١١٧ ، ٤٤٣

(٣) المقرئى : السلوك ج ٢ ق ٢ ص ٤٤٢ ، ٤٤٣

(٤) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ق ٢ ص ٢٣٩ ، ٤٤٢

(٥) ابن تغرى بردى : منتخبات من حوادث الدهور ص ١٢٥

(٦) كان مظلما عند الجراكسة ، ويزعمون أنه يملك مصر ، توفى سنة ٨٠٤ هـ من ثمانين عاما - المقرئى : السلوك ج ٣ ق ٣ ص ١٠٩٠

المساجد والمدارس ، وأن يخرج الاقطاعات عن الاجناد والامراء ، ويحرق كتب الفقه ويعاقب الفقهاء (١) .

أما المباشرون فكان لهم دور كبير فى تدهور الاوقاف وخرابها ، ومثال ذلك ما يذكره المقرئى عن المدرسة الجمالية (٢) : . فيقول « وكان شأن هذه المدرسة كبيرا يسكنها أكابر فقهاء الحنفية ، وتمد من أجل مدارس القاهرة ، ولها عدة أوقاف بالقاهرة وظواهرها وفى البلاد الشامية ، وقد تلاشى أمر هذه المدرسة لسوء ولاية أمرها وتخريبهم أوقافها ، وتمتلك منها حضور الدرس والتصوف .. » (٣) .

كما وصل الامر فى الجامع الطولونى أن المستحقين من أرباب الوظائف كانوا يصرفون فى السنة حوالى ثمانية أشهر ، فخلت تتضائل حتى أصبحت فى سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م ثلاثة أشهر فقط (٤) ، كما ظهر سنة ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م أنه فى جهة البالى مباشر المدرسة الظاهرية برقوق ألف دينار لجهة الوقف (٥) ، كذلك ظهر أن الصوفية بهذه المدرسة لهم مدة لم يصرف لهم معلوما ، وأن المباشرين بالوقف يصرفون لمن يختارون من الصوفية ، ويمنمون من يختارون (٦) .

وهكذا بلغت الاوقاف درجة من التدهور ، وغساد أحوالها حدا جعل بعض العلماء والفقهاء يرفضون تولي القضاء من أجل النظر فى الاوقاف ، حتى أن السلطان جقمق عندما طلب الجلال المحلى لتولى القضاء سنة ٨٥٣ هـ / ١٤٤٩ م قال : « لا أقبل الا بشروط منها أنى لا أتكلم فى الاوقاف » (٧) .



- (١) المقرئى : المرجع السابق ج ٣ ق ٣ ص ١٠٩٠
- (٢) أنشأ هذه المدرسة الوزير علاء الدين منغلطى الجمال (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٢٢) وجعلها مدرسة للحنفية وخانقاه للصوفية ، وأوقف عليها الكثير من الاوقاف أنظر وثيقة وقف الملاى الجمال رقم ١٦٦٦ أوقاف ، المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٩٢
- (٣) المقرئى : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٩٢
- (٤) ابن الصيرفى : أنباء الهجر ص ١٤١
- (٥) ابن الصيرفى : المرجع السابق ص ٢٣٩ ، ٢٤٠
- (٦) المرجع السابق ص ٢٣٨
- (٧) ابن تفرى بردى : منتخبات من حوادث الدهور ص ٤٧

موقف الشعب والعلماء من محاولات حل الاوقاف واغتصابها :

عارض العلماء والفقهاء والقضاة بصفة عامة . محاولات سلاطين الممالك وأمرائهم لحل الاوقاف : والاستيلاء على أموالها ، وهذا أمر طبيعي يتفق والقواعد الفقهية لنظام الاوقاف . من ناحية ، كما يتفق مع المصلحة الشخصية للعلماء والفقهاء والقضاة من ناحية أخرى ، اذ أنهم أكثر الناس استفادة من نظام الاوقاف : ومن ربح الاوقاف . واذا كان هناك بعض العلماء والقضاة وافقوا سلاطين الممالك وأمراءهم على حل الاوقاف : أو الاستيلاء على أموالها ، فان هؤلاء كانوا يمثلون مصالحهم الشخصية البحتة ، ويحاولون الاستمرار في وظائفهم : لما يعمود عليهم منها من ربح وغير نتيجة للفساد الذي استشرى في الدولة المملوكية : ولا سيما منذ بداية القرن التاسع للهجرة / الخامس عشر للميلاد .

وفي استمرارنا لمحاولات حل الاوقاف رأينا كثيرا من مواقف العلماء ضد هذه المحاولات ، ومن أشهر هؤلاء العلماء الذين وقفوا بصلافة ضد محاولات حل الاوقاف والاستيلاء على أموال الناس الشيخ عز الدين بن عبد السلام (١) ، والشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد (٢) ، والشيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقيني (٣) ، والشيخ الاسلام أمين الدين الاقصرائي الحنفى (٤) ، وقاضى القضاة شمس الدين الامشاطى (٥) ، وقاضى القضاة شهاب الدين أحمد الشيشينى الحنبلى (٦) .

ولم يكن هؤلاء فقط هم الذين عارضوا حل الاوقاف والاستيلاء على أموالها ، اذ وجد أيضا من القضاة من عارض محاولات حل الاوقاف الفردية التى قام بها بعض سلاطين الممالك والامراء للانتقام من شخص معين ، مثال

(١) أنظر ما سبق ص ٣٢٤

(٢) أنظر ما سبق ص ٣٢٥

(٣) أنظر ما سبق ص ٣٢٩

(٤) أنظر ما سبق ص ٣٢٧ ، ٣٣١

(٥) أنظر ما سبق ص ٣٢٨

(٦) أنظر ما سبق ص ٣٣٧

ذلك محاولة الأمير صرغتمش سنة ١٣٥٤/١٣٥٣م لحل أوقاف ابن زنبور^(١) بنفس الطريقة التي تم بها حل أوقاف كريم الدين^(٢) على أساس أن أمواله من أموال السلطان ، واحتج صرغتمش بمشاطرة عمر بن الخطاب لعماله ورد نصف أموالهم الى بيت المال ، فرفض قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن بدر الدين محمد بن جماعة حل أوقاف ابن زنبور على أساس أنه كان يتصرف في ماله الذى اكتسبه من المتجر وغيره ، «فما وقفه وثبت وقفه وحكم قضاة الاسلام بصحته لا سبيل الى حله » ، فسمى الأمير صرغتمش لدى خوند أم السلطان ووعدها بسبع قاعات من أوقاف ابن زنبور فبعثت أم السلطان الى ابن جماعة تعرفه ما وعدت ، وتؤكد عليه ألا يعارض في حل أوقاف ابن زنبور ، فأجابها بتقبيح هذا العمل ، وخوفها سوء عاقبته ، فكفت عنه ، ولم يجد الأمير صرغتمش أمامه الا أن يأمر ابن زنبور بالاشهاد على نفسه بأن جميع ما له من الاملاك والبساتين والاراضى الوقف والطلق جميعها من مال السلطان دون ماله ، فأتشهد عليه بذلك ، واستولى على أمواله وأوقافه^(٣) .

ويذكر ابن حجر أن القاضى أبو البقاء السبكى^(٤) رفض طلب السلطان شيمان ابطال وقف ، وقال للسلطان في غلظة « اسمع يامولانا السلطان ان كنت ما تعرفنى فأنا أعرفك بنفسى » ، ثم خرج من عند السلطان بغير سلام^(٥) .

(١) هو علم الدين عبد الله بن تاج الدين أحمد بن ابراهيم المعروف بابن زنبور تولى نظر الخاص والجيش في عهد المظفر حاجى ، ثم أضيفت اليه الوزارة سنة ٧٥١ هـ ، وظل كذلك حتى أحيط به وقبض عليه حسدا له في ١٧ ذوال ٧٥٣ هـ ، وتولى القيام عليه الأمير صرغتمش ، ثم توفي في ١٧ ذى القعدة ٧٥٤ هـ - المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ .

(٢) انظر ما سبق ص ٣٥٤

(٣) المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ .

(٤) هو محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد السبكى بهاء الدين أبو البقاء ولد ٤ ربيع الاول سنة ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م وولى قضاء دمشق . ثم قضاء القاهرة ثم قضاء الشام الى وفاته في ربيع الآخر سنة ٧٧٧ هـ - ابن حجر : الدر الكاشنة (ط ٠ القاهرة) ج ٤ ص ١٠٩ / ١١٠ ، ترجمة رقم ٣٨٣٥

(٥) ابن حجر : رفع الاسر (المخطوطة) ورقة ٢٣٢ ، د ٠ ماثور : المجتمع المصرى ص ٣١ ، ٣٢ .

ومن أمثلة موقف القضاة والعلماء من محاولات السلاطين لإبطال الاوقاف ما حدث أيام السلطان حسن بن محمد بن قلاوون ، فعندما جدد السلطان المذكور جامع الحاكم بأمر الله سنة ٨٧٦٠هـ / ١٣٥٩م على يد الشيخ قطب الدين محمد الهرمسي ، وقف السلطان خمسمائة وستين فدانا من طين طندتا على الهرمسي وأولاده ، وعلى زيادة في معلوم الامام بالجامع ، وما يحتاج اليه من زيت ووقود وممرمة في سقفه وجدرانها ، ولم يلبث أن تغير السلطان على الهرمسي ، ونفاه هو وولده ، فاستفتى السلطان حسن المفتين في ابطال وقف حصة طندتا على أساس أنه لم يتحقق من التفاصيل التي كتبها ابن الهرمسي في كتاب الوقف ، فأجاب المفتون ببطالان الحكم ، وعارض القضاة هذه الفتوى ، فطلب السلطان المفتين والقضاة ، فلم يحضر من القضاة غير نائب الشافعي وهو تاج الدين محمد بن اسحاق بن المناوي ، وأما القضاة الثلاثة « فقد وجدوا مرضا لم يمكنهم من الحضور الى سرياقوس » واحتد النقاش بين المفتين والقاضي ، وأصر القاضي على صحة الوقف ، ولكن من حق السلطان تغيير مصارف الوقف دون المساس بالوقف ذاته ، فأشهد السلطان على نفسه بأنه غير مصارف الوقف وجعلها قاصرة على مصالح الجامع ، ويعقب المقرئ على هذه القضية بقوله : « أنظر تثبت القاضي تاج الدين المناوي ، وبين ما ستقف عليه من التساهل والتغاضي في خبر أوقاف مدرسة جمال الدين يوسف الاستادار » (١) .

ومن أمثلة مواقف العلماء ضد أمراء الممالك في أمور الاوقاف ، موقف قاضي قضاة الحنفية سراج الدين الهندي (ت ٨٧٧٣هـ / ١٣٧١م) عندما استعرض الجاي يوسف ناظر الاوقاف الدروس في الجامع الطولوني ، واستكثر معلوم التدريس ، فقام الهندي في ذلك قياما عظيما ، وأغلظ له القول حتى قال : « اقطاعك مبلغ ألفي ألف درهم ، وتستكثر على الفقيه المسكين هذا القدر » ، فقال : « أنا آخذ الاقطاع لحفظ بلاد المسلمين » فقال : « ومن علمكم الجهاد الا الفقهاء » ، فسكت (٢) .

(١) المقرئ : الروايع والاعتبار ج ٢ ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، أنظر ما سبق من ٣٤٨

(٢) ابن حجر : انباء النمر ج ١ ص ٢٨

كذلك أفتى بعض الفقهاء ومنهم الشيخ محمد المرجاني بعدم جواز الصلاة في المدرسة المنصورية لكون موضعها كان وقفاً . واستبدل قصراً فضلاً عن أن كثيرين أجبروا على العمل فيها ، فقاطعها كثير من الناس ، « وأنت إن أمعنت النظر ، وعرفت ما جرى تبين لك أن ما القوم إلا سارق من سارق . وغاصب من غاصب . وإن كان التحرج من الصلاة لأجل عسف العمال ، وتسخير الرجال ، غشياً آخر ، بالله عرفني فإني غير عارف من منهم لم يسلك في أعماله هذا السبيل ، غير أن بعضهم أظلم من بعض » (١) .

وتعرض القاضي البدر محمود بن عبد الله الحنفى . والشهود للسجن في سنة ١٢٥٤هـ / ١٤٥٠م في عهد السلطان جقمق ، لأن - القاضي حكم بوقف بيت . وشهد على ذلك الشهود ، في الوقت الذي كان فيه السلطان يعمل على أخذ هذا البيت « بلا طريق » ، فلما استدعى السلطان القاضي والشهود من السجن ، وكلمهم بشأن الوقفية أصروا على تمسكهم بالشهادة بالوقف . فأعادهم ثانية إلى السجن (٢) .

أما عامة الشعب ، فكانوا مغلوبين على أمرهم في ذلك العصر . وكان موقف العلماء من الظلم الذي يقع على العامة ، هو السلاح الوحيد للدفاع عن العامة ، ورغم ذلك قام العامة بعدة ثورات ضد محاولات السلاطين فرض الأموال على الأملاك والأوقاف ، من ذلك ما قام به العامة سنة ١٢٨٩هـ / ١٤٨٩م عندما قرر السلطان قايتباي جباية أجرة شهرين من الأملاك والأوقاف (٣) وشاع بين الناس أن الشيخ شهاب الدين أحمد الشيشيني (٤) هو الذي أفتى السلطان بحل ما يجبى من الأملاك والأوقاف فثاروا عليه وقصدوا قتله لولا أنه اختفى مدة طويلة ، ثم توجه إلى مكة وجاور بها مدة (٥) .

(١) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٠٧ ، ٤٠٨

(٢) ابن تفرى بردى : منتخبات من حوادث الدهور ص ٧٤ . ٧٥ . ٧٦

(٣) أنظر ما سبق ص ٣٣٥ وما بعدها .

ويعصور لنا ابن آياس مدى المظالم التى وقعت على الشعب من جراء فرض السلطان قايتباى بعد ذلك أجرة خمسة أشهر على الاملاك والاقواف فى سنة ٨٨٩٦م / ١٤٩١م ، فيقول : « وصار الانسان يخرج من داره فيرى أربعة من الرسل فى استنظاره ، فيكون نهاره أغبر ، ويخرج وهو فى أذيله يتعثر ، فيقدحون فيه الزناد . ولا يرى له من اعتماد (١) » ، ذلك أن الجبابة لم يدخروا وسما فى استخراج هذه الاموال ، حتى أنهم قطعوا شجرة نبق من حوش تسكنه امرأة فقيرة عندما وجدوا أنها لا تملك من قاع الدنيا شئ (٢) .

وكان أن ثار العامة فى عهد السلطان الغورى ، عندما فرض السلطان على الاملاك والاقواف أجرة عشرة أشهر ، وبلغت ثورتهم الذروة يوم الجمعة ٨ المحرم ٨٩٠٧م / ١٥٠٢م ، فأغلقت بعض الجوامع ومنعت منها الخطبة ، ووقفت العامة فى طريق الامراء عند نزولهم من القلعة بعد أداء صلاة الجمعة مع السلطان ، فتكلموا مع الاتابكى قيت الرجبى : فلم يلتفت اليهم ، فلما وصل الى الجامع الصالح تجاه باب زويلة ، كبر عليه العوام « ورجموه فجاءته رجمة فى كلوته ، وكان انى جانبه الامير طراباى رأس نوبة النوب فجاءته رجمة فى جبهته حتى سال منه الدم » ، ووصل الامر الى حد الاشتباك المسلح بين المماليك والعوام « وكادت القاهرة أن تخرب عن آخرها مما جرى فى هذا الحادث العظيم » وفى صبيحة اليوم التالى وقفت العامة الى الامير ازدمر من على باى — أحد المقدمين — وشكوا اليه حالهم ، فلما طلع القلعة اجتمع بالسلطان وتكلم معه فى ذلك فاستقر الامر على الاكتفاء بأجرة سبعة أشهر بدلا من عشرة « فسكن الحال قليلا » (٣) .

(١) وقد قال بعض الموالاة فى المعنى :

غرمت شهرين من أجرة مكاني أس
أقسم ورب الخلائق والقر والشمس
وأصبحت مغنوسا فى بحر المغارم غمس
ما طقت شهرين كيف أندر أطيع الغنم

ابن آياس : بدائع الزهور ج ٣ ص ٢٧٩

(٢) نفس المرجع ج ٣ ص ٢٧٩

(٣) نفس المرجع ج ٤ ص ١٧

ويصور الشاعر جمال الدين السلموني رأى الشعب في القضاة الذين
ساعدوا على تدهور الاوقاف وخرابها في قصيدة هجا بها قاضى القضاة الحنفى
عبد البر ابن الشحنة ، وجاء بهذه القصيدة (١) :

فشا الزور في مصر وفي جنباتها

ولم لا وعبد البر قاضى قضاتها

أجاز أمورا لا تحل بملة

بحل وبرم مظهرا منكراتها

ألست ترى الاوقاف كيف تبدلت

وكانت على تقديرها وثباتها

ولا بد من بيع الجوامع تارك الـ

جماعات منها مبطل جمعاتها

ولو أمكنته كعبة الله باعها

وأبطل منها الحج مع عمراتها

فان كان في الاوقاف ثم بقية

تغذبنى فيما أقول فماتها

(١) ابن ايامس : المرجع السابق ج ٤ ص ١١٣

الخاتمة

وبعد ... فقد كان لاختلاف نظرة الفقهاء الى نظام الوقف على مر العصور ، واتجاههم الى التوسعة على الناس في الوقف ، على أساس اتاحة الفرصة لمن يريد فعل الخير ولو بعد حين ، ان كان لهذه التوسعة أكبر الاثر في انحراف الوقف عن غايته التي شرع من أجلها ، وهي أن يكون « صدقة جارية » ، وكما استغل الافراد نظام الوقف لتحقيق مآربهم الشخصية حرمانا واستحقاقا ، وتعليق الاستحقاق في الوقف على شروط معينة ، كذلك قام الحكام باستغلال الاوقاف لتدعيم حكمهم السياسى ، وتوسعوا في ذلك الى أقصى حد ، حتى أصبح نظام الوقف في العصر المملوكى نظاما متشابكا فتأثر وأثر في مختلف الأنشطة ، وأصبحت لا توجد ناحية من نواحي الحياة الا ولها صلة بنظام الوقف من قريب أو بعيد .

وإزاء هذا الدور الكبير الذى قام به نظام الوقف في العصر المملوكى ، فقد اختلفت وجهات نظر السلاطين والامراء نحوه ، واذ كان بعض هؤلاء السلاطين مثل السلطان برقوق والسلطان قايتباى (١) قد قطنوا الى بعض الآثار السيئة لنظام الوقف ، ولا سيما من الوجهة العسكرية ، لارتباط التوسع في الاوقاف بانكماش الاقطاعات (٢) ، فاننا نجد من ناحية أخرى أن جميع السلاطين ومن بينهم السلطانين برقوق وقايتباى قد أوقفوا الكثير من الاراضى والمباني (٣) ، ذلك أن ظروف العصر كانت أقوى من نظرتيها . وأصبح لزاما عليهما أن يسائرا أوضاع العصر الذى يعيشان فيه .

والواقع أن الفقهاء والعلماء لعبوا دورا بارزا في ازدهار الاوقاف والتمسك بها في ذلك العصر ، ويمكن أن نقول أنه لولا موقف العلماء المتشدد من محاولات حل الاوقاف لما استمرت الاوقاف ، ولما كان لها ذلك الاثر الواسع في المجتمع المملوكى ، ذلك أن المحافظة على الاوقاف في حد ذاتها شجعت الكثيرين على

(١) انظر ما سبق بالفصل السابع .

(٢) انظر ما سبق بالفصل السادس عن ملاقة نظام الوقف بالاقطاع .

(٣) انظر وثائق وقب كل من برقوق وقايتباى بفهرست وثنائق القاهرة .

وقف ممتلكاتهم ، فضلا عن أن العلماء والفقهاء قد أسهموا فى اذكاء المشاعر الدينية وتقويتها ، فقد كانوا أكثر الناس استفادة من نظام الاوقاف ، فشجعوا الناس على وقف أملاكهم عن طيب خاطر ، ومن الطبيعى أن يجعل الناس فى أوقافهم نصيب كبير للعلماء والفقهاء ، وهذا بدوره جعل العلماء والفقهاء أشد تمسكا بنظام الوقف .

والاوقاف فى العصر المملوكى كانت المصدر المالى الوحيد لكثير من الخدمات الاجتماعية والتعليمية (١) ، ذلك أن الدولة فى العصر المملوكى كانت تعتبر هذه الخدمات الحيوية والاساسية من وجوه البر ، ولم تر أن أى من هذه الوجوه تدخل ضمن رسالتها .

ولم يقتصر أثر الاوقاف على تقديم مثل هذه الخدمات لمختلف الفئات الشعب ، والتخفيف من وطأة ظروف الحياة فى ذلك العصر (٢) ، فقد تجاوزت آثار الاوقاف هذه الناحية الى خلق تقاليد ثابتة فى المجتمع المصرى ، ذاك أن شروط الواقفين فى كثير من الاحيان كانت أساس كثير من التقاليد فى المجتمع (٣) ، اذ كان الحرص على تنفيذ شرط الواقف سنة بعد أخرى هو فى الحقيقة تثبيت لفاهيم معينة أصبحت بمرور الزمن تقاليد ثابتة تغلغت فى شتى نواحي الحياة .

وكان من الطبيعى أن ينته ذلك الدور الخطير الذى قامت به الاوقاف فى العصر المملوكى بانتهاء ظروف ذلك العصر السياسية والاقتصادية ، والتي كانت من بين العوامل التى ساهمت فى ازدهار الاوقاف فى العصر المملوكى (٤) ، ذلك أنه بالرغم من أن ازدهار الاوقاف فى ذلك العصر حمل فى طياته بذور تدهور هذا النظام ، الا أن الفتح العثمانى (٨٩٢٣ / ١٥١٧ م) وما صاحبه من ظروف سياسية واقتصادية ، وما استحدثه من نظم ، ساهمت الى حد كبير فى القضاء على الدور الكبير الذى قامت به الاوقاف الخيرية فى العصر السابق عليه ،

(١) انظر ما سبق فى الفصلين الثالث والخامس .

(٢) انظر ما سبق عن الاوقاف والاحسان العام .

(٣) من أمثلة ذلك انظر ما سبق عن الاوقاف والمواسم الدينية .

(٤) انظر ما سبق عن عوامل ازدهار الاوقاف فى العصر المملوكى بالفصل الثانى

واعتقد أن تخلى الاوقاف فجأة - نتيجة لظروف الفتح العثماني - ودون وجود بديل يقوم بدورها في المجتمع ، يعتبر من العوامل الاساسية والهامة التي كانت سببا فيما شاهده البلاد من تدهور ولا سيما في الناحية العلمية والثقافية .

وفي العصر الحديث ، ورغم مفهوم الدولة ، وقيامها بكثير من الخدمات التي كانت تقوم بها الاوقاف في العصر المملوكي ، فضلا عن التشريعات الاجتماعية المختلفة ، فاني أعتقد أنه يمكن للاوقاف الخيرية والتي تقتصر مصارفها على وجوه معينة تتجه لخدمة المجتمع ، يمكن أن تقوم بالكثير ، ذلك أن الدولة لا يمكن أن تحمل العبء كاملا ، وأنه لابد من مساهمة الافراد ، ولا سيما الاثرياء ، في تحمل نصيبهم في خدمة مجتمعهم ، وذلك عن طريق التبرع أو عن طريق الوقف الخيري ، فيزيد رأس ماله والذي يبلغ حاليا حوالى ستين مليوناً من الجنيهات (١) ، مما يمكنه من القيام بدور فعال في هذا المجتمع على أن تنقى مصارفه من الشوائب ، وعلى أن تحدد هذه المصارف وفقاً لحاجة المجتمع الفعلية ، وليس طبقاً لشرط الواقف : فظروف المجتمع في العصر الحديث لا تتحمل تبديد ثروات في ثمن جريد يوضع على القبور ، كما أن ظروف المجتمع لم تعد تتحمل تحكم الواقف في ثروته حياً وميتاً .

وإذا أردنا الاستفادة حقاً من حكمة وجود الوقف في الشريعة الاسلامية، فيجب علينا الرجوع بالوقف الى أصل وجوده في الاسلام وأعني بذلك العودة بالوقف الى كونه «صدقة محرمة» أو «صدقة جارية» (٢) ، تلك الصدقة التي تقوم بدورها في تكافل وتضامن وتماسك المجتمع .

(١) أنظر كتاب : الاوقاف اشتراكية حريقة ، الصادر عن الشؤون العامة بوزارة الاوقاف (فبراير ١٩٦٣) ص ٢٥
(٢) أنظر ما جاء بالفصل الاول .

ملاحق الكتاب

الملحق الاول

دراسة نموذج « وثيقة في الحبس »^(١)

(أخبرنا الربيع) بن سليمان قال : أخبرنا انشافى أملاء ، قال : هذا كتاب كتبه فلان بن فلان الفلانى ، فى صحة من بدنه وعقله ، وجواز أمره ، ولذك فى شهر كذا من سنة كذا ، تصدقت بدارى التى بالفسطاط من مصر فى موضع كذا ، أحد حدود جماعة هذه الدار ينتهى الى كذا والثانى والثالث والرابع^(٢) ، تصدقت بجميع أرض هذه الدار وعمارتها ، من الخشب والبناء والابواب وغير ذلك من عمارتها وطرقها ومسابل مائها وارفاقها ومرتفعاتها ، وكل قليل وكثير هو فيها ومنها وكل حق هو لها داخل فيها وخارج منها^(٣) ، وحبتها صدقة بتة مسيلة لوجه الله وطلب ثوابه ، لا مثنوية فيها ولا رجعة ، حبسا محرما ، لا تباع ولا توهب حتى يرث الله الارض ومن عليها ، وهو خير الوارثين ، وأخرجتها من ملكى ، ودفعتها لفلان بن فلان ، يليها بنفسه ، وغيره ممن تصدقت بها عليه ، على ما شرطت وسميت فى كتابى هذا ، وشرطى فيه أنى تصدقت بها على ولدى لصلبى ذكرهم وأنتاهم ، من كان منهم حيا اليوم ، أو حدث بعد اليوم ، وجعلتهم فيها سواء ذكرهم وأنتاهم ، صغيرهم وكبيرهم ، شركاء فى سكنائها وغلتها لا يقدم واحد منهم على صاحبه ، ما لم تتزوج بناتى ، فاذا

(١) نقلا من كتاب الام للامام الشافعى (ط - بولاق ١٣٢١ هـ) ج ٣ ص ٢٨١ - ٢٨٣

(٢) لابد من ذكر الحدود الاربعة للمقار الموقوف ، اذ روى عن ابى يوسف أن التعريف يحصل بذكر حدين ، وفى أراء أخرى بثلاثة حدود الا أن زفر قال أنه لا يحصل الا بذكر الحدود الاربعة ، وذلك هو أحوط الوجوه - أنظر : د - عبد اللطيف ابراهيم : دراسة وثيقة وقف مسرور بن عبد الله الشبلى - تحقيق رقم ١٦

(٣) استقر رأى الفقهاء على أن المنقول اذا كان يدخل فى حقوق العين فى حالة بيعها أو اجارتها ، يدخل أيضا فى حقوقها فى حالة وقفها ولو لم ينص على ذلك - المصادق : رسالة فى وقف المنقول ورقة ٧ - أنظر ما سبق بالفصل الثانى ص ٩٩ وما بعدها .

تزوجت واحدة منهم وباتت الى زوجها انقطع حقها ما دامت عند زوج^(١) ، وصار بين الباقيين من أهل صدقتي ، فما بقى من صدقتي يكونون فيها شركاء ، ما كانت عند زوج ، فاذا رجعت بموت زوج أو طلاق ، كانت حقها من دارى كما كانت عليه قبل أن تتزوج ، وكلما تزوجت واحدة من بناتى فهى على مثل هذا الشرط ، تخرج من صدقتي ناكحة ويعود حقها فيها مطلقة أو ميتا عنها ، لا تخرج واحدة منهم من صدقتي الا بزواج ، وكل من مات من ولدى لصلبى ، ذكرهم وأنثاهم ، رجع حقه على الباقيين معه من ولدى لصلبى ، فاذا انقرض ولدى لصلبى فلم يبق منهم واحد ، كانت هذه الصدقة حبسا على ولد ولدى الذكور لصلبى ، وليس لولد البنات من غير ولدى شئ ، ثم كان ولد ولدى الذكور من الاناث والذكور فى صدقتي هذه على مثل ما كان عليه ولدى لصلبى الذكر والانثى فيها سواء ، وتخرج المرأة منهم من صدقتي بالزواج ، وترد اليها بموت الزوج وطلاقه ، وكل من حدث من ولدى الذكور من الاناث والذكور فهو داخل فى صدقتي مع ولد ولدى ، وكل من مات منهم رجع حقه على الباقيين معه حتى لا يبقى من ولد ولدى أحد ، فاذا لم يبق من ولد ولدى لصلبى أحد ، كانت هذه الصدقة بمثل هذا الشرط على ولد ولد ولدى الذكور الذين الى عمود نسبهم ، تخرج منها الامراة بالزواج ، وترد اليها بموته وفراقه ، ويدخل عليهم من حدث أبدا من ولد ولد ولدى ، ولا يدخل قرن ممن الى عمود نسبه من ولد ولدى ما تناسلوا على القرن الذين هم أبعد الى منهم ما بقى من ذلك القرن أحد ، ولا يدخل عليهم أحد من ولد بناتى الذين الى عمود انتسابهم الا أن يكون ولد بناتى من هو من ولد ولدى الذكور الذين الى عمود نسبه ، فيدخل مع القرن الذين عليهم صدقتي لولادتي اياه من قبل أبييه لا من قبل أمه ، ثم

(١) يعتبر هذا الشرط من الشروط التمسفية التى انعرفت بالاوقاف عما شرعت له - أنظر استنكار السيدة عائشة لخراج بعض الناس لبناتهم من صدقاتهم ، ولذلك عزم عمر بن عبد العزيز على ابطال الاوقاف التى حُرمت فيها النساء - الامام مالك - المدونة الكبرى ج ٤ ص ٣٤٥ ، الخصاف : أحكام الاوقاف ص ١٧

هكذا صدقتى أبدا على من بقى من ولد أولادى الذين الى عمودى نسبهم^(١) وان سفلوا أو تناسخوا حتى كون بينى وبينهم مائة أب وأكثر ، ما بقى أحد الى عمود نسبه ، فاذا انقرضوا كلهم فلم يبق منهم أحد الى عمود نسبه ، فهذه الدار حبس صدقة لا تباع ولا توهب لوجه الله تعالى ، على ذوى رحمى المحتاجين من قبل أبى وأمى ، يكونون فيها شركاء سواء ذكرهم وأنثاهم ، والاقترب الى منهم والابعد منى ، فاذا انقرضوا ولم يبق منهم أحد فهذه الدار حبس على موالى الذين انعمت عليهم وأنعم عليهم آبائى بالعتاقة ، لهم وأولادهم وأولاد أولادهم ، ما تناسلوا ذكرهم وأنثاهم ، صغيرهم وكبيرهم ، ومن بعد الى والى آبائى نسبه بالولاء - ونسبه الى من صار مولاي بولاية سوء ، فاذا انقرضوا فلم يبق منهم أحد فهذه الدار حبس صدقة لوجه الله تعالى ، على من يمر بها من غزاة المسلمين ، وأبناء السبيل ، وعلى الفقراء والمساكين ، من جيران هذه الدار وغيرهم من أهل القسطنطين ، وأبناء السبيل ، والمارة من كانوا ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها^(٢) ، ويلى هذه الدار ابنى فلان بن فلان الذى وليته فى حياتى وبعد موتى ، ما كان قويا على ولايتها ، أمينا عليها ، بما أوجب الله تعالى عليه من توفير غلة ان كانت لها ، والمعدل فى قسمها ، وفى اسكان من أراد السكن من أهل صدقتى بقدر حقه ،

(١) أنظر ما جاء بالفصل الاول عن تغلغل الوقت الاهل على الذرية فى نفوس المصريين ، وحصر الاستحقاق فى أولاد الاصلاخ أو عمود النسب .

(٢) الاصل فى نظام الوقت الاسلامى هو حبس العين عن أن تملك لاحد من العباد والتصدق بمنفعتها ابتداء على جهة بر لا تنقطع كالصندوق والفقراء وهو الوقت الخيرى . أو التصدق بمنفعتها على من يحتمل الانقطاع واحدا أو أكثر - كما جاء فى هذه الوثيقة - بما لا يعتبر الصرف اليه صدقة ثم يجعلها من يمددهم لجهة بر لا تنقطع ، وهى ما عرف بالوقت الاهل ، فاذا آل الى جهة البر صار وقفا خيرا - أنظر : Querry (A) : Driot Musulman, Livre xiv, P. 579.

ويقصد بالصدقة المطلقة العامة عمل الخير بكافة الطرق من أطعام الطعام وتسجيل الماء وفك أسرى المسلمين ووفاء دين المدينين - أنظر ما جاء بالفصل الثالث عن الاوقاف والاحسان العام .

فان تغيرت حال فلان بن فلان ابني بضعف عن ولايتها أو قلة أمانة فيها ، وليها من ولدى أفضلهم ديناً وأمانة^(١) ، على الشروط التي شرطت على ابني فلان ، يليها ما (كذا) قوى وأدى الأمانة ، فإذا ضعف أو تغيرت أمانته ، فلا ولاية له فيها ، وتنتقل الولاية عنه الى غيره من أهل القوة والأمانة من ولدى ، ثم كل قرن صارت هذه الصدقة اليه ، وليها من ذلك القرن أفضلهم قوة وأمانة ، ومن تغيرت حاله من وليها بضعف أو قلة أمانة ، نقلت ولايتها عنه الى أفضل من عليه صدقتى قوة وأمانة ، وهكذا كل قرن صارت صدقتى هذه اليه ، يليها منه أفضلهم ديناً وأمانة ، على مثل ما شرطت على ولدى ما بقى منهم أحد ، ثم من صارت اليه هذه الدار من غرابتي أو موالى وليها ممن صارت اليه أفضلهم ديناً وأمانة ما كان فى القرن الذى تصير اليهم هذه الصدقة ذو قوة وأمانة ، وان حدث قرن ليس فيهم ذو قوة ولا أمانة ولى قاضى المسلمين صدقتى هذه من يحمل ولايتها بالقوة والأمانة من أقرب الناس الى رحما ، ما كان ذلك فيهم ، فان لم يكن ذلك فيهم ، فمن موالى وموالى آبائى الذين لنعمنا عليهم ، فان لم يكن ذلك فيهم ، فرجل يختاره الحاكم من المسلمين ، فان حدث من ولدى أو من ولد ولدى أو من موالى رجل له قوة وأمانة ، فزعا الحاكم من يدي من ولاء من قبله وردها الى من كان قويا وأميناً ممن سميت ، وعلى كل وال يليها أن يعمر ، ما وهى من هذه الدار ، ويصلح ما خاف غساده منها ، ويفتح فيها من الابواب ، ويصلح منها ما فيه الصلاح لها ، والمستزاد فى غلتها ، ومكنها ، مما يجتمع من غلة

(١) الولاية أو النظر لا تجوز لفاسق ولا لغائن أو عاجز ، ولابد من - أهلية الناظر وأمانته وعد له وكفايته - وما جاء بهذه الوثيقة - التي رواها الامام الشافعى - تتفق مع ما جاء بالمذهب الشافعى من أن الولاية لا تثبت الا بالشروط عند انشاء الوقف - أنظر ما جاء بالفصل الثانى. من تنظيم وإدارة الاوقاف الاملية ، الطرابلسى : الاسعافه ص ٤١ - أحمد ابراهيم : أحكام الوقف ص ٩٨

هذه الدار ، يفرق ما بقى منه على من له هذه القلة سواء على ما شربطت
لهم ، وليس للوالى من ولاية المسلمين أن يخرجها من يدى من وليته اياها ،
ما كان قويا أميناً عليها ، ولا من يدى أحد من القرن الذى تصير اليهم ،
ما كان فيهم من يستوجب ولايتها بالقوة والامانة ، ولا يولى غيرهم ، وهو
يجد فيهم من يستوجب الولاية ، شهد على اقرار : فلان بن فلان ، فلان بن فلان
ومن شهد ...

الملحق الثاني(١)

نسخة خطبة في ابتداء كتاب وقف على مسجد(٢)

الحمد لله جامع الناس ليوم لا ريب فيه أنه لا يخلف الميعاد ، وناصر الدين المحمدي نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى آله الكرام الامجاد ومشرفه هذه الامة بالائمة والجمعة والجماعات من أهل الرشاد ، وجاعل من ارتضاه من أرباب سنة نبيه المختار من عباده العباد ، وميسر القربات اليه لاهل السداد ، ومزيد الاعمال الصالحات ممن أخلاصه بالطاعات ومزيد الارقاد ، ومفضل الاوقاف على أفضل وجوه البر من جعله للخير أهلا بالنفع المتعدى وكثرة الامداد ، ومعظم الاجر لمن بنى بيتا لله بنية خلية من الرياء والعناد ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من بنى مسجدا لله ولو كمفحص قطاة بنى الله تعالى له به قمرا في الجنة »(٣) ونرجو من كرم الله الازدياد .

أحمدته على مواد نعمه التي جلت عن التعداد ، وأشكره شكرا وافيا وافرا نجعله ذخيرة ليوم التناد واستمد من اللطف لوازم الفضل الخفي وهو الكريم الجواد ، وأشهد ألا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله الخاتم الحاكم على حوضه الوارد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما أصنى الى الذكر وأجيب كل داع من حاضر أو باد .

(١) نقلا عن القلشندي : صبح الامشى ج ١٤ ص ٣٥٣

(٢) أنظر ما جاء من أهمية الشهور الدين كباث على ازدهار الاوقاف في الممر الملوكي ، الفصل الثاني ص ٨٨ وما بعدها ، وأنظر أيضا ما جاء في افتتاحية وثيقة وقف السلطان قلاوون رقم ١٠١٠ أوقاف الفصل الثاني ، ووثيقة وقف السلطان الغوري ٨٨٣ أوقاف - أنظر ما سبق بالفصل الثاني ص ٨٩ ، ٩٠ وافتتاحية وثيقة وقف السلطان حسن ٨٨١ أوقاف ص ٣ - ٥ أنظر ما سبق بالفصل الرابع .

(٣) اختلفت صيغ هذا الحديث الذي كثيرا ما ورد في الصيغ الافتتاحية لوثائق الوقف ، كما اختلفت صيغه أيضا في كتب الحديث - مسلم : الجامع الصحيح ج ٢ ص ٦٨

وبعد ، فلما كانت المثوبات مضمونة الاجر عند الكريم . والاعمال متعددة في التقديم ، وكان بنیان المساجد وافرا أجرا ، لمن أقام بواجب تبیان الظن الجميل وسدد الى الخيرات سيرا : وقد قال تعالى : « أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي خيرا » ورأى العقلاء أن الاوقاف على المساجد والجوامع من أنفس قواعد الدين وأعلى — فلذلك قيل في هذا الاسجال المبارك .

هذا ما وقفه وحبسه ، وسبله وأبده فلان . وقف وحبس رغبة في مزيد الثواب ، ورجاء في تهون تهويل يوم الحساب : واغتناما للاجر الجزيل من الكريم الوهاب ، لقول الله تعالى في الآيات المبرورة : « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » . وقف بنية خالصة ، وعزيمة صالحة . ونية صادقة : ما هو له وفي ملكه ، وحوزه ويده وتصرفه : من غير مناظر له في ذلك ولا شريك ، (ثم يذكر الوقف) .

الملحق الثالث (١)

نسخة توقيع بنظر الاحباس (٢)

أما بعد حمد الله الذى أذن أن ترفع بيوته ويذكر فيها اسمه ، ويكثر فيها قسم ثوابه ويجزل قسمه : والصلاة على سيدنا محمد الذى عظم به قطع دابر الفكر وكثر حسمه — فإن خير من عول عليه فى تأسيس بيوت الله وعمارة ربوعها ، ولم شعثها وشعب صدوعها ، والقيام بوظائفها ، وتسهيل لطائفها ، وتأهيل نواحيها ، لهبوط الملائكة لتلقى المصلين فيها ، من كان ذا عزم لا تأخذه فى الله لومة لائم ، وحرم لا يلزمه أفعاله لهم المآثم ، ونظر ثابت ، ورغبة فى اختيار جميل المآثر والمناقب ومباشرة ترعى قوانين الامور وتكتنفها اكتناف مراقب •

ولما كان فلا نمن هذه الاوصاف شعاره ، والى هذه الامور بداره ، وكم كتب الله به للدولة أجر راكم وساجد ، وكم شكرته وذكرته السنة أعلام الجوامع وأهواء محاريب المساجد — اقتضى منيف الملاحظة والمحافظة على كل قريب من بيوت الله وشاهد ، أن خرج الامر الشريف — لا برح يكشف الاوجال ، ويدعوله فى الغدة والآصال — أن يفوض لفلان نظر ديوان الاحباس والجوامع والمساجد المعمورة بذكر الله تعالى •

فليباشرها مباشرة من يراقب الله (ان) وقع أو توقع ، وان أطاع أو تطوع ، وان عزل أو ولى ، وان أدب من نهى عبدا اذا صلى ، وليجتهد كل

(١) نقل من القلشندي : صبح الاعشى ج ١١ ص ٢٥٦

(٢) وعلينا لدراستنا من تنظيم الاوقاف ، فان نظر الاحباس يتضمن النظر فى الرزق بكافة أنواعها ومنها الرزق المحبوس على المساجد والجوامع والزوايا ، وحسب ما استقر عليه الحال فى عهد القلشندي فان متولى النظر فى الاحباس كان الدوا دار الكبير وكان بمثابة المشرف العام ، وينضم لائرفه « ناظر ديوان الاحباس » — أنظر ما جاء بالفصل الثانى ص ١٠٧ وما بعدها ونسخة التوقيع هذه هى نسخة توقيع بنظر « ديوان الاحباس » •

الاجتهاد في (صرف) ريع المساجد والجوامع في مصارفها الشرعية ، وجهاتها المرعية ، وليأخذ أهلها باللائمة في أحيائها وأوقاتها ، وعمارتها ، بمصايبها وآلاتها ، وحفظ ما يحفظون به لاجلها ، ومعاملتهم بالكرامة التي ينبغي أن يعامل مثلهم بمثلها ، وليحرر في اخراج الحالات اذا خرجت ، وفي مستحقات الاجائر اذا استحققت واذا عجلت ، وفي التواقيع اذا أنزلت واذا نزلت وفي الاستثمارات التي أهملت وكان ينبغي لو أهلت ، واذا باشر (و) ظهر له بالمباشرة خفايا هذا الديوان ، وفهم ما تحتويه جرائد الاحسان ، فليكن الى مصالحه أول مبادر ، ويكفيه تدبير قوله تعالى « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » .

الملحق الرابع (١)

نسخة توقيع بنظر الاوقاف (٢)

الحمد لله الذى حفظ معالم البر من الدثور ، وأحيا آثار المعروف والاجور ، وصان الاوقاف المحبسة من تبديل الشروط على توالى الايام والشهور .

نحمده على فضله الموفور ، ونشهد أن لا اله الا الله حده لا شريك له شهادة لها فى القلوب على نور ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المؤيد المنصور ، الطالع البدور ، المبعوث بالفرقان والنور ، المنعوت فى التوراة والانجيل والزبور ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما كرت الدهور ، وطلعت كواكب ثم تغور .

وبعد ، فان أهل الخير من المؤمنين تقربوا الى الله سبحانه وتعالى من طيبات أموالهم بأوقاف وقفوها على وجوه البر وعرفوها ، وجعلوا لها شروطا ووصفوها ، فتقبل الله لهم ذلك ، ثم ماتوا فما انقطع عملهم بها وهم فى برزخ المهالك ، ووليها بعدهم الامناء من النظار ، فقاموا بحقوقها وحفظ الآثار ، وأجروا برها الدار فى كل دار ، وصانوا معالمها من الاغيار ، وشاركوا واقفيها فى الصدقة لانهم خزان أمناء أخيار .

ولما كان فلان هو الذى لا يتدنس عرضه بشائبة ، ولا تمسى المصالح وهى عن فكرة غائبة ، ولا تبرح نجوم السمود طالعة عليه غائبة ، وهو أهل

(١) نقلا عن القلقشندي : صبح الاعشى ج ١١ ص ٢٥٧

(٢) من دراستنا لتنظيم الاوقاف فى العصر المملوكى أن المقصود بنظر الاوقاف هى الاوقاف الخيرية المحبوسة على الحرمين الشريفين ومختلف جهات البر مما لا يدخل فيها أو يشترك معها وقف أهلى وهى التى عرفت فى عصر المقريزى باسم « الاوقاف الحكيمة » ، وكان الاشراف العام عليها لقاضى القضاة الشافعى ، الذى كان يمين ناظرا لديوان اوقاف القاهرة ، وآخر لديوان اوقاف مصر (القسلاط) ، وفى بعض الاحيان كان يتولى الديوانين رجل واحد . انظر تفصيل ذلك فى الفصل الثانى ص ١١٣ وما بعدها ، ونسخة التوقيع هى نسخة توقيع بنظر « ديوان الاوقاف » .

أن يناف به التصدث فى جهات البر الموقوفة ، وأموال الخير المصروفة ،
لأنه نزه نفسه عما ليس له فلو كانت أموال غيره ثمنما ما اختص منها بصوفه ،
فلذلك رسم ٠٠٠ (١) .

فليباشر هذه الوظيفة مباشرة حسنة التأثير . جميلة التثمين ، مأمونة
التغيير ، مخصوصة بالتعبير ، ولينظر فى هذه الأوقاف على اختلافها من ربوع
ومبانى ، ومسكن ومغانى ، وخانات مسبلة ، وحوانيت مكملة ، ومسقفات
معمورة ، وساحات مأجورة غير مهجورة . وليبدأ بالعمارة فانها تحفظ العين
وتكفى البناء دثوره ، وليتبع شروط الواقفين ولا يعدل عنها فان فى ذلك
سروره ، ويندرج فى هذه الأوقاف ما هو على المساجد ومواطن الذكر : فليقم
شعارها ، وليحفظ آثارها ، وليرفع منارها ، والوصايا كثيرة والتقوى
ظلها المخطوب ، ومراقبة الله أصلها المطلوب ويملها المحبوب ، والله تعالى
يجمع على محبته القلوب ، بمنه وكرمه .



الملخص الخامس (١) نسخة توقيع بالتحدث في وقف (٢)

رسم بالامر الشريف العالي المولوى السلطانى الملكى الفلانى - أعلاه
الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرغه - أن يستقر أنقاضى فلان بن فلان في
التحدث في الوقف الفلانى ، بما لذلك من المعلوم الشاهد به كتاب الوقف .
فليعتمد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ، ويعمل بحسبه ويمقتضاه ،
بعد الخط الشريف ، أن شاء الله تعالى *

(١) نقلا عن القلقشندي : صبح الامشى ج ١١ ص ٢٦٩ .
(٢) تولى بعض القضاة بحكم مناصبهم النظر في أوقاف بعض السلاطين والامراء
السابقين ، ولذلك كان يصدر مرسوم سلطانى باستقرار أحد القضاة في نظر وقف من
الأوقاف - أنظر الفصل الثانى ص ١١٨ وما بعدها .

الملحق السادس

عصر سلاطين المماليك

(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)

(١) المماليك البحرية

(٦٤٨ - ٧٨٤ هـ / ١٢٥٠ - ١٣٨٢ م)

مدة الحكم	السلطان
٦٤٨ - ٦٥٤ هـ / ١٢٥٠ - ١٢٥٦ م	١ - إيبك ، الممزر قتلته شجرة الدر
٦٥٥ - ٦٥٦ هـ / ١٢٥٧ - ١٢٥٨	٢ - علي إيبك ، المنصور خلعه قطز
٦٥٧ - ٦٥٨ هـ / ١٢٥٨ - ١٢٥٩	٣ - قطز ، المظفر سيف الدين قتله بيبرس
٦٥٨ - ٦٧٦ هـ / ١٢٥٩ - ١٢٧٧	٤ - بيبرس الأندلسي ، الظاهر توفي على عرشه
٦٧٦ - ٦٧٨ هـ / ١٢٧٧ - ١٢٧٩	٥ - محمد بركة بن بيبرس ، السعيد خلع
ربيع اول - رجب ٦٧٨ / ١٢٧٩	٦ - سلامش بن بيبرس ، العادل خلعه قلاوون
٦٧٨ - ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ - ١٢٩٠	٧ - قلاوون ، المنصور توفي على عرشه
٦٨٩ - ٦٩٣ هـ / ١٢٩٠ - ١٢٩٣	٨ - خليل بن قلاوون ، الأشرف قتله بيدرا
تسلطن لمدة يوم واحد بعد مقتل خليل	٩ - بيدار ، الملك الاوحد قتله الأمراء
٦٩٣ - ٦٩٤ هـ / ١٢٩٣ - ١٢٩٤	١٠ - محمد بن قلاوون ، الناصر (السلطنة الأولى) خلع ثم تولى ثانية
٦٩٤ - ٦٩٦ هـ / ١٢٩٤ - ١٢٩٦	١١ - كنفيا ، العادل زين الدين طرده لاجين
٦٩٦ - ٦٩٨ هـ / ١٢٩٦ - ١٢٩٨	١٢ - لاجين ، المنصور حسام الدين قتله الأمراء
٦٩٨ - ٨٠٧ هـ / ١٢٩٨ - ١٣٠٨	١٣ - محمد بن قلاوون ، الناصر (السلطنة الثانية) خلع ثم تولى ثالثة
٧٠٨ - ٧٠٩ هـ / ١٣٠٨ - ١٣٠٩	١٤ - بيبرس الحاشنكي ، المظفر قتل بامر الناصر محمد
٧٠٩ - ٧٤١ هـ / ١٣٠٩ - ١٣٤٠	١٥ - محمد بن قلاوون ، الناصر (السلطنة الثالثة) توفي على عرشه

مدة الحكم	السلطان
٧٤١ - ٧٤٢ هـ / ١٣٤٠ - ١٣٤١	١٦ - أبو بكر بن الناصر محمد ، المنصور خلعه توغسون بعد ٥٩ يوما
صفر - شوال ٧٤٢ / ١٣٤١	١٧ - كجيك بن الناصر محمد ، الأشرف خلعه الأمراء
شوال ٧٤٢ - محرم ٧٤٣ / ١٣٤٢	١٨ - أحمد بن الناصر محمد ، الناصر اعتكف في الكرك فخلع
٧٤٣ - ٧٤٦ هـ / ١٣٤٢ - ١٣٤٥	١٩ - اسماعيل بن الناصر محمد ، الصالح توفي على عرشه
٧٤٦ - ٧٤٧ هـ / ١٣٤٥ - ١٣٤٦	٢٠ - شعبان بن الناصر محمد ، الكامل خلعه الأمراء
٧٤٧ - ٧٤٨ هـ / ١٣٤٦ - ١٣٤٧	٢١ - حاجي بن الناصر محمد ، المظفر نبحه الأمراء
٧٤٨ - ٧٥٢ هـ / ١٣٤٧ - ١٣٥١	٢٢ - حسن بن الناصر محمد ، الناصر (السلطنة الأولى)
٧٥٢ - ٧٥٥ هـ / ١٣٥١ - ١٣٥٤	خلع ٢٣ - صالح بن الناصر محمد ، الصالح خلعه شيخون
٧٥٥ - ٧٦٢ هـ / ١٣٥٤ - ١٣٦٠	٢٤ - حسن بن الناصر محمد (السلطنة الثانية) قتله يلبغا
٧٦٢ - ٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ - ١٣٦٢	٢٥ - محمد بن حاجي بن الناصر محمد ، المنصور
٧٦٤ - ٧٧٨ هـ / ١٣٦٢ - ١٣٧٦	٢٦ - شعبان بن حسين بن الناصر محمد ، الأشرف قتله الأمراء
٧٧٨ - ٧٨٣ هـ / ١٣٧٦ - ١٣٨٦	٢٧ - علي بن شعبان ، المنصور توفي على عرشه
٧٨٣ - ٧٨٤ هـ / ١٣٨١ - ١٣٨٢	٢٨ - أمير حاج بن شعبان ، الصالح خلعة برقوق ثم خلع برقوق وعاد حاجي ثم خلع وعاد برقوق

(ب) الممالك الجراكسة

٧٨٤ - ٩٢٣ هـ / ١٢٨٢ - ١٥١٧ م

مدة الحكم	السلطان
٧٨٤ - ٧٩١ هـ / ١٢٨٢ - ١٢٨٨ م	١ - برقوق بن انص ، الظاهر (السلطنة الأولى) خلع ثم عاد
٧٩١ - ١٢٨٨ هـ / ١٢٨٩ - ١٢٨٩	٢ - أمير حاج بن شعبان (السلطنة الثانية) خلع
٧٩٢ - ٨٠١ هـ / ١٢٨٩ - ١٢٩٨	٣ - برقوق (السلطنة الثانية) توفى على عرشه
٨٠١ - ٨٠٨ هـ / ١٢٩٨ - ١٤٠٥	٤ - فرج بن برقوق ، الناصر (السلطنة الأولى) خلع ثم عاد
ربيع أول - جباد آخر ٨٠٨ / ١٤٠٥	٥ - عبد العزيز بن برقوق ، المنصور خلعه الامراء
٨٠٨ - ٨١٥ هـ / ١٤١٢ - ١٤١٢	٦ - فرج بن برقوق (السلطنة الثانية) قتل
محرم - شعبان ٨١٥ / ١٤١٢	٧ - الخليفة المستعين خلعه شيخ
٨١٥ - ٨٢٤ هـ / ١٤١٢ - ١٤٢١	٨ - شيخ الحمودى ، المؤيد توفى على عرشه
محرم - شعبان ٨٢٤ / ١٤٢١	٩ - أحمد بن شيخ ، المنظر خلعه ططر
شعبان - ذو الحجة ٨٢٤ / ١٤٢١	١٠ - ططر ، الظاهري توفى على عرشه
٨٢٤ - ٨٢٥ هـ / ١٤٢١ - ١٤٢٢	١١ - محمد بن ططر ، الصالح خلعه برسباي
٨٢٥ - ٨٤١ هـ / ١٤٢٢ - ١٤٣٧	١٢ - برسباي ، الاشرف توفى على عرشه
٨٤١ - ٨٤٢ هـ / ١٤٣٧ - ١٤٣٨	١٣ - يوسف بن برسباي ، العزيز خلعه جتقى
٨٤٢ - ٨٥٧ هـ / ١٤٣٨ - ١٤٥٣	١٤ - جتقى ، الظاهر استمنى لرضه
محرم - ربيع أول ٨٥٨ / ١٤٥٣	١٥ - عثمان بن جتقى ، المنصور خلعه الامراء
٨٥٨ - ٨٦٥ هـ / ١٤٥٣ - ١٤٦٠	١٦ - ايتال ، الاشرف استمنى لرضه

مدة الحكم	السلطان
محرم - رمضان ٨٦٥/١٤٦٠	١٧ - احمد بن اينال ، المؤيد خلعه الامراء
٨٦٥ - ٨٧٢ هـ / ١٤٦٠ - ١٤٦٧	١٨ - خشقدم ، الظاهر توفي على عرشه
ربيع اول - جباد اول ٨٧٢/١٤٦٧	١٩ - بلباي المؤيدى ، المجنون خلعه الامراء بعد ٥٦ يوما
جباد اول - رجب ٨٧٢/١٤٦٧	٢٠ - تمرغا ، الظاهر خلعه الامراء بعد ٥٩ يوما
تسلطن ليلة واحدة	٢١ - خير بك ، الظاهر خلع
٨٧٢ - ٩٠١ هـ / ١٤٦٧ - ١٤٩٦	٢٢ - قايتباي الميمونى ، الاشرف توفي على عرشه
٩٠١ - ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ - ١٤٩٧	٢٣ - محمد بن قايتباي ، الناصر (السلطنة الاولى)
٢٨ جباد اول الى اول جباد آخر ١٤٩٧/٩٠٢	خلع ثم عاد ٢٤ - قانصوه خمسانه ، (٣ ايام) خلعه الامراء بعد ٣ ايام
٩٠٢ - ٩٠٤ هـ / ١٤٩٧ - ١٤٩٨	٢٥ - محمد بن قايتباي (السلطنة الثانية)
٩٠٤ - ٩٠٥ هـ / ١٤٩٨ - ١٤٩٩	قتله الامراء ٢٦ - قانصوه الاشرفى ، الظاهر خلعه الامراء
٩٠٥ - ٩٠٦ هـ / ١٤٩٩ - ١٥٠٠	٢٧ - جان بلاط ، الاشرف قتل خنقا بسجنه بالاسكندرية
٦ جبادى الاخرة - شوال ٩٠٦/١٥٠١	٢٨ - طومان باي بن قانصوه (الاول)، العادل قتل
٩٠٦ - ٩٢٢ هـ / ١٥٠١ - ١٥١٦	٢٩ - قانصوه الفورى ، الاشرف قتل فى مرج دابق
٩٢٢ - ٩٢٣ هـ / ١٥١٦ - ١٥١٧	٣٠ - طومان باي (الثانى) ، الاشرف شنق على باب زويلة بأمر سليم الاول

المصادر والمراجع

أولا : الوثائق :

(أ) الوثائق المحفوظة بدور الارشيف بالقاهرة :

— وثائق الوقف التي ترجع الى عصر سلاطين المماليك والمحفوظة بأرشيف
وزارة الاوقاف بالقاهرة .

— وثائق الوقف حتى نهاية العصر المملوكي والمحفوظة بدار الوثائق
القومية (مجموعة المحكمة الشرعية) .

— وثائق الوقف التي ترجع الى العصر المملوكي والمحفوظة بأرشيف
بطريركية الاقباط الارثوذكس بالقاهرة .

— وثائق الوقف التي ترجع الى العصر المملوكي والمحفوظة بدار الكتب
بالقاهرة .

عن هذه الوثائق أنظر : د. محمد محمد أمين :

فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك — المعهد العلمي
الفرنسي للآثار الشرقية — القاهرة ١٩٨٠

(ب) المراسيم الصادرة الى رهبان دير سانت كاترين ، والتي تنص
صراحة على المحافظة على اوقاف واحباس الرهبان (١) .

رقم المرسوم	تاريخه	مرسوم صادر من :	مسلسل
١٨	٧ ذى الحجة ١٦٥٨	بييرس البندقدارى	١
٢٢	٢٠ شوال ١٦٨٤	السلطان قلاوون	٢
٣٢	٢٦ ذو القعدة ١٧٠٨	السلطان بييرس الجاشنكير	٣
٣١	٢٠ شوال ١٧٠٠	السلطان برقوق	٤
٤٥	١٧ شعبان ١٨٠٠	السلطان برقوق	٥
٤٦	١ صفر ١٨٠٣	السلطان فرج بن برقوق	٦
٤٩	٢٠ ذى الحجة ١٨١٥	السلطان المؤيد شيخ	٧
٥٣	٢٤ شعبان ١٨٧٠	السلطان خشقدم	٨
٥٥	١٥ محرم ١٨٧١	السلطان خشقدم	٩
٥٦	١٩ محرم ١٨٧١	السلطان خشقدم	١٠
٥٧	أول ربيع ١٨٧٧	السلطان قايتباى	١١
٦١	٨ محرم ١٨٧٨	السلطان قايتباى	١٢
٧٠	١٩ ذى الحجة ١٨٩٣	السلطان قايتباى	١٣
٧٧	بدون تاريخ	السلطان قايتباى	١٤
٨٢	٦ جماد أول ١٩١٠	السلطان الغورى	١٥
٨٣	١ شعبان ١٩١٠	السلطان الغورى	١٦
٩٠	١٩١٥	السلطان الغورى	١٧
٨٤	٣ شعبان ١٩٢٠	الامين طومان باى	١٨

(١) هذه المراسيم محفوظة بمكتبة دير سانت كاترين بسيناء ، وتوجد منها نسخ
مصورة على ميكروفيلم بكل من كلية الاداب جامعة الاسكندرية ، والمجلس الاعلى لرعاية
الفنون والاداب ، كما توجد نسخة اخرى بمكتبة الباحث الخاصة

ثانيا - المصادر المخطوطة والمصورة :

ابن جماعة :

(بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الكنانى الحموى الشافعى
ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م) :

- ١ - تحرير الأحكام فى تدبير أهل الإسلام فى الأحكام السلطانية .
- نسخة مصورة عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة أيا صوفيا تحت
رقم ٢٨٥٢ بدار الكتب رقم ٣٩٨٢٢ ب .
- وتوجد نسخة أخرى رقم ١٩٧٢٨ ب ، ٣٩٨٥٥ ب .

ابن خبيب :

(الحسن بن عمر ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) :

- ٢ - درة الاسلاك فى دولة الاتراك .
- مخطوطة بجامعة القاهرة رقم ٢٢٩٦١ ، وتوجد نسخة أخرى بدار الكتب
رقم ٦١٧٠ ح .

ابن عبد الظاهر :

(محبى الدين عبد الله بن عبد الظاهر ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) :

- ٣ - الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر .
- مخطوطة بمكتبة فاتح كئبفانسى رقم ٤٣٦٧

ابن عبد الفتى :

(عبد الله الحنفى من علماء القرن ١٣ هـ) :

- ٤ - النور البادى فى أحكام الاراضى .
- مخطوطة بدار الكتب رقم ٥٦٣ فقه حنفى .

ابن الفرات :

(محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م) :

- تاريخ الدول والملوك .
- مخطوطة في ١٨ مجلدا بدار الكتب رقم ٣١٩٧ تاريخ .
- (أنظر المصادر المطبوعة) .

ابن نجيم :

(زين الدين بن ابراهيم بن نجيم الحنفى المصرى ت ٩٧٠ هـ /

١٥٦٢ م) :

- ٦ - رسالة في صورة بيع الوقف لا على وجه الاستبدال .
- مخطوطة بدار الكتب رقم ٥٤ فقه حنفى ونسخ أخرى بأرقام ٤٧٩ ، ٥٥ م ، ٥٦ م فقه حنفى .
- ٧ - التحفة المرضية في الاراضى المصرية .
- مخطوطة بدار الكتب رقم ٤٧٩ ، ٣٣ مجاميع .
- ٨ - تحرير المقال في مسألة الاستبدال .
- مخطوطة بدار الكتب رقم ٥٤ م فقه حنفى .
- ٩ - الرسائل الزينية في فقه الحنفية منها :
- (١) التحفة المرضية في الاراضى المصرية .
- (ب) رسالة في استبدال الوقف وبيان الراجع من الاقوال .
- (ج) رسالة في بيان الاقطاعات ومحلها ومن يستحقها .
- (د) رسالة في مكاتيب الاوقاف وبطلانها .
- (هـ) رسالة في بيع الوقف لا على وجه الاستبدال .
- مخطوطة بمكتبة الازهر رقم ٢٧٠ فقه حنفى .

- ١٠ - رسالة فى ترتيب الوظائف بشرط الواقف .
مخطوطة بدار الكتب رقم ٤٧٩ فقه حنفى وتوجد نسخ أخرى برقم ٥٤ م ،
٥٥ م ، ٥٦ م .

البلوى الفيرى :

(خليل بن عيسى بن أحمد بن ابراهيم القرن ٨ / ١٤ م) :

- ١١ - تاج الفرق فى تحلية علماء المشرق .
مخطوطة بدار الكتب رقم ٤٠٠ جغرافيا .

جيركلى :

(محمد بن بير على (ت ٩٨١ هـ / ١٥٩٣ م) :

- ١٢ - السيف الصارم فى عدم جواز وقف النقود والدراهم .
مخطوطة بمكتبة البلدية بالاسكندرية رقم ٣٠١٧ ج (٢) وتوجد صورة
منها فى معهد المخطوطات العربية رقم ٦٤ فقه حنفى .
١٣ - رسالة فى ابطال وقف النقود بدون الوصية أو الاضافة الى ما بعد
الموت .

مخطوطة بدار الكتب رقم ٣٧٨ مجاميع ، ونسخة أخرى برقم ٩ م مجاميع
فقه حنفى .

الحنبلى :

- ١٤ - شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب .
مخطوطة بالتصوير الشمسى بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٣١

السيوطى :

(عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) :

١٥ - الانصاف في تمييز الاوقاف •

مخطوطة بدار الكتب رقم ٣٢ مجاميع ، ٢٩٠ مجاميع - ميكروفيلم

٥٠٩٩ ، ٤٥٥٥

وتوجد نسختين أخريين بمكتبة الازهر رقم ١٨٧ مجاميع ، ٨٦٠ مجاميع

(٤٢١١٣ الجوهري) •

الشرنبلالي :

(حسن بن عمار بن يوسف المصرى الوفائى ت ١٠٦٩ هـ) :

١٦ - التحقيقات القدسية والنفحات الرحمانية ، وهى المروفة برسائله

الشرنبلالى منها :

(أ) حسام الحكام المحققين لصد البغاة المعتدين عن أوقاف المسلمين •

(ب) سعادة الساجد بعمارة المساجد ورغبة طالب العلوم اذا غاب عن

درسه في أخذ العلوم •

(ج) فتح بارى اللطاف بجدول طبقات مستحقى الاوقاف •

مخطوطة بمكتبة الازهر رقم ٢٧٠ فقه الحنفى •

١٧ - تحقيق الاعلام الواقفين على مفاد عبارات الواقفين •

مخطوطة بدار الكتب رقم ٥٣ م فقه حنفى ، وتوجد نسخ أخرى بأرقام

٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٧٠١ ، ٥٢ م فقه حنفى •

١٨ - فتح بارى اللطاف بجدول مستحقى الاوقاف •

مخطوطة بدار الكتب رقم ٤١١ فقه حنفى ، وتوجد نسخ أخرى رقم ٤٧٧ ،

٤٧٨ ، ٥٢ م ، ٥٣ م فقه حنفى •

العمادى :

(أبو السمود محمد العمادى المفتى الحنفى (ت ٩٨٢ هـ / ١٣٩٤ م) :

١٩ - رسالة في وقف المنقول •

مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٢٨٥ فقه حنفى •

٢٠ - رسالة في جواز وقف الدراهم والدنانير .

مخطوطة بدار الكتب رقم ٨٧ مجاميع ونسخة أخرى برقم ٣٦١ مجاميع فقه حنفى ، وتوجد نسخة أخرى من نفس الرسالة بعنوان « رسالة في صحة وقف الدنانير والدراهم » .

مخطوطة بدار الكتب رقم ١٢٨٥ فقه حنفى .

العيني :

(بدر الدين محمود بن أحمد - ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) :

٢١ - عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان .

مخطوطة مصورة في ٢٣ جزء مجلد بدار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ .

المقدسى :

(الشيخ مرعى بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد المقدسى الحنبلى - من علماء القرن العاشر الهجرى) :

٢٢ - نزهة الناظرين في تاريخ من ولى مصر من السلاطين .

مخطوطة بدار الكتب رقم ٢٠٧٦ تاريخ .

النويرى :

(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) :

٢٣ - نهاية الارب في فنون الادب .

مخطوطة بدار الكتب رقم ٤٥٩ معارف عامة ونسخة أخرى رقم ٥٥١ معارف عامة .

(أنظر المطبوعات) .

وزارة الاوقاف :

٢٤ - سجل حسابات أوقاف المساجد وخلافه بالمحروسة وبولاق ومصر

القديمة عن عام ١٢٥١ هجرية .

ثالثا - المصادر المطبوعة :

- ٢٥ - القرآن الكريم .
- ٢٦ - المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم .
- (وضع محمد فؤاد عبد الباقي)
- القاهرة ١٣٦٤ هـ .

ابن أبي اصيبعة :

- (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي
- الخزرجي ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ - ١٢٧٠ م) :
- ٢٧ - عيون الانباء في طبقات الاطباء .
- جزءان - القاهرة ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٣ م .

ابن الاثير :

- (علي بن أحمد بن أبي الكرم ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) :
- ٢٨ - الكامل في التاريخ .
- ١٢ جزء + جزء للفهارس - بيروت ١٩٦٥

ابن الاخوة :

- (محمد بن محمد بن أحمد القرشي ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م) :
- ٢٩ - معالم القرية في أحكام الحسبة .
- تحقيق د. محمد محمود شعبان وصديق أحمد عيسى - القاهرة ١٩٧٦ هـ .

ابن آدم القرشي :

- (يحيى بن آدم بن سليمان القرشي الاموي ت ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م) :
- ٣٠ - كتاب الكراج - لندن ١٨٩٥ - ١٨٩٦ م .

ابن آيسى :

(أبو البركات محمد بن أحمد الحنفى ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م) :

٣١ - بدائع الزهور في وقائع الدهور .

من ج ١ الى ج ٣ طبع بولاق ١٣١١ هـ والاجزاء الثالث والرابع
والخامس - الطبعة الثانية نشر محمد مصطفى . القاهرة ١٩٦٠ -
١٩٦٣.

ابن أيبك :

(أبو بكر عبد الله ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) :

٣٢ - كنز الدرر وجامع الغرر .

ج ٩ (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)

تحقيق هانس روبرت رويمر - القاهرة ١٩٦٠

ابن بطوطة :

(محمد بن عبد الله ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) :

٣٣ - الرحلة (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار)
القاهرة ١٩٦٦

ابن تغرى بردى :

(جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) :

٣٤ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .

الاجزاء من ١ - ١٢ طبع دار الكتب القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٥٦

والاجزاء ١٣ - ١٦ (تراثنا) القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧٢

وج ٦، ٧ نشر Popper طبع كاليفورنيا ١٩٠٩ م

٣٥ - منتخبات من حوادث الدهور في مدى الايام والشهور - طبع
كاليفورنيا ١٩٣٠ - ١٩٤٢

ابن جبير :

(محمد بن أحمد ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) :
٣٦ - الرحلة (التذكرة بالاخبار في اتفاقات الاسفار) - بيروت ١٩٦٤

ابن الجيمان :

(شرف الدين أبو البقاء يحيى علم الدين شاکر ت ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م) :
٣٧ - التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية
نشر موريتز طبع بولاق ١٣٩٦ هـ / ١٨٩٨ م

ابن الحاج :

(أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري ت ٨٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م) :
٣٨ - المدخل : مدخل الشرع الشريف على المذاهب
٤ أجزاء - القاهرة ١٩٢٩

ابن حجر :

(الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) :
٣٩ - بلوغ المرام من أدلة الاحكام
نشر مكتبة النهضة الحديثة - مكة ١٣٧٣ هـ
٤٠ - الاصابة في تمييز الصحابة
٤ أجزاء - مصر ١٩٢٣ م
٤١ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري
١٣ جزء - طبع مصر ١٣٦٩ هـ

- ٤٢ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة
 ٥ أجزاء - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٦٦ م
- ٤٣ - رفع الاصر عن قضاة مصر •
 تحقيق د. حامد عبد المجيد ، محمد أبو سنة •
 جزءان - القاهرة ١٩٥٧ - ١٩٦١
- ٤٤ - أنباء الغمر بأنباء العمر •
 تحقيق د. حسن حبشي
 ٣ أجزاء - القاهرة ١٩٦٩ - ١٩٧٣

ابن حنبل :

- (الامام أحمد بن محمد بن حنبل ت ٢٤١ هـ / ٨٤٥ م) :
 ٤٥ - المستند •

- شرح أحمد محمد شاكر •
 ١٥ جزء - القاهرة ١٩٤٩ - ١٩٥٦

ابن خلكان :

- (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) :
 ٤٦ - وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان •
 نشر محمد محي الدين عبد الحميد
 ٦ أجزاء - طبع القاهرة ١٩٤٨ م

ابن دقماق :

- (صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيذر الغلائي ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) :
 ٤٧ - الانتصار لواسطة عقد الامصار •
 (ج ٤ ، ٥) القسم الاول والثاني - طبع بولاق ١٣٠٩ هـ •

ابن دقيق العيد :

(تقى الدين أبو الفتح محمد بن علي بن ذهب المضرى القشيري ت ٥٧٠٢ /
١٣٠٢ م) :

٨٤ - الامام بأحاديث الاحكام .

مراجعة وتعليق محمد سعيد المولى - دمشق ١٩٦٣ م

ابن سحنون :

٤٩ - آداب المعلمين .

دراسة ونشر د. أحمد فؤاد الاهوانى - القاهرة ١٩٦٨ م

ابن سلام :

٥٠ - كتاب الاموال .

صححه وعلق هوامشه محمد حامد الفقى - القاهرة ١٣٥٣ هـ

ابن شاهين :

(غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م) :

٥١ - زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك .

نشر بولس راويس - باريس ١٨٩٤م

ابن شداد :

(القاضى بهاء الدين ت ٩٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) :

٥٢ - النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية

تحقيق د. الشيبان - القاهرة ١٩٦٤ م

ابن الصفتي :

(الشيخ عيسى الصفتي البحيري الحنفى من علماء القرن ١٢ هـ) :

٥٣ - عطية الرحمن في صحة ارساد الجوامك والاطيان - طبع
القاهرة ١٣١٤ هـ

ابن الصيرفي :

(على بن داود الجوهري ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م) :

٥٤ - انباء المصر بأبناء العصر

تحقيق د. حسن حبشى - القاهرة ١٩٧٠ م

٥٥ - نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان

تحقيق د. حسن حبشى

٣ أجزاء - دار الكتب ١٩٧٠ - ١٩٧٣

ابن ظهسى :

(شمس الدين محمد بن ابراهيم بن محمد بن ظهير الحنفى الحموى -

من علماء القرن التاسع الهجرى) :

٥٦ - روضة الاديب ونزهة الاريب

مخطوطة بدار الكتب الوطنية بقونس رقم ٣٧٨٠ أنظر أبحاث

الندوة الدولية لتاريخ القاهرة من ص ١٠٤١ - ١٠٩٥ - القاهرة ١٩٧١

ابن ظهيرة :

(من علماء القرن التاسع للهجرة / الخامس عشر للميلاد) :

٥٧ - الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة .

تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس - دار الكتب - القاهرة

١٩٦٩ م

ابن عابدين :

(الشيخ محمد أمين ت ١٢٥٢ هـ) :

٥٨ - رد المختار على الدر المختار (شرح تنوير الابصار في فقه
مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة) .

٥ اجزاء - طبع بولاق - ١٣٢٣ - ١٣٢٦.

ابن عبد الحكم :

(أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ت ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م) :

٥٩ - فتوح مصر وأخبارها - طبع ليدن ١٩٢٠ م

٦٠ - كتاب سيرة عمر بن عبد العزيز تحقيق أحمد عبيد

الطبعة الخامسة/بيروت ١٩٦٧

ابن العميد :

(المكين جرجس ت حوالي ٦٧٢ هـ / ١٢٧٤ م) :

٦١ - أخبار الايوبيين

نشر كلود كاهن

Claude Cahen

Bulletin d'Etudes Orientales, Tome XV, Années 1955 1957, Damas.
1953.

ابن الفرات :

(محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م) :

٦٢ - تاريخ الدول والملوك المعروف بتاريخ ابن الفرات المجلد الرابع
نشر وتحقيق د. حسن محمد الشماخ
البصرة ١٩٦٧

- المجلد السابع نشر قسطنطين زريق
بيروت ١٩٤٢

- المجلد الثامن نشر قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين بيروت ١٩٣٩

— المجلد التاسع القسم الاول — نشر قسطنطين زريق بيروت ١٩٣٦
القسم الثانى — نشر قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين
بيروت ١٩٣٨

ابن فرحون :

(برهان الدين ابراهيم بن على بن محمد ت ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ — ١٣٩٧ م) :
٦٣ — الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب القاهرة ١٣٣٩ هـ

ابن قاضى شهبة :

(بدر الدين أبو الفضل محمد بن تقى الدين ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) :

٦٤ — الكواكب الدرية فى السيرة النورية

تحقيق محمود زايد — بيروت ١٩٧١

ابن قدامة :

(أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى ت ٦٢٠ هـ /
١٢٢٤ م) :

٦٥ — المغنى

٨ أجزاء — الطبعة الثالثة ١٣٦٧ هـ

ابن قطلوبغا :

(أبو المعدل زين الدين قاسم ت ٨٧٩ هـ / ١٤٧٥ م) :

٦٦ — تاج التراجم فى طبقات الحنفية

بمقداد ١٩٦٢

ابن مماتى :

(الاسعد شرف الدين أبو المكارم ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) :

٦٧ - كتاب قوانين الدواوين

تحقيق ونشر د. عزيز سوريال عطية
مصر ١٩٤٣ م

ابن منظور :

(جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى ت ٨٧١١ / ١٣١١ م) :

٦٨ - لسان العرب

٢٠ جزء - بولاق ١٣٠٠ - ١٣٠٨ هـ

ابن واصل :

(جمال الدين محمد بن سالم ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) :

٦٩ - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب

ج ١ - ٣ نشر د. الشيال القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٦٠

ج ٤ - ٥ نشر د. حسنين محمد ربيع - القاهرة ١٩٧٢ - ١٩٧٧

ابن واصل :

(أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب ت بعد سنة ٨٢٩٢ / ٩٠٣ م) :

٧٠ - تاريخ اليعقوبى

٣ أجزاء - بيروت ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م

ابن نجيم :

(زين الدين بن ابراهيم بن نجيم الحنفى المصرى ت ٨٩٧٠ هـ / ١٥٩٢ م) :

٧١ - البحر الرائق شرح كنز الدقائق

٨ أجزاء - (الطبعة الاولى) ١٣٩١ هـ

ابن هشام :

(أبو محمد عبد الملك ت ٢١٣ أو ٢١٨ هـ / ٨٢٨ م أو ٨٣٣ م) :

٧٢ - سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

القاهرة ١٩٣٧

٤ أجزاء -

ابن الهمام الحنفى :

(كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسى ثم السكندرى ت ٨٦١ هـ /

١٤٥٨ م) :

٧٣ - فتح القدير

بولاق ١٣١٦ هـ

٨ أجزاء -

أو شامة :

(شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٨ م) :

٧٤ - الروضتين في أخبار الدولتين

القاهرة ١٢٨٧ هـ

جزءان

ونشره محمد حلمي محمد أحمد

القاهرة ١٩٥٦ - ١٩٦٢

أبو الطيب البخارى :

(مسديق بن حسن بن علي الحسيني) :

٧٥ - الروضة الندية - شرح الدرر البهية

جزءان - مصر

أبو الفدا :

(عماد الدين اسماعيل بن علي الملك المؤيد ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) :

٧٦ - المختصر في أخبار البشر

استانبول ١٩٣٨ م

٤ أجزاء -

أبو يعلى :

(محمد بن الحسين الفراء الحنبلى ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) :

٧٧ - الاحكام السلطانية القاهرة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٨ م

أبو يوسف :

(يعقوب بن ابراهيم الانصارى الكوفى ت ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م) :

طبع بولاق ١٣٥٢ هـ

٧٨ - كتاب الخراج

الاسحاقى :

(محمد بن عبد المعنى ابن ابى الفتح بن أحمد بن عبد المعنى بن غلى ،
من علماء القرن الحادى عشر الهجرى) :

٧٩ - لطائف أخبار الاول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول

طبع المطبعة الشرقية بالقاهرة ١٣٠٠ هـ

الادفوى :

(أبو الفضل كمال الدين جعفر بن تعلب ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) :

٨٠ - الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد

القاهرة ١٩٦٦

تحقيق سعد محمد حسن

البخارى :

(أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة ت ٢٥٢/٨٦٥ م) :
٨١ - الصحيح

٤ أجزاء - طبعة مصر ١٣٤٣ هـ

هروهمان : (أدولف) :

٨٢ - أوراق البردى العربية •

٦ أجزاء - القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٧٤

جستنيان :

٨٣ - مدونة جستنيان في الفقه الروماني

ترجمة عبد العزيز فهمي

الطبعة الاولى القاهرة ١٩٤٦

خسرو :

(ناصرت بعد سنة ٨٤٠/١٠٨٧ م) :

٨٤ - سفر نامه

ترجمة د. يحيى الخشاب

الطبعة الاولى - القاهرة ١٩٤٥

الخصاف :

(أبو بكر أحمد بن عمر الشيباني ت ٣٦١/١٧٤ - ٨٧٥ م) :

٨٥ - كتاب أحكام الاوقاف القاهرة ١٩٠٤

الذهبي :

(محمد بن أحمد ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) :

٨٦ - المعبر في خبر من غير

نشر صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد

الكويت ١٩٦٠ - ١٩٦٦

٥ أجزاء -

الزبيدي :

(أبو العباس زين الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرحي) :

٨٧ - التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح

مصر ١٣٤٧ هـ

جزءان -

زيد :

(الامام الشهيد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ت ١٢٢ هـ /

٧٤٠ م) :

٨٨ - مسند الامام زيد - بيروت ١٩٦٦ م

السبكي :

(عبد الوهاب بن علي ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م) :

٨٩ - معيد النعم ومبيد النقم

تحقيق محمد علي النجار - أبو زيد ثلبي - محمد أبو العيون -

القاهرة ١٩٤٨ م

السخاوي :

(شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م) :

٩٠ - الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع

مصر ١٣٥٣ - ١٣٥٥ هـ

١٢. جزء -

٩١ - التبصر المسبوك في ذيل السلوك بولاق ١٨٩٦ م

البرخسى :

(أبو بكر محمد بن أبى سهل ت حوالى سنة ٨٥٠٠ / ١١٠٦ م) :

٩٢ - المبسوط

٣٠ جزء - مصر ١٣٣١ هـ

السيوطي :

(عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٨٩١١ / ١٥٠٥ م) :

٩٣ - حسن المحاضرة

جزءان - القاهرة ١٣٣١ هـ

٩٤ - نظم العقيان في أعيان الاعيان

تحقيق د. فيليب حتى

المطبعة السورية الامريكية - نيويورك ١٩٢٧ م

الشافعى :

(الامام أبو عبد الله محمد بن ادريس ت ٢٠٤ هـ / ٨٢٠ م) :

٩٥ - الام

٧ أجزاء - بولاق ١٣٣١ هـ

الشوكاني :

(محمد بن على بن محمد ت ١٢٥٥ هـ) :

٩٦ - نيل الاوطار (شرح منتقى الاخبار من احاديث سيد الاخيار) .

٨ أجزاء - مصر ١٣٤٧ هـ

النسيباني :

(عبد القادر بن عمر الدمشقي الحنبلي ت ١١٣٥ هـ) :

٩٧ - نيل المآرب بشرح دليل الطالب على مذهب الامام المجلد أحمد بن حنبل

جزءان - الطبعة الاولى - مصر ١٣٢٤ هـ

الشيخري :

(عبد الرحمن بن نصر بن حوالى ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) :

٩٨ - نهاية الرتبة في طلب الحسبة

نشر المصري القاهرة ١٩٤٦ م

الطبرسي :

(أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب) :

٩٩ - الاحتجاج

جزءان - النجف الاشرف ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م

الطرابلسي :

(برهان الدين ابراهيم بن موسى بن أبي بكر بن الشيخ علي الحنفى)

ت ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م)

١٠٠ - الاسعاف في أحكام الاوقاف - طبعة القاهرة ١٩٠٢ م

العمري :

(شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م) :

١٠١ - ممالك الابصار في ممالك الابصار

الجزء الاول تحقيق أحمد زكى باشا

مصر ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م

١٠٢ - التعريف بالمصالح الشريف -

الميني :

(بدر الدين محمود بن أحمد ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) :

١٠٣ - السيف المهند في سيرة الملك المؤيد

تحقيق فهد محمد ثلثوت القاهرة ١٩٦٧ م

الغزالي :

(محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الطوسي ت ٥٠٥هـ / ١١١٠م)

١٠٤ - احياء علوم الدين

٤ أجزاء - مصر ١٣٤٨ هـ

الفرغاني :

(فخر الدين حسن بن منصور الأوزجندی الحنفى ت ٢٩٥هـ / ٩٠٨م) :

١٠٥ - فتاوى قاضيخان - بولاق ١٣١٠ هـ

الفيروز أبادي :

(أبو اسحق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ت ٤٧٦هـ / ١٠٨٤م) :

١٠٦ - المذهب في فقه الامام الشافعي

جزان - مصر ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م

القاسبي :

(أبو الحسن علي بن محمد بن خلف ٤٠٣ / ١٠١٢م) :

١٠٧ - الرسالة المفصلة لآحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين

دراسة ونشر د. أحمد فؤاد الالهواني القاهرة ١٩٦٨ م

قاضي زادة :

(شمس الدين أحمد بن محمود ت ٩٩٨ هـ / ١٥٩٠ م) :

١٠٨ - نتائج الافكار في كشف الرموز والاسرار

٨ أجزاء - طبع بولاق ١٣١٦ هـ

القرطبي :

(أبو عبد الله بن أحمد الانصارى ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م) :

١٠٩ - الجامع لاحكام القرآن

٢٠ جزء - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٦٧ م

القلقشندي :

(أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) :

١١٠ - صبح الاعشى في صناعة الانشا

١٤ جزء - القاهرة ١٩١٩ - ١٩٢٢ م

الكاساني :

(علاء الدين أبو بكر بن مسعود الحنفى ت ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م) :

١١١ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع

٧ أجزاء - مصر ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م

الكندي :

(أبو عمر محمد بن يوسف ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) :

١١٢ - كتاب الولاية وكتاب القضاة

نشر رغن جست - بيروت - ١٩٠٨ م

مسالك :

(الامام مالك بن أنس الاصبحي ت ١٧٩ هـ / ٧٩٦ م) :

١١٣ - المدونة الكبرى

(رواية الامام سحنون)

٤ أجزاء -

مصر ١٣٢٢ - ١٣٢٥ هـ

المأوردى :

(أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب المصري ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٧ م) :

١١٤ - الاحكام السلطانية

الطبعة الثانية - مصر ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م

مجهول : (من القرن الثامن للهجرة)

١١٥ - تاريخ سلاطين المماليك - ينسب الى ابراهيم مغلطاي

نشر زيترشتين -
ليدن ١٩١٩ م

المزنى :

(أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى ت ٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م) :

١١٦ - مختصر المزنى -
بولاق ١٣٢١ هـ

مسلم :

(أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري) :

١١٧ - الجامع الصحيح

جزءان -
بولاق ١٢٩٠ هـ

المقريزي :

(تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) :

- ١١٨ - امتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والامور والحفدة والمتاع .
تحقيق محمود محمد شاكر - ط ٠ بولاق ١٩٤١ م
- ١١٩ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ط ٠ بولاق ١٢٧٠ هـ .
- ١٢٠ - اتعاظ الحنفا في أخبار الائمة الخلفاء
نشر د. الشيال - القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م
- ١٢١ - اغائة الامة بكشف النعمة
نشر د. زيادة ، د. الشيال - القاهرة ١٩٥٧ م
- ١٢٢ - شذور العقود في ذخير النقود
نشر الكرملى في النقود العربية وعلم النميات -
القاهرة ١٩٣٩ م
- ١٢٣ - كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك
الجزء الاول والثانى (٦ أقسام) تحقيق د. محمد مصطفى زيادة
القاهرة ١٩٣٦ - ١٩٥٨ م
- الجزء الثالث والرابع (٦ أقسام) تحقيق د. سعيد عبد الفتاح
عاشور القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧٣ م

النابلسي :

(عثمان بن ابراهيم الصفدى ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) :

- ١٢٤ - لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية
نشر

Claude cahen — C. Becker
Bulletin d'Etudes Orientales, Tome XVI — Années
1958 — 1960, Damas, 1961.

١٢٥ - تاريخ الفيوم وبلاده

نشر مورتيز

القاهرة ١٨٩٩ م

النويرى :

(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب - ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) :

١٢٦ - نهاية الارب في فنون الادب

من ج ١ - ٢١ طبع القاهرة ١٩٢٣ - ١٩٧٦ أنظر المخطوطات

هلال البصرى :

(هلال بن يحيى بن مسلم الراى البصرى ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) :

١٢٧ - أحكام الوقف - طبع حيدر آباد ١٩٣٦

اليافعى :

(أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان عفيف الدين ت ٧٦٨ هـ /

١٣٦٧ م) :

١٢٨ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان .

أربع مجلدات - طبع حيدر آباد بالهند ١٣٦٧ هـ

رابعاً - الراجع العربية الحديثة :

أحمد إبراهيم :

١ - بحث في الوقف

مجلة كلية الحقوق - السنة الأولى - العدد الثاني - فبراير ١٩٢٧

٢ - كلمة أخرى في الوقف

مجلة كلية الحقوق - العددان الخامس والسادس السنة الثانية ١٩٢٨

٣ - كتاب الوقف

مصر ١٩٤٣ - ١٩٤٤

أحمد أمين :

٤ - ظهر الاسلام

٣ أجزاء -

القاهرة ١٩٤٥ م

د أحمد شلبي :

٥ - تاريخ التربية الاسلامية -

بيروت ١٩٥٤ م

د. أحمد عيسى :

٦ - تاريخ البيمارستانات في الاسلام -

دمشق ١٩٣٩ م

أحمد فرج السنهوري :

٧ - مجموعة القوانين المصرية المختارة من الفقه الاسلامي الجزء الثالث -

القسم الاول (في قانون الوقف) القاهرة ١٩٤٩ م

أحمد محمود فؤاد :

٨ - شرح أحكام الوقف الاهلي -

القاهرة ١٩٥٢ م

الحسيني سلطان :

٩ - الوقف من الدين

مجلة المحاماة الشرعية

السنة الثالثة -

١٩٣١/١٩٣٢م

٥٠ السيد عبد العزيز سالم :

١٠ - تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي

كتاب محافظة الاسكندرية ١٩٦٣

د جمال الدين الشيال :

١١ - اعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي

دار المعارف - مصر ١٩٦٥ م

١٢ - تاريخ مدينة الاسكندرية في العصر الاسلامي

دار المعارف - مصر ١٩٦٧ م

١٣ - تاريخ مصر الاسلامية

دار المعارف - مصر ١٩٦٧ م

جزءان

حسن احمد الخطيب :

القاهرة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م

١٤ - مسائل

القاهرة

١٥ - أسرار المعاملات

د حسن الباشا :

القاهرة ١٩٥٧

١٦ - الالقاب الاسلامية

نحسن عبد الوهاب :

١٧ - تاريخ المساجد الاثرية

القاهرة ١٩٤٦م

جزءان -

حسن قاسم :

١٨ - المزارات الاسلامية والآثار العربية في مصر والقاهرة المعزية

القاهرة ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م

٣ أجزاء

د حسنين محمد ربيع :

١٩ - النظم المالية في مصر زمن الايوبيين القاهرة ١٩٦٤م

٢٠ - حجة تملك ووقف - مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية -

م ١٢ ١٩٦٤ - ١٩٦٥.

د. راشد البراوى :

٢١ - حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين

الطبعة الاولى - القاهرة ١٩٤٨.

د. زكى مبارك :

٢٢ - التصوف الاسلامى فى الادب والاخلاق - القاهرة ١٩٣٨م

زهدي يكن :

٢٣ - أحكام الوقف

الطبعة الاولى -

بسيروت

د. سعيد عبد الفتاح عاشور :

٢٤ - قبرس والحروب الصليبية

القاهرة ١٩٥٧ م

٢٥ - مصر فى عصر دولة المماليك البحرية

القاهرة ١٩٥٩ م

٢٦ - المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك

القاهرة ١٩٦٢م

٢٧ - الحركة الصليبية جزآن -

القاهرة ١٩٦٣

٢٨ - الظاهر بيبرس

القاهرة ١٩٦٣

٢٩ - العصر المماليكى فى مصر والشام

القاهرة ١٩٦٥.

٣٠ - الناصر صلاح الدين

القاهرة ١٩٦٥

٣١ - السيد أحمد البدوى شيخ وطريقة

القاهرة ١٩٦٦

٣٢ - مصر فى العصور الوسطى

القاهرة ١٩٧٠

٣٣ - الايوبيين والمماليك فى مصر والشام

القاهرة ١٩٧٠

د. سليم حسن :

٣٤ - مصر القديمة الجزء الثالث

القاهرة ١٩٤٧

د. سيد أحمد خليل :

٣٥ - الليث بن سعد

دار المعارف مصر ١٩٦٩

د سيدة اسماعيل كاشف :

٣٦ - مصر في فجر الاسلام

(من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية) القاهرة ١٩٤٧.

٣٧ - مصر في عصر الولاة القاهرة

٣٨ - مصر في عصر الاخشيديين القاهرة ١٩٥٠

٣٩ - مصر في عصر الطولونيين والاخشيديين

(بالاشتراك مع د. حسن محمود) القاهرة ١٩٦٠.

٤٠ - أحمد بن طولون القاهرة ١٩٦٥.

د شفيق شحاته :

٤١ - تاريخ القانون الخاص في مصر

الجزء الاول - القانون المصرى القديم .

الطبعة الخامسة القاهرة ١٩٥٤.

د صوفى ابو طالب :

٤٢ - بين الشريعة الاسلامية والقانون الرومانى القاهرة ١٩٥٦

عبد الجليل عبد الرحمن عشوب :

٤٣ - كتاب الوقف الطبعة الثانية - مصر ١٣٥٤/١٩٣٥م

عبد الحكيم الرفاعى :

٤٤ - الاقتصاد السياسى - جزءان القاهرة ١٩٤٦

عبد الحميد فتوح حلوة :

٤٥ - قانون بأحكام الوقف الطبعة الاولى القاهرة

د عبد الحميد يوش ، وعثمان توفيق :

٤٦ - الازهر الطبعة الاولى - القاهرة ١٩٤٦

عبد الرحمن الجزيري :

٤٧ - كتاب الفقه على المذاهب الاربعة

القاهرة ١٩٧٠م

ج ٢ ، ج ٣ المعاملات

عبد العال على سلمان :

٤٨ - نظام الوقف في الاسلام

من مجلة المحاماة الشرعية السنة الخامسة ١٩٣٣/١٩٣٤ م

د. عبد اللطيف ابراهيم :

٤٩ - دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر السلطان الغوري

رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة (١٩٥٦)

٥٠ - الوثائق في خدمة الآثار

(كتاب المؤتمر الثاني للآثار في البلاد العربية - ١٩٥٧)

٥١ - وثيقة السلطان قايتباي على الجامع والمحوسة بغزة

(كتاب المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية - ١٩٥٩)

٥٢ - وثيقة الامير آخور كبير قراقجا الصننى

(مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة م ١٨ ج ٢ ديسمبر ١٩٥٦)

القاهرة ١٩٥٩م

٥٣ - التوثيقات الشرعية والاشهادات في ظهر وثيقة النورى

(مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة / مجلد ١٩ ج ١ مايو ١٩٥٧)

القاهرة ١٩٦٠ م

٥٤ - وثيقة بيع

(مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - م ١٩ ج ٢ ديسمبر ١٩٥٧)

القاهرة ١٩٦١ م

٥٥ - دراسات في الكتب والمكتبات الاسلامية

القاهرة ١٩٦٢ م

- ٥٦ - وثيقة وقف مسرور بن عبد الله الشبلي
(مجلة كلية الآداب - جامعة - م ١٩ ج ١ مايو ١٩٥٧)
القاهرة ١٩٦٣ م
- ٥٧ - من وثائق دير سانت كاترين (ثلاث وثائق فقهية)
(مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - م ٢٥ ج ١ مايو ١٩٦٣)
القاهرة ١٩٦٧ م
- ٥٨ - مكتبة دير سانت كاترين
(مجلة جامعة أم درمان الإسلامية - العدد الاول ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م)
الخرطوم ١٩٦٨ م
- ٥٩ - خمس وثائق شرعية
(مجلة جامعة أم درمان الإسلامية - العدد الثاني ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م)
الخرطوم ١٩٦٩ م
- ٦٠ - نسان جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش
(مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة - م ٢٨ ج ١ - ١٩٦٦)
القاهرة ١٩٧١ م
- ٦١ - من وثائق التاريخ العربى
(مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم - العدد الثاني - ١٩٧١)
القاهرة ١٩٧٢ م
- د. عبد المنعم ماجد :
- ٦٢ - نظم الفاطميين ورسومهم في مصر
الجزء الاول -
القاهرة ١٩٥٣
- ٦٣ - نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر (١)
القاهرة ١٩٦٤
- عبد الوهاب خلاف :
- ٦٤ - السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية القاهرة ١٣٥٠ هـ

د. عطية مصطفى مشرفة :

٦٥ - نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين
الطبعة الثانية -

القاهرة ١٩٥١

د. على الخفيف :

٦٦ - الوقف الاهلى

مجلة القانون والاقتصاد - المعدادان الثالث والرابع - السنة
العاشره - مارس وابريل ١٩٤٥

د. على صافى حسين :

٦٧ - الادب الصوفى فى مصر فى القرن السابع الهجرى القاهرة ١٩٦٤.

على قراعة :

٦٨ - دروس المعاملات الشرعية - القاهرة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م

على مبارك :

٦٩ - الخطط الجديدة

بولاق ١٣٥٦ هـ

٢٥ جزء -

عمر فطوسون :

٧٥ - مالية مصر من عهد الفراعنة حتى الآن الاسكندرية ١٩٣١م

فؤاد فرج :

٧١ - القاهرة

مصر ١٩٤٣ - ١٩٤٦

٣ اجزاء -

لويس مملوف :

٧٢ - المنجد (قاموس فى اللغة والادب والمعلوم) بيروت ١٩٦٥م

محمد أبو زهرة :

٧٣ - مشكلة الاوقات

(مجلة الاوقاف) :

— السنة الخامسة — العدد السادس ١٩٣٥.

— السنة الخامسة — العدد السابع ١٩٣٥

— السنة السادسة — العدد الثالث ١٩٣٦.

— السنة السادسة — العدد الرابع ١٩٣٦

٧٤ — المذكر

مجلة القانون والاقتصاد — المحدثين الخامس والسادس — السنة

العاشرة — مايو ويونيو ١٩٤٠ م

٧٥ — الاستحقاق الواجب في قانون الوقف

مجلة القانون والاقتصاد — السنة العشرون — العددان الاول

والثاني — مارس ويونية ١٩٥٠

٧٦ — انتهاء الوقف الاهلى والادوار التي مر بها — مجلة القانون

والاقتصاد — السنة ٢٣ — العددان الاول والثاني — مارس ويونية

١٩٥٣

٧٧ — محاضرات في الوقف

من مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية — جامعة الدول

العربية — القاهرة ١٩٥٩

د. محمد جمال الدين سرور :

القاهرة ١٩٤٧ م

٧٨ — دولة بني قلاوون في مصر

د. محمد حسين هيكل :

القاهرة ١٣٦١ هـ

٧٩ — الصديق أبو بكر

محمد رمزي :

القاهرة ١٩٥٣ — ١٩٦٨

٨٠ — القاموس الجغرافي

محمد زكى يوسف :

٨١ - تاريخ القضاء الطبعة الاولى - مصر ١٣١٣هـ / ١٩١٥م

محمد زيد الابيانى :

٨٢ - مباحث الوقف مصر ١٣٢٩هـ

د. محمد سلام مذكور :

٨٣ - الوقف من الناحية الفقهية والتطبيقية القاهرة ١٩٥٧

محمد صالح :

٨٤ - الفكر الاقتصادى العربى فى القرن ١٥ م

مجلة القانون والاقتصاد - السنة الثانية - العدد الثالث

١٩٣٢هـ / ١٣٥١م

محمد عبد الله عنان :

٨٥ - تاريخ الجامع الازهر (ط ٢٠) القاهرة ١٩٥٨ م

محمد عبد الرحيم غنيمه :

٨٦ - تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى -

تطوان (المغرب) ١٩٥٣:

د. محمد كامل الغمراوى :

٨٧ - أبحاث فى الوقف

مجلة القانون والاقتصاد - السنة الثانية - العدد الاول

يناير ١٩٣٠

ج. محمد كامل مرسى :

٨٨ — الملكية العقارية في مصر وتطورها التاريخي من عهد الفراعنة
حتى الآن .
القاهر ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م

ج. محمد محمد أمين :

٨٩ — تاريخ الاوقاف في مصر في عصر سلاطين المماليك ١٢٥٠ — ١٥١٧ م
(رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة ١٩٧٢) .

٩٠ — مرسوم السلطان برقوق الى رهبان دير سانت كاترين بسينا (وهو
المرسوم المحفوظ بمكتبة الدير تحت رقم ٤٥ والمؤرخ ١٧ شعبان
سنة ٨٠٠ هـ) .

بمجلة جامعة القاهرة بالخرطوم — العدد الخامس ١٩٧٤

٩١ — وثيقة وقف السلطان قايتباي على المدرسة الاشرفية وقاعة السلاح
بدمياط (وهي الوثيقة رقم ٨٨٩ :وقف والمؤرخة ٢٥ ذو الحجة
٨٨١ هـ)

بالمجلة التاريخية المصرية — المجلد الثاني والعشرون سنة ١٩٧٥

٩٢ — وثائق وقف السلطان قلاون على البيمارستان المنصوري .
ملحق بالجزء الاول من كتاب « تذكرة النبوة في أيام المنصور وبنية
لابن حبيب الحلبي » — الهيئة العامة المصرية للكتاب — القاهرة
١٩٧٦

٩٣ — فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك (٢٣٩ —
٩٢٢ هـ / ٨٥٣ — ١٥١٦ م) — مع نشر وتحقيق تسعة نماذج .
المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة — ١٩٨٠

محمود أحمد :

٩٤ - جامع عمرو بن العاص - بولاق ١٩٣٨ م

د. منير العجلاني :

٩٥ - عبقرية الاسلام في أصول الحكم - طبع بيروت / ١٩٦٥

وزارة الاوقاف :

٩٦ - الفقه على المذاهب الاربعة (قسم العبادات)
الطبعة السادسة
القاهرة ١٩٦٧ م

يعقوب أرئين :

٩٧ - الاحكام المرعية في شأن الاراضى المجرية
(ترجمة سعيد عمون)
الطبعة الاولى
بولاق ١٣٠٦ هـ

— * —

خامسا — المراجع الأوروبية :

- 1) Amin, M. M.:
— Un Acte de fondation de Waqf par une chretienne, *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, (j. E. S. H. O.) Vol. XVIII, P.I. 1975.
- 2) Bldair (Sh.) :
— Habous ou Wakf dans le droit de l'Islam, Paris — 1924
- 3) Cahen (C.) :
— Réflexions sur le Waqf Ancien, *Studia Islamica* Vol. XIV, 1961 pp. 37-56.
— La Régime des Impots dans le Fayyum Ayyubide, *Arabica*, III 1956, pp. 8-30.
— L'histoire économique et social de l'Orient musulmen médiéval', *Studia Islamica*, III (1955), pp. 93-115.
— L'Achat et le Waqf d'un grand domaine Egyptien, par le Vizir Fatimide Talai B. Ruzzik, *Annales Islamologiques*, t. XIV, 1978.
- 4) Clavel (E.) :
— Le Wakf ou Habous, 2 Vols., Le Caire 1896.
— Introduction à L' Etude du Wakf, Alexandrie 1895.
- 5) Coulson, (N. J.) :
— A History of Islamic Law, Edinlurgh 1964.
- 6) Crecellus (D.) :
— The Organization of Waqf Documents in Cairo, *International Journal of Middle East Studies*, Cambridge University Press, 2, 1971.
- 7) Dozy (R.) :
— Supplémen aux dictionnaires Arabes, 2 vols., Leiden 1881.
- 8) Cltbb (H.A.R.) and Harobd Bowen :
— Islamic Society, vol. I. P. I. Ch. XII (Religious Endowments, Awkaf).
- 9) Haffnig (W.) :
— Art Wkf-Encyclopedie of Islam, vol. IV, Leiden 1934.
- 10) Hassan (Z. M.) :
— Les Tulunides, Paris, 1935.

- 11) Ibrahim Salama :
— L'Enseignement Islamique en Egypte, Le Caire 1939.
- 12) Lane. Poole, (S.) :
— Saladin, London 1898.
- 13) Lapidus (Ira Marvin) :
— Muslim Cities in the Later Middle Ages (Harvard 1967).
- 14) Massouda (A. Y.) :
— Contribution à l'étude du Wakf en Droit Egyptien, Paris 1925.
- 15) Mayer (L. A.) :
— The buildings of Qaytbay as described in the endowment deed, London 1938.
- 16) Mercier (E.) :
— Le code du Habous ou Wakf, Constantine 1829.
- 17) Pirenne (J.) :
— Histoire des Institutions et du Droit Privé de l'Ancienne Egypte,
— Bruxelles, 1932.
- 18) Pollak (A. N.) :
— Feudalism in Egypt Syria, Palestine, and the Lebano, (London 1939)
- 19) Querry (A.) :
— Droit Musulman, Livre XIV, des Fondations Perpétuelles et des Aumônes, el Vokoûf wel Sédékât, Paris 1871.
- 20) Rabie (H. M.) :
— The Size and Value of the Iqta in Egypt 564-741 A. H. / 1169-1341 A. D. (Cook. M. A. : Studies in the Economic History of Middle East), London, 1970.
— The Financial System of Egypt A. H. 564-741 / A. D. 1169 1341. London, 1972.
— Some Financial Aspects of the Waqf System in Medieval Egypt.
— (Egyption Historical Review, 1971, pp. 1 — 24)
- 21) Rudolf Vesely :
— De La Situation des Esclaves dans l'Institution du Wakf, Archiv Orientalni 32-1964. pp. 345-353.
- 22) Saad (A. Z.) :
— Le Wakf de Famille, Etude critique, Paris 1928.

23) Sadeque (S. F.) :

— Baybers I of Egypt, Pakistan, 1956.

24) Schacht (I.) :

— Early Doctrines on Waqf, Melanges Fiiad Koprulu, Istanbul. 1953, pp. 443 — 452.

— Origins of Mohammadan Jurisprudence, London, 1950.

25) Sender - Hanen :

— Inschriften der d. 19. Dyn.

26) Suhrawardy :

— The Wakf of Movables, Journal and Proceedings of the Asiatic Soc. of Bengal, NS. VII — 1915.

27) Wiet (G.) :

— Cairo (City of Art. and Commerce) Translates by Seymour Feiler, Oklahoma, U. S. A. 1964.

— L' Egypte Arabe (Hist. de la Nation Egyptienne TIV), Paris 1937.

كشاف

(١) الاعلام (١)

الحاجب : ٢٤٧

احمد بن حنبل (الامام) : ٢٥ ،
٣١ ، ٤٤ ، ١٠٠

احمد السلفي ، ابو طاهر ، ٢٣٤

احمد الشيشيني ، الحنبلي
٢٣٧ - ٣٦٧ - ٢٧٠احمد بن طولون : ٢٨ ، ٥١ ،
١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٧٤ ، ٢٤٢ ،
٣٥٩احمد بن عبد الرحيم المراقبي ،
ولي الدين : ١١٥

احمد بن عبد الرحيم العيني : ٨٦

احمد بن عبد الله الكتي : ٥٢

احمد على يوسف ، الشهابي
٢٨٢احمد بن عمر بن محمد المقدسي ،
تقي الدين : ٣٤٣ ، ٣٦٥احمد بن محمد الازدي ، ابو جعفر
الطحاوي : ٢٤٥احمد بن مرتضى بن سماعيل الاهل
بن يوسف : ١٤٨

ابو اسحق المعتصم : ٥٠

اركانس بن عبد الله بن ططخ :
٣٠٠ازبك بن ططخ : ١٥٣ ، ٢٥٧ ،
٣١٠ ، ٣٢٦ ، ٣٣٥

(١)

ابان بن عثمان : ٢١

اق سنقر السلاري : ٢٤١

ابراهيم بن الجراح : ٣٦

ابراهيم بن جماعة : برهان الدين ،
قاضي القضاة :

١١٩ : ١٢١ ، ١٢٢

ابراهيم بن عبد اللطيف ، علم
الدين ، ابن الزبير : ٢٣٧ابراهيم بن عبد الوهاب ،
ابو الفضائل الميموني ، ساعد

الدين : ٣٥٢

ابراهيم بن عمر بن علي المحلي ،
برهان الدين : ٢٤٠

ابراهيم مغلطاي : ١٨١

ابرهة : ١٥

الابشادي = علي بن سليمان
الابشادي .احمد بن ابراهيم بن السيفي اينال ،
الشهابي : ٣٠٠احمد بن افوشي العزيزي ، شهاب
الدين المهندار : ٢٤٠احمد الانصاري ، شهاب الدين :
٢٠٦احمد بن ابي بكر ، الفضل قطب
الدين : ١٥٧

احمد ، الامير شهاب الدين ،

(١) لم يراع الترتيب حرف : آل ، ابن ، أبو ، فمثلا المنصور في حرف م ، ابن
زنبور في حرف ز ، وأبو بكر في حرف ب وهكذا .

أهل الفبة : ٥١ : ١١٨ ، ١٢٩

٢١٢ ، ٢١٣ ، ٣٢١ ، ٣٦٠

٣٦١

أولاد الناس : ١١٠

أنوجوز الاخشيدى : أبو القاسم

١٥٦

أيمنش بن عبد الله : ١٠٥

أيديكن البندقدارى ، علاء الدين

الصالحى النجى : ٣٠٦

أيدير الحلى ، الأمير عز الدين

٣٦٠

أيدير الشامى ، الأمير : ١١١

أيئال ، السلطان : ٨ ، ٣٠٠

٣٥٦

أيئال ، العلانى : ٣٦٤

أيئال اليوسفى ، الأمير سيف الدين :

٢٤٠

أيوب بن محمد ، الملك الصالح

نجم الدين : ٥٧ : ٢٣٥ ، ٢٤٢

٣٤٠

(ب)

ابن البارزى = محمد بن محمد بن

عثمان البارزى

البالى : ٣٦٦

البخارى ، الامام : ٢٠٣

بدر الدين الاسدى : ٦٦

بدر الدين الجمالى ، أمير الجيوش :

٦٠

بدر الدين بن عبد الله الحسينى :

٩٤

ازدير ، النيسى : ٨٤ ، ١٤٣

١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٩٤ ، ٣١٠

ازدير من على باى ٣٧١

اسامة بن زيد : ٢١

اسرى المسلمين : ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٧

٦٨ ، ١١٣ ، ١٣٤ ، ٢٢٥

٢٣١ ، ٣٥٣

اسماعيل بن محمد ، السلطان الملك

الصالح بن الناصر محمد : ١٠٥

١٠٦

اسماعيل بن مكى بن عبوة :

أبو الطاهر : ٢٣٤

اسماعيل بن الناصر محمد بن

قلاوون : ٢٤١

اسماعيل بن اليسع الكندى : ٢٢٢

٣٤

الاشراف : ٦٠ ، ١١٣ ، ١١٩

١٢٥

ابن بنت الامير ، تاج الدين =

عبد الوهاب بن خلف بن بنت

الافز

أقوش ، جمال الدين المنصورى

٢٣٧ ، ٢٤٣

أكمل الدين . شيخ خاتناه شيخو :

١٢١

الجائ يوسف : ٣٦٩

آمنة ابنة اسماعيل ، بنت الخازن :

١٢٨

امين الدين الاقصرانى ، الشيخ

٨٦ ، ٢٩٥ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨

٣٦٧

أهل الديوان : ٥٠

ابو بكر بن ايوب ، السلطان الملك

العادل : ٦٧ ، ٣٥٩

ابو بكر الحصني ، التقى : ٩٦

ابو بكر الصديق : ١٨ ، ٢٠ ، ٣٥٤

ابو بكر بن المجي ، شرف الدين

٣٤٩

ابو بكر بن مزهر : ٣٢٧

بكر بن الصباغ : ٥١

بلال : ٤٣

البلقيني ، جلال الدين : ١١٥

البلقيني الشافعي ، علم الدين

٣٦٢

بهاء الدين بن حنا = علي بن حنا

بيبرس ، السلطان الملك الظاهر

١ ، ٨٥ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،

١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٩ ،

١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٨٣ ، ٢٠٦ ،

٢٢٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٩٧ ،

٣٢٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠

بيبرس الجاشنكير ، السلطان :

٤ ، ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ،

١٤٥ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٩٧ ،

٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ،

٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ،

٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٣٠٩ ، ٣٣٨

بيبرس الخياط : ١٤٢ ، ١٤٣ ،

١٨٩ ، ١٩٤

بيبرس المنصوري ، الدواداري

الامير : ١١١

بيضا التركماني : ١١٩

بيدرا : ١٧١

برسباي ، السلطان الملك الاشراف :

٦ ، ٧ ، ٥٨ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٨ ،

٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ،

٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩١ ، ٩٢ ،

١٠٥ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٧ ،

١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،

١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ،

١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ ،

٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٨ ،

٢٥٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ،

٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ،

٢٩٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٥ ،

٣٢٦ ، ٣٢٤ ، ٣٣٩ ، ٣٥١ ،

٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩

برقوق ، السلطان : ١١٤ ، ١١٩ ،

١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ،

٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٨ ،

٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٩٧ ، ٣٠٣ ،

٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ،

٣٣٣ ، ٣٤٤ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ ،

٣٥٧ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٧٣ ،

بركة ، الامر : ١١٢

بركة ، خوند ، ام الملك الاشراف

شمسان : ٣٤٦ ، ٣٥١ ، ٣٦٨

البياسيري ، ابو الحارث : ٢٣٣

بشتاك الناصري ، الامر سيف الدين

٢٤٦

بشير الجمدار ، الطواشي -

الدين : ٢٤٣ - ٢٦١

ابو البقاء السبكي = محمد بن

عبد البر بن يحيى بن علي

بكار بن قتيبة : ٥١ ، ٣٤٢ ، ٣٥٩

بكمير ، الامر سيف الدين : ٩٤

بيسرى ، الأمير بدر الدين الشمسي
المصالحى النجى : ٨٥ ، ٣٤٣ ؛
٣٤٤

(ت)

تاتى بك بن يشبك : ١٢٠ ، ١٢١

التتار : ٣٢٥

تتر الحجازية : خوند : ٣٤٦

التجطهرى : ٥٧

تفكار باى خسانون اينة الظاهر
بيبرس : ١٣٩

التركان : ٣٣١

تغرى بردى : الأمير : ٣٥٢

تغرى بردى بن عبد الله البكاشى :
٢٨٢

تمز باى المحدى : ١٤٦ : ١٤٧

تمز من قرقماس : ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١

تم رصاص : ٣٤٠

توبة بن نمر : ٢٦ ، ٢٨

تيمور لك : ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤

(ث)

ثوبان بن ابراهيم المصرى . المعروف
بذى النون : ٢٠٤

(ج)

جار الله : جلال الدين ، قاضى
القضاة الحنفى : ١٢١

جان بلاط . السلطان الاشرف
١٢٤

جائى بك ، الأمير : ٣٠١ ، ٣٤٠ ،
٣٥٣

الجرمان : ١٣

جستيان ، الامبراطور : ١٤

جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات
٣٧

جقيق . السلطان : ٨ ، ٨٤ ، ٨٨

١٠٧ ، ١١٩ ، ١٣٤ ، ١٣٥

١٣٦ ، ١٧٣ ، ٣٥٧ ، ٣٦٤

٣٦٦ ، ٣٧٠

جكم الدوادر : ١١٢

جلال الدين القزوينى : ١١٢

جلال الدين القزوينى : ٣٦٥

الجلبان : المالك : ٣٣٥

ابن الجليس : ٥٧

جمال الدين الاستادار = يوسف
بن أحمد

جمال الدين السلمونى : ٣٧٢

جنبلط : ٣٣٧

جهاركس بن عبد الله . فخرالدين
١٥٧

جوهر الاشرفى : ٢٨٨

جوهر الصفوى : ٣٠٢

جوهر بن عبد الله : ٣٠٢

جوهر اللالا : ٨٦ ، ١٤٢ ، ١٤٦

١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥١

٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠

١٧٤ ، ٢٨٢ ، ٣١٠

(ح)

حاجى : السلطان المنظر : ١١

الحارث بن مسكين : ٣٦ ، ٥٥

الحاكم بأمر الله . الخليفة الفاطمى
٥٣ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦١

الدجاج بن يوسف : ٢٤

أبو حنيفة : الامام : ٢٢ : ٢٤ ،
٢٦ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٩٩ ،
١٧٩ ، ١٨٨ ، ٢٠٨ ، ٢٤٥ ،
٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٧٧ .

(خ)

خالد بن الوليد : ٩٩ ، ٢٤ ،
خسرو ، قطب الدين : ٦٨ ،
خشقدم ، السلطان : ٨٦ ، ٢٠٠ ،
٣٤٠ ،
خضر بن أبو موسى المهراني المدوي
الشيخ : ٢٢٢ ،
خطلوا ابنة عبد الله : ٩٤ ،
خلف الطوخي : ١٢١ ،
خليل بن قلاوون ، السلطان الملك
الاشرف : ٣٢٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦٥ ،

(د)

دبشن : هـ
درويش بن عبد الله بن حاتم : ٢٨٩ ،
ابن دقيق العيد ، تقي الدين = محمد
على بن دهب .

(ذ)

ذو النون = ثوبان بن ابراهيم

(ر)

الرازي ، الخليفة العباسي : ٥٢ ،
الربيع بن سليمان : ٣٥ ،
رضوان بن ولخشي : ٢٣٤ ،
ابن رزين ، قاضي القضاة : ٨٥ ،
رمسيس الثاني : ١٢ ،
الرومان : ١٣ .

الحرث بن العلاء بن يزيد الفهري :
٣٦

حسام الدين بن حريز المالكي :
٣٢٧

حسام الدين لاجين = لاجين

بنو الحسن : ٦٦ ،

حسن السنجاري ، بدر الدين :
٣٢٤

أبو الحسن الشاذلي : ٢٠٥

حسن بن مجد الدين الطرابلسي ،
بدر الدين : ٣٤٩

حسن بن محمد بن حسن ، بدر
الدين ، نقيب الاشراف : ١٤٢

حسن بن محمد بن قلاوون ،
السلطان الملك الناصر : ٧ ،

٨ ، ٨٦ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،

١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،

١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ،

١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ،

١٨٥ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،

١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ،

٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،

٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،

٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ،

٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ،

٢٥٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ،

٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ،

٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،

٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٣ ،

٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ،

٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٤٦ ، ٣٦٩ .

الحسين بن هروان : ٥١

حمبي زماي ، أمير سيوط : ١١

حنسة ، أم المؤمنين : ٢٠

سنجر المرورى . علم الدين : ٣٤٧

سنجر بن عبد الله الشجاعى : ١٥٨

ابن سنقر : ١٢٠

سنقر الرومى الصالحى : ٣٥٩

سهل بن حنيف : ١٧

سبنى الاول : ١٢

السيد أحمد البدوى : ٦٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥

(ش)

الشانى . الامام : ٢٥ ، ٣٠ ، ٣١

٣٥ ، ٣٦ ، ٤١ ، ١٠٠ ، ١١٦ ،

١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٦٠

شاه رخ بن تيمورلنك : ١٠٦

١٠٧ ، ٣٢٦

شمس سوار : ٣٢٦ ، ٣٢٧

شاور : ٦٧

الشبراوى ، الفقيه : ٦٥

الشجاعى ، علم الدين : ٣٦١

شرف الدين الحرانى الحنبلى : ٣٤٣ ،

٣٤٤

شرف الدين بن عبد الوهاب ، المالكى :

٣٢٣

شرف الدين بن ابنى عمرو :

الشانى : ٣٢٣

شرف الدين بن محمد بن الكويك :

٣٥٩

شرف الدين بن منصور : ٣٣٠

٣٤٢

شريح بن الحارث الكتدى : ٢٢ ، ٢٤ ،

٢٦ ، ٢٨

ابن ابنى شريف ، برهان الدين : ٣٢٧

(ز)

الزبير بن الموام : ٣٥ ، ٤٥

ابن زنبور = عبد الله بن احمد بن
ابراهيم . علم الدين

زيد بن ثابت : ٢٨

زين الدين زكى ، الشانى : ٣٣٥

زينب العلوى بنت الجمالى عبد الله :
١٠٥

(س)

سالم الحنبلى ، مجد الدين : ٣٤٨

ست الملك ابنة العزيز بالله : ١٥٧

سيد الدين بن ابنى عبد الله ، القاضى
٧ ، ٩٤

سعد بن ابنى وقاص : ٤٣

سعد الدين بن غراب : ٣٤٥

ابو السمعود الجارحى ، المارمبالله :
٢٩٥

سلار ، نائب السلطنة : ٣٣٨

السلاجقة : ٢٢٣ ، ٢٢٩

سلما وسليمان ولدى البدرى حسن
١٠٥

سليم ، السلطان : ٩٨

سليمان باشا ، كافل الملكة : ١٠١ ،

١٠١ ، ٩٠٢ ، ١٠٤ ، ١٩٧

سليمان ، ابو عثمان ، مولى مسلمة
ابن مخلد : ٣٦

ابو سعد بن وهب : ١٧

سماك بن خرشة ، ابو دجاجة : ١٧

سنبل : الحاج : ٩٤

سنجر الدوادارى : ١٧١

المصري : ١٩٢

صلاح الدين الايوبي ، السلطان =
يوسف بن ايوب

الصليبيون : ١ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٧ ،
٢٣٦ ، ٢٢٥ ، ١٨٠ ، ٦٨

الصوفية : ٦٦ ، ١٠٤ ، ١٤٢ ، ١٥٣ ،
١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ١٩٥ ،
٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،
٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،
٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،
٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ،
٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ،
٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٦٥ ، ٣٦٦

ابن الصيرفي ، عضد الدين ٨٦

(ط)

ابو الطاهر بن عوف = اسماعيل بن
مكي بن اسماعيل بن عوف .
الطحاوي = احمد بن محمد الازدي .
طراباي الشريفي ، رأس نوبة النوبة ،
٣٤١ ، ٣٧١

طغاي ، الامير : ٣٣١

طقطباي ، السيفي : ١٤٧

طقطباي بن عبد الله الحلاي : ٨٢ ،
٩٨ ، ٣١٠

طلانج بن رزيك ، الوزير الفاطمي
الملك الصالح : ٦٠ ، ٦١ ، ٦٧ ،
١١٩

الطنبغا الحلبي ، الامير : ١١٢

الطنبغا الماردني ، الامير : ٩٥

الطوسي ، شهاب الدين ٥٦

طوغان الدوادار ، الامير ، ٣٥٢

طومان باي ، السلطان ابو النصر

٨٦ ، ٩٨ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ، ٣٠٤ ،
٣١٤

شمسان بن حسين ، السلطان الملك
الاشرف : ١١١ ، ١٢١ ، ١٣٥ ،
٣٤٦ ، ٣٤٧

شمسان بن الناصر محمد ، الملك
الكامل : ٣٥٧ ، ٣٦٨

شمسان ، الزيني ابو النقاش : ٣٠١ ،
٣٠٢

الشعبي = عامر بن شراحيل بن
شكر : ٥٧

شمس الدين الامشاطي : ٣٢٨ ،
٣٦٧

شمس الدين بن الصائغ = محمد بن
عبد الرحمن بن علي الزمردى ١٠

شمس الدين الهروي : ٣٦٢

الشمي ، التقى الحنفي : ٨٦

الشويكي ، التاج : ١٢٧

شيخ المؤيد = المؤيد شيخ
شيخو ، السيفي : ١١٧

الشيرازي ، توام الدين : ١٨٤

(ص)

الصالح ايوب ، الملك = ايوب بن
محمد

صالح بن صالح بن الناصر محمد :
٣٦١

صدقة : زين الدين : ٢٥٠ ، ٢٥١

صرغتمش ، الامير : ٧ ، ٨٦ ، ١٢٦ ،

١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ،

١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٣٧ ،

٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ،

٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،

٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ،

٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ ،

٢٨٢ ، ٢٩٧ ، ٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣٦٨

عبد الرحيم بن علي البيه ساني ،
القاضي الفاضل : ٤٦ . ٦٣ ،
٦٥ ، ٦٨ ، ٢٢٥ . ٢٩٨

عبد العزيز بن عبد السلام
عز الدين : ٣٢٤ ، ٣٢٥ . ٣٣١ ،
٣٦٧

عبد العزيز بن محمد بن جماعة
عز الدين : ٣٥٩ ، ٣٦٨

عبد العزيز بن مروان : ٣٩ ، ٤٠

عبد الغني بن تقي ، المالكي ، ٣٣٥ ،
٣٣٦ . ٣٣٧

عبد الكريم بن هبة الله . كريم الدين :
٣٦٨ ، ٣٥٤

عبد اللطيف الزيني : ٣١٠

عبد الله بن أحمد بن ابراهيم ، علم
الدين ، ابن زنبور : ٣٦٨

عبد الله . الجمالي : ٢٩٧

عبد الله عبد الرحيم الطباطبائي ، جمال
الدين : ١١٩

عبد الله بن ابي عصرون : ٦١

عبد الله بن علي بن شكر ، صاحب
صلى الدين : ٢٣٧

عبد الله بن لهيعة : ٢٠٤

أم عبد الله بنت مسلمة بن مخلص
الانصاري : ٣٤

عبد المطلب بن هاشم : ١٥

عبد الملك بن محمد الحزمي الانصاري :
أبو الطاهر : ٤٩

عبد الواحد بن اسماعيل ، أوحسد
الدين ، كاتب السر : ١١٤

عبد الوهاب بن خلف ابن بنت الاعز :
٨٥ ، ١٠٧

طومان باي ، دودار السلطان :
١٢٤ ، ٣٥٨

الطبيبي ، صدر الدين ٩٣

(ظ)

الظاهر ، الخليفة الفاطمي : ٢٣٤

(ع)

عائشة . أم المؤمنين : ٢٣ ، ٢٧٧

عائشة بنت بريق : ٤

العادل ، السلطان الملك = أبو بكر
ابن ايوب

العاضد ، الخليفة الفاطمي : ٢٣٤

عابر بن شراحيل الشعبي : ٢٤ ،
٢٦ ، ٢٨

عباد بن محمد : ٤٩

العباس بن عبد المطلب : ١٧ ، ١٨
أبو العباس المرسى : ٢٠٥

عبد الباسط بن خليل ، زين الدين :
٣٥٢

عبد البر بن الشحنة : الحنفي
٣٣٨ . ٣٧٢

عبد الرحمن بن سويد المالكي : جلال
الدين : ١٢٨

عبد الرحمن بن عبد الله العمري :
٣٦ ، ٤٩

عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن بنت
الاعز ، تقي الدين : ٣٦١

عبد الرحمن بن عوف : ٤٤

عبد الرحمن الفهري : ٣٦

عبد الوهاب بن ابي شاكِر : تقي الدين : ١٢٠
عبد الوهاب بن فضل الله : شرف الدين النشو : ١١٠ - ١١١
٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٤٠
عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز الزهرى : ٤٠
عثمان ، الملك العزيز : ٥٩ - ٢٦٠
عثمان بن جعق : ٢٩٤ ، ٢٣٩
عثمان بن قزل : فخر الدين ابو الفتح ٣٦٣
عثمان بن عتيق النساوى : ١١٤
عثمان بن عفان : ١٨ - ٢١ - ٢٧
٣٥
ابو عثمان مولى مسلمة بن مخلد = سليمان
العثمانيون : ٢٢٥ - ٣٠٢ - ٣٣٥ ، ٣٣٦
العجم : ١٧٣
العز بن عبد السلام = عبد العزيز بن عبد السلام
عز الدين الحنبلى : ٣٢٧
العزيز بالله : الخليفة الفاطمى : ٦٧
٦٨
علاء الدين بن محمد بن آقبرسى ٣٦٤ ، ٣٦٥
علم الدين بن جلود : ٣٤٠
على من ابي طالب : ١٧ ، ١٨ ، ٢١ : ٣٥ ، ٥٢
على بن الامى ، صدر الدين : ٣٥٠ ، ٣٥٥
على بن الامام ، علاء الدين ابو الحسن ناظر الخوامر : ١٢٤ - ٣٠١

على بن ابيك ، الملك النصور : ٣٢٣ ، ٣٢٤
على بن السلار ، العادل سيف الدين : ٢٣٤
على بن سليمان الاشادى : ٢٥٥ ، ٢٥٧
على بن الطنبلاوى ، علاء الدين : ١٢٠
على بن قراقا الحسنى : ١٣٤
على بن كلفت ، علاء الدين ، ٣٥١
على مبارك : ٦
على بن محمد بن سليم بن حنا ، الوزير صاحب بهاء الدين ١٠٨ - ٢٤١ - ٢٥٣ - ٣٦٠
عمر بن ابراهيم بن العديم ، كمال الدين ، القاضى الحنفى : ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ - ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٦٣
عمر البلقينى ، سراج الدين : ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٦٧
عمر بن الخطاب : ١٤ - ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٢ ، ٣٥ - ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ - ٩٩ ، ١٢٢ ، ٣٦٨
عمر بن رزين ، صدر الدين : ١١٩
عمر بن شاهنشاه بن ايوب ، تقي الدين : ٦٧ ، ٦٨ ، ٣٤٠
عمر بن العديم ، صاحب كمال الدين : ٣٢٣
عمر بن عبد العزيز : ١٧ ، ٤٣ ، ٢٧٧
عمر الهندى ، سراج الدين : قاضى القضاة الحنفى : ١٢١ ، ٣٦٩

٢٧. ٦ ٢٥.٢ ٦ ٢٥.١ ٦ ٢٥.

قطر : سيف الدين : ٣٢٤ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥

تلاون ، السلطان الملك المنصور :

٧٢ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٥٦

١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠

١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧

١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢

١٨٤ ، ٢٥٤ ، ٢٦٤ ، ٢٨٥

٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٦١

قلطاي ، السيفي : ٢٥١

الطيوبى ، نور الدين : ٣٦٤

قوصون ، الامير سيف الدين :

٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤

قيت الرجبي : ٣٧١

قيسية بن كلثوم التحببى : ٣٣ ، ٣٤

(ك)

كانور الاخشيدي : ٣٦ ، ١٥٦

كتبغا المنصوري ، الملك العادل : ٢٩٩

كرباي الاحمر ، الامير : ١٢٣ ، ١٢٤

بنو الكويك : ٣٥٩

كريم الدين بن عبد العزيز ، القاضي : ٣٤٨

(ل)

لاجين : السلطان حسام الدين :

٨٧ ، ١٢٥ ، ١٣٥ ، ١٤٢ ، ١٤٦

١٧١ ، ١٩١ ، ٢٢٨ ، ٢٤٦

٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٨٢

٢٠١ ، ٢٨٢

لاجين الجركسي ، الشيخ : ٣٦٥

لهيعة بن عيسى الحضرمي : ٤٩ ، ٥٠

١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٦

١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٥٣

١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ١٨٨

١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢١٢ ، ٢١٣

٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦

٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٢٩ ، ٢٢٦

٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥

٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤

٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤

٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٥

٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢١

٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦

القبارى ، ابو القاسم : ٢٠٥

قتال السبع = اقوش جهال الدين

تجاس الاسحاتى : ٢٢٥ ، ٢٢٦

تراجا الجبالي ، السيفي : ١٣٥

تراجا الحسنى ، امير آخور كبير :

٨١ ، ١٠٥ ، ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٣٢

١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩

١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٨٤

١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩

١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ١٩٩

٢٠٢ ، ٢٢٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥

٢٧٢ ، ٢٨٣ ، ٢٩٧ ، ٣٠٥

٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٠

قراقوش : ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٢٧

قرة بن شريك : ٤٧

قرقاس ، امير : ٥٠ ، ٦٠ ، ٨٠ ، ١١٧

١٢٥ ، ١٣٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٤

٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠

٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧

٢٩٧ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧

قرطوغان الصلاى الاستادار

الامير : ٣٥٧

١٦ . ٢٨ . ٣٢ . ٣٣ . ٣٥
٤٢ . ٤٣ . ٤٥ . ٨٩ . ٩٩
١٣٢ . ١٧٩ . ١٨٢ . ١٩٠
١٩٢ . ١٩٣ . ١٩٩ . ٢٠٠
٢٠١ . ٢١١ . ٢١٢ . ٢٢٤
٢٣٦ . ٢٦١ . ٢٦٢ . ٢٧١
٢٧٧ . ٢٩٣

محمد بن ابراهيم المناوى . صدر
الدين : ٢٥٦ . ٢٥٧

محمد بن احمد بن ابي الحوائر .
الطبيب السلطاني : ١٧١

محمد بن احمد ، فتح الدين . ابن
جسال : ٢٨٦

محمد بن اسحاق المناوى . تاج الدين :
٣٦٩

محمد الاقضى : ١٤٣

محمد البارزى ، ناصر الدين : ٣٥٠

محمد بن ابي البقاء . بدر الدين :
قانى القضاة الشافعى : ١١٤
١١٩ ، ٢٢٩ . ٢٣٠ . ٢٥٧

محمد بن ابي بكر : ٥٢

محمد بن ابي بكر . الملك الكامل
الابوبى : ٥٧ . ١٢٥ . ٢٢٥
٣٦٣

محمد البلقيني ، قانى المسكر : ٣٣٠
محمد بن ابو الحسن ، شمس الدين :
١٢٠

محمد بن جماعة ، بدر الدين : ١٢٦ ،
١٨٤

محمد بن ابو الحسن . شمس الدين ،
ابو عبد الله : ١٠٥

محمد بن الحسن الشيباني ، صاحب
ابى حنيفة : ٢٦ . ٢٧ . ٢٨

الليث بن سعد : ٣٤ . ٣٥ . ٤٠ ،
٤٦ . ٤٨ . ١٣٨ . ٢٠٤

(م)

المسبون . الخليفة العباسى : ٥٠
مؤنسة خاتون ابنة الملك المعادل :
١٥٧

المؤيد شيخ . السلطان : ٤

١٠٥ . ١١٧ . ١٤٦ . ١٤٧

١٤٨ . ١٥١ . ١٧٢ . ١٨٠

١٨٦ . ١٨٧ . ١٩٣ . ١٩٥

١٩٧ . ١٩٩ . ٢٠٠ . ٢٠١

٢١٠ . ٢١٦ . ٢٢٢ . ٢٢٩

٢٤٣ . ٢٤٥ . ٢٤٨ . ٢٥٦

٢٦٣ . ٢٦٧ . ٢٧٠ . ٢٨٢

٢٩٧ . ٣٠٥ . ٣٠٦ . ٣٠٨

٣١٠ . ٣١١ . ٣١٤ . ٣١٥

٣١٦ . ٣١٧ . ٣١٩ . ٣٢٩

٣٢٩ . ٣٥١ . ٣٥٢

٣٥٤ . ٣٥٥ . ٣٥٨ . ٣٦٠

مارية ابنة ابي الفرج بن بركات
النصيرانية : ١١٨

مالك . الامام : ٢١ . ٢٥ . ٣٠

٣١ . ٤١ . ٩٩ . ١٠٠ . ١٨٩

٢٠٤ . ٢٢٤ . ٢٦١

المتوكل . الخلية العباسى : ٣٦ ،
٥١

مجيد الدين ابو الاشبال : ٢٦٠

مجد الدين بن الخشاب = عيسى بن
عمر بن خالد

محب الدين بن الشحنة الحنفى : ٢٢٧

محمد ، الرسول عليه الصلاة

والسلام : ١٤ . ١٥ . ١٦

١٨ . ١٩ . ٢١ . ٢٤ . ٢٥

محمد بن قلاوون ، السلطان الملك
الناصر : ٤ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١١٠ ،
١١١ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٣٥ ،
١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ،
١٨١ ، ١٩٠ ، ١٩٨ ، ٢٠٨ ،
٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٣٧ ، ٢٧٩ ،
٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ،
٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،
٢٥٤ ، ٢٦٥

محمد بن كندغدي بن الوزير : ١٢٥ :
١٢٦

محمد بن ابي الليث : ٣٦ ، ٥٠

محمد بن محمد بن عثمان البارزي ،
ابو عيد الله : ٢٥٦

محمد المدني المالكي ، شمس الدين :
٣٤٩

محمد المرجاني : ٣٧٠

محمد بن الوحيد ، شمس الدين :
١١٤

محمد بن هارون الرشيد : ٥٠

محمد الهرماني ، قطب الدين : ٣٦٩

محمد اليعمرى ، الشيخ فتح الدين :
٢٠٨

محمد بن يوسف : ١٢٤

محمود بن عبد الله الحنفي ، البدر :
٣٧٠

محمود المجبي المحتسب ، جمال
الدين : ١١٤

محمود بن عماد الدين زنكي ،
السلطان نور الدين : ٦١ ، ٦٧ ،
٣٢٢

مخيريق : من علماء بني النخعي
٣٢٢ ، ١٦

مرفعي بن غياث الدين ابراهيم حمزة ،
السلطان ناصر الدين : ١١٩

محمد الدنوسري ، شمس الدين :
٢٨٦

محمد اندروطي ، الشيخ : ٢٣٠

محمد السعدي ، بدر الدين الحنبلي :
٢٣٥

محمد بن السيفي جائم ، الناصري :
١٤٢

محمد بن صاحب ، شمس الدين :
٢٤١

محمد بن صلاح الدين الخروبي :
٢٤٠

محمد بن صلاح الدين الخروبي ، عز
الدين : ٢٤٠

محمد بن ابي الطاهر محمد : ٥٢

محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي ،
ابو البقاء : ٣٦٨

محمد بن عبد الرحمن بن علي
الزمردي : شمس الدين بن
الصالح : ٢٦١

محمد بن العظيمة : ١٢٢ ، ١٢٤ ،
١٢٥

محمد بن علي بن دهب بن دقيق
العبد ، تقي الدين : ٨٥ ، ٣٢٥ ،
٣٦٧

محمد بن علي المافرائي ، ابو بكر :
٢٨ ، ٣٩ ، ٤٧

محمد بن عز بن العديم : ٣٦٣

محمد بن فخر الدين : ٢٦١

محمد بن فضل الله ، بدر الدين :
١٢٦ ، ١١٤

محمد بن قانصوه الغوري : ٢٠١

محمد بن قايتباي ، السلطان الملك
الناصر : ١٢٣ ، ١٢٤ ، ٢٣٧

(ن)

ناصر الدين الأحمسي ، الخنفي : ٣٣٥

ناصر خسرو : ٥٣

النشوء = عبد الوهاب بن فضل الله

نصر الله بن البقري ، المصاحب

سعد الدين : ١٢٠

نصر الله بن شطية ، شمس الدين :

١٢٦

بنو النظر : ١٦ ، ١٧

نظام الملك : ٢٣٤

النعمان بن محمد ، القاضي : ٥٢

نهرجند : ١١

نهر كارج : ١١

نفيسة ، السيدة : ٣٦٥

نور الدين محمود = محمود بن حماد

الدين زنكي

النووي = يحيى بن شرق

(هـ)

الهادي ، الخليفة العباسي : ٤٩

هارون الرشيد ، الخليفة العباسي :

٢٧ ، ٤٩

هارون بن عبد الله : ٥٠

هارون الزهري : ٣٦

الهرماوي ، شمس الدين : ١٢٧

الهروي ، شمس الدين : ١١٥

أبو هريرة : ١٨٨

هشام بن عبد الملك : ٤٨

هشام عبد الواحد السيواني : ١٢٥

ابن المزاويلى : ٣٤٠

المستعصم بالله = يعقوب
المستعصر ، الخليفة الفاطمي : ٦٠ ، ٦٧

مسرور ، شمس الخواصر : ١٦٠

مسرور بن عبد الله الشبلي ،
الجدار : ٨١ ، ٩٤ ، ١٠٥ ، ١٣٢ ، ٢٨٠ ، ٢٩٧

مسلم ، الإمام المحدث : ٢٠٣

المسور بن مخزبة : ٢٣

المصريون القدماء : ١١

معاوية بن أبي سفيان : ٣٦

المعز لدين الله ، الخليفة الفاطمي :

٥٢

بنى معصوم : ٦٠

مفلطاي الجمالي ، الأمير : ٨١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣٩

٢٥٥ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦

المفول : ٩٠ ، ١٨٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣٦ ، ٣٢٣

المفضل بن فضالة : ٣٦

مقبل الرومي ، الطواشي زين الدين

١١١ ، ٢٣٧

منجك ، الأمير : ١١١ ، ٣٥٦

المنصور ، الخليفة العباسي : ٤٩

منطاش ، الأمير : ٣٥٦ ، ٣٥٧

منتكبر الحجازي ، الأمير : ٣٤٦

المهدي ، الخليفة العباسي : ٣٥

موسك الصلاحي ، عز الدين : ١٥٧

موسى ، الأشرف : ٢٦٠

الموفق طلحة : ٥١

(و)

الوليد بن رفاعه : ٤٨
ولى الدين الاسيوطى الشافعى :
٣٢٧

ولى الدين السفلى : ٣٦٤ ، ٣٦٥
الونائى ، بدر الدين : ١٩٤

(ى)

ياقوت ، الزينى : ١٣٢
يامين بن عمير : ١٧
يحيى الاثقر ، زين الدين ، الاستادار :
٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٧

يحيى بن البدر حسن ، شرف الدين :
١٢٣

يحيى البردينى الشافعى ، ابو زكريا :
٢٨٦

يحيى بن شرف النووى : ٣٢٤ ، ٣٢٥

ابو يزيد الدوادار ، الامير ، ١٢٦

يشبك السودونى : ٩٤

يشبك بن عبد الله : ١٥١ ، ١٥٢

يشبك من مهدى الدوادار : ٨٢ ،
١١٢ ، ١٣٦ ، ١٧٨ ، ٢٢٦

٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٩٧ ، ٣٣٥

يعقوب ، المستمسك بالله ، ابو الصبر ،
ال خليفة العباسى : ٣٣٧

يعقوب بن ابراهيم ، ابو يوسف :
٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٩٩ ، ١١٦

يعقوب بك بن حسن الطويل : ١٣٦

يلبغا الخاصكى : ٢٤٨

يلبغا السالى : ٣٣٤

البلغاوية ، المائيك ، ٢٤٠

ابو يوسف = يعقوب بن ابراهيم ،
صاحب ابى حنيفة
يوسف ، عليه السلام ، قبور اخوة :
٣٣٣

يوسف بن احمد ، جمال الدين
الاستادار : ١٥٤ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ،
٢٠١ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ،
٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ،
٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ،
٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٤ ،
٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ،
٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ،
٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ،
٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٨ ،
٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ،
٢٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ،
٣٥١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٩

يوسف بن ايوب ، السلطان صلاح
الدين الايوبى : ١٢ ، ٤٨ ، ٥٨ ،
٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ١٠١ ،
١٠٥ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،
٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٢٥ ، ٢٣٤ ،
٢٣٥ ، ٢٤١ ، ٢٦٢ ، ٢٩٩ ،
٣٣٠ ، ٣٣٩

يوسف بن برسباى ، العزيز : ٣٢٦

يوسف بن تغرى بردى ، جمال الدين
ابو المحاسن : ٨٧ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ،
٢٥٥ ، ٢٨٢ ، ٢٩٦

يوسف بن تغرى بردى ، جمال الدين
الشريفة : ١٤٧ ، ١٥١ ، ٣١٠

يوسف - المستنجد بالله ، الخليفة
العباسى : ٣٢٧

يوسف بن موسى بن عبد الله الملطى ،
الحنفى : ٣٦٢

(ب) الأماكن

البصرة : ٢٢٧ ، ٢٧٨ ، ٢٣٤

برج بشبك الدوادر : ١٧٨ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨

بركة الحبش : ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٦ ، ٦٠

بركة حمير = بركة الحبش

بركة الرطلى : ٨٨

بركة الفيل : ٦٢ ، ٩٥

بركة المعلى = بركة الحبش

بستان الحبيبة : ٦٢ ، ٢٠٥

بشاكس : ٧٨

بشيل : ٧٨

البصرة : ٤٨

بطريكة الاقباط الارثوذكس : ٢ ، ٣ ، ١١٨

بغداد : ٥١ ، ٩٠ ، ٢٣٣ ، ٢٤

بليس : ٦٢ ، ٦٦ ، ٢٢٥

بلقس : ٦٠ ، ١٢٥

بهييت : ٦١ ، ٢٢٢

بهيم : ١١١ ، ٢٢٣

البيهنساوية : ٦٢ ، ٢٠٥

بولاق : ٨٨

بيسوس : ١٠٥

بيارستان : ١٥٥

البيارستان المؤيدى : ١٧٣

بيارستان المعلى : ١٥٥

البيارستان النصورى : ٨٨

١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٥٦ ، ١٥٨

١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣

١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠

١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٢٣٤

٢٣٨ ، ٢٥٥

(١)

أبيستوس : ١٢

أخميم : ٢٠٤

الازهر = الجامع الازهر

اسطبل ابن الكويك : ٢٥٩

الاسكندرية : ٣٤ ، ٦٤ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٥٧ ، ١٧٨ ، ٢٢٥

٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨

آسيا الصغرى : ٩٠

اسيوط : ٢٨

الاشمونيين : ٢٢٦

اصطبل قامش = بركة الحبش

اصطبل قرة = بركة الحبش

أطليح : ٥٣

الاعلام : ٥٨ ، ٦٣ ، ٣٣٩

افريقيا الوسطى : ٩٠

امبابة ، منبابة : ٣٣٩

الامرية : ٦١

(ب)

بئر رومة : ٢١ ، ٢٧ ، ١٤٩

بئر الطوايط : ٣٧

باب البرقية : ٣٣٥

باب الزهومة : ١٦٠

باب زويلة : ٩٥ ، ١٤٨ ، ٢٤٣ ، ٣٧١

باب الفتوح : ٦٣

باب النصر : ٨٥

بحر السلسلة : ٢٢٦

جامع المقس : ٥٣ ، ٥٥
 جامع المؤيد : ١٢٤ ، ١٧٣ ، ٢٥٢
 الجزيرة ، بلاد : ٢٣٤
 جزيرة الروضة : ٦٨ ، ٢٤٠
 جزيرة الفيل : ٦٣ ، ٣٦١
 جورجيا : ٥
 الجزيرة : ١١١ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ ،
 ٢٢٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٥ ،
 ٣٥٩ ، ٣٤٨

(ح)

حارة برجوان : ٦٣
 الحجاز : ١٠٦ ، ٢٢٣ ، ٢٥١
 الحرمين الشريفين : ١١٣ ، ١٣٣ ،
 ٢٢٤ ، ٢٢١ ، ٢٥٣ ، ٣٦٢ ،
 ٣٦٣
 الحسينية : ١١٥ ، ١٨٣
 حلب : ٩٨ ، ٢٠٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
 ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٣٥ ، ٣٣٥
 ٣٤٤ ، ٣٣٦
 حلوان : ٤٠
 حماء : ٢٥٦
 حمام الجبوشى : ٦٧ ، ٣٥٩
 حمام الخراطين : ٣٤٦
 حمام الذهب : ٦٨
 حمام الرصاص : ٦١
 حمام الزينى قاسم : ٣٦٤
 حمام الصوفية : ٦٢
 حمام ابن عبود : ٣٤٧
 حمام قتال السبع : ٣٤٣
 الحنيوشية : ٥٨ ، ٦٣ ، ٣٣٩

(خ)

خربة : ٣٦٥
 الخربة الاشربية : ٣٦٥
 خربة برقوق ، الظاهرية : ٣٣٣ ،
 ٣٤٩
 خربة الشيخ عز الدين عبد السلام :
 ٢٤٧
 خربة الملك المنصور قلاوون : ١٥٧ ،
 ١٥٨

(ث)

ثغر ، ثغور : ٤٤ ، ٢٢٤ ، ٢٢٢
 ثمن : ٢٠

(ج)

الجامع الازهر : ٥٣ ، ١١٩ ، ١٢٥ ،
 ١٣٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٥ ، ٢٢٦ ،
 ٢٣٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،
 ٢٦١ ، ٢٩٥
 جامع ان منقر : ٢٤١
 جامع يشناك : ٩٥
 الجامع الجديد الناصرى : ١٨٣
 جامع الحاكم : ٢٠٦ ، ٣٦٩
 جامع راشد : ٥٣
 جامع الصالح طلائع : ٣٧١
 جامع ابن طولون : ١١٨ ، ١٧١ ،
 ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٩ ،
 ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩
 جامع عمرو بن العاص : ٣٣ ، ٣٤ ،
 ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،
 ٣٦٢ ، ٣٦١
 جامع قوصون : ٣٦٠
 الجامع الكبير : ١٥٠
 جامع الماردين : ٩٥

خط كرسى الجسر : ٢٤٠

خط النخالين : ٦٧

خلوة ، خلاوى : ١٥٣

خلوة الخطاية : ١٨٧

خليج ، خلجان : ١٤٩ ، ١٥٠

الخليل : ٢١٧

غير : ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٩٩ ، ١٣٢

(د)

دار أمير أحمد : ٣٤٧

دار أوجد الدين عبد الواحد : ٣٤٧ ، ٣٥١

دار بكتر الحاجب، الأمير سيف الدين : ٣٥٨

دار بيبوس الجاشنكير : ٣٥٨

الدار البيسرية : ٨٥ ، ٣٤٣

دار تنكر : ٣٥٨

دار حطوان الساقى : ٣٤٦

دار الشفاح : ٣٥٢

دار التمر : ٦٨ ، ٢٢٥

دار الحكمة : ٥٣

دار ابن رجب : ٣٤٧

دار أبى زبيد : ١٥٥

دار السلسلة : ٣٦ ، ٣٧

دار عبد الرحمن ، سمسار الفلال : ٣٥٩

دار الداء : ١٢٥

دار ابن مثنى : ٣٥٨

دار الفلج : ٦٧

حوائيت السيوفيين : ٣٥٣

حوائيت الصيارف : ٣٥٣

الحوش السلطاني : ٣٢٦

(خ)

خان الحجر : ٣٥٣

خان مسرور : ٣٥٣

خانقاه : ٤ ، ١٨٤ ، ١٨٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥

٢٠٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩

٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١٦ ، ٢٢٠

٢٢٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢٥٥

٢٦٠ ، ٢٥٨ ، ٢٥٧ ، ٣٢٩ ، ٢٨٦

خانقاه برسبای ، الاشرافية : ٨٥ ، ٢٩٥

خانقاه برقوق : ٨٦ ، ٢٠٧ ، ٣٣٩

الخانقاه البندقدارية : ٢٠٦

خانقاه الجمال : ٢٣٨

الخانقاه الخروبية : ٢١٠ ، ٢٢٢

خانقاه مرياقوس : ١٧٤ ، ٢٠٨ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٧٩

خانقاه سميد السعداء : ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٧٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨

خانقاه شيخو : ١٧ ، ١٢١ ، ٣٣٤

الخانقاه الصلاحية = سميد السعداء

خانقاه المزيدي : ٣٥٩

خزانة الكتب : ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩

خزائن الادوية : ١٥٦

خط الرملية : ١٧٣

خط الشمس : ٢٤٠

دار الاسير فخر الدين جهاركس :
١٥٧

دار ابن فضل الله : ٣٤٧ ، ٣٥٢

دار الفيل : ٣٦ ، ٢٩٤

دار قراسنتر : ٣٤٧ ، ٣٥٢

الدار القطبية : ١٢٥ ، ١٥٧

دار القليجي : ٣٤٧

دار المعونة : ٦٧

دار موسك : ١٥٧

دار الميموني : ٣٥٢

دار النحاس : ٢٤٠

دمشق : ١٥٧ ، ٢٠٦ ، ٣٢٣ ، ٣٣٨ ،
٣٦٨ ، ٣٣٩

دمياط : ١٧٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ،
٣٣٨

دنديل : ٣٣٩

دمشور : ١٢

دمهرو : ٦٢ ، ٢٠٥

الدهيشة : ٣٣٧

ديا الكبرى : ٣٠١

ديار بكر : ٢٢٤

دير سانت كاترين : ٢ ، ٣ ، ١٢٩

دير الطين : ١٨٢

(ذ)

ذو القادر ، امارة : ٢٢٦

(ر)

رياحك : ٤ ، ١٠٠ ، ١٨٢ ، ٢٠٣ ،

٢٠٧ ، ٢١٨ ، ٢١٧ ، ٢٠٨ ،

٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،

٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٨٦ ، ٢٢٦

رياحك البغدادية : ١٣٩

ربيع العلزون : ٣٥٣

الربيع الظاهري : ١٥١

رحبة باب العيد : ١٥٧

الرها : ١٣٦ ، ٣٣١

الروضة ، جزيرة : ٦٨ ، ٣٤٠

الريدانية : ٩٨ ، ٣٠٢

(ز)

زاوية ، زوايا : ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٩ ،
٢٢٢ ، ٢٥٥ ، ٣٢٩

زوايا العلم : ٢٥٩ ، ٢٦٠

زاوية الامام الشافعي : ٢٦٠

الزاوية الصاحبية : ٢٦١

الزاوية المجدية : ٢٦٠

زقاق القناديل : ١٥٥

(س)

سجن المعونة : ١٨٤

سرياقوس : ٣٦٩

سقط : ٦١

سماسم : ٢١٨ ، ٢٢١

سندبيس : ٦٢ ، ١٠٥ ، ٢٦٠

سنديون : ٧٨

السودان الغربي : ٩٠

سوريا : ٥٠

سوق الدجاجين : ٣٥٦

سوق الرقيق : ١٥٥

سوق الرقيق : ١٥٥

سوق المنهر : ٣٥٣

المريش : ٥٠

(غ)

الفريية : ٧٨ ، ٢٢٦ ، ٣٠١ ، ٣٣٤ ، ٣٥٨

(ف)

فارس : ٩٠ ، ٢٣٤

فدك : ١٨

القسطاط : ٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٥٣ ، ٦٧ ، ٩٨ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٥٥ ، ١٨٢ ، ٢١٠ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٦ ، ٣٣٤

فندق الحجر : ١٦٠

فندق بنى الرصاص : ٣٦٠

فندق الفاكة : ١٦٠

فندق سرور : ١٦٠

القيوم : ٦٨ ، ٦٣ ، ٢٧٨

(ق)

قاعة السلاح بدمياط : ٨٧ ، ٢٢٩

القاهرة : ٣ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٨ ، ٩٨ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٦٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢٢٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ٢٣١ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧١

قبرس : ٢٢٥

قبة ، تربة : ٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩١

٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٦

قبة الامام الشافعى : ٦٣ ، ١١٨

سويقة أمير الجيوش : ٦٣

سيواس : ٣٣٣

(ش)

الشارع الاعظم : ١٤٨

الشام : ٤٤ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٩٠ ، ١٠٦ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٥٦ ، ٣٦٨ ، ٣٦٦ ، ٣٥٨

الشرقية : ٢٣٤ ، ٢٥٨

(ص)

الصاغة ، حى : ٦٣ ، ٦٧

صندلا : ٢٢٦

صهريج ، صهاريج : ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ٣١٣

صهريج منجك : ٣٥٦

صول : ٥٣

صنيذا : ٢٢٧

(ض)

الضريح النبوى الشريف : ٦٣ ، ٦٦ ، ١٠٦

(ط)

طرابلس : ١٠٩ ، ٢٢٧

طما : ٢٧٨

طنطا : ٣٦٩

طوخ : ٥٣

الطينة : ٢٢٥

(ع)

المراق : ٤٤ ، ٢٣٤

(J)

ليبيا : ٥٠

(م)

ماحوز ، مواحيز : ٥٠

المارستان الاسفل : ١٥٦

المارستان الاعلى : ١٥٥

المارستان السكندري : ٦٤

المارستان الصلاحي : ٦٣

المارستان العتيق : ١٥٥ ، ١٥٦

مارستان الفسطاط : ٦٣ ، ١٥٦

ماكوسة : ٢٢٦

المغاريق الكبرى (بستان) : ١٤٨

مدرسة ، مدارس : ١٨٢ ، ١٨٤ ،

١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٠٤ ، ٢٢٢ ،

٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،

٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ،

٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،

٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٢٧ ، ٣٥٨ ،

٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦

المدرسة الاشرفية : ٨٥ ، ٨٦ ، ٣٥٣

المدرسة الاشرفية بدمياط : ٨٧ ،

٢٢٩

مدرسة الاشرف شعبان : ٣٤٨

مدرسة أم السلطان : ٣٤٦

مدرسة اينال : ٢٤٠

مدرسة البحر العيني : ٨٦ ، ٢٩٥

مدرسة برقوق (الظاهرية) : ٢٣٨

٣٣٣ ، ٣٦٦

المدرسة القنوية ، منازل المز : ٦٧

٦٨ ، ٣٤٠

قبة قلاوون : ١٥٧ ، ١٥٨

قبة يشبك الدوادار : ٣٣٥

قبو الخرنفش : ٣٥٣

القدس : ٦٢ ، ٢١٧

قصر بشتاك : ٣٤٦

قصر العجازية : ٣٤٦

قصر الزمرد : ١٥٧

القصر الفاطمي الكبير : ٦٣

قلتا : ٣٠١

قلعة قابتبای : ٢٢٦ ، ٢٢٧

القليوبية : ٦٢ ، ٧٨

قوص : ٦٣ ، ٢٣٥

قويسنا : ٣٠١

القيروان : ٥٣

قيسارية ابن أبي أسامة : ٦١

قيسارية الشراب : ٢٦ ، ٢٠٥

قيسارية الأمير على : ٣٥٤

قيسارية العنبر : ١٨٤

قيسارية الفاضل : ٣٥٥

قيسارية ابن ميسر : ٣٦٠

قيسارية الوراقين : ٦٣

(ك)

الكرنك : ٢٢٧

الكريون : ٢٧٨

الكعبة : ١٥ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧

كنيسة القبط بالجيزة : ٢٢٧

الكوفة : ٢٤

كوم الهوى : ٦٠

المدرسة المهندارية : ٢٠٧ ، ٢٤٠
 مدرسة منازل العز = المدرسة التقوية
 المدرسة الناصرية : ٦٣ ، ٦٧ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٣٥٤
 المدرسة النظامية : ٢٣٤
 المدينة المنورة : ١٩ ، ٢٧ ، ٣٧ ، ٤٦ ، ١٠٥ ، ١٠٦
 منزلة : ١٤٩ ، ١٥٠
 المزولة : ١٩١
 المسجد الاشرفى : ٧٨ ، ٨٠
 المسجد الاقصى : ١٥
 مسجد أهل الراية = جامع عمرو
 ابن العاص
 المسجد الحرام : ١١٥
 مصلى سبيل المؤمنين : ١٠٥
 مطبخ بنى الرصاص : ٣٦٠
 المقياس : ٢٤٠
 مكة : ١٥ ، ٢٠ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ٢٢٣ ، ٣٣٢ ، ٣٧٠
 مكتب (كتاب) السبيل :
 ١٤٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٣١٣
 ملطية : ٣٣١
 مناخ الجمال السلطانية : ١٨٣
 منازل العز = المدرسة التقوية
 المنوفية : ٢٢٦ ، ٣٠١ ، ٣٣٢
 المنية : ٦١

مدرسة جمال الدين الاستادار : ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩
 المدرسة الجمالية : ٢٦٦
 المدرسة العجازية : ٢٤٦
 المدرسة الخروبية : ٢٤٠
 المدرسة الزمامية : ٢٣٧
 مدرسة ابن زين التجار : ٦٣
 مدرسة السلطان حسن : ٢٧٨ ، ٣٠٣ ، ٣٦٠
 المدرسة السيوفية : ٦٣ ، ٣٥٢
 المدرسة صاحبية : ٢٣٧
 المدرسة صاحبية البهائية : ٢٤١ ، ٢٥٣ ، ٢٦٠
 المدرسة الصالحية : ٢٠٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٣٥٢
 المدرسة الصلاحية : ١١٨
 المدرسة الطبرسية : ١١٩ ، ٣٦٤
 المدرسة الظاهرية : ٢٥٣
 مدرسة ابن الفنام : ٨٦
 المدرسة الفاضلية : ٢٩٨
 المدرسة الفخرية : ٣٦٣
 المدرسة القطبية : ٦٨ ، ٣٥٣
 مدرسة قلاوون : ١٥٨ ، ١٥٩
 المدرسة التمحية : ٥٨ ، ٦٣ ، ١٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٣٢٩
 المدرسة الكاملية : ١٦٠ ، ٢٣٥
 مدرسة المحل : ٢٤٠
 المدرسة المنصورية : ٢٥٤ ، ٣٦٣ ، ٣٧٠

٦٢ نقادة	منية بنى خصيب : ٢٢٩ ، ٢٣٥
٦١ نهيا	منية خلف : ٢٢٦
النيل : ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ،	مهروز ، سوق بالمدينة : ١٩
(و)	ميدان قراقوش : ١٨٣
وادي القرى : ١٩	(ن)
(ى)	نسرو : ٦٢
ينبع : ٢١	النصيرية : ١٠٩

(ج) الالفبائ الاصطلاحية والوظائف

أمين البيمارستان : ١٥٥
 أمين الزيت : ١٤٢ ، ١٧٨ ، ١٩٦
 الاوقاف الاهلية : ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢
 ٧٨ ، ٨٢ ، ٩٢ ، ١٠٨ ، ١١٦ ، ١١٨
 اوقاف الحرمين : ٦٩ ، ١٠٦ ، ١٠٨
 ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٦
 الاوقاف الحكيمة : ٦٩ ، ١٠٨ ، ١١٣
 ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٢
 الاوقاف الخيرية : ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢
 ٧٨ ، ٨٢ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٦

(ب)

البارودية : ٢٢٧
 باش أجناد المدة : ٢٢٧
 باش المسكر : ٢٢٧
 باني المدارس والمساجد : ٢٣٧
 بخور : ١٥٢
 برددار : ٤ ، ٢٧٦ ، ٣١٦ ، ٣١٧
 البردوني في اصول الفقه : ٢٤٥
 بطرك النصارى اليمانية : ١١٨
 بفلطاني . بلغوطاني : ١٤٨
 بواب : ١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠
 بيت المال : ٤ ، ٢٦ ، ٢٠ ، ٤٦
 ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١
 ٦٢ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٥
 ٩٧ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩
 ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١
 ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣
 ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠
 ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٦ ، ٣٤٦
 ٣٤٩

(١)

أجناد المدة : ٢٢٦ ، ٢٢٧
 الاذكار السلطانية : ١٩٠
 اوصاد (أفراد) : ٥٤ ، ٦٠ ، ٦١
 ٦٣ ، ٦٤ ، ٩٥ ، ١١٠
 الاستثمار ، نظام : ١٣ ، ١٤
 استادار الاملاك السلطانية : ١٢٠
 استادار الاملاك والاوقاف والذخيرة
 السلطانية : ١٢٠
 استادارية الاملاك والاوقاف السلطانية
 ٦٩
 استادارية الاوقاف السلطانية : ١٢١
 الاستبدال : ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٤١
 ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥
 ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣
 ٣٦٢
 الاستسقاء ، صلاة : ١٨٧
 استمارة الكتب : ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩
 الاصرافة : ٢٧٣
 اقطاع ، اقطاعات : ١٢٩ ، ٢٧٦
 ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١
 ٣٠٣ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧
 ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧
 ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٨
 ٣٦٦ ، ٣٧٣
 امام ، ائمة ، امامة : ١٨١ ، ١٨٤
 ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨
 ١٩٠ ، ٢١٩ ، ٢٩٥
 الاموال الهلالية : ٩٥
 أمير أخور كبير : ١١٧
 أمير راس نوبة كبير : ١١٧
 أمير الحاج : ٢٢٤

الحج : ١٧٨ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٢٢

حكر ، أحكار : ٥٩ ، ٩٥ ، ٢٨٥

حل الاوقاف : ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٦٧ ، ٢٦١ ، ٢٥٦

حوض . احواض : ١٥٤
الحوائص الذهب : ٢٢٤

(خ)

خادم : ١٤١ ، ١٤٢ ، ٢١٢ ، ٢١٩ ، ٢٣٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣

خازن السلاح : ٢٣٠

خازن الكتب : ١٤١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨

خبز البر الطيب : ٢١٨

خرقة التصوف : ٢٠٩

الغسوف ، صلاة : ١٨٥ ، ١٨٧

خطيب ، خطيب ، خطابة : ١٤١ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٦

خوستان ، خريستان : ١٥٣

(د)

درهم ، دراهم : ٢٧٨

درهم فضة : ٢٤٨

درهم خلوص : ٢١٨

درهم نقرة : ١٩٢ ، ٢٦٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧

درياق ، درياقات : ١٦٤

البيت الحرام : ١٥
بيع الاوقاف : ٢٢١ ، ٢٤٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨

(ت)

تاجير الاوقاف : ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٢١

تحكيم الاوقاف : ٢٨٠ ، ٢٨٥

التراويج ، صلاة : ١٥٢ ، ١٨٥ ، ١٩٤

ترميم الاحباس : ٤٩ ، ٥٨ ، ٨٦ ، ٨٧

ترياق ، ترياقات : ١٦٤

التسبيح : ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٢١

تسبيل المساء الغدب : ٧١

التشريق ، أيام : ٢٥٠

تقاسيط ديوانية : ٩-١٠

التكتيب : ٢٧٠

تواقيع القضاة : ١٢٩

(ج)

الجايي ، الجبابة : ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢

الجمع بين وظيفتين : ٢٩٥ ، ٢٩٦

الجند البطالون : ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠-٣ ، ٣٣٣

الجهيز : ٣١٤

الجهاد : ١٧٨ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١

٢٣٦ ، ٣٠٠ ، ٣٠١

(ح)

الحبس الجبروش : ٦١

الرزق الاحباسية : ١٠٩ ، ١١٠ ،
٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ،
٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦١

الرزق الجيشية : ١٠٩ ، ١١٠

رزق الخطابات : ١٠٨

الرزق المبرورة : ١١٠

رزقة بلا مال : ١٠٩

الركب الشريف : ٢٢٣

رمضان ، شهر : ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ،
١٥٢ ، ١٨٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٣ ،
٢٥٠ ، ٢٥١

(ز)

الزرد : ٢٢٦

زرد كاش : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ،
٢٣٠

زيت : ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢١٣

(س)

ساعة رملية : ١٦١

مسبيل أسبلة : ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤

سحابة : ١٥٢ ، ١٥٣ ، ٢٢٢

السحريات : ١٩١

سطحى : ١٤٤

سواسى : ١٤٧

(ش)

شاد الاوقاف ، الشادية ، المشد :
١١٠ ، ١٢٥ ، ١٤١ ، ٢٧٦ ،
٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨

شاد المدرسة : ٢٠٧

الشاهد : ٢٧١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ،
٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٦٢

الدوا دار الكبير : ١١١ ، ١١٢ ، ١١٧

دينار ، دنانير : ٢٧٨

ديوان الاحباس : ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٤ ،
٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ،
١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ،
١٢٧ ، ٢٢٥

ديوان الاسطول : ٦١

ديوان الاشرف : ١١٩

ديوان الاملاك : ١١٩ ، ١٢٠

ديوان الانشاء : ١٢٩ ، ١٢٧

ديوان الاوقاف : ٤٨ ، ١٠٨ ، ٢٣٥

ديوان الاوقاف والاملاك الشريفة :
١٢٠

ديوان الجيش : ٥٩ ، ١٠٩

ديوان الخاص : ١٠٩ ، ١٢٠ ، ٢٢٥ ،
٢٣٨

الديوان السلطاني : ٩٥ ، ٢٦٠

ديوان المرتجع : ١٢٦

الديوان المفرد : ١٢٠

ديوان الموارث العشرية : ٦٩ ، ٩٣ ،
٩٤

(ذ)

الذخيرة السلطانية : ١٢٠ ، ٢٢٧ ،
٣٤٠

(ر)

رئيس المجاهدين : ٢٢٧

رجل بخورى = مبخر

الرزق : ٦٩ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ،
١١٠ ، ١١١ ، ١٢٩ ، ٢٠٢ ،
٢٢٤ ، ٢٥٧

الطرخان : ١٠٩ ، ١١٠

طواشي ، طواشية : ٢٩٠

(ع)

عاشورام : يوم : ١٤٠ ، ١٤٤ ، ٢٥٠

العامل : ٢٧٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٤

عريف : ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤

١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٢٣٢

٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧

٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٥

عمارة الاوقاف : ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٩٤

٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣٢١

عيد الاضحى : ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٢٥٠

عيد الفطر : ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ٢٥٠

(غ)

الغاشية : ٥٦

(ح)

الفاضل : الفائض : ٧٣ ، ٧٧ ، ٧٨٠ ، ٧٩ ، ٨٧

الفجريات : ١٩١

الفراء الكباشية : ١٩١

فراشي ، فراشون : ١٠٢ ، ١٤١

١٦٣ ، ٣٠٧

فلس ، فلوس : ١٤٩

الفلوس الجدد : ٢٩٧

(ق)

قاري ، قراء : ١٧٨ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢١١ ، ٢٩٠

شاهد الدمار : ٢٧٩ ، ٣١٨ ، ٣١٩

شمع ، شموع : ١٩٧ ، ١٩٨

شهود القيمة : ٣٤٥ ، ٣٤٩

شيف ، شيفات : ١٦٣

شيخ الشيوخ : ٢٠٨

شيخ الصوفية : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١

٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٥

٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٤٣ ، ٢٨٦

٢٩٥

شيخ المعاد : ١٤١

(ص)

صادر الفرنج : ٦٤ ، ١٠١

صاحب الديوان : ١٤١

صقل الاسلحة : ٢٢٦ ، ٢٢٩

صيدلي : ١٦٦

الصرلي : ٢٧٦ ، ٣١١ ، ٣١٢

٣١٣ ، ٣١٤

(ط)

طاقية : ١٤٧

طالب ، طلبة العلم : ١٤١ ، ١٤٢

١٤٧ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٥

١٧٦ ، ١٨١ ، ١٩٦ ، ٢٠٦

٢٠٧ ، ٢١٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦

٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥

٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥١

٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥

٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٨٩

٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣١٣ ، ٣٣١

٣٦٠

طبيعة ، طيان : ١٨٦

طبيب ، اطباء : ١٤٢ ، ١٥٧ ، ١٦٢

١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٤

١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٧٤

(ل)

ليالي الجمع : ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ،
ليالي الوقود : ١٩٧

(م)

مؤدب : ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،
١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٢٣٢ ،
٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،
٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،
٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥

مؤذن ، مؤذنون ، أذان : ١٤١ ، ١٤٢ ،
١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ،
١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٩ ،
٢١٩ ، ٢٣٧ ، ٢٤١

مادح : ١٤٢ ، ١٧٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،
٢١١

مبائر الاوقاف : ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ،
٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٣٠٤ ،
٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ،
٣٥٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٦

مبخر (مجمر الحجرة) : ١٤٢ ، ١٧٨ ،
١٩٣ ، ١٩٤

متصدر القرآن : ١٤١

متمم ، معمم : ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٤٠ ،

متولى الاحباس : ٥١

محدث ، محدثون : ١٨١ ، ٢٤٥

المحمل السلطاني : ٢٢٣

مداس : ١٤٧

مدرس ، مدرسون : ١٤١ ، ١٨١ ،
٢٠٨ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،
٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ،
٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٣٩ ،

المذهب السني : ٦٦ ، ٧٠ ، ٢٠٨ ،
٢٠٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥

قارىء حديث : ١٤١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،

قراء الصنفة : ٢١٢ ، ٢١٣

قارئ المصحف : ١٩٨ ، ٢٠٠

قارئ الميعاد : ١٤٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٢ ،
٢٠٣

قراء السبع الشريف : ٢٠٠ ، ٢٠١ ،
٢٥٣ ، ٢٠٢

قبيح ، أقباغ : ١٤٧

الفرصة ، خبز : ١٨٥ ، ٢٣٩

قميص : ١٤٧

قنديل ، قناديل : ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٧ ،

قومة : ١٤١ ، ١٦٣ ، ١٨١ ، ١٩٤ ،
١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٦

(ك)

الكاتب ، الكتابة : ٢٧٦ ، ٣٠٥ ،
٣٠٦

كاتب السر : ١١٧ ، ٣٢٧ ، ٣٠٨

كاتب غيبة الصوفية : ٢١٢ ، ٢١٦

كاتب غيبة الطلبة : ٢٥٣

كاشف الكشاف : ١٢٣

كتب الرقائق : ٢٤٥

كحل ، أكحال : ١٦٣

كسوة : ١٤٧ ، ١٤٨

كسوة الايتام : ٢٦٢ ، ٢٧٥ ، ٢١٣

الكسوف ، صلاة : ١٨٥ ، ١٨٧

الكشاف للزمخشري : ٢٤٤ ، ٢٤٥

كوثر ، كيزان : ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،
١٦٤

(ن)

- نائب السلطان : ١١٢ ، ١١١
 الناظر : ٢٧٦ ، ٢٩٤ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣١٢ ، ٣٦٢
 ناظر الاحباس ، نظر الاحباس :
 ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٢
 ناظر الاوقاف : ١٠٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،
 ١٢٥ ، ١٤١ ، ٣٦٤
 ناظر الخاص السلطاني : ١١٠
 ناظر الخاص والاوقاف : ١١٤
 ناظر الدولة : ٢٣٧
 النزول عن الوظائف : ١٢٧
 نصف فقة : ١٨٥ ، ٢٩٧
 النفطة : ٢٢٧
 نفقة الايتام : ٥١
 نفقة البيمة : ٣٣٦ ، ٣٣٧
 نقيب الجيوش : ٢٤٠

(هـ)

- الهداية في الفقه : ٢٤٥

(و)

- وصايا القضاء : ١٢٩
 وصولات المعتدات : ٣١٧
 وضع اليد : ٣٥٩
 وظيفة التصوف : ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٥٣
 وقاد ، وقادة : ١٠٢ ، ١٧٨ ، ١٩٤ ،
 ١٩٥ ، ١٩٦
 وقف تمرتاض : ٣٤٧ ، ٣٥٢

- المذهب الشيعي : ٦٦ ، ٧٠ ، ٣٠٤ ،
 ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥

- مرقي الخطيب ، الترقية : ١٨٨ ،
 ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١

- المزملاتي : ١٣١ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،
 ١٥٣

- المرخم ، الترقيم : ٢٧٦ ، ٣١٩ ،
 ٣٢٠

- المستوفي : ١٤١

- مشارف الاوقاف : ١١٤ ، ٢٧٦ ،
 ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٤

- مشكاة ، مشكاوات : ١٩٦

- مشيخه التصوف = شيخ الصوفية .

- المصادر : ٧٨

- المطوعة : ٥٠

- ميميد ، ميميدون : ١٤١ ، ١٤٦ ،
 ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٦٥

- المفتاح للسكاكي : ٢٤٥

- مقدم المجاهدين : ٢٢٧

- المكاتب العكسية : ٨٣

- ملاليط : ١٤٧

- ملقى القرآن : ١٤١

- مرشخ : ١٦٦

- متجنيق : ٢٢٧

- منشد = ماح

- المهندس ، المعمار ، المعلم : ٢٧٦ ،
 ٣١٦ ، ٣١٨

- موقع : ٨٣ ، ٨٤

- مؤدع الاموال : ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
 ١٢٦ ، ٣٥٧

- الميقاتي - الميقات : ١٩١

وقف النقود : ١٠٠

(ى)

يتيم ، أيتام : ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ،
 ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،
 ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٢٢٤ ، ٢٢٢ ،
 ٢٢٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٦١ ،
 ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
 ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ،
 ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،
 ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٣٥٧ ،
 ٣٦٥

وقف الجوكندار : ٣٥٣

وقف الحيوانات : ١٠٠

وقف الشهابى : ٣٥٣

الوقف الصلاحي : ٣٦١

وقف الطرجاء : ١٠٥

وقف المبيد : ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤

وقف العقار : ٩٩

وقف المنقول : ٦٩ ، ٩٩

الوقف الناصرى : ٣٥٤

